

إفادة الأنام

بذكر أخبار بلد الله الحرام

مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام

تأليف

العلامة المحدث عبد الله الغازي المكي الحنفي

دراسة وتحقيق

معالي أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

المجلد السادس

ⓒ مكتبة الأسدي ، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحنفي ، عبدالله بن محمد الغازي المكي

افادة الانام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمي بإتمام الكلام / عبدالله بن محمد الغازي المكي الحنفي ؛ عبدالملك عبدالله ابن دهيش - مكة المكرمة ، ١٤٣٠هـ

٧ مج .

ردمك ٦-٠-٩٠٠٧٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٦-٩٠٠٧٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج٦)

١ - مكة المكرمة -تاريخ أ - ابن دهيش، عبدالملك عبدالله (محقق) ب . العنوان

ديوى ١٢١، ٩٥٣ ٢٣٠٦ / ١٤٣٠

رقم الإيداع : ٢٣٠٦ / ١٤٣٠

ردمك ٦-٠-٩٠٠٧٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٦-٩٠٠٧٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج٦)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

توزيع



مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع

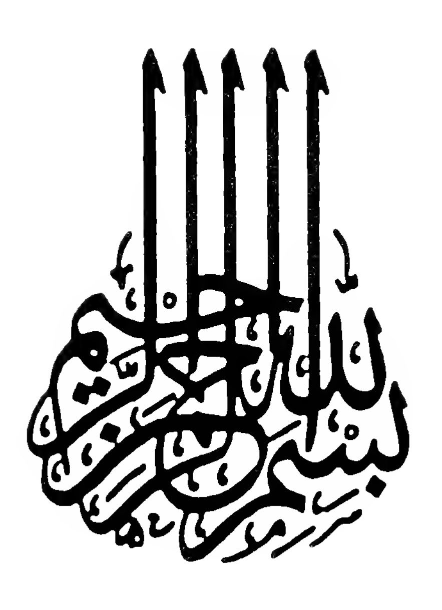


مكة المكرمة - العزيزية - مدخل جامعة أم القرى ت - ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس - ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت - ٥٢٧٣٠٢٧ ص. ب ٢٠٨٣

إفادة الأنام

بذكر أخبار بلد الله الحرام
مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام


بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر أمراء آل الرشيد[1]

أول من استولى منهم على مدينة حائل: عبدالله بن علي الرشيد، من بني جعفر، من قبيلة شمر الكبرى سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م، وقتل شيخها صالحاً، من بني علي الذي كان عاملاً على جبل شمر من قِبَل آل سعود. ولما كانت سبقت لعبدالله المذكور خدمة عظيمة لفيصل بن تركي من آل سعود بقتله مشاري ابن عمهم[2] الذي قتل تركي غيلة ونزا على ملكهم، كافأه فيصل بإقراره على إمارة حائل، فشرع عبدالله وأخوه عبيد يوطّدان دعائم إمارتهما، حتى أطاعتهما جميع شمر. ولما احتل خورشيد باشا المصري القصيم طرد عبدالله الرشيد من حائل[3]، فبقي مطروداً إلى سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م، إذ برح المصريون تلك الأرض، فرجع عبدالله إلى إمارته بحائل، ثم توفي عبدالله في سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م - وكان له ثلاث بنين وهم: طلال، ومتعب، ومحمد-، فخلفه ولده طلال، فاستولى هذا على الجوف، وتيماء، وخيبر، وجانب من القصيم، وأحسن الإدارة، وأمّن الطرق، وكفّ غارات الأعراب. وفي أيامه تراخت علائق الطاعة منه ومن قومه شمر لابن سعود، وتوفي طلال في صفر سنة ١٢٨٣هـ، وقيل: في ١٧ ذي القعدة سنة ١٢٨٤هـ.

وخلف [طلالاً][4] أخوه متعب، فنزا على هذا ولدا أخيه بندر وبدر، فقتلاه في ٢ ربيع الثاني سنة١٢٨٥هـ، وقيل: في ٢٠ رمضان سنة ١٢٨٥هـ،

---

(١) التعليقات على حاضر العالم الإسلامي (٤/١٧٠-١٧٢).

(٢) كذا في الأصل والتعليقات على حاضر العالم الإسلامي (٤/١٧١). وقد صححت فوقها بخط نصيف إلى: عمه، وهو مشاري بن عبدالرحمن بن سعود.

(٣) كانت حملة خورشيد قد أرسلهامحمد علي الوالي العثماني على مصر عام ١٢٥٤هـ للقضاء على الدولة السعودية الثانية خلال الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود والتي انتهت باستسلام الإمام فيصل. صلاح الدين المختار:تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١ ص٢٩٨.

(٤) في الأصل: طلال. والتصويب من التعليقات على حاضر العالم الإسلامي (٤/١٧١).

وتولى الحكم بعده أحدهما بندر، وكان محمد بن عبدالله يومئذ عند الإمام عبدالله بن سعود، ثم عاد محمد إلى حائل وتولى إمارة الحاج العراقي، ثم في السنة التالية قتل بندراً بيده دفاعاً عن نفسه -كما قال-، وقد أمر بقتل أبناء طلال الآخرين، فذبحوا في القصر كلهم إلا واحداً، هو بدر الذي فرّ إلى البادية، فتأثره العبيد وقتلوه، فغضب الأمير محمد لأنه أمرهم بالقبض عليه فقط، وقتل بسيفه العبد الذي قتل بدراً، وانفرد هو بالإمارة، وكان جلوسه على كرسي الإمارة سنة ١٢٨٨هـ، وهو واسطة عقد آل رشيد، وامتد حكمه إلى أطراف العراق وإلى مشارف الشام، وإلى نواحي المدينة وإلى اليمامة وما يلي اليمن، وغلب على نجد كلها، وأدخل آل سعود في طاعته بعد أن كان آل الرشيد تبعاً لآل سعود[١]. وكل هذا التبسط الذي تبسطه في الملك كان بحزمه وعزمه وسداد رأيه وحسن سياسته. وكان صارماً في الحكومة، لكنه كان عادلاً، فأمنت المسالك في أيامه بما لم يسبق له مثيل، وكانت الأعراب تخشى [مجرد][٢] ذكر اسمه، فأصبح هو سلطان البرية.

ومن جملة تدبيره: أن تقرّب جداً من رضى السلطان عبدالحميد، وكان من أشدّ الناس تعلقاً بطاعته، وكل سنة كان يقدم إلى السلطان عدداً كبيراً من الجياد العراب، فحظي عند السلطان حظوة لم تكن لأحد من أمراء العرب، وعضدته الدولة العلية عضداً تاماً اتّسع به ملكه، وقويت شوكته.

وفي أيام محمد الرشيد زار جبل شمر ونجداً عدة من سياح الإفرنجة، مثل: [البارون][٣] نولده، وبلونت، وهوبر، وأوتنغ، وغيرهم.

---

(١) كان ذلك نتيجة للصراع الذي حدث بين عبدالله وسعود أبناء الإمام فيصل بن تركي، ومساندة الدولة العثمانية لمحمد بن رشيد. انظر: صلاح الدين المختار: المرجع السابق، ج١، ص٣٦٤-٣٧٤.

(٢) في الأصل: بمجرد. والتصويب من التعليقات على حاضر العالم الإسلامي (١٧١/٤).

(٣) في الأصل: الباردن. والتصويب من التعليقات على حاضر العالم الإسلامي، الموضع السابق.

ومات محمد في كانون الأول سنة ١٨٩٧م الموافق٣ رجب سنة١٣١٥هـ، ولم يعقب ولداً.

وخلفه ابن أخيه عبدالعزيز بن متعب، وكان سفاكاً للدماء، سيء الإدارة، فوقعت الفتنة بينه وبين جيرانه، وتألب عليه ابن صباح صاحب الكويت، وابن سعود، وأمير المنتفق، وقاتلوه قتالاً شديداً.

وفي سنة ١٩٠٢م تمكن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود من استرجاع الرياض، ومازال عبدالعزيز الرشيد في قتال مع أعدائه حتى قتل في روضة مهنا بالقرب من بريدة، كان في هذه الوقعة جيش عبدالعزيز الرشيد مؤلفاً من ستمائة من الحضر[(١)]، وألف ومائتين من خيالة البدو، فبرز عبدالعزيز آل سعود بجيشه إلى ساحة القتال، وهجمت رجاله على من تحضر من رجال ابن الرشيد، فتصادم الجيشان وتواقعا تحت جناح الليل في ١٨ صفر سنة ١٣٢٤، فتقهقر الرشيديون، فاحتل السعوديون مراكزهم، وكان عبدالعزيز الرشيد راكباً حصانه يدور في معسكره مستنهضاً محرضاً، فلما وصل إلى المكان الذي كان فيه فرقة من جنوده ظن أنها لا تزال هناك فصاح بحامل البيرق يحرضه على الهجوم: (مِنْ هَان يالفريخ[(٢)]) (مِنْ هَان يالفريخ) اسم لصاحب البيرق، والفريخ قد تقهقر مع المتقهقرين، وحلّ محله بيرق ابن سعود، وعرف رجال ابن سعود الصوت، فصاحوا: ابن الرشيد، ابن الرشيد، وأطلقت البنادق السعودية على الأمير التائه، فخرّ صريعاً وفيه بضع وعشرون رصاصة، وجاؤوا بسيفه وخاتمه للأمير عبدالعزيز آل سعود، ثم عَقد مجلس في القصر بحائل حضره أولاد عبدالعزيز: متعب،

(١) في هامش الأصل: من حضر نجد.
(٢) أي: من هنا، أما الفريخ فهو اسم حامل راية ابن الرشيد أو لقبٌ له.

ومشعل، ومحمد، فولي متعب الإمارة، ولم يطل أمره أكثر من سنة، وذلك أن سلطان بن حمود بن عبيد بن علي الرشيد كان متطاولاً إلى الإمارة، فذهب إلى الآستانة يتقرب إلى الدولة، فأرسل الأمير متعب يخبر الدولة [بمقاصد][١] سلطان هذا، فأعرضت عن سماع كلامه، فقفل إلى الشام، وبينما هو بدمشق التمس الأمير متعب من الدولة اعتقال سلطان، فصدر الأمر لناظم باشا واليها يومئذ بالقبض عليه، فوجد من أنذر سلطاناً في الحال، ففرّ إلى جبل الدروز، وأول قرية وصل إليها: الصورة الكبرى، قرية ابن ظهر الدين، من مشايخ الدروز، وهي من وادي اللوى -على مسافة سبع ساعات من دمشق- فأسرع ناظم باشا بإرسال خيل في أثر سلطان، فلم تدركه إلا في الصورة في منزل ابن ظهر الدين، فلما عرف هذا أنه هو ابن رشيد طرد خيالة الدولة، فاجتمع الدروز حول سلطان وساروا به إلى قرية شهبا، فنزل عند شيخها أبي طلال العامري، ومن هناك ذهبوا إلى المقرن القبلي عند مصطفى باشا الأطرش شيخ ذلك المقرن، فأقام بضيافة مصطفى باشا نحو شهر، ثم رغب في أن يعود إلى نجد، [فزوّده][٢] بما يلزمه، وأرسل معه رفاقاً يرأسهم الشيخ عيسى رتعان بن ماضي حتى وصلوا به إلى نجد، وبعد وصوله بمدة تنزى على متعب فقتله[٣] في ذي

(١) في الأصل: بمفاسد. والتصويب من التعليقات على حاضر العالم الإسلامي (١٧٢/٤).

(٢) في الأصل: فزودوه. والتصويب من التعليقات على حاضر العالم الإسلامي، الموضع السابق.

(٣) وكذلك قتل أخواه مشعل ومحمد، وكان قتلهم جميعاً خارج المدينة على يد أبناء الحمود: فيصل، وسعود، وسلطان.

قال الريحاني: فيصل وسعود وسلطان آل عبيد ورجاجيلهم وعبيدهم ومعهم متعب ومشعل ومحمد أبناء عبدالعزيز، وقد دعوا ليوم صيد فلبّوا الدعوة، وخرجت من حائل كوكبة من الخيل، فبعدما غابوا عن أسوار المدينة وغدوا في الفلاة لمز كل من الإخوان أبناء حمود حصانه وساقه على واحد =

القعدة سنة ١٣٢٤، وقيل: في شعبان [من][1] تلك السنة، وصار سلطان ابن حمود أميراً محله، ولم يطل أمره، بل جلس في إمارته سبعة أشهر، ثم خنقه أخوه سعود بن حمود، ودفنه في حفرة بالقصر وقام مقامه، ثم بعد ذلك جاء بنو سبهان بسعود بن عبدالعزيز الذي كان قاصراً[2] مخبئاً في المدينة المنورة، فلما بلغ الرشد أجلسوه[3] على كرسي الإمارة سنة ١٣٢٦هـ بعدما هجموا على القصر، وقبضوا على سعود بن حمود وقتلوه في الغرفة التي قتل فيها أخاه سلطاناً، ولكن

=

من أبناء عبدالعزيز، فتناوله من السرج بشعره وغمد خنجراً في صدره. طاح الثلاثة [الإخوان]١ إلى الأرض [مضرجين]٢ من الدماء، ولم يحرك أحد من الحاشية يده دفاعاً عنهم، ولكن عَبيد آل عبيد هتفوا قائلين: الحمد لله هذه آخرة آل عبدالله. اهـ تاريخ نجد الحديث (ص:٢٨٩). (غازي).

١- في الأصل: إخوان. والتصويب من تاريخ نجد، الموضع السابق.

٢- في الأصل: مضرخين. والتصويب من تاريخ نجد، الموضع السابق.

(١) قوله: "من" زيادة من التعليقات على حاضر العالم الإسلامي (١٧٢/٤).

(٢) فرّ به خاله ابن السبهان من القصر يوم الصيد المفجع. (غازي).

(٣) وبقي أميراً إلى الحرب العامة، فجعلت الدولة عنده البكباشي عزيز بك الكردي١ معتمداً، ثم أرسلت الشيخ صالح التونسي بمأمورية، ثم جعلت عبد الحميد بك٢ بن إبراهيم باشا سعيد المصري، فبقي أكثر سني الحرب في حائل يجتهد في منع الدسائس الاجنبية من التأثير على ابن رشيد، لا سيما وأن السبهان كانوا باطناً ممالئين٣ للإنكليز، فبقي سعود بالرغم من مساعي أخواله السبهان معتصماً بحبل الدولة، وقاتل برجاله جماعة ملك الحجاز الحسين بن علي حليف دول الحلفاء، وما زال كذلك حتى دارت الدائرة على الدولة. انتهى. كذا في تعليق حاضر العالم الاسلامي (١٧٢/٤). (غازي).

١- في الأصل: الكري. وقد صححت فوقها بخط نصيف إلى: الكردي. وهو الصواب. وانظر: تعلق حاضر العالم الإسلامي، الموضع السابق

٢- في هامش الأصل: عبدالحميد بك سعيد هو رئيس جمعية الإخوان المسلمين بمصر المتوفى عام ١٣٥٩ هجرية.

٣- في الأصل: مماثلين. والتصويب من حاضر العالم الإسلامي (١٧٢/٤).

كانت سياسة الإمارة بيد فاطمة السبهان جدة الأمير، وكانت فصيحة اللسان، شديدة الشكيمة، تكره أهل نجد[١] وآل سعود، وكان للعبيد المماليك مقام رفيع[٢] عند سعود بن عبد العزيز بن رشيد، كان يقربهم ويبالغ في إكرامهم خوفاً من آل سبهان ومنهم خصوصاً اثنان: سعيد -وهو مملوك سوداني خصي كان عنده مفتاح الخزنة-، وسليمان العنبر، كان يحمل سيف الحجابة الأول، ويدخل على الأمير برأي، حتى في السياسة كان مسموعاً.

قضى سعود بن عبد العزيز بن رشيد بين هاتين القوتين؛ قوة المرأة، وقوة عبيد القصر؛ ما كتب له من سني الحكم حتى قتل في سنة ١٣٣٨، وكان قتله على يد عبدالله بن طلال بن نايف بن طلال بن عبدالله الرشيد. كان الأمير سعود بن عبدالعزيز الرشيد قد خرج للنزهة ومعه عبدالله بن طلال مع حواشيهم وعبيدهم. كان الرجاجيل يعتنون بالخيل، والعبيد يجمعون الحطب، ويشبون النار للقهوة، والأمير يتبارى وعبدالله بن طلال برمي الرصاص -أو كما يقول العرب بضرب النيشان (الهدف)-، ولم يلازمهما غير عبد واحد من العبيد، رفع الأمير سعود بندقيته وابن طلال وراءه والبندقية بيده مصوّبة في الظاهر على النيشان، فأطلقت الاثنتان في وقت واحد، فأصابت رصاصة الأمير كبد الهدف، واخترقت رصاصة ابن طلال رأس الأمير، وكان العبد يحدّق بالهدف معجباً برمي سيده، فلم ينتبه إلى ما حدث إلا عندما خرّ للأرض صريعاً، ولكنه وقد فتح فاه وعيناه هوى هو أيضاً في الحال، لم يعطه القاتل

---

(١) في هامش الأصل: كيف تكرههم وهم قومها، يجوز أن تكره غير الموالين للرشيد كخصومهم على الإمارة ومن انتزعهم من الإمارة.

(٢) في هامش الأصل: لأنهم رؤساء الجنود من العبيد ومخلصين لسادتهم. وكتبه: محمد نصيف.

فرصة للفرار أو للصياح، إذ جاءت الرصاصة الثانية تبعثر دفاعه، فطاح كالخشبة إلى جانب الأمير. رأى أحد العبيد الآخرين ما جرى، فصاح بإخوته وهجموا على ابن طلال، ثم جاء الرجاجيل ومعهم عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز ابن أخ الأمير المقتول، وهذا عثرة في سبيل العرش، وابن طلال لا يبغي الآن إلا العرش، عليه إذن أن يزيل ابن متعب أيضاً من طريقه، وقد علمت من مهارته بالرمي مثلين وهذا الثالث.

شرع ابن طلال يرمي عبدالله بالرصاص، وكان العبيد يحولون دون مرماها، ويطلقون كذلك بنادقهم، فقتل واحد منهم، وأصيب ابن طلال برصاصة أبعدته عن العرش، بل عن حطام الدنيا كلها، وجلس على كرسي الإمارة عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز، ولكن يده على رقبته خشية أن تجيئه الضربة غدراً، وقلبه يخفق جزعاً ورعباً.

ولما كانت المناوشات بين ابن الرشيد وابن سعود[1] جارياً في سنة ١٣٣٨هـ، ووقع في أثناء ذلك أيضاً حادثة الجهراء[2] التي تقدم ذكرها.

استنفر ابن سعود أهل نجد، ومشى إلى الجبل بعشرة آلاف مقاتل يقود قسماً منهم أخوه محمد، والقسم الآخر ابنه سعود، وقد عهد إلى الأول في محاصرة حائل، وإلى الثاني في مهاجمة شمر. أما هو فتخلف في القصيم، وعندما وصل محمد إلى أطراف المدينة قام أهلها يستأذنونه بإرسال وفد من قبلهم إلى

---

(١) هما عبد الله بن متعب بن عبد العزيز بن رشيد، والإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي ابن عبدالله بن محمد بن سعود.

(٢) في هامش الأصل: التي تقدمت حادثة الجهراء من قرى الكويت. وكتبه: محمد نصيف.

عبدالعزيز[١]، فأذن بذلك، وقد جاء هذا الوفد يقبل بما رفض منذ سنة من الشروط التي اشترطها عبدالعزيز بخصوص شؤون شمر الخارجية، فلم يقبل عبدالعزيز بما كان قابلاً به في السنة الماضية، وقد قال للوفد: اعلموا أن الرئاسة القائمة بين عبد وامرأة[٢] لا تدوم، واعلموا أن أموركم لا تستقيم مازلتم تحت الرئاسة، ومازالت أموركم كذلك مازال الشقاق ومازالت الفتن، وهذا مضرّ بكم وبنا، مضرّ بنجد وأهل نجد وشمر. عليكم إذن أن تدخلوا فيما دخل فيه أهالي نجد لتنجوا من سيادة العبيد والمرأة، وتريحونا وتريحوا أنفسكم من ويلات الحروب.

شروطي الآن إذن هي: أن تسلموا إلي شوكة الحرب وعائلة الرشيد، فيكون لكم إذ ذاك ما لنا وعليكم ما علينا، وإذا رفضتم ذلك فاعلموا أني زاحف إليكم بنفسي بعد ثلاثة أشهر.

أجاب الوفد: سنعرض الأمر على صاحب الأمر، فإذا قبل كان خيراً، وإلا فأنت بريء الذمة.

وبعد أن عاد الوفد ورفضت تلك الشروط، خرج ابن طواله غازياً بعض قبائل ابن سعود في مكان قريب من حائل على مسير خمس ساعات منها، ولكنه لم يعد من تلك الغزوة سالماً، فقد وافاه فيها الموت.

حدث أيضاً بين الفريقين مناوشات ومصادمات، كانت يوماً لهم ويوماً

---

(١) في هامش الأصل: عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود. كان سابقاً سلطان نجد وملحقاتها، ثم بعد أن استولى [على] ١ الحجاز صار ملك المملكة العربية السعودية. وكتبه: محمد نصيف.

١- قوله: "على" زيادة على الأصل.

(٢) يشير إلى نفوذ العبيد وفاطمة السبهان في الإمارة (هامش تاريخ نجد ص:٢٧٨).

عليهم، فبعد ذلك استدعى عبدالعزيز[١] أخاه محمداً وأمر ابنه سعوداً في محاصرة المدينة، فحاصرها شهرين، وفي أثناء الحصار جاء محمد بن طلال من الجوف يساعد في الدفاع عن حائل، فخشي عبدالله بن متعب منه أن يقتفي أثر أخيه ويستولي على الإمارة، ففرّ إلى سعود بن عبدالعزيز، فرحب به وأخذه إلى الرياض، وكان عبدالعزيز قد عاد إلى العاصمة، وأمر سعوداً بالرجوع من الجبل، لأنه فقد هناك بسبب القيظ وقلة المرعى عدداً كبيراً من رواحله.

وبعد فرار ابن متعب والتجائه إلى ابن سعود تولى الإمارة محمد بن طلال آل رشيد، فباشر القتال في حملة على قرى حائل التي كان أهلها موالين لابن سعود حملات شعواء، فهدمها بعد أن قتل صبراً أغلب رجالها.

وكان ابن سعود قد أمر فيصلاً الدويش بالزحف إلى حائل وبمحاصرتها إلى أن يجيئه هو بنفسه، فمشى رئيس مطير بألفين من رجاله، ونزل على ماء ياطب القريب من حائل، فبلغه في اليوم الرابع من وصوله أن ابن طلال خارج بقواته إلى الجثامية -وهي على مسير ثلاث ساعات من المدينة- فشدّ مسرعاً ومشى إليها، فاحتلّها قبل أن يصل ابن طلال إلى النيصية -القرية المجاورة لها- ومعه ألف وخمسمائة مقاتل وسبعمائة من البدو ومدفعان.

عسكر ابن طلال في النيصية المحصنة بتلال هي متارس طبيعية يصعب التغلب عليها إلا بقوة من الجيش كبيرة.

أما الجثامية فهي في منبسط من الأرض تقلّ فيه المكامن، ولم يتمكن الدويش

---

(١) في هامش الأصل: عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية. وكتبه: محمد نصيف.

من احتلال حصنها، لأن ابن طلال كان يضربه بمدفعيته ضرباً متواصلاً.

مشى السلطان عبدالعزيز[١] بعد عيد الأضحى بيومين بعشرة آلاف مقاتل ومعهم بضعة مدافع، فلما اجتاز أم جريف الواقعة بين قِبة وجراب، بلغه خبر الدويش في الجثامية، وأنه وأن ابن طلال في احتراب، فترك في الحال حملة الجيش وراءه، وخفّ مسرعاً، فوصل في اليوم الرابع من محرم سنة ١٣٤٠ إلى بقعة - قرية من قرى حائل- فالتقى هناك برسول من الدويش يحمل كتاباً ضمنه كتاب من ابن طلال إليه يقول فيه: إننا جميعاً مسلمون، وبيننا كتاب الله وسنة رسوله.

فقبل الدويش، وكتب إلى ابن طلال يلبّي الدعوة للتحكيم، وليسأله أن يرسل وفده لهذه الغاية، وقد دفعت به الثقة إلى إهمال الجانب الشمالي من معسكره فلم يستحرسه، فاغتنم أمير حائل الفرصة وأرسل ثلة من جنوده في الليل فاحتلّوا ذاك المكان، فأشرفوا على معسكر الدويش، وشرعوا عند انبلاج الفجر يرمون الإخوان بالرصاص.

أركب الدويش نجاباً آخر إلى السلطان يخبره بأنه وابن طلال مشتبكان في القتال، وأنه خسر عشرة من رجاله وجرح عشرون.

وصل النجاب العصر إلى مخيم السلطان، فغضب لما حدث، وأمر ابنه سعوداً أن يركب الخيل ويتقدمه مسرعاً، ثم وصل نجاب ثالث يخبر أن الإخوان كسروا جيش ابن طلال، فأرسل يأمر الدويش بأن يلزم مكانه وأن لا يأتي بحركة أخرى إلى أن يصل إليه.

---

(١) في هامش الأصل: عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية الآن. وكتبه: محمد نصيف.

مشى السلطان وقصده الهجوم على ابن طلال تلك الليلة، ولكنه اضطر أن ينتظر الحملة والمدافع، فأبطأ في السير.

تقدم جيش السلطان عبدالعزيز تدريجاً إلى مركز الدويش، فلم ينتبه ابن طلال إلى ذلك، ولم يكن عالماً بقدومه. وعند العصر في اليوم التالي جمع السلطان قواده وتشاوروا في الأمر، فقرروا أن يكون الهجوم في الهزيع الثاني من الليل.

مشى في ذاك الوقت نصف الجيش فقط، فراح قسم منه يلفّ بابن طلال من جهة حائل ليقطعوا عليه خط الرجعة، وتقدم القسم الآخر إلى المكان المعدّ للهجوم، فانتظروا هناك طلق المدافع التي بدأت ترسل قنابلها بعد صلاة الفجر قبل أن ينجلي الليل.

هجم الإخوان هجمة واحدة، والقنابل تؤز فوق رؤوسهم، فقتلوا عدداً من العدو، وشتتوا صفوفه، ففرّ ابن طلال وأكثر رجاله إلى جبل أجأ، ثم إلى حائل، ولاذ الآخرون بحصون النيصية، وصوّبت المدافع على الحصون فقتلت أكثر من لاذوا بها، وسلم الباقون.

بعد تقهقر ابن طلال إلى حائل أرسل السلطان إلى أهالي المدينة يقول: سلموا تسلموا، فجاء الجواب بالتسليم على شرط أن يؤمر عليهم ابن طلال، والكتاب موحى به منه، لأنه كان لايزال سائداً بمن ثبت معه من الجند وحزب بيت الرشيد، ولم يكن لأهل حائل [زعيم][1] يوحّد كلمتهم ويعزّزها، فأنفذ ابن طلال فيهم سهام إرادته.

---

(١) قوله: "زعيم" زيادة من تاريخ نجد (ص:٢٨٢).

لم يقبل السلطان عبدالعزيز الشرط، فنقل من الجثامية ونزل بينها وبين النيصية، فقسم هناك جيشه إلى فرقتين، فرقة بقيت معه، والأخرى تقدمت إلى جبل أجأ فملكت مركزاً منه حصيناً، وهناك [مركزاً][1] آخر يدعى: عقدة، غرب البلد، يحسبه أهل حائل أحصن حصونهم الطبيعية.

تقدم الجنود وهم يضربون العربان النازلين الجبل في طريقهم، فيقتلون ويشتتون ويغنمون الغنائم، فاستولوا في اليوم السابع على عقدة، واستمروا زاحفين إلى حائل، وهم يتمترسون بأكياس من الرمل، حتى وصلوا إلى مكان بينها وبين جبل أجأ اتخذوه خطاً أولاً للدفاع. وكان الهاجمون وراءهم قد أحاطوا بالمدينة من جهتها الغربية والغربية الجنوبية.

ولما دنت مدة الحصار من الشهر الثالث كتب السلطان عبدالعزيز إلى أصدقائه في حائل يقول: قد طال الحصار وأقبل الشتاء، فليعذرنا الأهالي إذا أنذرناهم. لهم ثلاثة أيام ليسلموا المدينة وعائلة الرشيد، وإلا فنحن إلى غرضنا مسرعون بالرصاص والنار.

فجاء الجواب وفيه: أن الأهالي ينفضون أيديهم من ابن طلال وبيت الرشيد، ويسلمون الحصون المحوطة بالمدينة إذا جاءهم سرايا من الجيش.

أرسل السلطان ألفين من رجاله، ففتحت لهم الحصون الخارجية المشرفة على حائل، ثم أمَّن الناس على أرواحهم وأموالهم، فخرجوا إليه أفواجاً وهم يشكرون الله.

أما ابن طلال فعندما أدرك أن الأمر تفلّت من يده، تحصّن وحاشيته في القصر، فأرسل السلطان عبدالعزيز يؤمّنه على حياته إذا هو استسلم، ففعل.

---

(١) في الأصل: مركز. والتصويب من تاريخ نجد (ص:٢٨٢).

استمرّ هذا الحصار خمسة وخمسين يوماً -أي منذ وصول السلطان في ٤ محرم إلى ٢٩ صفر سنة ١٣٤٠هـ يوم سلّم ابن طلال-، ولكن حائل كانت في حال الحرب أكثر من سنة قبل ذلك، وكانت القوافل من الكويت والعراق منقطعة عنها، فشمل أهلها الضيق. وكان السلطان عالماً بشدة حالهم، فجاءهم متأهباً لتخفيفها، جاء بالمؤن، وجاء بالثياب وبالمال، فأجزل للناس العطاء، ووزّع ألوفاً من أكياس الأرز، وألوفاً من الكسوات.

ثم بعد ذلك شاورهم الفاتح في أمر أميرهم: ومن تريدون أن نؤمر عليكم؟ فأجابوا قائلين: واحداً من آل سعود أو من كبار رجالك. فقال عبدالعزيز: لست من رأيكم، فقد كنا وإياكم قوم أعداء مدة طويلة، فلا يجوز أن نحكمكم الآن مباشرة، وأنا أعرفكم يا أهل حائل، إنكم أهل قيل وقال، أصحاب فتن، ولكني لا أخشى أن أؤمر عليكم واحداً منكم، وإني أريد أن أحافظ على كرامتكم. هذا إبراهيم السبهان[1]، فهو منكم، وهو رجل عاقل، هو أميركم، وإني واثق بالله وعادته معي جميلة، فهو سبحانه وتعالى ينصفني ممن يغدر أو يخون.

جدول أمراء آل الرشيد

عبدالله بن علي بن رشيد	مات موتاً طبيعياً سنة ١٢٦٥هـ
طلال بن عبدالله	انتحر سنة ١٢٨٣هـ
متعب أخو طلال	قتله أبناء أخيه بندر وبدر سنة ١٢٨٥هـ
بندر بن طلال بن عبدالله	قتله عمه محمد سنة ١٢٨٨هـ
محمد بن عبدالله	تولى الإمارة سنة ١٢٨٨هـ، واستولى

(١) في هامش الأصل: هذا هو الذي مهد السبيل لتسليم الحصون، واتفق وابن سعود على ذلك، فأمّر بعدئذ على حائل.

	على نجد كله حتى وادي الدواسر، وكان عاقراً[1]. توفي سنة ١٣١٥هـ
عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله	قتل في المعركة ١٨ صفر سنة ١٣٢٤هـ
متعب بن عبدالعزيز	قتله وأخويه مشعلاً ومحمداً أبناء حمود بن عبيد بعد ما حكم عشرة أشهر سنة ١٣٢٤هـ
سلطان بن حمود بن عبيد	حكم سبعة أشهر. قتله أخوه سعود سنة ١٣٢٥هـ
سعود بن حمود بن عبيد	حكم أربعة أشهر[2]، ثم قتل في القصر سنة ١٣٢٦هـ
سعود بن عبدالعزيز بن متعب ابن عبدالله	قتله عبدالله بن طلال سنة ١٣٣٨هـ
عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز بن متعب	سلّم لابن سعود في ذي الحجة سنة ١٣٣٩هـ
محمد بن طلال بن نايف بن طلال	سلّم لابن سعود في ٢٩ صفر سنة ١٣٤٠هـ

(١) في هامش الأصل: لا يقال للرجل عاقر بل يقال عقيم. كتبه: محمد نصيف.
ثم راجعت كتب اللغة فوجدته مما يشترك فيه الرجل والأنثى عاقر. وعقيم للذي لم يرزق أولاد لا ذكور ولا إناث يقال له: عقيمٌ وعاقرٌ. كتبه: محمد نصيف.

(٢) في تاريخ نجد: أربعة عشر شهراً.

انتهى ما نقل من تاريخ نجد الحديث للريحاني[1]، ومن التعليقات على حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان[2].

ولنرجع بذكر نواحي نجد فنقول: قال العلامة الآلوسي[3]: ومن نواحي نجد: ناحية القصيم[4]، وهي من أحسن نواحيه، وأهلها من أشجع أهالي نجد.

وفي القصيم بلدتان مشهورتان، وهما: عنيزة وبريدة، وهما بلدتان واسعتان، فيهما نحو خمسة آلاف دار، وفيهما مساجد كثيرة، ومدارس متعددة لطلبة

---

(١) تاريخ نجد الحديث (ص:٢٧٨-٢٨٤، ٢٩٦).

(٢) التعليقات على حاضر العالم الإسلامي (٤/١٧٠-١٧٢)

(٣) تاريخ نجد (ص:٢١-٢٨).

(٤) قال الريحاني في ملوك العرب (٢/٦٠٤، ٦٠٧، ٦١١، ٦١٢): القصيم يعلو زهاء ألف قدم عن العارض.

وبريدة مدينة تجارية، وهي محط رحال البدو من مطير، وهيثم، وعتيبة، وحرب وغيرهم، يجيئونها للبيع والشراء، وهي لا تبعد عن عنيزة أكثر من عشرين ميلاً. وعنيزة في مجوف من الأرض، يحيط بها غاب من أشجار الأثل ليرد عنها رمال النفود التي تهددها من الجهات الثلاث، من الشمال والغرب والجنوب، فالنفود تحارب أهلها بالرمال، تدفعها الرياح من كل جانب فتسفّيها على المدينة، وهم يحاربونها بالأثل، [يزرعونه] ١ غياضاً فوق [الكثب] ٢ خارج السور، وقد تصغر عنيزة دون أهلها، وهم زهاء ثلاثين ألفاً، لأن النفود تقيدها، فلا تستطيع التبسط والامتداد، فهي لذلك مزدحمة بالسكان، وأكثر أسواقها كالسراديب، لأنهم يبنون فوقها الجسور، وفوق الجسور البيوت. انتهى.

وقال الريحاني أيضاً في [تاريخ]٣ نجد الحديث (ص:٢٨): أما أهم بلدان هذه الناحية بعد بريدة وعنيزة فهي: البكيرية، والهلالية، والخبراء، والبدائع، وكلها لا تبعد عن عنيزة أكثر من خمسة وعشرين ميلاً، ثم الرس وملحقاته، وهي على مسافة خمسة وثلاثين ميلاً غربي عنيزة، ثم النبهانية على مرحلتين منها إلى الغرب، والمذنب على مرحلة منها إلى الجنوب، والقصيبا على مرحلتين منها إلى الشمال. انتهى. (غازي).

١- في الأصل: يزرعونها. والتصويب من ملوك العرب (٢/٦٠٧).

٢- في الأصل: الكثيب. والتصويب من ملوك العرب، الموضع السابق.

٣- قوله: "تاريخ" زيادة على الأصل.

علوم الدين، [وفيهما][(١)] نخيل وأشجار متنوعة، ومياهها من الآبار. وكان الأمير قبل ابن رشيد رجل من آل سُليم مولًى من قِبَل ابن سعود، وهو من أهل بيت قديم من عنيزة من عشيرة (سُبَيْع)، وكان أمير بريدة من السديريين مولًى من قبل ابن سعود آمراً على كافة قرى القصيم.

وقرى القصيم: الأسياح، وعين ابن فهد، [وحُنَيْظِل][(٢)]، وأبو الدود، وقُصَيْبا، وغير ذلك، وهذه القرى كلها خِصْبة، كثيرة النخل، والبساتين، والحدائق، والثمار المتنوعة، والمياه العذبة.

وقرى بريدة: الشقة، والعيون، و[البُصُر][(٣)]، والقَرْعَاء، ووادي عنيزة، وغير ذلك، وهذه القرى أيضاً كثيرة النخيل، والأشجار، والثمار، والعيون، والآبار.

قرى الوادي

وقرى الوادي: الشيحيَّات، والهلالية، والبكيرية، والخبراء، والرَّس. وقراه: صُبَيْح، والنبهانيَّة، والمذْنَب، وقراه ثلاث. هذا هو المشهور من محال القصيم.

ناحية السُّدَيْر وقراه

ومن نواحي نجد: ناحية السدير. وبلدانها: الزلفي -وقراه خمس-، والمجْمَعَة، وحَرْمَة، ووُشَيّ، والجُوَيّ، وجُلاجِل، والتُّويم، والدَّاخِلَة، والرَّوضَة، والحُصُون،

---

(١) في الأصل: وفيها. والتصويب من تاريخ نجد (ص:٢١).

(٢) في الأصل: وحنيطل. والتصويب من تاريخ نجد، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: والبصة. وانظر: المعجم الجغرافي (١٦٢/١). وفي هامش تاريخ نجد: الصواب: البصر.

والحَوْطَة، والجَنُوبيَّة، والعَطَّار، و[الجُنَيْفي][(١)]، والعودة، [وتُمير][(٢)]، وعشيرة، والخطامة. فهذه محال سدير وقراه، ومركز الحكومة: المجمعة[(٣)]، وكل هذه البلاد كثيرة النخل والبساتين والزروع والمياه العذبة، وسكنتها كسائر أهل نجد في العلم والعمل.

ناحية الوَشْم وبلادها وقراها

في هذه الناحية كثير من البلاد والقرى منها: شَقْرَا[(٤)]، وهي بلدة متوسطة، كثيرة الدور والمنازل، وكانت مركز الحكومة أيام إمارة ابن سعود.

ومنها: وسيل، وأشيْقَر[(٥)]، والقَرائن، والفَرْعَـة[(٦)]، وثَرْمَـدَة، ومَـرات،

---

(١) في الأصل: والجنبقي. والتصويب من المعجم الجغرافي (١/٢٦٥).
وفي تاريخ نجد الحديث (ص:٢٧): [الجُرَيْفَة]. اهـ. (غازي).
والجريفة: من قرى (الوشم) شقراء في منطقة إمارة الرياض (المعجم الجغرافي ١/٢٤٦).

١- في الأصل: الجنيفة. والمثبت من تاريخ نجد الحديث، الموضع السابق.
(٢) في الأصل: وتميريم. والتصويب من تاريخ نجد (ص:٢٣). وانظر: المعجم الجغرافي (١/١٩٩).
(٣) في هامش الأصل: المجمعة هي عاصمة سدير. وكتبه: محمد نصيف.
(٤) قال الريحاني: شقراء أجمل بلدان الوشم وأكبرها، نخيلها داخل السور يزين البيوت ويحجبها بعضها عن بعض، سكانها خمسة آلاف، وعندهم داخل السور ثمانون قليباً وألف من الإخوان المجاهدين، يحرثون في أيام السلم الأرض، ويتعاطون التجارة. اهـ. (غازي).
(٥) كذا في الأصل وتاريخ نجد. وكتب في هامشه: الصواب: أُشَيْقِر. وانظر: المعجم الجغرافي (١/٧٥).
هي على ساعتين من شقراء. (غازي).
(٦) هي على رمية سهم من وشيقر١. (غازي).

وثَيْثِيَة[١]، والجُرَيْفَة، والحُرَيِّق، والقَصَب[٢]، والبير، والـدَّوادمِي، والـشعْراء، والقُويعيَّة، والرُّوَيْضَة، والجمْش، والخائوقة، والخَيْد.

ناحية المحْمَل وما فيها من القرى

ومن نواحي نجد: ناحية المحمل، وبلادها: ثَادق -وكان مركز الحكومة أيام إمارة ابن سعود-، [والبير][٣]، والصُّفُرَّة، [ورَغْبَة][٤]، والبَّرة، ودَقْلَة، والقرينة، ومَلْهَم، [وصُلْبُوخ][٥]. وهذه البلاد كلها مشحونة بالسكنة والقاطنين، وفيها نخيل وأشجار ومياه وعيون وآبار، وأرضها قابلة للحرْث.

ناحية العَارض وما فيه من البلاد

ومن نواحي نجد: العارض[٦]، وهو المسمى بوادي حنيفة وباليمامة.

---

(١) ثيثية -أثيثية، أثيفية-: قال في معجم البلدان (٩٣/١): أثيفية: بضم أوله وفتح ثانيه وياء ساكنة وفاء مكسورة وياء خفيفة، تصغير أثفية القدر: قرية لبني كليب بن يربوع بالوشم من أرض اليمامة، وأكثرها لولد جرير بن الخطفي الشاعر.
وذكر البلادي في الرحلة النجدية (ص:١٠٧): أنها تقع في واد يتسع قليلاً بين ثلاث أكمات كأنها أثافي القدر. ويظهر أن الفاء فيها قد حرّف إلى الثاء لتقادم العهد، وهي اليوم تابعة لشقراء أم الوشم، وتبعد عن ثرمداء عشرة أكيال شمالاً، وعشرة أكيال عن شقراء جنوباً، و(١٩٢) كيلاً شمال غربي الرياض.

(٢) هي على ثمانية عشر ميلاً من شقراء. (غازي).

(٣) قوله: "والبير" زيادة من تاريخ نجد (ص:٢٤). وانظر: المعجم الجغرافي (١٨٣/١).

(٤) في الأصل: ورغبة. والتصويب من تاريخ نجد، الموضع السابق.

(٥) في الأصل وتاريخ نجد: وصليوخ. وهو خطأ.
وصلبوخ: بلدة صغيرة تقع شمال الرياض على بُعد (٤٥) كيلاً (الرحلة النجدية ص:٧٠). وانظر: المعجم الجغرافي (٧٠٤/١).

(٦) قال الريحاني: العارض هو اسم الناحية والعاصمة -أي الرياض- معاً.
أما أطول سلسلة من جبال هذه الناحية فهي التي كانت تدعى قديماً: العارض، أو عارض اليمامة، وبما أن هذه السلسلة من الجبال تطوق قلب نجد من القصيم إلى وادي الدواسر، فأهل نجد يسمونها: جبل طويق، وبما أن الأسرة السعودية اتخذت الرياض مركزاً لها وقاعدة لبلاد نجد، فقد =

وكان مركز إمارة ابن سعود بلد يقال له: الدِّرْعِيَّة[١]، من بلاد العارض، ثم انتقل إلى بلد الرياض، والسبب في ذلك خراب الدرعية أيام الحرب مع المصريين، فإن المصريين بعد دخولهم البلد [صلحاً][٢] ورد الأمر في شعبان سنة أربع وثلاثين بعد المائتين والألف من محمد علي باشا صاحب مصر إلى رئيس عسكره في نجد (إبراهيم باشا) وهو في الدرعية؛ أن يهدم الدرعية ويدمرها، فأمر أهلها يومئذ أن يرحلوا عنها، ثم أمر العسكر أن يهدموا دورها وقصورها، وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها، فهدموها وقطعوا الحدائق منها [وأوقدوا][٣] في بيوتها النيران، وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان، فتركوها خالية المساكن، كأن لم يتوطنها متوطن، ولا سكنها ساكن، وتفرق أهلها إلى النواحي والبلدان[٤].

=

أطلقوا على البلد اسم الناحية -أي العارض- فتقول اليوم: طويق والعارض، كما كان الأقدمون يقولون: اليمامة. واليمامة هذه التي كانت من أشهر البلدان النجدية قديماً هي اليوم واحة صغيرة تكاد تخنقها النفود، فيها أربع قرى، وبعض القصور، مساحتها نحو ميل واحد مربع، وعدد سكانها لا يتجاوز الألفين، كلهم مزارعون من بني مرة وقحطان وبني هاجر. وهم يزرعون في بساتينهم الرمان، والعنب، والتين، وبعض القطن، والحنطة، والبرسيم الذى يسمونه: الجت. اهـ (تاريخ نجد ص:٢٢). (غازي).

(١) الدرعية: تقع على أحد عشر كيلاً شمال الرياض، على ضفاف وادي حنيفة، كثيرة النخيل والقلاع الأثرية (الرحلة النجدية ص:٥٥).

(٢) قوله: "صلحاً" زيادة من تاريخ نجد (ص:٢٤).

(٣) بياض في الأصل قدر كلمة، والمثبت من تاريخ نجد، الموضع السابق.

(٤) في هامش الأصل: آل سعود الذي كان مركز إمارته الدرعية هم أجداد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية. وكتبه: محمد نصيف.

بلدة الرياض[(١)]

هي بلدة واسعة الأرجاء والطرق، كثيرة البيوت والسكنة، وهي إحدى مدن العارض، طيبة الهواء، عذبة الماء، فيها مساجد، ومدارس، وعلماء. وفي نواحيها قرى كثيرة وفيها نخيل وبساتين.

وأول ناحية العارض: حُرَيْملَة، ثم سَدُوس، ثم ضَرَما[(٢)]، ثم العمارية، ثم أبو كِبَاش، ثم الجُبَيْلة، ثم

---

(١) ذكر في جريدة الأهرام مقالة فتح الله عبدالمسيح الأنطاكي قال: يجدر بنا أن نذكر شيئاً عن بلاد نجد، وعاصمتها الرياض، وهي مدينة واسعة مسوّرة، حسن الأبنية، وبيوتها ذات دور واحد، ويقلّ فيها ذو الدورين. وأهم بيوتها: قصر الأمير عبدالعزيز آل سعود. وفي صباح كل يوم يخرج الأمير بنفسه إلى ميدان كبير بجوار القصر فيجلس فيه من الساعة الواحدة إلى الساعة الرابعة، ويجلس بين يديه الأمراء آل السعود، ورؤساء القبائل، وقاضي الشرع، وهناك ينظر في أمور الناس، وأمام الأمير يجلس رجاله وعبيده وهم جاثون على ركبهم متكؤون على مقابض سيوفهم، وعند الساعة الرابعة ينهض الأمير وينهض الحاضرون، [وينفض]١ المجلس، ويدخل الأمير قصره، ويقصد مضيفه الغاصة بالضيوف، فيتناولون الغداء مع الأمير وقبيل الظهر يخرج الأمير للصلاة في الجامع المجاور لقصره فيصلي.

ومن عادتهم: أن مأموراً من قبل الأمير يطوف قبيل الصلوات الخمس في الشوارع والأسواق، فإذا وجد من لم يحضر الصلاة يجره إلى المسجد بالقوة، وعند خروج الأمير من الصلاة يعرض عليه فيؤدبه.

ومن عاداته: أن من كان منهم ذات حاجة للأمير يقصده في مجلسه، ويكب عليه، ويرفع رداءه على رأسه ورأس الأمير ويذكر حاجته في أذنه. هذا ما رأيت أن أذكره باختصار عن نجد وأميرها الشجاع، راجياً إفادة القراء٢. انتهى. (غازي).

١- في الأصل: فيرفض.

٢- قلت: ذكر هذا سابقاً محمد بن سليم المخزومي يصف عبد العزيز الرشيد. فليحرر (٦٧٧/٥).

(٢) وفي تاريخ نجد الحديث (ص:٢٦): ضرمة. قال: وهي مؤلفة من قصور ومزارع عديدة، تسمى المزاحميات، وجنوبي ضرمة الغطغط (بلدة الإخوان) المشهورين ببسالتهم إخوان عتيبة، ثم البرّة، على مرحلة منه شمالاً. (غازي).

العُيينة[١]، ثم الدرْعية، ثم عِرْقَة، ثم الرياض، ثم مَنْفُوحَة.

وفي جنوب العارض: الخرْج، وهي بلدة قديمة واسعة، عن الرياض نحو ثمان ساعات، وفيها عيون وآبار، ونخيل، وأشجار، وكانت قبيلة عائذ تسكنها، وكانت لهم صولة عظيمة في البدو والحضر، ثم تفرقوا في بلاد نجد وغيرها، ولم يبق أحد منهم في البادية. وقد تفرّق كثير من قبائل نجد أيضاً (كآل زغب)، (وآل كثير)، الذين ورد إلى العراق منهم عدد وافر.

وقرى الخرْج: السَّلَمِيَّة، والدِّلَم، واليَمَامَة، وزُمَيْقَة، [ونَعْجَان][٢]، والسَّيْح، وغير ذلك من القرى المشتملة على بساتين، وسكنه كثيرين، وفيهم أهل العلم والعمل، وطلبة علم.

وادي الفَرْع [وقراه][٣]

هو وادٍ معمور، فيه نخل كثير، وغالب الساكنين فيه من بني تميم، ولم يبق منهم في البوادي أحد.

وأما قراه فمن أشهرها: الحُوطَة، والحَريق، ونَعَام، والحُلْوَة.

ناحية الأفْلاج وقراها

ومن نواحي نجد: ناحية الأفلاج، وهي أول بلاد قبيلة الدواسر.

وقراها: ليْلى، والبَدِيع، والأحمر، والهدَّار، وغير ذلك من القرى المشحونة بالسكنة والنخيل والأشجار.

---

(١) في هامش الأصل: العيينة: كانت عاصمة إمارة ابن معمر، ثم خربت، وخالية من السكان. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) في الأصل: ونعجة. والتصويب من تاريخ نجد (ص:٢٧). ونعجان: إحدى قرى الخرج الجنوبية، واقعة بين قرية الضبيعة وقرية المحمدي. انظر: معجم اليمامة: ٢/ ٤٢٠.

(٣) قوله: "وقراه" زيادة من تاريخ نجد، الموضع السابق.

وادي الدَّواسِر وقراه

أول وادي الدواسر: السليّل، ومن قراه: اللِّدَام، وكثيرة، والحَنابِج[١].

وعدد جميع قراه خمس عشرة قرية، وهذا الوادي مسكن قبائل الدواسر البادية والحاضرة، وهو آخر نجد من جهة الجنوب، والمعمور من نجد من جوف آل عمرو وإلى وادي الدواسر مسير خمسة عشر يوماً[٢] بسير الأثقال من جهة الشمال إلى الجنوب. والمعمور منه من جهة الشرق إلى الغرب فهو مسافة ستة أيام. وهذا هو المعمور بالبلدان.

وأما مساكن أهل البادية من العشائر والقبائل فهو طولاً مسافة شهر، وعرضاً كذلك. انتهى.

قال الريحاني[٣]: وبعد وادي الدواسر جنوباً على ثلاثة مراحل منه: نجران، لبني يام الذين كانوا في الماضي خارجين على كل سلطة مشروعة، فما دانوا لأحد غير شيوخهم، ولكنهم منذ ثلاث سنوات دخلوا في الرعوية السعودية، فصاروا يدفعون الزكاة طائعين.

إن أكبر قرى نجران: مخلاف، وحبونة، وعند نجران تنتهي الحدود الجنوبية الغربية لسلطنة نجد. انتهى.

قال الآلوسي[٤]: وأما أودية نجد فمنها كبار وصغار. فمن الكبار: وادي الدواسر، ومنها: وادي حنيفة، ومنها: وادي القصيم المسمى بوادي الرمة،

---

(١) قال حمد الجاسر في المعجم الجغرافي (١/٣٦٠): والحنابج مركز من مراكز إمارة الدوادمي، والحنابجة مؤنث الحنابج من قرى وادي الدواسر.

(٢) ذكر في هامش تاريخ نجد: التحقيق ٢٥ يوماً أو أكثر.

(٣) تاريخ نجد الحديث (ص:٢٣).

(٤) تاريخ نجد (ص:٢٨-٣٠).

ومنها: وادي سدير.

وفي الجهة الجنوبية من نجد: بلاد عسير، وهم قبائل كثيرون، كلهم أهل شجاعة وإقدام وثبات في حَومة الحرب والخصام، منهم أهل حاضرة، ومنهم أهل بادية.

وأهل الحاضرة: قبائل شهران من حمير، وشيخهم من عشيرة يقال لها: (ألمع)، وغالب مساكنهم في الجبال. وهم لا يزالون يشنون الغارة على سواحل اليمن، فينهبون منها. ومحل إقامة كبير الجبل بلدة تسمى: (السَّقّا)، ولهم أكثر من مائة قرية، وأكثرهم في البادية.

وفي الجهة الشرقية من نجد: الأحساء والقطيف، وهو أرض الخط. والرماح الخطية التي كانت مشهورة بين العرب منسوبة إليه، وفي الخط جزيرة دارين[١] الملاصقة للقطيف والأحساء، وهي قرى كثيرة.

وأكبر مافيها من البلاد: الهفوف، والمبرز[٢]، وفيهما[٣] مساجد كثيرة

(١) قال في تحفة الألباء (ص:٧٨): جزيرة دارين على مقربة من القطيف، وهي أحسن منها نظافة ومسكناً وهواءً وماءً، وهي مسكن المترفهين منهم، وفيها كبار أغنياء اللؤلؤ وتجّاره، ويجتمع فيها كثير من التجار في أيام الغوص من الأحساء والبحرين وغيرهما، ونفوسها تقرب من ثلاثين ألف نسمة، وليس فيها مدارس ومكاتب إلا قليل. انتهى. (غازي).

(٢) المُبَرز: مدينة بالأحساء في المنطقة الشرقية، تقع شمالاً عن بلد الهفوف (المعجم الجغرافي ١٠٨١/٢)، وتحفة المستفيد (ص: ٤١).

(٣) قال الشيخ سليمان الدخيل في تاريخ الأحساء (ص:٩٠-٩٣): قالوا: إن ما يوجد في خطة الأحساء زهاء أربعمائة مسجد ما بين صغير وكبير، وفي مركز اللواء مسجد عظيم جدّد بناءه محمد باشا (أحد أمراء العثمانيين) في سنة سبع وأربعين بعد الألف، ومازال تقام فيه صلاة الجمعة إلى يومنا هذا، وفيها نحواً من عشرين مكتباً للصبيان، وزهاء ثلاثين مدرسة يدرّس فيها الفنون العربية والعلوم الدينية، وبها أسواق كانت الأهالي تنتقل فيها، في كل سوق له يوم معين، وهذا تفصيلها: المبرز يوم الجمعة، الجشة يوم السبت، العيون يوم الأحد، القرن يوم الاثنين، الوقف يوم الثلاثاء، الفتح يوم الأربعاء، الكوت يوم الخميس، وفي هذه الأسواق يجلب كل ما يحتاجه الناس؛ من مواشي، وإبل، وخيل، وبقر، وحمر، وأطعمة، وملبوس، وآنية، وغير ذلك، فإذا خلص نهار هذا اليوم ارتحل الباعة إلى السوق الآخر في اليوم المعين. انتهى. (غازي).

ومدارس متعددة، وأسواق وعمارات كثيرة.

وكانت منطقة الأحساء في إدارة أمراء نجد إلى أن وقع اختلاف بين أمرائها أوائل مجيء مدحت باشا والياً إلى بغداد، فجاءه أحد أمرائها إليه، وتعهد له بضبطها، فذهب مدحت باشا بنفسه مع ما يلزم من العسكر فضبطها -وذلك سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، كما ذكره كنث وليمز الإنكليزي في كتاب: "ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز"[١]- وسخرها كما كانت قبل من بلاد الدولة، فعيّن فيها حاكماً وقاضياً، وكذلك في ملحقاها، وعيّن مأمورين آخرين[٢].

ثم في سنة ١٣٣١ استولى السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود على الأحساء وملحقاها، وأخرج الأتراك منها.

قال الريحاني في تاريخ نجد الحديث[٣]: خرج السلطان عبدالعزيز في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣١هـ ورحلته الأحساء، فترل على ماء الخَفَس حتى آخر الشهر، وأغار أثناء ذلك على عربان من بني مرة، ثم تقدم بعد ذلك إلى الأحساء، فأرسل الأتراك يستطلعون خبره وقصده فقال: إنما قصدي [الامتيار][٤] (شراء الأمتعة والزاد)، فابتاع ما كان في [حاجة][٥] إليه للجنود، وعاد إلى الرياض تاركاً عسكره في الخَفَس.

وبعد قليل شدّ ابن سعود راجعاً إلى معسكره في الخَفَس، فكان أول ما باشره أن سعى في إبعاد العجمان، لأهم ذوو مطامع سياسية في الأحساء، وقد

(١) ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز (ص:٧١-٧٣).
(٢) في هامش الأصل: تحفة الألباء في تاريخ الأحساء للشيخ سليمان الدخيل، طبع في بغداد. وكتبه: محمد نصيف.
(٣) تاريخ نجد الحديث (ص:٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨-٢١٠).
(٤) في الأصل: الامتياز. والتصويب من تاريخ نجد (ص:٢٠٥).
(٥) في الأصل: حاجته. والتصويب من تاريخ نجد، الموضع السابق.

لا يوافقون على احتلالها، وبما أنهم وعرب مطير أعداء، سيّرهم إلى الشمال لمحاربتهم، لأنهم انضموا إلى عجيمي السعدون.

ثم زحف إلى الأحساء، ولم يكن له فيها معاونون غير وكلائه أبناء القصيبي ويوسف بن سويلم، فسألهم أن يعلموه بالمكان المناسب للهجوم على الكوت - الكوت جهة من الهفوف، فيها القلعة والحامية. وفي كتاب جزيرة العرب لحافظ وهبه(١): الكوت(٢) هو مقرّ الإمارة، محوّط بسور عظيم، يبلغ ارتفاعه ٢٤ قدماً، مشيّد عليه أبراج عديدة، بناها إبراهيم باشا لحماية البلدة، وقد كان الكوت مقراً للحامية التركية حتى سنة ١٣٣١هـ. ويبلغ عدد بيوت الكوت نحو (١٥٠٠) بيت. اهـ- ففعلوا وأعلموه بما هناك من الصعوبات؛ لعلو السور، ووجود الحرس، فأرسل إليهم يقول: إننا هاجمون في هذه الليلة، وكل صعب مسهّل بحول الله.

كان عبدالعزيز قد نزل على عين من عيون الأحساء تبعد ميلاً واحداً من الهفوف. وفي الساعة الثالثة ليلاً في ٥ جمادى الأولى من هذه السنة -أي سنة ١٣٣١هـ- خرج من المعسكر بستمائة(٣) من رجاله، وخطب فيهم قائلاً: إننا هاجمون على الترك في الكوت، وإننا منتصرون بإذن الله. امشوا كأنكم بُكم إلى غرضكم، ولا تضجوا، إذا كلمكم أحد فلا تجيبوه، حتى وإن ضربتم بالبنادق ونحن في الطريق فلا تضربون. أما وقد صرتم في الكوت فحاربوا من حاربكم، ووالوا من والاكم، ولكن البيوت لا تدخلوها، والنساء لا تدنوا منهن.

---

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين (ص: ٧٠).

(٢) الكوت: القلعة (كلمة برتغالية) كثر استعمالها بعد دخول البرتغاليين الخليج العربي واستيلائهم على بعض الأماكن (هامش المرجع السابق).

(٣) في تاريخ نجد: بتسعمئة.

قال ذلك ومشى أمامهم. ساروا على الأقدام وهم يحملون [جذوع][1] النخل والحبال، فلما وصلوا إلى السور قسمهم ثلاث فرق، فقال للفرقة الأولى: أنتم تسيرون إلى الباب الجنوبي فتقبضون على الحرس وتستولون على الباب وما يليه، وللفرقة الثانية: وأنتم تسيرون إلى السرايا علَّ المتصرف فيها فتأسرونه، وللفرقة الثالثة: وأنتم تتفرقون في أبراج السور. هذه هي أوامري فاعملوا بها ولا تتعدوها.

باشر أناس حزم [الجذوع][2] بالحبال، فصنعوا منها سلماً تسلقه عشرة من ذوي الشجاعة والإقدام، ثم رموا بالحبال إلى العساكر، فصعدوا ساكتين، ونزلوا إلى الكوت متسللين، والحرس يسألون: من أنتم؟ فلا يجيبهم أحد.

وكانت كل فرقة عند اكتمالها داخل السور تسير إلى الجهة المعينة لها، ولكن هذا العمل لم يتم دون أن يحدث ضجة في الحصون وفي المدينة.

أفاقت العساكر والأهالي من النوم، فاستولى عليهم الخوف والذعر وهم لا يدرون من الهاجمون. علت الأصوات وأطلقت البنادق، فأمر إذ ذاك عبدالعزيز أحد رجاله أن يصعد إلى السور ويعدو عليه منادياً: المُلك لله ثم لابن سعود، من أراد العافية يلزم مكانه.

نادى المنادي بذلك، فاستبشر الناس، وكانوا يهتفون كبارهم وصغارهم: أهلاً وسهلاً، سمعاً وطاعة، بل جاؤوا بالمياه إلى العساكر كأنهم إخوانهم وقد عادوا من سفر.

---

(١) في الأصل: جزوع. والتصويب من تاريخ نجد (ص:٢٠٨).
(٢) في الأصل: الجزوع. والتصويب من تاريخ نجد، الموضع السابق.

أما عبدالعزيز فكان لا يزال خارج السور، فأراد أن يتسلقه، فأبى عليه ذلك من تبقى معه من الجنود، فهدموا جانباً منه فدخل ودخلوا معه، وكان الحرس قد لجؤوا إلى القلعة، وأهل الكوت بعد أن سمعوا صوت المنادي قد خرجوا من بيوتهم، فجاؤوا يرحبون بابن سعود ويعاهدونه على الطاعة والولاء.

ثم جاء عندما أصبح الصباح من تبقى من الأهالي، جاؤوا يبايعون مثل من تقدمهم، فأكرم محسنهم وعفا عن مسيئهم. كل ذلك والأتراك تلك الليلة في حصونهم قابعون، وقد كان لهم أربعة حصون في الهفوف وخارجها، اثنان داخل الكوت، وحصن إلى الجنوب، وآخر إلى الشمال في المبرّز[1]. فعندما أبلج الفجر شرعوا يطلقون البنادق والمدافع من تلك الحصون، طلقات أفصحت عن الذعر الذي كان مستولياً عليهم، فلا أضرّوا بأحد ولا روَّعوا أحداً.

وعند الظهر جاء جندي من جنود ابن سعود بأسير من الترك، وهو ضابط طاعن في السن، فأرسله عبدالعزيز رسولاً إلى المتصرف وإلى قائد الحامية: قل لهم يسلموا إذا كانوا يبغون العافية، ونحن نؤمّنهم ونرحّلهم إلى بلادهم. أما إذا أبوا فليستعدوا للقتال، سنهاجمهم في مراكزهم ساعة هاجمنا البلد الليلة البارحة.

قبل المتصرف والقائد الأمان، ثم سلمت الحامية التي كان عددها [ألفاً][2] ومائتي جندي، فأذن عبدالعزيز حتى بسلاحهم قائلاً: لا نترع من الجندي العثماني سلاحه!

---

(١) المُبرَّز: سبق التعريف بها في (ص: ٢٧).

(٢) في الأصل: ألف. والتصويب من تاريخ نجد (ص: ٢١٠).

أما المدافع والذخائر فظلت مكانها في الحصون، ثم جهزهم بالركائب ورحَّلهم وعائلاتهم. ألف ومائتا جندي بعيالهم وأمتعتهم ساروا من الهفوف إلى العُقَيْر[١]، وليس معهم من يخفرهم ويؤمن طريقهم غير رجل واحد من رجال ابن سعود هو أحمد بن ثنيان، وعندما وصلوا إلى العقير جهزهم أحمد بسفن تقلهم إلى البحرين.

بعد احتلال الهفوف أرسل عبدالعزيز سرية إلى القطيف بقيادة عبدالرحمن ابن سويلم، فلما وصل إلى تلك الناحية بادر أهلها إلى التسليم، ولم يكن للترك في القطيف غير شرذمة من الجنود، ففرّوا في السفن هاربين[٢]. انتهى.

قال الآلوسي[٣]: وقد تكلم على الأحساء بعض الأدباء وبيّن حالها بعد استيلاء الدولة فقال: طول أرض الأحساء من بيرية[٤] الواقعة في جنوبها إلى جزيرة العمائر الواقعة منها شرقاً[٥] مائة واثنتا عشر ساعة، وعرضها من بَنْدَر العقير في ساحل البحر إلى العرمة الواقعة منها غرباً اثنتان وستون ساعة.

---

(١) العُقَيْر: من قرى الأحساء بالمنطقة الشرقية (المعجم الجغرافي ٢/ ٨٤٠).

(٢) تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء (ص:٢٠٩)، وتاريخ المملكة العربية السعودية (ص:١٩١)، ومنطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ (ص:٢٠١).

(٣) تاريخ نجد (ص:٢٩-٣٦، ٣٨-٣٩).

(٤) كذا في الأصل وتاريخ نجد. ولعلها: يَبْرين، قال ياقوت (٥/٤٢٧): يبرين من أصقاع البحرين به منبر ان.

قلت: وهو صقع معروف يقع جنوباً عن الأحساء، وفيه عيون ونخيل (تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء ص:٣٠). وقال حمد الجاسر في المعجم الجغرافي (١٣٦٢/٢): يبرين قرية من قرى بني مرة بمنطقة الأحساء في المنطقة الشرقية.

(٥) في هامش تاريخ نجد: لعله شمالاً.

وأعظم بلاد هذه المنطقة: المُبَرَّزْ، والهفوف، والمسافة من الهفوف إلى العقير اثنتا عشر ساعة.

ولأرض الأحساء ثلاثة بنادر، وكل منها مرسى [مهم][1]: القطيف، والعقير، وقطر، وكل من هذه الثلاثة قصبة على حدة.

أما القطيف فواقعة على بعد أربعين ساعة من الهفوف، وجميع سكانه من الشيعة، والقطيف[2] عن الأحساء مسافة ثلاث مراحل، والأحساء عن نجد مسافة سبع مراحل، وبين القطيف والأحساء وبين نجد الدهناء، وهي رمال، والصمان وهي أرض يابسة لا يوجد فيها ماء، والمسافر منهما إلى نجد لا بدّ له من حمل الماء، وفي جهة القطيف الشرقية بندر[3] العقير الواقع على ساحل البحر، وهو بندر الأحساء، وكان فيه محل محصن معد لتجار نجد الذين يسافرون إلى الأحساء، فإنهم إذا وصلوا إلى هذا المحل جعلوا أموالهم فيه إلى أن تأتيهم الرواحل فتحمل أموالهم إلى الأحساء.

وأما قطر[4] فمسافتها عن الهفوف نحو ستين ساعة، وهي في الجهة

---

(١) في الأصل: منهم. والتصويب من تاريخ نجد (ص:٣١).

(٢) يبلغ سكان القطيف نحو ثلاثين ألف نسمة، وكلهم من الشيعة تقريباً. اهـ (جزيرة العرب ص:٧٢).

(٣) أي ميناء، أومنفذ بحري .

(٤) قال في تحفة الألباء (ص:٨١-٨٣): قطر واقعة شرقي العقير، وتبعد عنه سبع ساعات في سير السفن مع الريح المعتدل، وتبعد عن البحرين أربع ساعات، وهي شديدة الحر أشد من البحرين وعُمان، لكنها ألطف، وهي منزل العرب قديماً، وأهلها كلهم على مذهب السلف، وأحكامهم شرعية، وسفن الغوص فيها تبلغ (٢٥٠٠) سفينة ما بين صغيرة وكبيرة. انتهى. (غازي).

الشرقية من العقير[1]، وهي مترل أهل السفائن من العرب الذين يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ، وهم قبائل، منهم [من][2] قحطان، ومنهم [من][3] وائل.

وأما العقير فعلى مسافة اثنتا عشرة ساعة، وذلك بسير الإبل والأثقال، وحيث إن العقير أقرب الثلاثة إلى مركز الحكومة -وهو بلد الهفوف- اتخذ مرسى دون الأخيرين مع كثرة المياه العذبة أثناء الطريق.

وفي سواحل أرض الأحساء محلان مخصوصان بغوص اللؤلؤ، [وهما][4] القطيف وقطر. ومعايش سكنة قطر منحصرة في الغوص للبحث عن اللؤلؤ، ليس لهم زرع ولا حرث.

وأما أهل القطيف فلهم نخيل كثيرة وبساتين عظيمة بسبب ما فيه من المياه الكثيرة، ولذلك غالب السكان من أهل الثروة.

وأنهار أرض الأحساء زهاء ثمانمائة نهر ما بين صغير وكبير[5]، والأكثر منها ينبع من [الرفعة الواقعة من الهفوف شرقاً، وبعضها ينبع من][6] شرقي المبرز البعيد عن الهفوف نحو مسافة أربعين دقيقة، والقسم الأعظم من أرض الأحساء رمال لا تصلح للزراعة. والبلد وما حوله قابل للزراعة، وفيه نخيل كثير،

---

(١) وفي العقير قصر منيع تحفظ به التجار أموالها ريثما ترد القوافل فتحمل الأموال إلى الأحساء والبلاد الأخرى في نجد. وقد كان عبارة عن باب نجد، بحيث ترده الأموال التجارية من الهند وبر فارس وبلاد العراق، ومنه تتوزع في بلاد نجد. انتهى تاريخ الأحساء (ص:٧٥). (غازي).

(٢) قوله: 'من' زيادة من تاريخ نجد (ص:٣٠).

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: وهي. يراجع الأصل. والتصويب من تاريخ نجد (ص:٣١).

(٥) المقصود بالأنهار هنا العيون الجارية على سطح الأرض.

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من تاريخ نجد، الموضع السابق.

وبساتين عظيمة، وحدائق ملتفّة، وفواكه مختلفة، وفيه أنواع التمر التي تفوق الحصر. وفيه النبْق[١] الذي يعزّ مثله في البلاد، منه نوع معدم النوى. وفيه سبع محال يتكون فيها الملح، وثلاثة معادن للجَصّ، ومعْدن طين يستعمله سكنة المحل للتنظيف بدل الصابون، ولم يستعمل من معادن الملح سوى أربعة، والثلاثة الباقية مهملة. وهي في الصحراء مكشوفة الأطراف يأخذ منها الصادر والوارد.

وفيه الأثمار والفواكه المتنوعة. وقد اشتهر من تمره: (الخلاص)[٢]، ومن فاكهته: (الخوخ).

وفي الأحساء أحسن الخيل، وأحسن الحمر البيض، وأحسن البقر، وفيها الإبل والغنم، وفيها الحيوانات الوحشية؛ كالغزال، والذئب، والأرنب، وابن آوى، والثعلب، والسنور البري، والحمر الوحشية. ويزرع فيها الأرز، والحنطة، والشعير، والسمسم، والذرة، والعَلَس[٣]، وغير ذلك.

وفي القرب من الهفوف بمسافة نصف ساعة في غربي المبرز عينٌ ينبع منها الماء الحارّ صيفاً وشتاءً تسمى (بعين نجم)[٤]، وهي في مكان فسيح، وخلف نخيل

---

(١) أشجار النبق مستديمة الخضرة، أوراقها بيضاوية الشكل جلدية لامعة من أعلى، متبادلة الوضع على الأفرع، وعنق الورقة أخضر مائل للاحمرار، وتوجد أشواك صغيرة حادة على الأفرع التي تميل للانتشار والتهدل، والأزهار تكون صغيرة الحجة لونها أصفر مخضر تظهر في موسمين في الخريف وفي أوائل فصل الصيف (بساتين الفاكهة المستديمة الخضرة ص: ٣٨١).

(٢) الخلاص أو الخلاصة: هو نوع من أنواع التمور الممتازة، وهو أبيض اللون إذا كان رطباً، وأصفر اللون إذا كان تمراً. وخلاص الأحساء موطنه الأصلي واحة الهفوف ببلاد الأحساء على أنه موجود في بقاع أخرى كالقطيف وفي وادي سمايل القريبة من مسقط (نخلة التمر ماضيها وحاضرها ص:٥٧٧، وتحفة المستفيد ص:٥١٥).

(٣) العَلَس:حب يؤكل، وقيل: هو ضرب من الحنطة. لسان العرب لابن منظور: ١٤٦/٦ مادة (علس).

(٤) قال الأحسائي في تحفة المستفيد (ص:٥١): وغرباً عن مدينة المبرز تقع عين نجم المشهورة بمائها المعدني الحار المجرّب لتليين الأعصاب اليابسة في الجسد، وتضميد الرياح الباردة.

طرف السيفة عمّر ما حولها بالزراعة، وذلك سنة ١٢٥٥هـ، فقال عند ذلك الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد الملاَّ رحمه الله[١]:

يا عينَ نجم فُقْت آبار الحسا — بحرارة وبُخار ماء يصعد[٢]
زنْت البلاد لأن فيك دلالة — عُظمى على توحيد ربٍّ يُعْبَد
إذْ كان حمَّامات أصحاب القرى — يحتاج قاصدُها لنار تُوقد
ودُخان مائك ليس فيه مَدْخَل — للخَلْق بل تقديرُ مولًى يُوجد
لولا الموانعُ قد عرَتْك ترادَفَت — منا إليك زيارةٌ وتردد
منها اجتماعُ رجالنا ونسائنا — من حول عرْصَتكَ التي هي تُقْصَد
وكذا اختلاط الضدِّ من لا يشتهي — مَرْآهُمُ قلبي ولا يتودّد
وكذا موانعُ لا أذيعُ بذكرها — جهراً ويفهمُها الذكي الأرْشَد

وعدد نفوس قضاء القطر نحو عشرة آلاف نفس بتخمين الحكومة، وعدد نفوس قضاء القطيف حسب تخمينهم أربعون ألفاً. وبيوت هذا القضاء نحو عشرة آلاف بيت. وعدد بيوت قطر أربعة آلاف بيت. وقصبة الهفوف محاطة بسور، وفيها من النفوس نحو أربعين ألفاً، وفيها من الدور نحو ثلاثة آلاف دار.

وفي جميع الخطة الأحسائية نحو عشرين مكتباً للصبيان يقرؤون فيه القرآن العظيم، وفيها زهاء ثلاثين مدرسة تدرس فيها الفنون العربية والعلوم الدينية، وفيها نحو أربعمائة مسجد ما بين صغير وكبير، وفيها ما يزيد على أربعة عشر ألف بستان.

وليس في هذه الخطة تجارة واسعة، وغالب تجارهم من التمر، والخيل،

(١) انظر هذه الأبيات في: شعراء هجر (ص:٩٥).
(٢) الظاهر من إيراد هذه المنظومات هنا، أنه أراد أن يمثل بها روح الأدب في هاتيك الديار.

والغنم، وفيها تنسج العبي[١]، وفيها صَنْعة الحدادة[٢]، ومهرة الصفّارين الكوازين[٣]، وغير ذلك، والبيوت طبقة واحدة. انتهى.

ذكر قبائل نجد

قال العلامة البتنوني[٤]: ومن قبائل نجد: قبيلة بني سبيع، القاطنة بين الرياض والأحساء، وعددهم ستة آلاف.

قبائل عنزة (بطن من التي بالحجاز)، الذيبي، والفرم، وبني سالم، وبني نخيض، وهم قاطنون بين المدينة المنورة والقصيم، وعددهم أربعة عشر ألفاً.

قبيلة العجمان: وهم مشهورون بالشجاعة والفروسية، مسكنهم شمال الرياض، وعددهم ستة آلاف.

قبائل قحطان: (وهم غير قحطان اليمن)، وهم ينقسمون إلى قسمين: الأول بين الرياض ورنية، والثاني بالحوطة، وعدد الجميع ثلاثون ألفاً.

قبائل [الضغيفات][٥]: الجعافرة، [والربايعة][٦]، وبني ضيغم، القاطنون في وادي الدواسر جنوب غرب الرياض، وقبيلة بني سلمة، وبني لخم، وبني هيتم، وعرب الأخايل[٧]، القاطنون في القصيم، وعدد الجميع خمسة عشر ألفاً.

---

(١) انظر صناعة العبي في الأحساء في: منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ (ص:٣٠٧).
(٢) انظر صنعة الحدادة وأطوارها في الأحساء في: منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ (ص:٣٤٩).
(٣) المقصود: الذين يصفرون الأواني النحاسية.
(٤) الرحلة الحجازية (ص:٦١).
(٥) في الأصل: الضعيفات. والتصويب من الرحلة الحجازية، الموضع السابق.
(٦) في الأصل: الربابعة. والتصويب من الرحلة الحجازية، الموضع السابق.
(٧) جمعٌ واحدهم خييلي، فخذ من آل دوسر بن تغلب، موسوعة قبائل العرب (٥٢٦/٢).

قبيلة المرة: وهي قاطنة في أطراف القطيف، وعددها ثلاثة آلاف.

قبيلة بني هاجر: القاطنة غرب القطيف، وعددها أربعة آلاف وخمسمائة.

قبيلة بني خالد: وهي قاطنة غرب الأحساء، وعددها عشرة آلاف. انتهى.

وفي تاريخ سيناء[1]: وأشهر قبائل نجد: (بريَه)[2] في القصيم، (وسُبيع والسهول) في الرياض، (وبني تميم) في الحوطة والدهناء، (وقحطان) بين الحوطة وشهران عسير، (والعجمان) بين الرياض والأحساء، (ومُطير) ومركز سلطانهم: المجمعة، (وآل مرة) (وبنو هاجر) بين الأحساء وقطر، (والدواسر) بوادي الدواسر. انتهى.

وفي تاريخ نجد للآلوسي ما نصه[3]: والقبائل الساكنة اليوم في نجد: من عشائر نجد: (مُطير)، وهي قبيلة كثيرة العدد، مشهورون بالإقدام والشجاعة. وهي عدة بطون منها: الدويش، والموهة، وجبلان، وذوو عون، والملاعبة، ومسيلم، وبُريَه، والمريخات، والهوامل، والمشهور أنهم من قحطان.

وفي نهاية الأرب للقلقشندي[4]: أنهم بطن من طسم من العماليق من العرب العاربة، كانت مساكنهم مع قومهم من بني طسم بيثرب إلى أن أخرجهم منها بنو إسرائيل[5].

---

(١) تاريخ سيناء (ص: ٦٧٠).

(٢) في هامش الأصل: بريةا ليست اسم قبيلة، بل اسم بلدة، وهي بلدان القصيم. وكتبه: محمد نصيف.

بريه: إحدى أفخاذ قبيلة مطير. كتبه: عبدالله البسام.

١- وَهمَ الشيخ محمد نصيف حيث قال: برية ليست اسم قبيلة. حيث ظنها بلدة بريدة، وهي إحدى أفخاذ قبيلة مطير، حيث تنقسم بريه إلى: وسّامة الهلال، وواصل، وبنو عبدالله بن غطفان (انظر: الرحلة النجدية ص: ٥٠).

(٣) تاريخ نجد (ص:٨٨-٨٩). وانظر: الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية (٣١١٧/٨)، والتحفة الذهبية في أنساب الجزيرة العربية (ص: ٧٥٤).

(٤) نهاية الأرب (ص:٣٧٧).

(٥) انظر: الموسوعة الذهبية (٣١١٧/٨)، والتحفة الذهبية (ص: ٧٥٤).

ومنها: (العجمان)، وهم أهل شجاعة وإقدام. ومن بطونها: (آل معيض)، (وآل حبيش)، (وآل سليمان)، (وآل هتلان)، (وآل محفوظ)، [(والضاعن)][١]، (والشامر)، (وآل مصرع)، (والشواولة)، (وآل مفلح)، وهم من قحطان.

ومنها: (آل مرة)، وهم موصوفون بالبأس والقوة. ومن بطونها: (آل جابر)، (وآل عذبة)، (وآل غفران)، (وآل فهيد)، (وآل علي)[٢].

ومنها: (آل عتيبة)، وهم قبيلتان: (الروقة) و(برقا)، وكل منهما عدة بطون[٣].

وهم -على ما في النهاية- بطن من جذام من القحطانية[٤] بنو عتيبة بن أسلم بن مالك بن شَنوءة [ابن بديل بن جشم بن جذام.

قال أبو عبيد: وهم اليوم ينسبون في بني شيبان][٥]، فيقولون: عتيبة بن عوف ابن شيبان.

ومنها: (قحطان)، وهم من أهل النجدة والقوة والعدة والعدد. وينقسمون إلى بطون: (الجمالين)، (والعرينات)[٦]، (والبنطة)، (والصحلة)، (والجبور)، (وآل عدي)، (والمذارية)، (والعيادي)، (والضعمة)، (ومليح)، (والقرينات)، (والعزة).

---

(١) في الأصل: والضاغن. والتصويب من تاريخ نجد (ص:٨٨).
والضاعن: عشرة من مرزوق من قبيلة العجمان التي تقع منازلها في جوار بني خالد، اعتباراً من الطف إلى العقير، وتمتد ديارها حتى الصمان. انظر: (موسوعة قبائل العرب ١٠٩٧/٣). وانظر: الموسوعة الذهبية (٢٠٧٩/٥)، والتحفة الذهبية (ص:٥٩٨).
(٢) انظر: الموسوعة الذهبية (٢٩٩٠/٨)، والتحفة الذهبية (ص:٧٤٨).
(٣) انظر: الموسوعة الذهبية (١٩٧٤/٥)، والتحفة الذهبية (ص:٥٨٣).
(٤) قال العلامة حمد الجاسر: عتيبة تضم فروعاً كثيرة، جلها عدنانية من قيس عيلان من هوازن، وفيها من قحطان. جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد (٥٦٣/٢).
(٥) ما بين المعكوفين زيادة من تاريخ نجد (ص:٨٨).
(٦) قال الشيخ حمد الجاسر: الشائع عند الناس أنهم من بني تميم دخلوا في قبيلة سبيع ولكن الذي أعرفه أن الذين دخلوا في قبيلة سبيع من بني عامر — هم عرينة بن نذير من بجيلة، أما الذين هم من بني تميم فهم عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد من تميم. جمهرة أنساب الأسر(٥٨٦/٢، ٥٩١).

ومنها: (السهول)، وهم خمس قبائل، وهم (بنو سهل)، بطن من بني بحر، من لخم، من القحطانية[١].

ومنها: (الدواسر)، وهم حاضرة وبادية. وسكنة البادية: (المساعرة)، (وآل أبي سباع)، (وآل بريدة)، (وآل المخاريم)، (والرجبان)، [(والخييلات)][٢]، (والشوافا)، (والغيثيات)[٣]، (وآل أبي حازم)، (وآل عمار)، وهم بطن من عرب اليمن، ولم ينسبوا إلى أحد.

وأما (بنو خالد)[٤] فكانوا أمراء الأحساء، فتغلب عليهم ابن سعود وأخذ منهم الأحساء[٥]، وهم قبائل منهم: (المهاشير)، (والجبور)، والمشيخة في (آل حميد)، أهل الكرم والشجاعة. وفي نجد قبائل غير من ذكرناهم. انتهى.

ذكر سلطان نجد الحالي وآبائه الأمراء

سلطان نجد وملحقاتها الآن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله[٦] بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن

---

(١) انظر: الموسوعة الذهبية (٤/١٦٨٠)، والتحفة الذهبية (ص:٤٠٣)، وقال الشيخ حمد الجاسر انهم من القبائل الحديثة، تضم فروعاً أكثرها عدنانية، ترجع إلى قبيلة سبيع.
انظر: جمهرة أنساب الأسر (١/٤٢٣).

(٢) في الأصل: والخينيلات. والتصويب من تاريخ نجد (ص:٨٩).
والخييلات أو الخيالات: فخذ من آل دوسر ابن تغلب يقطنون بنجد، وأحدهم خييلي (موسوعة قبائل العرب ٢/٥٢٦).

(٣) كذا في الأصل وتاريخ نجد، وكتب في هامشه: لعله: الغياثات.
أقول: لعلها: الغيثان. وهم بطن من الدواسر إحدى قبائل بادية نجد، من تغلب بن وائل، من العدنانية (انظر: موسوعة قبائل العرب ٤/١٦٤٦).

(٤) عقب خالد بن الوليد انقرض على ما أجمع عليه علماء النسب، فهؤلاء ليسوا من أعقابه (هامش تاريخ نجد ص:٨٩).

(٥) في هامش الأصل: ابن سعود هو: عبدالعزيز بن محمد بن سعود، من أجداد ملك المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وكتبه: محمد نصيف.

(٦) عبدالله هذا هو أخ عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وليس هو ولد سعود بن عبدالعزيز الذي قتل في الآستانة، والحاصل أن عبدالله في آل سعود اثنان: أحدهما: عبدالله بن محمد بن سعود أخ عبدالعزيز، والثاني: عبدالله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود المقتول في الآستانة. اهـ منه. (غازي).

مرخان[١] بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي العنيزي[٢]، وهو من مشايخ عنيزة، وكان مانع المذكور يسكن في بلد الدروع من نواحي القطيف، وهو جدّ آل مقرن وآل وطبان، ثم صار بينه وبين ابن درع رئيس حجر اليمامة من بني عمه مراسلة ومواصلة لما بينهما من الرحم، فاستدعاه ابن درع من القطيف وأعطاه من ملكه أرض (المُلَيبِد)[٣] [(وغَصيبَة)[٤] المعروفتين][٥] في الدرعية، فاستقر هو وأولاده فيهما. وكان ما فوق المليبد [وغصيبة][٦] لآل يزيد من آل دغيثر[٧] من بني حنيفة الموجودين اليوم إلى ما دون (الجُبَيْلة)، ومن الجبيلة الى (الأَبَكّين)[٨] إلى (حريملة) لحسن بن طوق جدّ آل معمر.

ثم ولد لمانع المذكور: (ربيعة)، وصارت له [صولة، واتسع ملكه، وحارب آل يزيد.

ثم ظهر بعد ذلك ابنه (موسى)، وصارت له][٩] شهرة أعظم من شهرة أبيه ربيعة، واستولى على الملك في حياة أبيه، وصارت له وقعة مع آل يزيد، وجرح جروحاً كثيرة، وضيّقوا عليه، واحتال على قتل أبيه ربيعة، فجرحه جراحات

---

(١) انظر: مثير الوجد في أنساب ملوك نجد: ٢٣، بتحقيق محمد بن عمر بن عقيل.

(٢) الصحيح الثابت أن آل سعود ينتسبون إلى بني حنيفة، وقد نص على هذا محققو العلماء والمؤرخين من أمثال ابن خنين، وابن سلوم، وابن بشر، وجمهرة آل سعود، يقول ابن بشر: إن مانعا –جد آل سعود– مريدي، أي أنه من قبيلة المردة، من بني حنيفة، أما نسبته إلى عنزة فليست نسبة بنوته ولكن نسبة قرابة بعيدة، فبنوا حنيفة من بكر بن وائل من ربيعة وعنزة أخو وائل وكلاهما يلتقيان في ربيعة، انظر: مثير الوجد: ١٨، ٣١، ٤٤، ٤٥.

(٣) المليبد (المُلَيْبِد): منطقة في أسفل الدرعية مقابلة لمصب وادي صفار في وادي حنيفة، وليس لها شهرة أو مكانة تذكر غير أنها وردت في تاريخ المنطقة (معجم اليمامة ٢/٣٩٤).

(٤) غَصيبَة: منطقة في وادي حنيفة في أعلى الدرعية (معجم اليمامة ٢/٢٢٤).

(٥) في الأصل: وغصبة المعروفين. والتصويب من تاريخ نجد (ص:٩١). وانظر: معجم اليمامة (٢/٢٢٤).

(٦) في الأصل: وغصبة. والتصويب من تاريخ نجد، الموضع السابق.

(٧) آل دغيثر من آل يزيد وليس العكس.

(٨) الأبكين: مثنى، جبلان متناوحان يمر بينهما طريق سَدوس العينة، ويقطعان على جبل مرتفع يفصل بين أعلى وادي حنيفة وبين وادي سدوس مما أعطاهما علواً فوق جبال تلك الناحية(معجم اليمامة ١/٥٥).

(٩) ما بين المعكوفين زيادة من تاريخ نجد، الموضع السابق.

كثيرة، وهرب ربيعة إلى حمد [بن حسن][١] بن طوق رئيس [العيينة][٢] فأجاره، وأجلّه وأكرمه لما بينهما من سابقة [المعروف][٣]. ثم إن موسى جمع جموعاً من (المردة) وغيرهم من كان عنده من المَوَالِفَة، وأغار على آل يزيد صباحاً في (النَّعْمِيَّة)[٤] (والوَصَيْل)[٥]، فتحاربوا، وصارت الغلبة لموسى، فقتل من آل يزيد أكثر من ثمانين رجلاً، واستولى على ملكهم ومنازلهم، ودمرهم، ولم تقم بعد ذلك لآل يزيد قائمة، وكانوا يضربون المثل بهذه الواقعة فيقال: "صبحهم مثل صباح الموالفة لآل يزيد"[٦].

واستمر موسى بن ربيعة في الولاية إلى أن توفي، فتولى ابنه (إبراهيم) إلى أن توفي، فتولى ابنه (مرخان).

وكان لمرخان ولدان: (ربيعة) و(مقرن). فأما ربيعة فولده (وطبان) جدّ آل وطبان القاطنين في قصبة الزبير.

وأما مقرن بن مرخان بن إبراهيم فهو جدّ آل سعود المشهورين، وله من الأولاد: محمد، وعياف، وعبدالله. فمحمد جدّ آل سعود، وعبدالله جد آل ناصر، وعياف جدّ آل عياف.

ولمحمد بن مقرن من الأولاد: (مقرنٌ)، و(سعودٌ)، فمقرن هذا ليس له عقب

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من تاريخ نجد (ص:٩١).

(٢) في الأصل: العينية. والتصويب من تاريخ نجد، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: المعرف. والتصويب من تاريخ نجد، الموضع السابق.

(٤) في الأصل وتاريخ نجد: النعيمة. والنعميّة بلدة في أعلى الدرعية كان يسكنها آل يزيد وبني ضيفة (معجم اليمامة ٢/٤٢١).

(٥) منطقة في وادي حنيفة تشمل الدرعية وملحقاتها (معجم اليمامة ٢/٤٤٤).

(٦) انظر: معجم اليمامة (٢/٤٢١).

إلا (عبدالله) الذي جعله عبدالعزيز بن محمد بن سعود [أميراً][(١)] في الرياض حين تغلب عليها.

وأما سعود فله عدة أولاد، منهم: (محمد)، (ومشاري)، (وثنيان)، (وفرحان).

فمحمد هو الذي استقل بالدرعية، وكذا أولاده من بعده إلى عصرنا هذا، وهو الذي آوى الشيخ محمد بن عبدالوهاب[(٢)] عالم نجد المشهور. فإنه لما كان

---

(١) في الأصل: أمير. والتصويب من تاريخ نجد (ص:٩٢).

(٢) نشأ الشيخ محمد في بلد (العيينة) من بلاد نجد في حجر أبيه الشيخ (عبد الوهاب بن سليمان) القاضي في بلد العيينة، في زمن إمارة عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر، وقرأ على والده الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. وكان الشيخ محمد في صغره كثير المطالعة لكتب التفسير والحديث والعقائد، فصار ينكر على أهل نجد كثيراً من الأمور، فلم يسعفه على ذلك أحد، وإن استحسن إنكاره بعض الناس؛ فسافر من بلد العيينة إلى حج بيت الله الحرام. فلما قضى نسكه سار إلى المدينة فأخذ فيها عن الشيخ العالم (عبدالله بن إبراهيم بن سيف) من آل سيف رؤساء [بلد] ١ (المجمعة) المعروفة في ناحية سدير من نجد، والشيخ محمد حياة السندي.

وأنكر الشيخ محمد استغاثة الناس بالنبي ﷺ عند قبره. ثم رحل إلى نجد، ثم رحل إلى البصرة وأقام فيها مدة، وأخذ فيها عن العالم الشيخ (محمد المجموعي)، وأنكر أشياء كثيرة على أهل البصرة، فأحسَّ الناس به، فآذوه وأخرجوه وقت الهجيرة، فخرج منها ماشياً على رجليه، فوصل إلى بلد الزبير، ثم قصد الأحساء فنزل بها عند الشيخ العالم عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي.

ثم خرج من الأحساء وقصد بلد (حريملة)، وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب قد انتقل إليها من بلد العيينة سنة تسع وثلاثين ومائة وألف بعد وفاة (عبدالله بن معمر) صاحب العيينة، ثم لازم أباه وقرأ عليه، وأظهر الإنكار على أهل نجد في عقائدهم، فوقع بينه وبين أبيه منازعة وجدال، وكذلك وقع بينه وبين الناس في بلد حريملة جدال كثير، فأقام على ذلك مدة سنين حتى تُوُفي أبوه الشيخ عبدالوهاب سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف.

ثم أعلن الشيخ محمد بالدعوة والإنكار على الناس، وتبعه أناس من أهل حريملة، واشتهر بذلك، ثم انتقل الى بلد العيينة، ورئيسها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر، فتلقاه بالقبول وأكرمه، وحاول نصرته، وساعده، فأعلن الشيخ بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشدَّد في النكير على الناس، فتبعه بعض أهالي العيينة، وقطع أشجاراً كانت تعظَّم في تلك النواحي، وهدم قبة قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه التي عند الجبيلة، فعظم أمره، فبلغ خبره إلى سليمان بن محمد بن غرير =

=

الحميدي صاحب الأحساء والقطيف وما حوله من العربان، فأرسل سليمان كتاباً الى عثمان وكتب فيه: إن المُطَوِّع الذي عندك قد فعل ما فعل وقال ما قال، فإذا وصلك كتابي فاقتله، فإن لم تقتله قطعنا خراجك الذي عندنا في الأحساء. وكان خراجه ألفاً ومائتين ذهباً وما يتبعها من طعام وكسوة.

فلما ورد الكتاب إلى عثمان أرسل إلى الشيخ محمد أن سليمان قد أمرنا بقتلك، ولا نستطيع مخالفته، ولا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلدنا، فشأنك ونفسك، وخلِّ بلادنا.

فسار الشيخ إلى الدرعية، وكان ذلك سنة ستين بعد [٢] المائة والألف، ووصل إليها وقت العصر، فنزل في بيت عبدالله بن سويلم [العريني] [٣]، فلما دخل عليه ضاقت عليه داره، وخاف على نفسه من محمد بن سعود صاحب الدرعية، فوعظه الشيخ وسكَّنَ جأشه وروعه، وقال: سيجعل الله لنا ولك فرجاً، فاستقر، وأراد أن يخبر محمد بن سعود بحاله، ورغب في نصرته، فالتجأ إلى أخويه (مشاري وثنيان) ولديْ سعود، وزوجته موضي بنت أبي وهطان، من آل كثير، وكانت ذات عقل وفهم، فأخبروها بحال الشيخ وصفته من الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقذف الله تعالى محبة الشيخ في قلبها، فأخبرت زوجها محمد بن سعود بحاله، وقالت له: إن هذا الرجل أتى اليك، وهو غنيمة ساقها الله تعالى إليك، فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته. فقبل قولها، وألقى الله تعالى محبته في قلبه، ورغبوا محمد بن سعود لزيارته لعل ذلك يكون سبباً لتعظيم الناس له وإكرامه؛ فسار محمد بن سعود إليه، فلما دخل عليه في بيت ابن سويلم رحّب به وقال: أبشر بالخير والعز والمنعة. فقال له الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين والغلبة على جميع بلاد نجد، وهذه كلمة (لا إله الا الله) من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها العباد والبلاد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم. ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله ﷺ وما دعا إليه، وما عليه أصحابه من بعده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تعالى، وبأنّ كل بدعة ضلالة، وأخبره أيضاً بما عليه أهل نجد من البدع والجور والاختلاف والظلم.

فلما تحقق محمد بن سعود المصالح الدينية والدنيوية فيما ذكره الشيخ قبل ذلك، وقال له: يا أيها الشيخ، إن هذا دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الذي لا شك فيه، فأبشر بالنصرة لما أمرت به، والجهاد لمن خالفك. فقام الشيخ ودخل معه البلد.

ولما استوطن الشيخ محمد في الدرعية، وكان أهلها في غاية الجهالة والتهاون بالصلاة والزكاة، وشعائر الإسلام، علّمهم الشيخ معنى (لا إله إلا الله)، وأنها نفي وإثبات، فـ"لا إله" ينفي جميع المعبودات، و"إلا الله" يثبت العبادة لله وحده لا شريك له، ثم علمهم أصولاً، وهي معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته، ومعرفة الإسلام، ومعرفة أركان الإسلام، ومعرفة النبي ﷺ، ومعرفة أول ما دعا

=

في بلد العيينة عند عثمان بن معمر ورأى منه الجفاء، قصد محمد بن سعود المذكور، فآواه وأيده، وامتثل أمره، وجهز الجيوش لنصر دعوته وترويج طريقته.

وأما مشاري بن سعود بن محمد بن مقرن؛ فهو الذي أيّد أخاه محمد بن سعود في نصرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكذا ولده (حسن بن مشاري)، فإنه قاد السرايا، وقاتل في الحصون والبلاد والقرى مع ابن عمه عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وله أولاد فرسان وشجعان قتلوا في حرب إبراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر لما حاصر الدرعية، وكذا ابنه (عبدالرحمن)، وخلف عبدالرحمن ولداً اسمه (مشاري) الذي قتل ابن عمه (تركي) أمير نجد.

=

إليه وهو كلمة: "لا إله إلا الله"، ومعرفة البعث، ومعرفة دين محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وهو التوحيد، وسائر العبادات، وبالغ في منع الاستغاثة بمخلوق كائناً من كان.

فلما استقر ذلك في قلوبهم بعد الجهالة أشرب في قلوبهم حبُّ الشيخ. ثم إنه كتب إلى أهل بلاد نجد وإلى رؤسائهم وقضاهم يطلب الطاعة والانقياد، فمنهم من أطاعه، ومنهم مَنْ عصاه ونسبه الى الجهل وعدم المعرفة.

ثم أمر الشيخ أهل الدرعية بالمقاتلة معهم، فامتثلوا أمره، وقاتلوا أهل نجد والأحساء دفعات كثيرة إلى أن أدخلوهم إلى طاعتهم، وحصلت إمارة بلاد نجد وقبائلها جميعاً لآل سعود بالغلبة.

وتوفي الشيخ المشار إليه سنة ست بعد المائتين والألف.

وله من التصانيف كتب كثيرة منها: كتاب التوحيد، وتفسير القرآن، وكتاب كشف الشبهات، وغير ذلك من الرسائل والفتاوى الفقهية والأصولية.

وأعقب أربعة أولاد كلهم من أجلة العلماء، وهم: الشيخ حسين، والشيخ عبدالله، والشيخ علي، والشيخ ابراهيم. انتهى. كذا في تاريخ نجد للآلوسي (ص:١٠٦-١١٤).

١- في الأصل: البلد. والتصويب من تاريخ نجد (ص:١٠٦).

٢- الصواب: أن ذلك كان سنة ١١٥٧هـ.

٢- في الأصل: العرين. والتصويب من تاريخ نجد (ص:١٠٩).

وأما ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن فإنه كان أعمى، ولكن كان مفتوح البصيرة، مفرط الذكاء، وكان مستشاراً لأخيه الأمير محمد بن سعود بن محمد بن مقرن في الأمور.

ومن ذريته: عبدالله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان المذكور، وفيصل بن ناصر بن عبدالله بن ثنيان المذكور، ومحمد بن يوسف بن ثنيان الذي كان في مصر، ثم جاء إلى ابن عمه فيصل أمير نجد.

وأما فرحان بن سعود بن محمد بن مقرن فليس من ذريته إلا سعود بن إبراهيم ابن عبدالله بن فرحان.

ولنرجع إلى أولاد محمد بن سعود بن محمد بن مقرن جدّ آل سعود أمراء نجد، فنقول: خلف محمد بن سعود: (عبدالعزيز)، وهو الذي قاد الجيوش [لنصرة][1] دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبلغت سراياه وعماله أقصى بلاد نجد، وزالت به الحروب التي كانت تقع بين قبائل نجد، وحصل الأمن والأمان في البادية والحضر. قتله رجل شيعي، لأنه قتل أولاده في واقعة كربلاء، فعزم على الأخذ بثأرهم، فذهب إلى ديار ابن سعود[2] وتظاهر بالوهابية[3]، وبقي على ذلك سنة وهو يترصد عبدالعزيز بن سعود ليفتك به.

وفي ١٨ رجب سنة ١٢١٨هـ بينما كان الأمير عبدالعزيز يصلي العصر طعنه الشيعي بخنجر أرداه قتيلاً[4]، وكان [عمره][5] (٨٢) سنة، فقبضوا على

---

(١) في الأصل: في. والمثبت من تاريخ نجد (ص:٩٤).

(٢) ابن سعود هنا هو الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

(٣) قوله الوهابية: هذه التسمية أطلقها الأعداء على الدعوة الاصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآزرها الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية وهي تسمية خاطئة.

(٤) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:٧).

(٥) في الأصل: عمر.

القاتل واحتزوا رأسه، وقيل: أحرقوه، فقام بالإمارة بعده ولده سعود[١]، فاقتفى أثر أبيه في الغزو والفتوحات، وتوفي في الدرعية سنة ١٢٢٩[٢]، وعمره (٦٨) سنة، فقام مقامه (عبدالله)، كبير ولده، وهو الذي استولى عليه إبراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر، وحبسه، وذهب به إلى مصر، ثم أرسله إلى إسلامبول[٣] أيام السلطان محمود خان، فأمر بضرب عنقه في ميدان جامع السلطان بايزيد بين ملأ من الناس[٤].

ومن أبناء الأمير سعود بن عبدالعزيز: فيصل، وناصر، وتركي، وإبراهيم، وسعد، وفهد، ومشاري، وعبدالرحمن، وعُمر، وحسن.

فأما فيصل فقد قتل في حرب الدرعية بعد أن بارز، وحصل له الشهرة،

---

(١) قال الشيخ عثمان بن بشر (رح) في عنوان المجد (١/١١٩-١٢٠): كان لسعود بن عبدالعزيز معرفة تامة في تفسير القرآن. أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان ملازماً على مجالس الدروس عنده، وله معرفة في الحديث والفقه وغير ذلك، وكان كثير العطاء والصدقة، فكان يرسل في كل زمان إلى أهل كل ناحية وبلد صدقة ألف ريال أو أكثر، وكان إذا دخل رمضان سار مساكين أهل نجد من أعمى زَمِن ونحوهم وقصدوا الدرعية، فكان سعود كل ليلة يدخلهم للعشاء والإفطار عنده في القصر مع كثرتهم، ويعطي كل رجل منهم جديدة، وهي في تلك الأيام خمس ريال، فإذا دخلت العشر الأواخر أدخلهم إرسالاً كل ليلة يكسي منهم جملة، يعطي كل مسكين عباءة ومحرمة وجديدة.

قال: وذكر لي رجل كان عندهم في القصر: ملك سعود من الخيل العتاق ألفاً وأربعمائة فرس يغزو معه منها ستمائة فرس يركبها رجال انتقاهم من شجعان البوادي مماليكه وغيرهم. قال: ومماليكه الذكور أكثر من خمسمائة مملوك.

قال: وعنده من المدافع ستون مدفعاً، منها ثلاثون كبار. وكان يقف خلفه إذا دخل في الصلاة وهو في مسجد قصره اثنان من شجعان مماليكه بسيوفهم خوفاً عليه حتى يفرغ من الصلاة، وأما إذا كان في مغازيه وحججه فكان إذا دخل في الصلاة أوقف ستة من شجعان مماليكه وخاصته منهم بسيوفهم، اثنان عند وجهه، واثنان خلفه بينه وبين الصف الثاني، واثنان خلف الصف الثاني. (غازي).

(٢) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:١٤).

(٣) اسلامبول: هي اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية.

(٤) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:١٤-١٧).

وكذا قتل إبراهيم في تلك الحرب، وناصر وتركي ماتا قبلهما. وأما سعد، وفهد، وعبدالرحمن، وعمر، وحسن، فاستصحبهم إبراهيم باشا إلى مصر مع أولادهم ونسائهم، وماتوا هنالك. وأما مشاري فكان هو أيضاً مع إخوانهم مستصحباً مع إبراهيم باشا، ولكنه هرب في الطريق وذهب إلى الدرعية، واستولى عليها، وكان في الدرعية رجل من بيت آل معمر هو محمد بن مشاري[1] قد استولى عليها بعد اعتقال عبدالله بن سعود، فأرسل محمد علي

(١) كان محمد بن مشاري بن معمر هذا في الدرعية، فلما هدم الباشا الدرعية رحل منها ونزل [العيينة]١، وبعدما رحل الباشا عن نجد وساروا آل سعود إلى مصر وذهبت أموالهم ورجالهم رحل محمد بن مشاري من البلد (العيينة) ونزل الدرعية، وسعى في عمارتها، وأظهر إعلان الدعوة، وأراد أن تكون بلدان نجد تحت يده بدعوى الإمامة، فكاتب أهل البلدان ودعاهم بالوفود إليه والاجتماع، فأطاعه أهل بلدان قليلة مما يليه في الدرعية، ووفدوا إليه، فاستقر فيها واستوطنها، ثم أتى إليه في الدرعية تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأخوه زيد وصارا عنده وساعداه.
وفي عاشر جمادى الآخرة سنة ١٢٣٥ قدم مشاري بن سعود الوشم، ثم سار منه إلى الدرعية ومعه عدة رجال من أهل القصيم وأهل بلد الزلفي، وأهل [ثرمدا وغيرهم]٢ من عبيد أهل الدرعية، ومعه حملات من الأرز والطعام، وقدم الدرعية ونزل في بيت من بيوت إخوانه، فانزعج ابن معمر، وهمَّ بالامتناع والمحاربة، ثم عجز عن ذلك وجنح إلى الصلح، وبايع لمشاري بن سعود واستقام الأمر له، ووفدوا عليه أهل سدير، وأهل المحمل، وحريملا، وأكثر أهل الوشم، وبايعوه هؤلاء كلهم، وقام معه تركي بن عبدالله وعضده، وقدم عليه في الدرعية عمه عمر بن عبدالعزيز، وأبناؤه عبدالله، ومحمد، وعبدالملك، وكانوا قد هربوا من الدرعية وقت المصالحة، ثم ندم ابن معمر على انسلاخه من هذا الأمر، وهمَّ باسترجاع الأمر لنفسه، فركب من الدرعية ونزل سدوس، وأظهر أنه مريض وهو يدير الرأي في استرجاع الأمر، فكاتب آل حمد أهل حريملا وهم يومئذ [رؤساؤها]٣، فاستدعوه ووعدوه النصرة، فتوجه إليهم من سدوس، وقدم حريملا واستوطنها، وأظهر المخالفة لمشاري، وكاتب أهل النواحي يطلب منهم البيعة والسمع والطاعة، وأخرج من كان في قلعة حريملا وضبطها، وأقام فيها أياماً، وكاتب فيصل الدويش، وأرسل إليه جيشاً من مطير، فسار من حريملا بعدة رجال من أهلها وغيرهم، وسار معه ذلك الجيش وقصدوا الدرعية، ودخلوها بغتة، فدخل ابن معمر ومن معه على مشاري بن سعود في [قصره]٤ وأمسكوه وحبسوه، ثم إن ابن معمر جعل ولده مشاري في القصر ومعه عمر بن عبدالعزيز وبنوه، فدخل ابن معمر البلد، وهرب تركي وعشيرته الى الحاير، فاستقر ابن معمر في الملك، ودانت له البلدان، =

=

وكان قد أقبل عساكر من الترك مع [أبوش]٥ آغا ونزل بلد عنيزة، واستقر فيها، وأطاع له القصيم، فكاتبه ابن معمر وذكر له أنه دولة سلطان وأنه أمسك مشاري بن سعود لهم، فكتب إليه أبوش بإقراره في الإمارة، ثم إن ابن معمر كاتب أهل البلدان وأمرهم يفدون إليه، فركب إليه أهل سدير والمحمل وأناس غيرهم وقصدوه في الدرعية، وكان لما تولى الرياض رجع إليها وجعل ابنه مشاري في الرياض. ثم إن تركي بن عبدالله ومن معه من عشيرته وخدمه سار من الحاير المعروف بحاير سبيع وقصد بلد ضرمى ليقضي له فيها حاجة، فلما وصلها سار منها رجل إلى ابن معمر وأخبره بأن تركي في ضرمى وليس معه إلا شرذمة قليلة، فأمر ابن معمر على ابنه مشاري وسار في أكثر من مائة رجل وقصد ضرمى، ولما اقتربوا من ضرمى علم بذلك تركي، فأمر رفقته أن ينهضوا إلى قصر من قصور البلد ويتحصنوا فيه، فدخلوا فيه، وأخذوا من صاحب القصر سلاحاً وامتنعوا، فلما كان بالليل خرج تركي من القصر ومعه خادمه وقصدوا أناساً في بيت من أصحاب ابن معمر، فأمسك خادماً لهم وقال: استفتح على أهل هذا البيت وإلا ضربت عنقك. فاستفتح عليهم الباب، فلما فتحوا له دخل عليهم تركي وهم على النار متكنفين بها، فضرب فيهم بالسيف، فأطفأوا النار وهربوا، وتسوّروا جدار البيت، فجرح فيهم جراحات كثيرة وأخذ سلاحهم، فلما فعل هذا تخاذل أصحاب مشاري بن معمر وأتوا إلى تركي وتابعوه، وهرب مشاري بن معمر على فرسه ومعه فارس أو فارسان، وأقام تركي في ضرمى وأتى إليه [أناس]٦ من أهل الجنوب وسبيع وغيرهم، فسار من ضرمى وقصد إلى ابن معمر في الدرعية، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة -أي سنة ١٢٣٥- فدخلها بمن معه، وقصد ابن معمر في قصره، فهمَّ بالامتناع فخذله أهل الدرعية وأصحابه، فأمسكه تركي وحبسه، فلما استقر تركي في الدرعية سار إلى الرياض ونازل مشاري بن معمر وأمسكه واستولى على الرياض، وحبس الولد [وأباه]٧ فقال تركي لابن معمر: إن أطلقت مشاري بن سعود من الحبس أطلقتك وابنك، وإلا قتلتكما، فكتب ابن معمر إلى عشيرته الذين في سدوس بإطلاقه، فامتنعوا أن يطلقوه خوفاً من الترك، لأنهم قد وعدوهم قبضه [وتسليمه إليهم. ثم إنه أقبل]٨ عسكر من الترك مع خليل آغا وفيصل الدويش، فنزلوا سدوس وسلموا لهم مشاري وأمسكه الترك. فلما تحقق تركي أن مشاري أمسكه الترك ضرب عنق ابن معمر وابنه مشاري، وذلك في آخر ربيع. ثم إن الترك والدويش ساروا من سدوس وقصدوا الرياض، وثبت لهم تركي وحاربهم، فرجعوا وأقاموا في بلد ثادق نحو نصف شهر، ثم رحلوا إلى بلد ثرمدا، ونازلها الترك وأقاموا فيها، وكان أبوش ومعه عسكر من الترك في عنيزة، وأرسلوا مشاري بن سعود إلى عنيزة، وحبسه الترك عندهم فيها، ومات رحمه الله. اهـ. كذا في عنوان المجد (٢١٧/١، ٢١٩-٢٢١). (غازي).

١- في الأصل: العينية. والتصويب من عنوان المجد (٢١٧/١). وكذا وردت في الموضع التالي.

=

باشا قائداً اسمه: حسين بك، فظفر بمشاري وقبض عليه، وأرسله إلى مصر فمات في الطريق[١].

ومن أبناء الأمير محمد بن سعود والد الأمير عبدالعزيز [بن][٢] محمد بن سعود: (عبدالله)، وهو الذي نصر أخاه (عبدالعزيز)، وقاتل معه أشدَّ القتال وقاتل الفرسان والأبطال، واشتهر في البسالة والشجاعة[٣].

وكان له ولد اسمه: (تركي[٤] بن عبدالله) هرب[٥] من الدرعية لما حاصرها

=

٢- في الأصل: ثرمد أو غيرهم. والتصويب من عنوان المجد (٢١٩/١).
٣- في الأصل: رؤساء. والتصويب من عنوان المجد (٢٢٠/١).
٤- في الأصل: قصر. والتصويب من عنوان المجد، الموضع السابق.
٥- في الأصل: بوش. والتصويب من عنوان المجد، الموضع السابق.
٦- بياض في الأصل قدر كلمة، والمثبت من عنوان المجد (٢٢١/١).
٧- في الأصل: ورباه. والتصويب من عنوان المجد، الموضع السابق.
٨- في الأصل: وتسليمهم. والمثبت من عنوان المجد، الموضع السابق. وقوله: "إليهم ثم إنه أقبل" زيادة من الموضع السابق.

(١) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:١٧-١٨).
(٢) قوله: "بن" زيادة على الأصل.
(٣) تاريخ نجد (ص:٩١-٩٥).
(٤) وكان تركي هذا حكيماً يعرف الأدوية والعلل، وبان له نجاح في جملة من المرضى. اهـ مثير الوجد (ص:١٢٦).
(٥) والذي يظهر من كلام الشيخ عثمان بن بشر أنه هرب من الرياض.
قال الشيخ عثمان في عنوان المجد (٢٢٢/١): وفي السنة السادسة والثلاثين بعد المائتين والألف قدم نجد حسين بك ومعه عساكر من الترك، فترل القصيم ثم رحل منه، واجتمع بأبوش وعساكره، وقصدوا الوشم، ونزلوا بلد [ثرمدا]١، فلبث فيها حسين، وأمر على البلدان أن يغزوا، وأتاه من كل بلد عدة رجال من سدير، والوشم، والمحمل، وغير ذلك، وسيرهم إلى الرياض، وسار بهم أبوش ومعه جملة من عساكر الترك، ومعهم أيضاً رؤساء البلدان الذين أجلاهم ابن معمر
=

حسين، وأقام في البصرة، ثم بعد سنتين اعصوصبوا حول تركي بن عبدالله الذي كان مخبأً في البصرة(١)، فبرز من مخبأه وتولى القيادة(٢)، وذبح جميع العساكر

=

[وناصر]٢ بن حمد رئيس الرياض، وحمد بن مبارك بن عبدالرحمن رئيس حريملا وغيرهم لغزاة بلدان، فقدم الجميع الرياض ورئيسه يومئذ تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، فتصدى لحرب الترك، وجمع عنده رجال وظن أن أهل البلد يحاربون معه، فلما وصلت تلك الجموع البلد دخلوها بغير قتال، واحتصر تركي ومن معه في القصر، فرماه الترك بالقبوس وحاربوه، فهرب من القصر في الليل وحده. فلما أصبح أهل القصر طلبوا الأمان من الترك، فأعطوهم الأمان وأخرجوهم من القصر وهم نحو سبعين رجلاً ومعهم عمر بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود وأبناؤه الثلاثة، فقتلوهم عن آخرهم صبراً، وحبس عمر المذكور [وأبناؤه]٣ وسيروهم إلى مصر. انتهى. (غازي).

١- في الأصل: رمدا. والتصويب من عنوان المجد (٢٢٢/١)، والمعروف أن تركي بن عبدالله لم يذهب إلى البصرة مختبئاً بل توجه إلى جنوب نجد.

٢- في الأصل: ناصر. والتصويب من عنوان المجد، الموضع السابق.

٣- في الأصل: وأبناؤهم. والتصويب من عنوان المجد، الموضع السابق.

(١) ماورد من أن تركي بن عبدالله هرب إلى البصرة وأقام فيها غير صحيح، والصواب أنه توجه إلى جنوب الرياض، وفي الهامش التالي بيان لما ذكره ابن بشر بهذا الشأن.

(٢) قال في عنوان المجد (٢٥١/٢-٢٥٢، ٢٥٥-٢٥٧): وفي رمضان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف أقبل تركي بن عبدالله من بلد الحلوة المعروفة في الجنوب ومعه نحو ثلاثين رجلاً ليس معهم سلاح، وقصد بلد عرقة، فنزلها واستقر فيها، وأول من ساعده وسار إليه حمد بن يحيى بن غيهب أمير بلد شقرا، وأرسل تركي ابن عمه مشاري بن ناصر بن مشاري بن سعود إلى سدير وكتب معه إلى سويد صاحب جلاجل أن يقدم إليه بما استطاع من الرجال وآلة الحرب. فركب إليه سويد برجال من أهل جلاجل، وسدير، والمحمل، ومنيخ، فقدم عليه في بلد عرقة، فرفع راية الحرب وقصد الرياض ومنفوحة وفيهما عسكر لمحمد علي باشا مع أبي علي البهلولي المغربي نحو ستمائة مقاتل وفارس، فوقع الحرب بينه وبينهم، ولم يلبث سويد ومن معه إلا مدة يسيرة ورجعوا إلى بلدانهم، وبقي معه شرذمة قليلة. فلما رحلوا من عنده سار إليه أهل الرياض وأهل منفوحة وعسكر الترك وحاصروه أشد الحصار، فصبر لحربهم صبراً عظيماً، وقطعوا أكثر ثمار عرقة وبعض النخيل، وذلك في أول السنة التاسعة. ثم رحلوا عنها وبقي الحرب على حاله هذا، وأهل حريملا وثرمدا والخرج له محاربون ولأهل الرياض مظاهرون.

وأما أهل الوشم وسدير فإنهم قد توقفوا عنه بعدما تصالحوا فيما بينهم عن الحروب.

=

المصرية التي كانت في الدرعية[(١)] وجوارها، وأقام بالرياض وجعلها كرسي

=

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف وتركي بن عبدالله في بلد عرقة محارباً لأهل الرياض، ومنفوحة، وأهل الخرج، وضرمى، وثرمدا، وحريملا، وأكثر أهل بلدان نجد يكاتبونه بلا متابعة، ثم إن تركي استخلف في عرقة عمر بن عفيصان، وهو دخل بلد ضرمى واستولى عليها، وأقام فيها، ثم وقع الحرب بين أهل سدير ورئيس جلاجل قتل بينهم في هذه الوقعة قتلى كثيرة، ثم وقع الصلح بينهم، ثم أراد أهل سدير السطوة مرة ثانية على أهل جلاجل، فأقبل تركي بن عبدالله من بلد ضرمى ونزل بلد ثادق، وكتب إلى أهل سدير أنه من كان منكم في السمع والطاعة فليسكن عن الحرب والفتنة ويقبل إلي، فلما ورد عليهم رسوله بكتابه لم يسعهم إلا المتابعة والسمع والطاعة، فركب إليه جميع رؤساء سدير وبايعوه، ثم استنفر أهل المحمل فنفروا معه، وسار بهم إلى بلد جلاجل وبايعه أهلها، ووفد إليه رئيس الغاط أحمد بن محمد السديري، وأهل الزلفي، وكاتبه أهل شقرا وغيرهم من أهل الوشم، ثم سار إلى حريملا ومنها إلى منفوحة، ولما وصل إليها وقع في قلوب أهلها الرعب، وطلبوا الصلح، وخرج إليه أميرها إبراهيم بن سلامة بن مزروع وبايعه، وأخرج من فيها من العسكر.

ثم دخلت سنة أربعين ومائتين وألف: وفي أولها سار تركي بجنوده من منفوحة، ونازل أهل الرياض وفيها العساكر المصرية، [وحصل]١ بينهم وقائع عديدة قتل من الفريقين عدة قتلى. ثم أمر تركي من معه أن يصرموا نخيل الرياض فصرموها، وذلك بعدما اصفرّت واحمرّت، ودمروا زروعها إلا ما حمته القلعة، ودام الحصار إلى نحو شهر ورئيس العارض إذ ذاك عبدالله بن حمد بن ناصر العائذي.

ثم إنه أقبل فيصل الدويش بجميع عربانه فزعاً لأهل الرياض، فرحل تركي ونزل بجنوده بلد عرقة، وأقام الدويش عند أهل الرياض أياماً، ثم رحل عنهم، فرجع إليهم تركي بجنود المسلمين وحاصرهم أشد الحصار، ثم إن أبا علي المغربي رئيس العساكر الذين في الرياض طلب المصالحة من تركي ولأهل العارض وللعساكر الذين في العارض، فصالحه تركي على أن يخرج بعساكره من الرياض ويذهب إلىأوطانه [هو]٢ ومن معه وجميع أهل العارض وأميرهم عبدالله بن ناصر في أمان، فتم الصلح على ذلك، فأمر تركي على ابن عمه مشاري بن ناصر بن مشاري بن سعود أن يدخل بلد الرياض ويضبطها، وأرسل معه رجالاً وأمر على العسكر يتجهزون للرحيل ويخرجون، فخرج منها أبو علي وعساكره وسافروا إلى المدينة، ومنها الى مصر، ثم دخل الإمام تركي في الرياض مسروراً منصورا، واستوطنه. انتهى. (غازي).

١- في الأصل: حصل. والتصويب من عنوان المجد (٢/٢٥٦).

٢- في الأصل: وهو. والتصويب من عنوان المجد، الموضع السابق.

(١) الدرعية: تقع على أحد عشر كيلاً شمال الرياض، على ضفاف وادي حنيفة، كثيرة النخيل والقلاع الأثرية (الرحلة النجدية ص:٥٥).

إمارته، وبنى لها قصراً وجامعاً كبيراً، وحكم أسوارها، وكان الخبر وصل إلى مصر عن ثورة نجد الجديدة، فسيّرت مصر جيشاً بقيادة حسين باشا، [فانسحب][١] الوهابيون[٢] إلى الوراء، ودخلوا صحاري اليمامة، فتعقبهم حسين باشا إلى تلك الفيافي، فخانه الأدلاء، فهلك أكثر عسكره من العطش، ورجع هو بشرذمة من حاشيته، فلما رأى محمد علي باشا[٣] ما حَلّ بالعسكر سئم قتال الوهابيين[٤]، وترك تركياً وشأنه، فبقي هذا في الرياض أميراً.

وفي سنة ١٨٣٠م أرسل ابنه فيصلاً بفتح[٥] الأحساء، فبينما هو سائر إليه ورده الخبر أن أحد أقاربهم[٦] مشاري بن عبدالرحمن بن حسن بن مشاري بن

(١) في الأصل: فتسحب.
(٢) يقصد الجيش السعودي.
(٣) في الأصل زيادة: على.
(٤) أي السعوديين.
(٥) أي ضمها.
(٦) هو ابن عم الإمام تركي، وهو من الذين نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر فشرد منها سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف، فقدم على خاله وابن عمه الإمام تركي بن عبدالله، فقام له خاله أتم القيام وأكرمه [وزاده]١ في الإكرام، وأعطاه خيلاً وركاباً وسلاحاً وجميع ما يحتاج إليه من فرش وغيرها، واستعمله أميراً في منفوحة، فلما كان في سنة خمس وأربعين وشى به واشٍ عند خاله تركي أنه اجتمع بأناس من ولاة الرعية وعاقدهم على قتله، فوقع في نفس تركي على أناس من أجل هذه الشبهة شيء، فعزل منهم من عزل عن ولايته، وعفى عمن عفى منهم، ولم يرفع في الأمر برأس، وزاد في إكرام مشاري، إلا أنه عزله عن إمارة منفوحة، فحقد في نفسه، فلما غزا تركي جهة الشمال سنة ست وأربعين ومائتين وألف خرج ابن عمه مشاري بن عبدالرحمن من الرياض برجال معه من أعوانه مغاضباً له، فوجد منديل بن غنيمان رئيس الملاعبة من مطير هو وعربانه في المستوي، فطلب منه النصرة فأبى، فرحل من عنده وكاتب رؤساء القصيم يطلب منهم النصرة فأبوا عليه، فسار إلى عربان عنزة فلم يغنوا عنه شيئاً، فسار إلى مكة وقصد الشريف محمد بن عون وهو رئيس مكة٢ إذ ذاك، فأكرمه وطلب منه النصرة فأبى، وأقام عنده مدة أشهر، فلما رأى أنه لا ناصر له خرج من مكة قاصداً خاله الإمام تركي في بلد الرياض، فلما وصل إلى بلد المذنب طلب من رؤسائهم يركبون معه إلى خاله الإمام تركي ويأخذون له ذمة وعهداً، وأنه ندم على ما سلف، =

=

فركبوا معه وقدموا على تركي في الرياض، فعفى عنه وأكرمه، وجعله في بيت عند أهله وعياله، وقام بجميع حوائجه، ولا جعل عليه داخلاً من الناس خوفاً من الفتنة، فلبس عليه رجال من أهل الديوان الذين ضعف في قلوبهم الإيمان مع ما عنده من تسويل الشيطان وقالوا له: إنك أولى بالحكم، وأنت الشجاع المقدم، وقد انتقصك وخذلك، فهو أحق بالقتل، فزاد إغراؤهم وحشة المكان واستطالة الزمان. هذا والإمام تركي كثير الحلم والإعراض عمن نمّ، ولم يسنح في خلده صدقه لمودته له وقرابته منه وكثرة الإحسان إليه، وقد قيل له ذلك فقال: هذا قول لا معول عليه، ولم يرفع بذلك رأساً لأن الأجل قد حضر بذلك [ورسا]٣، فعزم مشاري على إظهار ما بطن، وجرد سيفه لإثارة الفتن، وذلك بمساعدة رجال أسافل من الخدام الأراذل، وتواعدوا عليه بعد صلاة الجمعة إذا خرج من المسجد، فلما صلى الجمعة خرج على عادته من الباب الذي جنوبي المحراب، وكان قد أعد هذا الباب في قبلة المسجد لدخوله وخروجه ولدخول الإمام عن تخطي رقاب الناس، وكان قد وقف له البغاة بين الدكاكين وبين القصر والمسجد وبيده مكتوب يقرؤه وإلى جنبه رجل على يساره، فاعترضه منهم عبد خادم يقال له: إبراهيم بن حمزة، فأدخل طبنجة معه مع كم الإمام تركي وهو غافل فثورها فيه فوقع ميتاً، وإذا مشاري قد خرج من المسجد فشهر سيفه، وهدد الناس وتوعدهم، وشهر معه أناس سيوفهم، فعلم الناس أن الأمر قد قضي بليل. فلما رأى زويّد العبد المشهور مملوك تركي عمه صريعاً، شهر سيفه وجرح رجلاً من خدام مشاري، فلما لم يجد مساعداً هرب إلى القصر، ثم إن مشاري ومن معه دخلوا القصر وحبسوا زويّداً، وجلس مشاري للناس يدعوهم إلى البيعة، فلما علم آلَ الشيخ وقوع هذا الأمر جلسوا في المسجد، فأرسل اليهم مشاري، فأبوا أن يخرجوا إلا بالأمان، فكتب اليهم بالأمان، فأتوا إليه وبايعوه، ثم نقل تركي من موضعه ذلك وأدخلوه في بيت زويّد فجهّز، وصلى عليه المسلمون٤ بعد صلاة العصر، ودفن في مقبرة الرياض آخر ساعة من يوم الجمعة، ثم أمر مشاري على نساء تركي وعياله ونساء فيصل وعياله أن يخرجوا من القصر فأخرجوهم، واستولى على ما في الخزائن من الأموال والسلاح، فقسم السلاح على خدامه وأعوانه، وفرّق شيئاً كثيراً من الدراهم والكسوة، وبايعه أهل البلدان وهم في بلدانهم أمر من يأخذ له البيعة منهم، ثم إن زويّداً هرب من الرياض وقصد فيصلاً، فوافاه في الأحساء.

وأما فيصلاً فإنه لما بلغه الخبر في القطيف أخفاه عن الناس، ورحل قافلاً وقصد الأحساء، وكان الأمير فيه من جهة أبيه عمر بن محمد بن عفيصان، فلما قدم الأحساء فشا ذلك في الناس، وكان معه رؤساء المسلمين وأعيانهم، منهم: الأمير عبدالله بن علي بن رشيد رئيس جبل شمر، وعبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن حسن رئيس بريدة، [وتركي]٥ الهزاني رئيس الحريق، وحمد بن يحيى بن غيهب أمير الوشم وغيرهم، ورجال من رؤساء العربان، فأرسل إليهم فيصلاً وأحضرهم عنده

=

=

ومعهم عمر بن عفيصان، فأخبرهم بالأمر، وأنه لابد من أخذه الثأر، فلما سمعوا كلامه أولئك الجماعة قاموا كلهم وبايعوه على السمع والطاعة.

ثم رحل من مكانه ودخل الأحساء، وساعده ابن عفيصان فيما أراد، فأمر بالتزود للمسير [بالزهاب والزهبة]٦ والسلاح والدراهم، ثم رحل من الأحساء بجنوده ورفع راياته وبنوده، وأعمى الله أخباره عن الباغين، فلم يعلموا صدوره ولا وروده.

فلما كان ليلة الثلاثاء تاسع عشر من المحرم نزل قريباً من بلد الرياض، وثوروا من البارود حتى كان له رعد عظيم وانقضاض، ومع ذلك فالباغي لا يسمعه ولا يشعر به ولا خطر على باله ولا تحدث به، ويرسل الرسل ليأتوه بالخبر فيرجعون إليه لا عين ولا أثر، ثم أمر على من كان معه من أهل الرياض يدخلون البلد في الليل ويمسكون البروج والبيوت المقابلة للقصر، وأمر على رجال من غيرهم ممن يثق بهم يسيرون معهم، فلما وصلوا إلى البلد وجدوا بروجها مملوءة من الرجال جعلهم مشاري فيها، فلما رأوهم وعرفوهم سكتوا عنهم وأدخلوهم البلد، وكل ذلك تقدمة لما قضاه رب العالمين، فدخلوا البيوت والبروج وضبطوها، فلما أحاطوا به عن مدارك الفرار شبوا النار بالبنادق وصاحوا بالثأر، فلم يفجأ مشاري وذويه إلا أصوات تلك الرجال وبنادقهم يثأرون عليه وإذا بهم وسط البيوت يعشرون ويثأرون بدم الإمام ويرمون، فلما رأى ذلك بهت وسقط في يديه، ونزل الذعر والرعب عليه، فأغلقوا الأبواب وصعدوا بروجهم للحرب، ولما كان بعد صلاة الصبح ركب فيصل من مكانه بالمسلمين ودخل الرياض، ونزل البيت، وفرق المسلمين٧ في البيوت وفي بروج البلد، وشب الحرب على من في القصر، وكان الذي فيه مع المشاري نحو مائة وأربعين رجلاً منهم سويد بن علي رئيس جلاجل، وتابع الحرب عليهم في الليل والنهار، ورماهم بالمدافع الكبار.

فلما كان ليلة الثلاثاء تاسع صفر نزل من القصر رجال من سبيع وغيرهم وأخبروا أنهم قد تخاذلوا ووقع في قلوبهم الرعب، فأتى رجال من أعيانهم إلى سويد وطلبوا منه أن يأخذ لهم أماناً من فيصل.

وفي ليلة الخميس حادي عشر صفر أرسل سويد إلى فيصل وطلب منه الأمان على نفسه وماله ومن كان عنده في القصر من الرجال سوى من باشر قتل الإمام أو ساعد في قتله، فأعطاهم الأمان على الصعود إليهم للقتال، فأتوا إلى القصر فرموا لهم الحبال، فصعدوا إليهم وهم أربعون من الرجال منهم عبدالله بن علي بن رشيد رئيس بلد شمر، وبداح رئيس آل جيش من العجمان، فتولوا عليهم في وسط القصر، وقصدوا مشاري وأعوانه في مكانهم فقتلوهم وهم ستة رجال، وأخرجوا جسد مشاري ورأسه خارج القصر ليعرف وينظر إليه. انتهى. كذا في عنوان المجد (٢٥٩/٢، ٢٨٠، ٢٩١-٢٩٥). (غازي).

١- في الأصل: وزاد. والتصويب من عنوان المجد (٢٩١/٢).

=

سعود طعن والده تركي وهو يصلي فقتله[١]، فعاد فيصل وكان معه عبدالله بن الرشيد، طرده من حائل أمراؤها يومئذ آل علي، فلاذ بآل سعود، فلما همَّ الجنود أبناء الرياض بالدخول إلى المدينة استفزت الحمية عبدالله، فاستأذن فيصلاً بأن يكون معهم، فأذن له فدخلوا الرياض بدون قتال، لأن أهلها كانوا من حزب تركي، وهجموا على القصر الذي تحصن فيه مشاري.

أما عبدالله بن الرشيد فقد سبق المهاجمين إلى برج من أبراج القصر فرأى فيه رجلاً اسمه سويد كان أميراً في جلاجل بسدير، وكان قد جاء يسلم على الإمام تركي دون أن يعلم بما حلَّ به، فرحب به مشاري وأنزله ذاك البرج في القصر.

قال عبدالله يخاطب سويداً: وما أدخلك أنت بآل سعود؟ فأجابه سويد: إني مغضوب[٢]، فقال عبدالله: إذا جئتك بالأمان من فيصل أترمي لنا حبلاً لنصعد إلى القصر، فقال سويد: إني من رجال تركي، وسأساعدكم على شرط أن يعطيني فيصل الأمان ويهبني نخل الداهنة.

تواثق الرجلان، ورمى سويد بحبل فصعد ابن الرشيد إلى القصر، وصعد وراءه عشرون من جنود فيصل، فتصادموا ورجال مشاري وتجالدوا، فجرح عبدالله في

=

٢- في هامش الأصل: أميرها من طرف الدولة العثمانية والأتراك. وكتبه: محمد نصيف.

٣- ما بين المعكوفين زيادة من عنوان المجد (٢/٢٩٢).

٤- يقصد بذلك الجيش السعودي.

٥- في الأصل: وترك. والتصويب من عنوان المجد (٢/٢٩٣).

٦- ما بين المعكوفين زيادة من عنوان المجد، الموضع السابق.

٧- يقصد بذلك الجيش السعودي.

والزهاب والزهبة: المئونة والتموين (من وثائق الملك عبدالعزيز- الملاحق ص:٥١٢).

(١) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:١٨-١٩).

(٢) مغضوب، أي: من فيصل.

يده جرحاً بليغاً شوهها، ولكنه ورجال فيصل استولوا على القصر[١] وحاقـوا بمشاري ومن معه فقتلوهم[٢].

سُرَّ فيصل خصوصاً بشجاعة عبدالله بن الرشيد، وعندما رأى جراحته قال له: لك مني ما تريد، فقال عبدالله: أطلب منك أن تأمّرني في حائل وأن تكون الإمارة لي ولعائلتي بعدي، فأجاب فيصل. فكان عبدالله هذا مؤسس إمارة بيت الرشيد.

ولما بلغ الحكومة المصرية ما حدث بالرياض أرسلت خورشيد باشا بعساكر كثيرة[٣] وكان معه خالد بن سعود، فعندما قرب الجيش من الرياض رحل فيصل

---

(١) في هامش الأصل: وذلك سنة ألف ومائتين وست وأربعين، وهو خطأ والصواب: ١٢٤٩هـ.

(٢) قال في عنوان المجد (٢/٣٠٩): ولما قتل مشاري وأعوانه وتفرّق شملهم دخل الإمام فيصل القصـر، وجلس على سرير الملك، ووفد عليه أمراء البلدان ورؤساء العربان، فهنوه وبايعوه. انتهى. (غازي).

(٣) إن أول ما ارسلت الحكومية المصرية العساكر إلى نجد كانت بقيادة إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ ثم تلتها حملة خليل أغا عام ١٢٣٦هـ ثم حملة حسين بك ومعه أبوش أغا ثم حسين بك أبو ظاهر سنة ١٢٣٧هـ ثم توقفت الحملات حتى سنة ١٢٥٢هـ نظراً لانشغال محمد علي في حروبـه في بلاد الشام وفي ذلك العام ارسلت حملة جديدة بقيادة إسماعيل أغا بك وخالد بن سعود وكان آخرها حملة خورشيد باشا سنة ١٢٥٤هـ وقد انسحبت جميع جيوش محمد علي من نجد بعد اتفاقية لندن سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م.

ولما وصلت العساكر التي مع خورشيد باشا إلى الينبع علم بخبرهم الإمام فيصل، فاستشار رؤسـاء المسلمين في المسير إليهم، فأشاروا بالنفير والمسير إلى القصيم والنزول فيه قبل وصول العساكر إليه، فركب من الرياض في آخر شوال ونزل الصريف -الماء المعروف قرب بلد التنومة من ناحية القصيم- فأقام فيه أكثر من شهر، ثم رحل إلى بلد عنيزة ونزلها، ثم سار بمن معه من المسلمين ونزل في رياض الخبرا، فأقام في ذلك المكان أكثر من عشرين يوماً وهو محارب [لعساكر] الترك، ولكن لم يحصل بينهم قتال.

ثم استشار الإمام رؤساء القادة السعوديين في الرحيل والمقام، فأشاروا عليه أن يأمر على أهل رحلته وذهابه وعليق خيله وجميع ثقله يرحلون الى بلد عنيزة، ثم يرحل بمن معه من السعوديين فيشن الغارة على بعض فرقان البدو الذين تابعوا العسكر، ثم يرجع قافلاً إلى عنيزة أو بريدة، فأمر الإمام =

=

على أهل الرحلة بالرحيل، فلما شدت رحائلهم ظن أناس من أطراف الغزو أن عليهـــم هزيمة فشالوا على رواحلهم ووقع في السعوديين فشل، ثم ركب فيصل بجنوده إلى عنيزة ونزلها، ثم اقتضى رأيه أن يرحل إلى بلده ويقضي الله بتقديره ما أراد من تدبيره، فرحل من عنيزة وأذن لأهل النواحي أن يرجعوا إلى أوطانهم، وقصد الرياض ومعه أهل الخرج والفرع، ومحمد بن قرملة رئيس قحطان، وأذن له في الرجوع حين وصل بلد ثادق.

فلما وصل فيصل بلد الرياض نزل بخيامه وأثقاله خارج البلد ومن معه من أهل الخرج وغيرهم، فدخل البلد على خيله، فرأى من أهل البلد ما يريبه، بل جاهره رجال بالعداوة، فأخذ فيصل يهيء ما في القصر من مال وسلاح وأمتعة وغيرها، فدخل عليه رجال من أهل الرياض وحدث عليه منهم ما أوقع في قلبه الخوف منهم، فبذل الدراهم لكل من حاذر منه، فلما بذل لهم سكتوا عنه، فأخرج جميع ما كان في القصر من كل غالي وجعله عند رحائله وخيامه خارج البلد مع غزوان أهل الجنوب، وأكثر ذلك أخرجه بخفية. ثم سار بجميع ما معه من الأموال والسلاح والأمتعة ومن الخيل نحو أربعمائة وعدد كثير من العمانيات النجائب إلى الخرج، ثم الى الأحساء. فلما وصل إليه نزل في الرقيقة، فخرج إليه عمر بن عفيصان ورؤساء أهل الأحساء وبايعوه على النصرة والقيام معه، ووفد عليه رؤساء العربان من مطير والعجمان والسهول وسبيع وغيرهم. هذا ما كان من أمر فيصل بن تركي.

وأما إسماعيل آغا وخالد بن سعود ومن معه من العساكر لما ارتحل فيصل من عنيزة رحلوا إليها، وقدم على خالد رؤساء أهل الرياض في عنيزة، وأطاعت له نجد إلا أهل الخرج والفرع وما والاهم.

فلما كان في آخر عاشوراء في سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف رحل إسماعيل وخالد وعساكر الترك من عنيزة وقصدوا الرياض، فوصلوه يوم السبت سابع صفر، ونزل إسماعيل وخالد في القصر، ونزل باقي العسكر خارج البلد، وقدم عليهم رؤساء البلدان وتابعوهم، وأرسلوا إلى الهزاني وأهل الحوطة يطلبون منهم المتابعة والقدوم إليهم، فأبوا عليهم، وكتبوا لخالد: إن كان الأمر لك ولا يأتينا في ناحيتنا عسكر من الترك فنحن رعية لكم، وإن كان الأمر للترك فنحن لهم محاربون، فغضب إسماعيل وأتباعه وقالوا: لا نرضى إلا بقتلهم ونهب أموالهم.

ثم أمر إسماعيل على الحدادين يعملون الفؤوس والفواريع، وأمر بالسير إليهم، وكتب خالد إلى أهل النواحي يأمرهم بالنفير لقتال أهل تلك الناحية، ثم إن خالداً استنفر أهل الرياض وخدامه وهم نحو أربعمائة رجل، فركب هو وإسماعيل بعساكر الترك وأتباعهم من العرب وساروا من الرياض في أول ربيع الآخر. فلما وصلوا الماء المعروف بالخفس أجمعوا رأيهم بالمسير إلى بلد الحلوة، فساروا من الخفس، قيل أنهم سبعة آلاف مقاتل من الترك والعرب، فقصدوا بلد الحلوة ونزلوا في حرة قرب البلد، وكان أهل الحلوة قد أخرجوا نساءهم وأبناءهم إلى الحوطة. فلما أقبلت عليهم تلك العساكر اجتمع أهل تلك الناحية وتعاهدوا على حرب الدولة وأتباعهم، وصعد أهل الحلوة الجبل لقتالهم، فوقع بينهم قتال من ارتفاع الشمس إلى بعد الظهر، فأتى إليهم مدد من أهل الحريق وأهل

=

=

الحوطة وغيرهم، وحصل مقتلة عظيمة على العسكر وأتباعهم، وأقبل تركي الهزاني بجمع عظيم وقصد يمنة العسكر وفي الخيالة والفرسان، وأقبل إبراهيم بن عبدالله بجموعه من أهل الحوطة وقصد ميسرهم وهم في رأس الجبل وفيه المدافع والعساكر، فحصل قتال شديد، واستولى إبراهيم وأتباعه على المدافع ورموها من رأس الجبل، فنزل النصر من السماء، وأول من انهزم الأعراب الذين مع العسكر، ثم وقعت الهزيمة على الباقين، وهلك أكثر تلك الجنود قتلاً وظمأً، وتفرقت الخيالة في الشعاب، فهلكوا فيها ليس لهم دليل، ونجا خالد بنفسه ومن معه من أهل نجد، وتبعهم إسماعيل والمعاون وشرذمة من الخيالة، وهربت الأعراب على رحائل العسكر وتركوا جميع محلاقم وأمتعتهم، وغنم أهل الحوطة جميع ما معهم من الأموال والسلاح والخيام، وذلك منتصف ربيع الآخر، ثم رحل خالد وإسماعيل ومن معهما من الدلم وقصدوا الرياض ودخلوها، ولما علم فيصل بهزيمة العسكر وقتلهم وهو في الأحساء خرج منه بعدده وعدته من أهل الأحساء وغيرهم، وكان معه رجال من عشيرته وخدامه هربوا معه من الرياض، فلما وصل بلد الخرج أمر على أهلها بالمسير معه، وأرسل إلى أهل الحوطة والحريق والفرع فأتوا إليه ومعهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن، فرحل من الخرج وقصد الرياض، فلما وصل إلى المصانع خرج إليه خالد وأهل الرياض وعساكر الترك، فحصل بينهم قتال شديد، وكان فيصل قد جعل أهل النجدة من قومه كميناً، فلما نشب بينهم الحرب ظهر عليهم الكمين فولّوا منهزمين، وقتل منهم قتلى كثيرة، وانهزم من أهل الرياض نحو مائتين ومعهم عدد من الترك، فقصدوا منفوحة؛ لأن المسلمين٢ حالوا بينهم وبين الرياض، فحصرهم فيصل فيها، فطلبوا منه الأمان عليهم وعلى أهل منفوحة ومن عندهم من الترك، فأعطاهم الأمان، فخرجوا إليه وصالحه أهل البلد وبايعوه، ونازل فيصل أهل الرياض واستدارت جنوده عليها، ونزلوا بيوت النخيل، واحتصر خالد وأعوانه في حلة البلد، وسدوا بيبانها بالطين، ورتبوا أهل الرياض ومقاتلتهم في وسط البلد، وقطع فيصل عنهم السبل، وأكلوا ما في البلد من الأغنام والإبل والبقر، وأكلوا كثيراً من خيل العسكر، ثم إن خالداً ورؤساء الترك أمروا بهدم البيوت التي لأعوان فيصل، فهدموها وأوقدوا بأخشابها، فلما كان في أثناء هذا الحرب ضاقت صدور أهل الرياض من كثرة ما عندهم من الناس الذين ليس فيهم نفع لهم في حربهم، ففتحوا لهم باب البلد وأخرجوهم منها، واستمر الحرب إلى سابع شعبان، ثم إن خالداً وفيصلاً تراسلا في طلب الصلح. فلما كان سابع عشر من الشهر المذكور تواعدا، فخرج فيصل من مكانه ذلك وخرج إليه خالد من الرياض وجلسا بين البلدين من صلاة الظهر إلى بعد العصر، فلم ينعقد بينهما صلح؛ لأن أهل نجد لا يرضون بولاية الترك ولا أتباعهم، فثارت الحرب بينهم.

وفي آخر هذه السنة قدم إلى نجد خورشيد باشا من مصر ونزل القصيم.

=

=

وفي سنة أربع وخمسين ومائتين وألف أرسل خورشيد باشا من القصيم عسكراً رئيسهم رجل كردي يقال له: ملاّ سليمان، ومعه حسن المعاون، فلما قدموا أمروا على إسماعيل أن يرحل بمن بقي معه من العسكر إلى مصر، فرحلوا ورحل معهم حسن المذكور، وقدموا بلد القصيم، ثم رحلوا إلى مصر.

وفي آخر صفر من هذه السنة أقبل خورشيد باشا من الخناكية بعساكره ونزل بلد عنيزة، فتابعوه ووفد عليه كثير من رؤساء العربان وأمراء القصيم.

وفي آخر رجب رحل الباشا بعساكره من عنيزة ونزل الوشم، ثم سار إلى الرياض، فركب معه خالد بأهل العارض وقصدوا بلد الدلم وفيها الإمام فيصل وقد ثبت لحربهم فوصلوا [نعجان]٣، ثم عزل الباشا جنوده من الترك والعرب وأقبلوا إلى الدلم صفاً واحداً، وجعلوا جبخانهم ورواحلهم ومن معهم من الأعراب خلفهم، وذلك خوفاً من الهزيمة، فخرج إليهم فيصل بجنوده، وحصل بينهم قتال شديد، وكان الباشا قد جعل كميناً من الخيل والعساكر، فظهر عليهم الكمين، فحصل على المسلمين٤ هزيمة، وقصدوا البلد، وقتل منهم عدة رجال، وقتل من العسكر وأتباعهم قتلى كثيرة، ثم إن فيصلاً جمع شجعان قومه وأبطالهم وأمرهم أن يحملوا على من في القصر، فحمل المسلمون٤ عليهم من كل جانب وحصل قتال شديد فهجم المسلمون٤ عليهم من كل جانب فيه وأخذوه عنوة، وقتلوا من الترك نحو خمسة وعشرين رجلاً وأسروا منهم اثنين وعشرين رجلاً، ثم إن الباشا ساق عليهم عساكره وحشد على هذا القصر بغاية الجد والاجتهاد، واستمر بينهم القتال والجلاد إلى أن حجز الليل بين الفريقين وستر الظلام بينهم من الأفقين، ثم انهزموا عن القصر وتركوه، وتبعهم عساكر الترك ودخلوه، وانفكت هذه الوقعة عن قتلى وجرحى بين الفريقين.

ثم إن عمر بن عفيصان أمير الأحساء أقبل بجنود كثيرة من الأحساء ونزل بلد السلمية المعروفة في الخرج، وأرسل إلى فيصل يخبره بقدومه، [وواعده]٤ أن يحمل على الترك من جهته، ويحمل هو ومن معه عليهم من جهتهم، فساروا إلى العسكر من كل جهة وذلك في سابع رمضان، فحصل في العسكر رهق وخوف، وجالوا للهزيمة، وبعد ذلك ثبتوا، وانفكت هذه الوقعة عن قتلى وجرحى بين الفريقين.

ثم قصد ابن عفيصان ومن معه بلد زميقة، فلما دخلوها وقع فيهم خلل وفشل وتنافس وتخاذل، فرحل أهل الحوطة إلى بلادهم، وتبعهم أهل الحريق. فلما رحلت تلك الجنود من زميقة وقع الرعب في قلوب أهلها، فهربوا منها بنسائهم وعيالهم وتركوها خاوية على عروشها، وفيها من البر والشعير والتمر والأمتعة والمواشي ما لا يحصى، فذهب البشير إلى الباشا، فأرسل إليها حسين اليازجي ومعه عسكر ورجال من العرب فأخذوا جميع ما فيها، ثم إنه وقع فيمن كان في بلد الدلم خلل وخوف، وكاتب أناس منهم الباشا وطلبوا الصلح، وأرسل فيصل إبراهيم أبو [ظهير]٥ إلى

=

إلى الدلم في بلاد الخرج لخلاف كان بينه وبين أهل الرياض، فلم ير من الحكمة أن يحاصر فيها، وتعقبه خورشيد بجيشه وحاصره هناك، فثبت فيصل أربعين يوماً في الدفاع، ولكنه عندما اشتد الحصار عرض على خورشيد أن يسلم نفسه بشرط أن يعفوا القائد عن الأهالي ويؤمنهم على أرواحهم وأموالهم، فقبل خورشيد ذلك، فسلم فيصل ما كان معه من عتاد الحرب إلى أهل الخرج، ثم سلّم نفسه إلى القائد في ٢٣ رمضان سنة ١٢٥٤، فبرّ بوعده إذ عفى عن الأهالي، وقد أحسن معاملة فيصل، فاستصحبه إلى مصر، وبعد ما وصل هناك وضعوه في قلعة بقرب السويس[1]، وولى مكانه خالد بن سعود ، وخالد هذا هو أخو عبدالله من جارية

=

الباشا في الصلح، فأجابه إلى كل ما طلب إلا أنه يسافر إلى محمد علي في مصر فيجلس عنده مع عشيرته الذين في مصر، فخرج فيصل إلى الباشا وصالحه على دماء أهل الدلم [وأموالهم وعلى من كان معه من أهل العارض وغيرهم، فدخل فيصل الدلم]٦ وقضى حاجاته منها، ثم خرج إلى الباشا وأقام نحو أربعة أيام، فجهز الباشا حسن اليازجي٧ وعسكره فرحلوا بفيصل وأخيه جلوي وابن أخيه عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله، وولدي فيصل؛ عبدالله، ومحمد، وقدموا بهم مصر، فأنزلوا فيصلاً في بيت وجعلوا عنده حرساً يحفظونه. انتهى. كذا في عنوان المجد (٢/٣١٣-٣٢٨). (غازي).

١- في الأصل: بعساكر. والتصويب من عنوان المجد (٢/٣١٤).
٢- يقصد بذلك الجيش السعودي.
٣- في الأصل: العجمان. والمثبت من عنوان المجد (٢/٣٢٥)
٤- يقصد الجيش السعودي.
٥- في الأصل: وواعدوه. والتصويب من عنوان المجد (٢/٣٢٦).
٦- في الأصل: ظهيرة. والتصويب من عنوان المجد (٢/٣٢٧).
٧- ما بين المعكوفين زيادة من عنوان المجد، الموضع السابق.
٨- سبقت قبل عدة أسطر: حسين.

(١) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:١٩-٢٣).

حبشية. كان متوقد الذهن، رقيق الشعور، مسترسلاً في اللهو واللذات. نشأ في ذرى محمد علي فتمصّر، وجاء يحكم في نجد حكماً عصرياً، فنفر النجديون منه وعدُّوه أجنبياً، فخلعوه بعد أن قاوموه سنتين، فتولى الإمارة بعده عبدالله(1)

(١) كان عبدالله بن ثنيان هذا في الرياض مع خالد بن سعود، فهرب من الرياض إلى المنتفق سنة ألف ومائتين وسبع وخمسين، وصار عند عيسى بن محمد رئيس المنتفق، وكتب إلى أهل الحريق والحوطة والحلوة، وذكر لهم أنه يريد إخراج العساكر في نجد، وكان الشيخ عبدالرحمن بن حسن وعلي بن حسين وعبدالملك بن حسين وبنوهم إذ ذاك في الحوطة والحريق هاربين من الترك، فوعدوه النصرة، فلما علم بذلك خالد أرسل إلى رؤساء سبيع وقال لهم: اذهبوا إلى ابن ثنيان وأعطوه الأمان، فلما وصلوا إليه أبى عليهم وقال: لابد من حربه، ثم [إنه]١ شمّر يدعو الناس إلى القيام معه، فقدم عليه رجال من آل شامر وغيرهم، فلما علم خالد أنه مصمم على حربه داخله الجبن، وكتب [إلى]٢ أهل النواحي يأمرهم بالغزو، فتثاقلوا عليه، ولم يأته إلا أهل الخرج وأهل سدير، وقليل من أهل المحمل وغيرهم، فلما قدموا عليه في الرياض أمر على أهل الرياض ممن كان يحاذر منه أن يغزون معه، وخرج من الرياض قاصداً الأحساء.
ثم إن ابن ثنيان سار إلى ضرمى، ومنها قصد بلد عرقة، وقدم عليه سعد بن تركي الهزاني في سبعين رجلاً من أهل الحريق، فأمر ابن ثنيان من معه أن يزحفوا إلى البلد، فزحفوا إليها وأخذوها عنوة ونهبوها، فلما تم له هذا الأمر كتب إلى أهل البلدان يدعوهم إلى متابعته ونصرته، ثم رحل ابن ثنيان بجنوده ونزلها.
وفي هذه المدة [وأهل]٣ الرياض يتابعون الرسل إلى خالد ويستحثونه وهو لا يرفع لهم رأساً، فأتى إليه رؤساء أهل الرياض الذين معه وقالوا له: إن هذا الأمر قد وقع في ناحيتنا، فإما أن تخرج معنا أو تأذن لنا في الخروج، فأمر خالد على زويّد العبد أن يسير معهم، فساروا من الأحساء في نحو ثلاثمائة مطية، فقدموا الرياض في شوال ووقع بينهم وبين ابن ثنيان القتال.
ثم إن أهل الرياض ساروا بعساكرهم إلى منفوحة، وحصل بينهم وبين ابن ثنيان فيها قتال شديد، قتل فيها رجال من الفريقين، وانحصر ابن ثنيان في منفوحة. ثم إن أهل الرياض لما حصروا ابن ثنيان في منفوحة يومهم ذلك وحجز الظلام رجعوا إلى بلدهم، فتبعهم ابن ثنيان وهم لا يعلمون، فلما قرب من جدار الرياض وفرغ من صلاة المغرب قال لأصحابه: إنكم داخلون هذه البلاد إن شاء الله، فعليكم بالصدق في الجلاد، فساروا فوافاهم رجال من أهل دخنة فأدخلوهم البلد ومقاتلة أهل الرياض وعساكرهم، [وما]٤ وضعوا سلاحهم يعرضون ويغنون ويلعبون، ولم يعلموا بدخول ابن ثنيان البلد، فلم يفجأهم إلا وابن ثنيان شاهر سيفه وقد أقبل إليهم في رجاله من الشجعان، فهرب =

أكثر الناس إلى بيوتهم، وفزع الترك والمغاربة وبعض خدام خالد، فباشر ابن ثنيان بنفسه القتال وشج، ثم ولّوا مدبرين ودخلوا قصرهم فأغلقوه عليهم أجمعين، ثم دخل ابن ثنيان بيت آل عياف وجلس فيه، وأتى إليه رؤساء البلد فبايعوه، وأرسل إلى ابن عفيصان ومن معه فأتوا إليه وأطاعوه، ثم أرسل [إلى]٥ من في القصر من الترك والمغاربة فأعطاهم الأمان، وأنهم يرحلون البلد ولا يبقى فيها منهم أحد، فخرجوا منها وسكنت البلاد.

وأما خالد فإنه لما رأى الأمر انتقل إلى غيره وهو إذ ذاك في الأحساء، أمر على من بقي من رجاله وعساكر الترك وقال لهم: نريد أن نعمل قوة للحرب فأتوا بخيلكم وركابكم. ثم خرج بهم من الأحساء، وهرب وترك شيئاً من ثقله وخيامه وقصد [الدمام]٦ المعروف في القطيف، فنزل فيه هو ومن معه، فهرب عنه أكثر خدامه ورجاله، فهرب هو إلى الكويت، ومنه إلى القصيم، ثم إلى مكة المشرفة٧.

وفي أول سنة تسع وخمسين ومائتين وألف نزل الإمام فيصل من حبسه بحبال ومعه أخوه جلوي، وابن عمه عبدالله بن إبراهيم، وابنه عبدالله، وكانت العساكر رصداً عليهم في مدخلهم ومخرجهم، والفُرْجَة التي نزلوا منها كانت أكثر من سبعين ذراعاً عن الأرض، فحفظهم الله تعالى إلى أن وصلوا الأرض، وكانوا قد واعدوا ركائب تحتهم فركبوها، وذلك في الليل، فساروا إلى جبل شمر، وأرسلوا إلى عبدالله بن علي بن رشيد يخبرونه بمجيئهم، فتلقاهم بالرجال والرحائل، ودخلوا بلدة حائل، فقابلهم بالتكريم والإكرام وقال: أبشروا بالمال والرجال، والمسير معكم والقتال.

فلما بلغ عبدالله بن ثنيان هذا الخبر أبان لخاصته، فأشاروا إليه أن يرسل رعاياه ويستنفرهم حاضرهم وباديهم، وأنهم إذا سمعوا بخروجك لم يجيبوا لمناديهم، فخرج من الرياض يوم الجمعة ومعه غزو أهل العارض، فنزل [بنبان]٨ وأقام فيه أياماً، وورد عليه من فيصل مراسلات.

وكان فيصل لما نزل الجبل أرسل رجالاً بمراسلات إلى أهل البلدان، فأوصلوها خفية إليهم. فلما وصلت إلى ابن ثنيان مراسلات فيصل جعل يدير الرأي، فأجمع أمره أنه يرسل هدية إلى فيصل ويستدعيه إليه لعله يصير عنده وبين يديه، ثم إنه أرسل علي بن عبدالله أمير ضرمى بهدية إلى فيصل، فقدم بها عليه في الجبل، فأخذها ولم يعبأ بقوة صاحبها.

ثم إن ابن ثنيان رحل إلى أرض سدير، فوافاه رسول عبدالعزيز بن محمد رئيس بريدة يستدعوه إليه ويعطيه العهود والمواثيق على القيام معه والنصرة. وسبب ذلك: أن بين أهل القصيم وبين ابن رشيد عداوة عظيمة، فظن أنهم إذا صاروا يداً واحدة مع هذا الشجاع المطاع أدركوا الثأر، ويأبى الله إلا ما أراد. فرحل ابن ثنيان وقصد بريدة، فنزل بجنوده خارج البلد، فخرج إليه عبدالعزيز وبايعه.

فلما علم بذلك رئيس عنيزة عبدالله بن سليمان بن زامل جمع رؤساء بلده وشاورهم في هذا الأمر، وكان فيهم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين وابنه عبدالعزيز، فغلب الرأي منهم أنهم يرسلون

=

عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله إلى فيصل ويبايعه لهم ويقبل به إليهم، فركب عبدالعزيز في رجال معه فوافاه في الكهفة، وأمره أن يرحل إلى عنيزة وأن أهلها له في السمع والطاعة، فرحل من مكانه ذلك وقصد عنيزة، فلما علم بذلك ابن ثنيان نهض بجنوده من بريدة وترك خيامه وأثقاله ورصد لهم على طريقهم، فعمي عليهم الخبر، وسار فيصل وأصحابه على غير مصدرهم، ودخلوا عنيزة آخر الليل، فلم يفجأ ابن ثنيان وجنوده إلا ضرب البنادق في البلد واللعب والغناء، فعلم أن الأمر قد فاته، فرجع إلى خيامه وتبدد من قومه رجال من رؤساء أهل الجنوب٩ وسدير وغيرهم، وقصدوا فيصلاً في عنيزة.

ثم إن ابن ثنيان لما وصل بريدة أمرهم بالرحيل، وذكر لجنوده أنه يريد عنيزة محارباً، فرحل وقصد المذنب منهزماً إلى الرياض، ولما وصل الوشم تفرقت عنه جنوده، وقصد أهل النواحي بلدانهم، وهو قصد الرياض، ودخله وفرق السلاح والأموال، وهدم البيوت التي حول القصر، وتأهب للحصار، ورتب البلاد ومرابيعها، وجعل في كل موضع رجالاً وأمَّر فيهم أميراً.

وأما فيصل فإنه لما استقر في عنيزة وبايعه أهلها ووفد عليه رجال من بلدان القصيم ورؤساء العربان رحل من عنيزة وقصد الوشم، ونزل بلد شقرا، فبايعه أهلها وأهل الوشم، ثم رحل منها وقدم حريملا وأقام فيها أياماً، وقدم عليه فيها أمراء سدير بغزوهم، ووفد عليه رؤساء السهول وسبيع والعجمان وغيرهم، وكتب [إلى]١٠ عبدالله بن ثنيان يدعوه إلى المصالحة وحقن الدماء بين المسلمين، وأنه يخرج من الرياض بما عنده من الخيل والركاب والسلاح والأموال والرجال، وليس له معارض، وينزل أي بلد شاء في نجد أو غيرها، وله مع ذلك من الخراج كل سنة ما يكفيه، فأبى ذلك ولم يرض إلا بالحرب، فرحل فيصل من حريملا، ورحل معه أميرها حمد بن مبارك، والشيخ محمد بن مقرن، ونزل بلد سدوس، وكتب إلى أمير [منفوحة]١١ سليمان بن إبراهيم بن سعيد يطلبه المتابعة والنزول عنده، فأجابه إلى ذلك، فرحل فيصل من سدوس ونزل منفوحة فأقام فيها أياماً، ولم يقع بينه وبين أهل الرياض حرب، والرسل بينه وبين أناس من رؤساء الرياض خفية.

فلما كان ليلة الخميس لستٍّ بقين من ربيع الثاني جهّز فيصل رجالاً من شجعان قومه مع أخيه جلوي، وأمرهم يدخلون البلد وذلك بممالاة من رؤسائها، فأقبل جلوي ومن معه ودخلوا مع باب دخنة، وكان ابن ثنيان يخرج من القصر برجال معه يدوررن البلد، فلما بلغه دخول هؤلاء انصرف إلى القصر واحتصر فيه، وقصد جلوي وأصحابه البيوت التي تقابل القصر وقاموا يرمون من في القصر، فأغلق ابن ثنيان وأصحابه باب القصر، ثم سدّوه بالطين، ثم دخل الإمام فيصل الرياض ونزل بيت مشاري بن عبدالرحمن، فوقع الحرب نحو عشرين يوماً، وقدم على فيصل أهل الخرج

=

ابن ثنيان ابن إبراهيم بن ثنيان بن سعود، فلما بلغ هذا الخبر لفيصل بن تركي صار يدبر الأمر في هربه من مصر ليصل إلى نجد وينتزع الملك من عبدالله بن ثنيان، فسهّل الله له ذلك بإعانة عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا، وكان

=

والفرع ومعهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن. هذا وجنود فيصل من شمر وغيرهم خارج البلد، وليس في البلد إلا المقاتلة من أهل العارض، وقدم عليه رؤساء سبيع.

ثم إن ابن ثنيان خرج ذات ليلة من القصر، فوافاه رجال فأمسكوه وأتوا به إلى فيصل، فأخذ سلاحه وحبسه، وأخذ القصر عنوة، وعفى عمن فيه من الرجال، وأخذ جميع أموال ابن ثنيان، وصار محبوساً في بيت من بيوت القصر وعنده حرس يحفظونه، ونزل فيصل القصر وبايعه المسلمون، وسكنت الفتنة، واستقامت الأمور.

وفي منتصف جمادى الآخرة يوم الجمعة سنة [١٢٥٩]١٢ توفي عبدالله بن ثنيان في الحبس، وجهزه الإمام، وصلّى عليه والمسلمون، وظهر مع جنازته، ودفن في مقبرة الرياض. اهـ عنوان المجد (٢/٣٣٦-٣٤٠، ٣٤٣-٣٤٦). (غازي).

١- في الأصل: أن. والتصويب من عنوان المجد (٢/٣٣٧).

٢- في الأصل: على. والتصويب من عنوان المجد، الموضع السابق.

٣- في الأصل: أهل. والتصويب من عنوان المجد (٢/٣٣٨).

٤- في الأصل: ما. والتصويب من عنوان المجد، الموضع السابق.

٥- قوله: "إلى" زيادة من عنوان المجد (٢/٣٣٩).

٦- في الأصل: الذمام. والتصويب من عنوان المجد (٢/٣٤٠).

٧- توفي خالد بمدينة جدة في حدود سنة ١٢٦٥ (هامش عنوان المجد ٢/٣٤٠).

٨- في الأصل: بيان. والتصويب من عنوان المجد (٢/٣٤٤).

٩- جنوب نجد.

١٠- في الأصل: على. والتصويب من عنوان المجد (٢/٣٤٥).

١١- في الأصل: منفوخة. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من عنوان المجد، الموضع السابق.

١٢- لم تكتب السنة في الأصل، والمثبت من عنوان المجد (٢/٣٤٦).

الأمر في ذلك الوقت لمحمد علي باشا ولابنه إبراهيم باشا، وليس لعباس باشا شيء من الأمر، إلا أنه كان محبباً عند جدّه محمد علي باشا، مسموع الكلمة عند رجال دولته، وكان يجتمع كثيراً بفيصل بن تركي وهو محبوس[١]، فقال له فيصل يوماً: إن نجداً صارت بيد عبدالله بن ثنيان، فلو أتخلص من الحبس وأصل إلى نجد أنتزع الملك منه إن شاء الله تعالى وأصير خادماً لأفندينا تحت أمره، فوعده عباس باشا بأنه يدبر هذا الأمر له، وأمره بكتمانه. ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلاً خفية ووضعها بموضع بعيد عن مصر، واحتال في إخراجه من القلعة المحبوس فيها بمواطأة مع البوّاب سرّاً، فخرج في ليلة ووصل إلى الموضع التي فيها الركائب والخيل هو وبعض أتباعه، وركبوها وتوجهوا إلى نجد، وبعد يومين بلغ خبر هروبه إبراهيم باشا، فأركب كثيراً من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه، وكان ممن ركب معهم عباس باشا، فساروا يومين فلم يدركوه، فرجعوا، ولم يزل فيصل سائراً هو ومن معه إلى أن وصلوا جبل شمر، وقصدوا ابن رشيد أمير جبل شمر، فأضافهم وأكرمهم وأحسن نزلهم، ثم سار بكثير من قومه معهم وقصدوا القصيم، فلما وصلوا القصيم قابلهم أهله وأضافوهم وأكرموا نزلهم، وساروا معهم بكثير من قومهم معهم، فصار الجميع جيشاً، فقصدوا عبدالله بن ثنيان وهو في الرياض فقاتلوه وحصروه إلى أن قبضوا عليه وحبسوه، ثم قتل خنقاً في الحبس. هكذا مذكوراً في خلاصة الكلام[٢].

وفي تاريخ نجد الحديث[٣]: وحاصر فيصل ابن ثنيان في الرياض عدة أيام،

---

(١) في هامش الأصل: محبوس في مصر لا يخرج من البلاد تحت المراقبة والحرس يترصدونه. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) خلاصة الكلام (ص:٣١٢-٣١٣).

(٣) تاريخ نجد الحديث (ص:٩٥-١٠٦، ١١٧-١٢٦، ١٢٨-١٣٢).

ثم صفح عنه وأعطاه الأمان، ثم بعد ذلك أصيب بمرض أودى بحياته، وكان ذلك سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف، واستقل فيصل بالملك، واستقامت له الأمور، وأحسن التدبير، وأحسن العلاقات مع الدولة، ومع مصر[١]، وبسط سيادته على الشطر الأكبر من شبه الجزيرة، فدانت له الأحساء، والقطيف، ووادي الدواسر، وعسير، والجبل، والقصيم.

وفي زمانه كانت سياحة بالغراف[٢] إلى نجد سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، وكان مع بالغراف في تلك السياحة رجل من زحلة بلبنان صار فيما بعد كاهناً ثم مطراناً ثم بطريركاً على الروم الكاثوليك، هو البطريري بطرس الجريجيري. وقد روى يومئذ أنهم دعوا ابن سعود[٣] لتأسيس علاقة مع بعض دول أوروبا على أن هذه تساعده على الدولة العثمانية، فأجابهم: إنني وإن كنت عدواً لسلطان استانبول فلا أرضى أن أستعين عليه بالأجنبي. روى ذلك من سمعه من فم البطريرك الجريجيري.

ولما شرع فيصل بتهديد أهل البحرين وعُمان خشيت إنكلترا من أن يستولي النجديون على السواحل فيضروا تجارتها، فصدت تهديداتهم ببعض الحركات البحرية، ثم عقدت إنكلترا مع آل سعود مقاولة لمدة مائة سنة اشترطت بها على آل سعود أن لا يأتوا بعمل ما من شأنه الإضرار

(١) في هامش الأصل: وكان عباس باشا الأول والي مصر صديقاً للإمام فيصل، وهو السبب في خروجه من مصر إلى نجد كما سبق قبل هذا، فكانت العلاقات حسنة بين نجد ومصر. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) الاسم الصحيح له وليم بلجريف (١٨٢٦-١٨٨٨م) انجليزي قدم إلى الجزيرة العربية بمعية بطرس الجريجيري وكان يجيد اللغة العربية، اشتغل بالتنصير والسياسة واتصل بابن رشيد والإمام فيصل بن تركي وهرب بعد أن انكشف أمره. انظر ترجمته في: عبدالله آدم نصيف، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ١٤٠٩هـ، ص٦٧-٧٦.

(٣) المقصود بابن سعود هنا هو: الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود.

بالتجارة البحرية والمسافرين(١).

ولما توفي فيصل خلفه ابنه عبدالله الذي أراد الاستيلاء على سلطنة مسقط، فصدته إنكلترا عن ذلك، واستمر فيصل في إمارته إلى أن توفي سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف، وأصابه في آخر عمره غشاوة في عينيه فصار لا يبصر، فكان يوقف عنده بعض خدمه يعرفونه الناس ويخبرونه بكل من أقبل الدخول عليه قبل أن يصل إليه، ولما توفي فيصل قام بالأمر بعده ابنه عبدالله، فثار عليه أخوه سعود، واجتمع العجمان حوله ينصرونه على أخيه، وانضم إليهم عدد كبير من الدواسر بني مرة، وكان محمد بن فيصل مع أخيه عبدالله على أخيه سعود، فاحتربوا في وقعة المُعْتَلَى(٢)، فجرح سعود وانهزم، ثم سار بعد أن داوى جرحه عند أهل (بني)(٣) مرة إلى عُمان يستنجد صاحبها، فلم ينجده، وراح من عُمان إلى البحرين فلبّاه شيخها، ثم حالف العجمان في الأحساء، وكانت الغلبة لسعود، وأسر محمد فاعتقل في القطيف. ثم دعا سعود أهل الأحساء للمبايعة فجاؤوه على عين جودة(٤) مبايعين.

---

(١) في هامش الأصل: وأن يرفعوا يدهم عن أمراء الخليج العربي وهي عمان، ورأس الخيمة، والشارقة، ودبي، وأبو ظبي، بمعنى أنهم أمراء مستقلين عن آل سعود تحت الحماية البريطانية، وصارت الحكومة الإنكليزية هي [المسيطرة]١ على الجميع. وكتبه: محمد نصيف.

١- في الأصل: استطرد. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) المعتلى: قرية ذات نخيل ومزارع، من قرى وادي الدواسر، تبعد عن القاعدة خمسة أكيال وتقع منها جنوباً إلى الشرق، وسكانها مخاريم أحد أفخاذ الدواسر، وبها جرت الوقعة المشهورة بوقعة المعتلى سنة ١٢٨٣هـ في الفتنة التي وقعت بين عبدالله بن فيصل وأخيه سعود (معجم اليمامة ٣٧٧/٢).

(٣) (بني) زيادة من المحقق لسلامة المعنى.

(٤) وهو مورد ماء يقع بين الأحساء والرياض.

وبعد وقعة الجودة احتلّ مدحت باشا -[وكان][1] يومئذ والي بغداد- الأحساء، وذلك بمساعدة عربان الكويت الذين جاؤوا بحراً إلى العقير وبراً إلى القطيف بقيادة الشيخ مبارك الصباح. وفي احتلال الأحساء في هذه السنة قطع مدحت باشا الصلة بين نجد وعمان، ووسع ثلمة العداء بين سعود وأخويه، فأطلق محمداً من سجنه في القطيف، ووعد عبدالله بأن يعيّنه قائم مقام ولاية نجد، ولكن عبدالله خشي الخدعة -قيل: إن مدحت كان ينوي القبض عليه- ففرّ هارباً إلى الرياض، فاستقبله أهلها مرحبين مهللين. ولكن سروره لم يدم طويلاً، فقد زحف سعود في السنة نفسها -أي سنة ١٢٨٨هـ- إلى الرياض فدخلها ظافراً، ونهب رجاله المدينة، ثم كتب إلى رؤساء البلدان أن يقدموا إليه للمبايعة فجاؤوا يبايعون.

أما عبدالله فكان قد جمع بدو قحطان وانسحب إلى وادي حنيفة، فتعقبه سعود بجيش من آل مرة، والعجمان، وسبيع، والسهول، والدواسر، وبعد وقعة[2] البرّه انهزم عبدالله وعاد إلى الأحساء، ثم قام أهل الرياض على سعود فأخرجوه -بعد أن أمّنوه على حياته- من المدينة، ثم تولى الحكم فيها عمه عبدالله بن تركي، ورحل سعود إلى الدلم بالخرج، ومنها إلى الأحساء يستنهض العجمان وآل مرة على الترك، فاجتمع حوله جيش من تلك البوادي وهجموا على الأحساء، فخرج الترك إليه في الحويرة وبادروا القتال فهزموه، ثم عاد يقطع الدهناء إلى الأفلاج، وحمل على أخيه الآخر وأبناء عمه هناك، فانتصر في وقعة الدلم التي فرّ منها محمد ابن فيصل هارباً، وأسر فيها عبدالله بن تركي الذي

---

(١) قوله: "وكان" زيادة من تاريخ نجد (ص:٩٩).
(٢) في الأصل زيادة: في. انظر: تاريخ نجد، الموضع السابق.

مات بعد أيام قليلة في السجن. واستمر النصر بعد ذلك حليفاً لسعود، فحارب أهل ضرمة وهزمهم، ثم أهل حريملا فأدخلهم في طاعته، ثم أعاد الكَرَّة على الرياض سنة ١٢٩٠هـ، وكان أخوه عبدالله قد عاد إليها، فخرج وأهلها عليه، فاحتربوا في الجزعة وكانوا مهزومين. ثم ارتحل بعد ذلك عبدالله ومعه بعض خدامه إلى ناحية الكويت، فأقام على ماء الصبيحية هناك عند بادية قحطان، ودخل سعود الرياض، ثم أمر رؤساء البلد أن يقدموا إليه ويبايعوه، ففعلوا.

وفي سنة ١٢٩٠هـ نهض عبدالرحمن بن فيصل(١) بحلف من العجمان وآل مرة يريد إخراج الترك من الأحساء، فهجم عليهم هناك، وكاد يظفر ببغيته لولا نجدة جاء بها ابن السعدون من العراق، فكسرت العجمان [وشتتت](٢) شملهم، وعاد عبدالرحمن إلى الرياض سنة ١٢٩١هـ فألفى سعوداً في القصر مريضاً، وقد توفي في هذه السنة(٣)، فتولى الإمارة بعده عبدالرحمن بن فيصل، وكان أخواه عبدالله ومحمد إذ ذاك مع بادية عتيبة.

جاء محمد بجيش من عتيبة يحارب عبدالرحمن، فحشد عبدالرحمن جيشاً من أهل الرياض والخرج وبوادي العجمان ومطير ليحارب محمداً، وقد التقى الجيشان في ثرمدا، فكانت هناك وقعة تلاها صلح بين الأخوين.

أما أبناء سعود فقد كانوا مع عبدالرحمن في هذه الواقعة، ثم انقلبوا عليه، فراح يقصد أخاه الأكبر عبدالله -وهو يومئذ في بادية عتيبة- فأكرمه، وعاد

---

(١) في هامش الأصل: عبدالرحمن بن فيصل هو والد الملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) في الأصل: وشتت. والتصويب من تاريخ نجد (ص: ١٠٠).

(٣) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص: ٢٤-٤٢).

وإياه إلى الرياض لمحاربة أبناء أخيهما الثائرين، على أنه لم يدركوهم في المدينة، لأنهم كانوا قد انسحبوا منها وارتحلوا إلى الخرج، فأقاموا هناك.

صفا الجو لعبدالله، فكان الأخوان محمد وعبدالرحمن مطيعين لأخيهما الإمام، ثم في سنة ١٢٩٩ طمع محمد بن الرشيد في الاستيلاء على نجد، وذلك بعد واقعة بريدة التي حصلت بين آل عليان وآل مهنا.

وتفصيل هذه الواقعة[١]: أن بريدة التي كانت في الماضي ماءً لآل هذّال من شيوخ عنـــزة، فاشتراها منهم سنة ٩٥٨هـــ راشد الدريبي العَنْقَري التميمي من آل عليان، ثم عمّرها وسكنها ومن معه من عشيرته، فاستمرت رئاستهم فيها إلى أن تغلب عليهم آل مهنا من عنـــزة في آخر القرن الثالث عشر، ولكن آل عليان ظلوا يدسون الدسائس لآل مهنا ويستنجدون بهذا أو ذاك عليهم، فأفضى العداء إلى قتل مهنا أبا الخيل في عهد عبدالله، فكتب أولاده إلى الإمام يشكون الأمر إليه، فلم يسمع شكايتهم، بل انحاز إلى آل عليان.

أما آل مهنا فاستنجدوا بالأمير محمد بن رشيد، فجاء هذا بريدة وطفق يحفر تحت سيادة ابن سعود، وعندما حدث الخلاف بين الإمام عبدالله وبين أهل المجمعة فأدى إلى الحرب كان محمد بن رشيد قد اتفق وأهل ذاك البلد على أن يكون حليفهم وحاميهم، وأن يكونوا من رعاياه، فاستنجدوه عندما بلغهم خبر قدوم عبدالله بن فيصل، فبادر إلى نجدهم بجيش مؤلف من بوادي شمّر وحرب، وعندما وصل إلى بريدة انضم إليه أميرها حسن آل مهنا أبا الخيل ومعه جند من القصيم، ثم زحفوا إلى الزلفي، وكان عبدالله ومن معه من أهل المحمل وسدير

---

(١) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:٤٥-٤٧).

والوشم وبادية عتيبة قد عسكروا في ضرمة، فلما علموا بتحالف ابن رشيد وابن مهنا وزحفهما إلى الزلفي انسحبوا من ضرمة، وعادوا إلى الرياض، ودخل ابن رشيد المجمعة، وأمّر عليها أحد رجاله، ثم أعاد الإمام عبدالله الكَرَّة على المجمعة، فاستغاث أهلها بأمير الجبل ابن رشيد وأمير بريدة ابن مهنا، فأغاثاهما، فأدى ذلك إلى وقعة بينهم وبين الإمام كانت الغلبة فيها لابن رشيد الذي كتب بعد ذلك إلى رؤساء البلدان في الوشم وسدير يدعوهم إليه في الحمادة مكان الواقعة، فجاؤوه طائعين، فعزلهم من وظائفهم، وأمّر في كل بلد من بلدانهم واحداً من رجاله.

وبعد هذه الوقعة بعث الإمام عبد الله بأخيه محمد رسولاً إلى ابن رشيد، فأكرمه وتفاوض وإياه، وقد عاد محمد من حائل يحمل إلى أخيه من أمير الجبل هدية، وتعهدا بأن يترك له بلدان الوشم وسدير، فبادر الإمام إلى عزل من أراد [عزله][1] في تلك البلدان، فزاد ذلك في الشقاق والتخاذل، إذ لم يستقم نفوذ ابن سعود[2] فيها ولا تقلص نفوذ ابن رشيد.

أما أولاد سعود بن فيصل الذين نزحوا إلى الخرج فقد قام منهم محمد ينصر عمه عبد الله، فحشد جيشاً من عتيبة، وراح يطلب الخصم الجديد ابن رشيد، فالتقى به عند ماء يسمى: عروة، فنازله هناك وكان مهزوماً. هذه هي بداية العداء بين ابن رشيد وبين أولاد سعود بن فيصل، ولكنهم لم يكونوا يداً واحدة على خصمهم، فقد قاموا في هذه السنة على عمهم الإمام عبد الله يحاولون انتزاع الحكم منه، فقبضوا عليه وألقوه في السجن، فجاء ابن رشيد يقطف على

(١) في الأصل: بعزله: والتصويب من تاريخ نجد (ص:١٠٣).
(٢) ابن سعود هنا هو: الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود.

عادته ثمار الخلاف. جاء فزعاً كما ادّعى، وكان قد كتب إلى رؤساء البلدان في نجد يشجب عمل أولاد سعود ويدعو لنصرة عمهم عبدالله، فلبّى الناس دعوته ومشوا معه إلى الرياض، فخرج إليهم عندما دنوا منها وفد للمفاوضة يرأسه عبد الرحمن بن فيصل، فقال ابن رشيد: ما قصدي والله غير أن أخرج عبدالله من السجن، وأن تكون الولاية في بلدكم لكم يا آل سعود. ثم عاهدهم على ذلك.

أما أولاد سعود بن فيصل فلما رأوا اتّحاد الناس عليهم طلبوا من ابن رشيد الأمان، فأمّنهم على دمائهم وأموالهم، فعادوا إلى الخرج، وبعد أن دخل ابن رشيد الرياض واستولى عليها ظهر في مظهر الفاتح القهار، إذ أطلق عبدالله من السجن، وأرسله [وأخاه][1] عبدالرحمن وعشرة آخرين من آل سعود أسرى إلى حائل، ثم أقام سالم السبهان[2] أميراً في الرياض.

وبعد خمسة أشهر جاء سالماً وفد متظلم من الخرج الذي كان أهله قد اختصموا وأبناء سعود بن فيصل، فراح سالم يحسم الخلاف هناك، وقد حسمه حسماً تستحيل عنده المعاودة، إذ أنه قتل أبناء سعود[3] محمداً، وسعداً، وعبدالله، أولئك الذي أمّنهم ابن رشيد على حياتهم، وأجلى أهلهم إلى حائل.

ضجّ الناس وقاموا يحتجون على السبهان، فعزله ابن رشيد وأمّر مكانه فهّاد

---

(١) في الأصل: وأخيه. والتصويب من تاريخ نجد (ص:١٠٣).

(٢) بيت السبهان أخوال بيت الرشيد.

(٣) [لسعود ابنٌ رابع]١ اسمه عبدالعزيز، وقد كان وقتئذ مع المجلوين في حائل. اهـ (هامش تاريخ نجد ص: ١٠٤).

١- في الأصل: سعود بن رابح. والتصويب من هامش تاريخ نجد، الموضع السابق.

ابن رخيّص من كبار شمّر[١].

وفي السنة التالية مرض عبدالله بن فيصل في الجبل، فأذن له ولأخيه عبدالرحمن وأسرتيهما بأن يعودوا إلى الرياض، وقد عاهد عبدالله على أن يكون أميراً في بلاده، ولكنه توفي في ٢ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧ بعد وصوله إلى الرياض[٢]، فكتب عبدالرحمن إلى ابن رشيد يخبره بذلك ويسأله أن يعزل عامله حسب العهد المذكور، فكان جواب ابن رشيد أن عزل فهّاد بن رخيّص وعيَّن مكانه سالم السبهان، أي أنه نكث عهده.

وفي ١١ ذي الحجة من هذه السنة بلغ عبدالرحمن أن ابن السبهان قادم يسلم عليهم سلام العيد ويقتلهم، فاحتاطوا للأمر، وعندما وصل السبهان أمر عبدالرحمن بأن يجمع آل سعود ليلقي عليهم كلاماً من ابن رشيد، وكان في نيّته أن يفتك بهم فيذبحهم جميعاً، على أن السعوديين سبقوه إلى شبه ما كان يبطن، فوثبوا عليه وعلى رجاله وقتلوا عدداً منهم[٣].

ولما بلغ خبر هذا الحادث أهل القصيم، وكانوا قد اختلفوا وابن رشيد، كتبوا إلى عبدالرحمن يعاهدونه على الطاعة والتعاون، وعندما مرّ ابن رشيد ببلادهم وهو قادم إلى الرياض [ليثبت][٤] ابن السبهان في مركزه وقفوا له في الطريق، وصدّوه، فعلّلهم بالوعود -[وعد][٥] بأن يعطيهم بادية مطير والخُوَّة[٦] التي كانت تفرض على الحجاج- فرضوا ونكثوا عهودهم مع

---

(١) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:٤٧-٤٩).
(٢) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:٤٩).
(٣) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:٤٩-٥٠).
(٤) في الأصل: يثبت والتصويب من تاريخ نجد، الموضع السابق.
(٥) قوله: "وعد" زيادة من تاريخ نجد، الموضع السابق.
(٦) الخوّة: المكس والضريبة والرسوم. وكلها بمعنى واحد.

عبدالرحمن، فزحف ابن رشيد إلى الرياض بجيشه فحاصرها أربعين يوماً، ثم دعا أهلها، فخرج إليه محمد بن فيصل والشيخ عبدالله بن عبداللطيف (من آل الشيخ) ومعهما عبدالعزيز بن عبدالرحمن[١] الذي كان يومئذ في الحادية عشرة من سنّه[٢]، فتفاوضوا مع ابن رشيد، وتصالحوا على أن تكون الإمارة في العارض لعبدالرحمن بن فيصل، إلا أنه كان صلحاً مموّهاً، لأن ابن رشيد لم يتمكن في الحصار من فتح المدينة ولا تمكن أهلها من ردّه عنها[٣].

أما أهل القصيم؛ فعندما عاد الأمير محمد إلى[٤] الجبل طلبوا منه أن يبرَّ بوعده، فسوَّفَ وتردد، فنهضوا ثانية عليه، وحشدوا قواهم للحرب، واستنفر الأمير أيضاً قبائله، وتلاقوا في القَرْعا[٥]، فتصادموا وتناوشوا في العشر الأول من جمادى الأولى سنة ١٣٠٨هـ، [وكانت][٦] الغلبة لأهل القصيم، فاقترح بعض رجال ابن رشيد أن يخرجوا من ذاك المكان كأنهم منهزمون ويسيروا إلى البادية، فيظن العدو أنهم انهزموا فيتقفاهم، فيقطعون ساقته بالخيل.

قال الراوي: وأهل القصيم أناسٌ شجاعتهم كبيرة ورأيهم قليل. فلما رحل محمد بن رشيد صاحوا: انهزم انهزم، ولحقوه، فبعدوا عن مراكزهم ومواشيهم، فهجمت عليهم الخيل فاجتزّت مؤخرهم، وكانت الهزيمة عظيمة. قيل: إنه قتل

(١) في هامش الأصل: عبدالعزيز صار فيما بعد ملك المملكة العربية السعودية. وكتبه: محمد نصيف.
(٢) وهذا يثبت أن مولد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ملك المملكة العربية السعودية كان في عام ١٢٩٧هـ وليس كما تناقلته بعض الكتب أن مولده كان في عام ١٢٩٣هـ، بدليل أن عمره في سنة ١٣٠٨هـ كان في الحادية عشرة من عمره.
(٣) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص: ٥٠-٥١).
(٤) قوله: "إلى" أدرجت على الهامش بخط نصيف.
(٥) في هامش الأصل: القرعا: من قرى القصيم. (وانظر: المعجم الجغرافي ٢/٩٧٠).
(٦) في الأصل: وكان. والتصويب من تاريخ نجد (ص: ١٠٥).

ألف رجل من أهل القصيم في تلك الواقعة التي تدعى (وقعة المليدة)، وكان الإمام عبدالرحمن قد خرج من الرياض لينجد أهل القصيم، ولكنه عندما علم وهو في منتصف الطريق بوقعة المليدة عاد إلى الرياض، فأخرج حريمه وأولاده منها وارتحلوا إلى الأحساء التي كان يومئذ عاكف باشا متصرفها.

وكان طبيب الجيش هناك شاباً لبنانياً هو الدكتور زخور عازار، الذي انتدبه المتصرف ليفاوض ابن سعود ويعرض عليه شروط الدولة.

فاجتمع الدكتور زخور على عين النجا[1] قرب المبرَّز في جمادى الثانية سنة ١٣٠٨هـ بالإمام عبدالرحمن وكان معه ابنه عبدالعزيز، وقد عرض عليه ولاية الرياض يحكمها من قبل الدولة إذا اعترف لقاء ذلك بسيادها، ودفع بمثابة الخراج شيئاً ألف ريال أو أقل مثلاً في السنة، فرفض الإمام عبدالرحمن قائلاً: إن بعد ذبح بندر بن الرشيد تفلتت العشائر، فصارت خائنة بعضها لبعض وللأمراء الحاكمين كذلك، وأنه لا يستطيع والحال هذه أن يثق بها ويتّكل عليها[2].

ثم بعد تلك المفاوضات رحل الإمام عبدالرحمن وأولاده إلى الكويت، فمنعهم الشيخ محمد الصباح الحاكم يومئذ من الدخول إليها، فعادوا إلى البادية وأقاموا بضعة أشهر مع العجمان، ثم أمُّوا قطر فأقاموا فيها شهرين، وكانت الدولة لا تزال تبغي عقد اتفاق مع ابن سعود[3] لتأمن حركاته وسكناته، فأرسل متصرف الأحساء يستدعيه إليه، فلبّى الدعوة، وتم بعد ذلك الاتفاق على أن تدفع الدولة إلى الإمام عبدالرحمن ستين ليرة مشاهرة، وأن يقيم هو وعائلته في

---

(١) عين النجم وليس عين النجا.

(٢) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:٥١-٥٣).

(٣) الأمير عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود.

الكويت، فقبل ابن الصباح إذ ذاك أن يتوطنوا [بلاده][(١)].

ثم بعد وفاة الأمير محمد بن رشيد شرع خلفه الأمير عبدالعزيز بن متعب يشنّ الغارات على الكويت، فأرسل الشيخ مبارك ابن الصباح جيشاً من الكويت مع الإمام عبدالرحمن فأغار على عشائر قحطان في روضة سدير، وقفل راجعاً، وما زال ابن رشيد يرسل جيشه لإغارة القبائل حتى وصل إلى أطراف العراق، فخرج أبو عجيمي السعدون يطارده، وأرسل يطلب النجدة من الشيخ مبارك الذي كان إذ ذاك في الجهرى، فبادر إلى نجدته، وأرسل أخاه حمود وعبدالرحمن ابن سعود بالجيش إلى السماوة حيث كان ابن رشيد فيها ليطارده، فلما وصلا إلى عين صَيْد رحل ابن رشيد من السماوة.

ولما عاد حمود وعبدالرحمن شرع مبارك يعدّ العودة للغزوة الكبرى -غزوة نجد- فاستنفر القبائل، فلبّته مطير بأجمعها، ولبّاه العجمان، وآل مرة، وغيرهم من بوادي الجنوب، ثم جاء أبو عجيمي السعدون بعشائره من الشمال، وانضم معه آل سليم أمراء عنيزة وآل مهنا أمراء بريدة[(٢)].

زحف هذا الجيش وعدده نحو عشرة آلاف يقوده الشيخ مبارك، فقطع الصُّمّان[(٣)]، ثم الدهناء، ونزل على ماء دونها يُعرف

---

(١) في الأصل: بلادهم. والتصويب من تاريخ نجد (ص:١٠٦). وانظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:٥٣).

(٢) في هامش الأصل: لأنهم كانوا مقيمين بالكويت مع آل سعود، جائين جميعهم من محمد، لأن محمد ابن رشيد صاحب حائل وأميرها ورئيس عشائر شمر، وقد استولى على نجد كلها. وكتبه: محمد نصيف.

(٣) الصمان: منطقة تقع شرقي الدهناء وجنوبي وادي الباطن وغربي وادي المياه وشمالي طريق المنطقة الشرقية في المفصل ما بين الدهناء والفروق (معجم اليمامة ٧٨/٢).

بالشوكي[١]، وكان ذلك في سنة ١٣١٨هـ، وهناك أذن عبدالعزيز بن عبدالرحمن إجابة لطلبه بأن يسير بفرقة من هذا الجيش ألف رجل من البادية إلى الرياض فيستولي عليها.

افترق الجيشان [في الشوكي][٢] فزحف عبدالعزيز آل سعود جنوباً بغرب إلى عاصمة أجداده التي وصلها بعد يومين، فاحتلّ المدينة ما عدا الحصن الذي [تحصّنت][٣] فيه حامية ابن رشيد، فعزم على حفر نفق إليه، وباشر هو ورجاله العمل.

أما مبارك فكان قد احتلّ بلداناً عدّة في نجد بدون قتال، بل كان أهلها يرحّبون به لعلمهم أن حليفه ابن سعود.

وأما ابن رشيد فكان قد تقهقر حتى وقف عند الطرفية التي تبعد خمسة عشر ميلاً من بريدة إلى الشمال.

وفي جوار هذه القرية في مكان يدعى: الصريف في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣١٩هـ اشتبك الجيشان، فكانت الوقعة من أعظم وقائع العرب الحديثة، ودارت فيها الدوائر على ابن الصباح وحلفائه، وخسر الشيخ مبارك عدداً كبيراً من قومه وشيئاً كثيراً من عتاد الحرب، فعاد ومن بقي من الجيش منهزمين إلى الكويت، وأمر ابن رشيد بقتل الأسرى أجمعين[٤].

---

(١) الشوكي: اسم واد مما يلي العرمة، تتدفق فيه شعاب العارض، وكان يسمى قديماً: عقيق عارض اليمامة. انظر: "في سَراة غامد وزهران": ٦٩، نجد الحديث وملحقاته: ٢٤١.
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من تاريخ نجد (ص:١١٨).
(٣) في الأصل: تحصن. والتصويب من تاريخ نجد، الموضع السابق.
(٤) انظر وقعة الصريف في: تاريخ ملوك آل سعود (ص:٥٤).

ثم زحف إلى البلدان النجدية التي كانت قد سلمت إلى صاحب الكويت، فنكّل برؤسائها، ونزع السلاح من أهلها، وضرب عليهم الضرائب الفادحة.

أما عبدالعزيز آل[١] سعود فلما علم بوقعة الصريف أخلى الرياض التي احتلها أربعة أشهر فقط، وعاد برجاله إلى الكويت، فاستولى بعد ذلك ابن الرشيد كل الاستيلاء على نجد أجمع.

ثم إن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بعد رجوعه من الرياض كان يلحّ على والده ليستأذن من الشيخ مبارك بإعادة الكَرَّة على ابن الرشيد، فأذن له الشيخ حباً وكرامة، وأعطاه أربعين ذلولاً وثلاثين بندقية ومائتي ريالاً[٢] وبعض الزاد، وازداد معه كثير من القبائل في أثناء الطريق، حتى اجتمع عنده ألف وخمسمائة ذلول وستمائة خيال، ثم تفرقوا عنه خوفاً من الحكومة التركية ومن ابن الرشيد غير عشرين[٣] مقاتلاً. ولما وصلوا إلى مكان بين حَرَض[٤] وواحة جبرين[٥] أقاموا هناك شهراً، ثم خرج ابن سعود والستين البسلاء من هناك في ٥ رمضان ووِجْهتهم الرياض، فوردوا ليلة العيد أبا جِفَان[٦]، وساروا منه في اليوم التالي فوصلوا في ٤ شوال إلى حدود الرياض، ونزلوا في الساعة الثالثة

---

(١) في هامش الأصل: ابن عبدالرحمن الذي هو الآن ملك المملكة العربية السعودية. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) في هامش الأصل: هذا المبلغ قليل جداً، بل المؤن مؤلفة من الريالات على ما يقال. وكتبه: محمد نصيف.

(٣) وقيل أربعين.

(٤) حرض: مكان يقع بين الإحساء ونجد.

(٥) واحة جبرين هي على مسافة مائة وستين ميلاً من الأحساء جنوباً، ومائة وخمسة وسبعين ميلاً من جنوب شرق الرياض، (هامش تاريخ نجد ص:١٢٣).

(٦) أبو جفَان: من مناهل طرف العَرَمة الجنوبي في إقليم الخرج، من إمارة منطقة الرياض (المعجم الجغرافي ١/٤١).

عربية ليلاً في ضلع يبعد ساعتين عن العاصمة، فترك عبدالعزيز عشرين من قومه هناك كجيش احتياطي، وتقدم بالأربعين الآخرين وفيهم أخوه محمد وعبدالله بن جلوي أمير الأحساء اليوم، فلما وصل إلى البساتين خارج السور أقام أخاه محمداً ومعه ثلاثون رجلاً هناك، ومشى بالعشرة الباقين إلى غرضه، ولكنه لم يتمكن من الدخول إلى الحصن الخارجي -أي حصن السور- إلا من البيت المحاذي، وهو لفلاح يتّجرُ بالبقر.

قرع عبدالعزيز الباب، فأجابته امرأة تقول: من أنت؟

قال عبدالعزيز: رجل من رجال الأمير عجلان، أريد من رجلك أنْ يشتري لنا بقراً صباح الغد.

قالت المرأة: اخسئت يا شبه الرجال، ما جئت تبغي البقر يا فاجر، بل جئت تبغي الفساد.

قال عبدالعزيز: لا والله ليس هذا مأربي، بل أبغي صاحب هذا البيت، فإذا لم يخرج إليَّ الآن فالأمير يقتله صباح الغد.

سمع الرجل هذا التهديد فجاء يفتح الباب، وكان عبدالعزيز يعرفه من الهجوم الأول في السنة الماضية ويعرف حريمه، وفيهن من كن خادمات سابقاً في بيت سعود، فلما خرج أمسكه بيده قائلاً: إذا تكلمت قتلتك في الحال. فصاح النساء وقد عرفنه: عمّنا عمّنا عبدالعزيز.

قال عبدالعزيز: لا بأس عليكن إذا سكتّن. قال هذا وقد أدخلهن إلى غرفة وأقفل عليهن الباب.

ثم تسلق الجدار إلى البيت الآخر عند الحصن، فإذا فيه شخصان نائمان على فراش واحد، فلفهما بالفراش وحملهما إلى غرفة صغيرة فأودعهما هناك، وأقفل الباب، ثم أرسل يطلب أخاه محمداً والباقين، فجاؤوا دون أن يشعر أحد

بهم، واجتمعوا كلهم في ذاك المكان، وكان البيت الآخر إلى جانب الحصن للأمير عجلان وفيه إحدى نسائه، وهو يزورها تارة في الليل وطوراً في النهار.

مشى عبدالعزيز وعشرة من رجاله إلى ذاك البيت، فدخلوه وطافوا بغُرَفِه، فوجدوا في إحداها اثنين نائمين على فراش واحد، ظنهما عبدالعزيز الأمير عجلان وامرأته.

دخل متسللاً ومعه رجل يحمل سراجاً، فلما دنا من الفراش رفع الغطاء فإذا هناك امرأتان، فأيقظهما، فاستوتا جالستين دون أن [يعروهما](١) شيء من الخوف، وكانت الواحدة منهما امرأة عجلان والأخرى أختها امرأة أخيه.

عرفت امرأة عجلان الرجل فبادرته بالقول: أنت عبدالعزيز. فأجابها: نعم. فقالت: من تبغي؟ فأجابها: أبغي زوجك. فقالت –وهي تقسم بالله–: إني أحب أن تقتل كل من في البلد من شمّر [إلا](٢) زوجي، ولكن أخشى عليك منهم، أخشى أن يقتلوك يا عبدالعزيز؟!.

قال عبدالعزيز: ما سألناك عن هذا الأمر، إنما نريد أن نعرف متى يخرج عجلان من الحصن الداخلي.

قالت امرأة عجلان: لا يخرج إلا بعد طلوع الشمس بساعة.

قال عبدالعزيز: لا بأس عليكن إذا سكتّن. قال هذا وهو ورجاله يسوقون

---

(١) في الأصل: يعراهما. والتصويب من تاريخ نجد (ص:١٢٥).
(٢) في الأصل: إلى. والتصويب من تاريخ نجد، الموضع السابق.

الامرأتين وبقية النساء إلى غرفة واحدة، فحبسوهن فيها، ثم كسروا الباب الذي يوصل إلى البيت الذي كان فيه بقية الرجال فدخلوا منه، واجتمعوا كلهم في بيت عجلان.

وكانت الساعة الثامنة عربية(١)، فاستراحوا وأكلوا التمر وشربوا القهوة، وناموا قليلاً.

ثم شرعوا عند انبثاق الفجر يدبرون طريقة للهجوم على الحصن الداخلي.

وبعد قليل فتح ذاك الحصن، فأَخرجَ بعض العبيد الخيل إلى الشمس، فلما رأى عبدالعزيز البوابة [مفتوحةً](٢) خرج عادياً، فتبعه من رجاله خمسة عشر رجلاً فقط.

واتفق أن الأمير عجلان كان قد خرج من الحصن عند هجومهم عليه وهو قادم إلى بيته، فلما رآهم [اعتراه](٣) الدهش والرعب، فنكص ورجاله على أعقابهم وهم يبغون الرجوع، ولكن البوابة -إلا الخوخة (الباب الصغير فيها)- كانت قد أقفلت، وبينما كان ورجاله يدخلون من ذلك البويب أطلق عبدالعزيز البندقية عليه فأصابه ولم يقتله، ثم أدركه وقد صار نصفه داخل البوابة، فأمسكه برجليه وسحبه إلى الخارج، فتصارع الاثنان برهة.

أما الرجال الذين كانوا قد دخلوا الحصن فصعدوا إلى أحد الأبراج المشرفة على السوق، وشرعوا يطلقون النار من المصاليت على رجال ابن سعود،

---

(١) التوقيت المستخدم هنا هو التوقيت الغروبي فأذان المغرب يكون في تمام الساعة الثانية عشر، والساعة الثامنة ليلاً هنا أي حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل.
(٢) في الأصل: مفتوحاً. والتصويب من تاريخ نجد (ص:١٢٦).
(٣) في الأصل: عراه. والمثبت من تاريخ نجد، الموضع السابق.

فجرحوا أربعة منهم وقتلوا اثنين.

تراجع الهاجمون إلا عبدالله بن جلوي، فكان أول من [دخل][(١)] الحصن، وراح يعدو وراء عجلان الذي كان قد تفلت من عبدالعزيز، فرماه بالرصاص فخرَّ لوجهه قتيلاً.

نادى عبدالعزيز برجاله واستفزّهم فاقتفوا أثر عبدالله، وهجموا على الحصن هجمة واحدة، فصاحوا بمن فيه وفتكوا بهم، فقتلوهم إلا عشرين رجلاً كانوا قد تحصنوا في جهة منه، ولكن عبدالعزيز أمّنهم على حياتهم، فسلّموا.

وبعد سقوط الحصن في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ والاستيلاء على الرياض باشر الأمير السعودي الشاب بناء السور الجديد القائم اليوم[(٢)] حول أقسام متهدمة من السور القديم، فتم بناؤه في نحو خمسة أسابيع[(٣)].

ثم إن عبد العزيز ابن رشيد عبَّأ جيشاً جديداً من شمّر والقصيم وسدير والوشم، وزحف به في ربيع الأول من عام ١٣٢٠هـ قاصداً الرياض.

فلما علم ابن سعود بذلك أرسل إلى أبيه في الكويت يقول: إن الحرب قائمة، وإن الاستيلاء على الرياض يقتضي أن يكون هو -[أي][(٤)] الإمام عبدالرحمن- فيها، فجاء[(٥)] الوالد مسرعاً، وخرج عبدالعزيز ورجاله مسافة

---

(١) في الأصل: دخلوا. والتصويب من تاريخ نجد (ص:١٢٦).

(٢) لقد أُزيل هذا السور فيما بعد.

(٣) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:٥٩-٦٢).

(٤) في الأصل: إلى. والتصويب من تاريخ نجد (ص:١٢٩).

(٥) وكان خروجه من الكويت في صفر سنة ١٣٢٠. زوّده مبارك أمير الكويت أطعمة كثيرة [ومهمات] ا حربية لابنه عبدالعزيز، وقد كتب عند خروجه من الكويت كتاباً إلى السيد رجب نقيب أشراف البصرة يخبره بخروجه وبالسبب الداعي له ليكون كاللسان عند الحكومة العثمانية هذا نصه:

=

ثلاثة أيام لاستقباله، وكان رجوع الإمام في الرياض بعد إحدى عشرة سنة، ثم قال عبدالعزيز لوالده: الإمارة لكم وأنا جندي في خدمتكم. فقال: إذا كان قصدك في استدعائي إلى الرياض لأتولى الإمارة فيها فهذا غير ممكن ولا أقبله مطلقاً، ولا أقيم في المدينة إذا ألححت به. فتدخل العلماء فقالوا لعبد العزيز: على الابن أن يطيع أباه، وقالوا لعبدالرحمن: أنت رئيس عليه وبالتالي على أهل نجد، فقال عبدالرحمن: ولكن الإمارة له. فقال عبدالعزيز: إني قابلها بشرط أن يكون والدي مشرفاً على أعمالي دائماً، فيرشدني إلى ما فيه خير البلاد ويردعني عما يراه مضراً في مصالحها.

=

وقبل هذا أرسلنا لكم كتاباً شرحنا فيه أحوالنا، وأننا خدام محسوبون على الدولة العلية، وإنه لما صار علينا ما صار من غدرات ابن الرشيد وخيانته لم نلتجئ إلى أحد إلا إلى الله تعالى ثم إلى ظل عدالة أمير المؤمنين أدام الله مجده، وقد طالت المدة علينا وأخذنا سنين ننتظر لعطفاته الملوكية بأن نعطى من المعاش ما يقوم بأحوالنا ونرجع إلى محلنا، [وننصف ممن]٢ ظلمنا، فلم يحصل لنا من آمالنا إلا هذا المعاش القليل الذي ما يقوم ببعض أحوالنا، فلما أن ضاقت بنا الحال وتراكمت علينا الديون ولم يبق لنا قابلية على الاصطبار بوجه من الوجوه صرنا مجبورين على الخروج من الكويت لنعيش أنفسنا وأطفالنا وأتباعنا، ونتوجه إلى الله تعالى وعشائرنا لدفع تعديات ابن الرشيد، ونحن في كل مكان وحال من الأحوال لا نزال بحول الله نؤدي الخدمات لحضرة أمير المومنين باذلين الجدّ والاجتهاد فيما يحصل به رضاه، منقادين إلى أوامر الدولة العلية، فنرجوا من مراحم وتفضلات وإحسان حضرة أمير المؤمنين بإقامة أنظاره علينا ورفع تعديات ابن الرشيد وإجراء ما تفضل به من المعاش.

وقد قيل أيضاً: أن الإمام عبدالرحمن عندما همَّ بالخروج كتب إلى رئيس الخليج الفارسي في أبي شهر ينبئه فيه بخروجه ويرجو منه أن تضع الحكومة البريطانية أنظارها عليه وأن تشمله بعطفها، ويخبره أيضاً بأن معتمداً للروس قد عرض عليه على لسان حكومته بذل المساعدات التي يحتاج إليها، وأنها ستلبي جميع طلبه، فرفض ذلك رغبة في الحكومة البريطانية وزهداً في غيرها من الدول. اهـ تاريخ الكويت (ص:١٧٩-١٨٠). (غازي).

١- في الأصل: ومهماتاً. والتصويب من تاريخ الكويت (ص:١٧٩).
٢- في الأصل: وننتصف عمن. والمثبت من تاريخ الكويت، الموضع السابق.

كذلك تمت البيعة لعبدالعزيز، وكان يومئذ سميّه ابن الرشيد نازلاً في [رَغْبة][(١)] من بلدان المحْمَل وقصْده محاصرة الرياض، فأرسل سالم السبهان بجيش من قحطان إلى ضرمة[(٢)] ليهجم عليها من الجنوب الغربي، وأمر الحازمي مندوبه في الأحساء بأن يستنهض العجمان وآل مرة بمؤازرة الحكومة[(٣)] فيهجمون من الشرق الجنوبي.

ولكن ابن سعود أرسل أخاه محمداً وابن عمه عبدالله جلوي إلى تلك النواحي الجنوبية يستنجدان الدواسر وآل مرة، فظفرا بما لم يظفر [به][(٤)] الحازمي والترك أعوانه، وقد علم ابن الرشيد أن كثيرين ممن كان يظن من أتباعه قد انضموا إلى ابن سعود، فأقام شهرين في رغْبة وأسبوعين في الأحساء وهو يعجز عن الهجوم على الرياض، ثم رحل إلى الحفر ليحول دون تموين ابن سعود من الكويت.

فلما علم ابن سعود من جواسيسه أن ابن الرشيد ينوي أن يصادر الأرزاق التي تجيء إلى نجد من الكويت والأحساء تذاكر مع والده، فعقدت النية على حيلة تقرّبه منهم فيتلاحمون وإياه ويقضون عليه، أو في الأقل يحولون دون تنفيذ خطته[(٥)].

وبعد هذه المذاكرة خرج عبدالعزيز من الرياض ووجهته الجنـــوب، وراح

---

(١) في الأصل: رغية. ورغبة: إحدى بلدان المحمل مما يلي الوشم (معجم اليمامة ٤٧١/١). وكذا وردت في الموضع التالي.
(٢) ضَرَمَا –قَرَما–: بلدة ذات قرى، فيها إمارة من إمارات الرياض (المعجم الجغرافي ٧٢٩/١). وانظر: معجم اليمامة (٩٢/٢).
(٣) في هامش الأصل: العثمانية، لأن الأحساء كان تحت إدارتها. وكتبه: محمد نصيف.
(٤) قوله: "به" زيادة من تاريخ نجد (ص: ١٣٠).
(٥) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص: ٦٢–٦٣).

شمالاً إلى مناخ ابن الرشيد من أشاع أن ابن سعود خائف من خصمه، وأنه فرّ هارباً، فلما سمع ابن الرشيد ذلك شدَّ الرحال مسرعاً فنزل على ماء بَنْبَان[1]، ولم يكن بينه وبين الرياض غير عشرين ميلاً أو أقل. ثم جاءه الخبر اليقين وهو أن الرياض محصّنة وأن ابن سعود في حائر[2] سبيع بالخرج، فأمسى في حيرة مزعجة أبت عليه التقهقر وحالت دون الهجوم.

وكان لابن سعود سرية في الدلم -عاصمة الخرج- بقيادة أحمد السديري[3]، فأمره أن يتأهب للزحف معه إلى الرياض إذا هجم ابن الرشيد عليها، أما إذا تجنبها ومشى إلى الخرج فأهل الرياض يَتَقَفّونه بالسلاح، وعبدالعزيز يفزع إلى السديري في الدلم. وبعد هذا التدبير وَكَّل ابن جلوي بمن كان معه من الجنوب فأقامهم في عُلَيَّة[4]، وهو ضلع حصين بين الحرّيق والحوطة قريب منهما، ثم أرسل أخاه سعداً إلى الحريق يستنجد أهلها، وراح هو للغاية نفسها إلى الحوطة، فبلغه في اليوم الثاني هناك خبر هجوم ابن الرشيد على الدلم، فبادر ابن سعود إلى ذاك المكان وجمع جيوشه من أهل الحوطة والحريق، فبلغوا مع من كانوا في ضلع عُلَيَّة ألف وخمسمائة مقاتل،

---

(١) بنبان: بالباءين الموحدتين وبالنونين – قرية تقع في العارض شمال مدينة الرياض على مقربة منها. (المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية: ٢٤٦/١)، تأليف العلامة حمد الجاسر.

(٢) الحائر (الحاير): بكسر الهمزة أو الياء، مهموز وغير مهموز. والمراد به: الماء يجد أرضاً صخرية أو صلبة مغطاة بطبقة خفيفة من قشرة الأرض، فإذا تكاثر عليها الماء نبعت فيحير الماء فوقها فيسمى حائراً، والمراد هنا حاير سبيع، بلد معروف قرب الرياض، جهة الجنوب.

(٣) في تاريخ ملوك آل سعود (٦٣): محمد السديري.

(٤) أكبر هضبة في جبل اليمامة وأمنعها وأكثرها أودية، وأشدها ارتفاعاً (معجم اليمامة ١٧٥/٢).

اجتمعوا في مَاوَان[١]، على مسافة عشر ساعات من الخرج، وسروا فوصلوا إلى الدلم قبل انبثاق الفجر، وكان ابن الرشيد قد نزل في نَعْجَان[٢] على مسير ساعتين من البلدة، فلم يَدْر بدخول ابن سعود إليها[٣].

وفي فجر اليوم التالي خرج ابن الرشيد مع رجاله يجول في النخيل، فبادر قسم من جيش ابن سعود إليه، [فكانت][٤] المواجهة خارج الدلم وسط النخيل، فتواجها واحتربا، وكانت الوقعة شديدة، واستمرت ست ساعات حتى غروب الشمس، وتقهقر ابن الرشيد إلى معسكره. وشدّ في اليوم التالي الرحال، وسار جنوباً إلى أسفل الخرج، فنزل السليمية التي تبعد ست ساعات عن الدلم، فتقفّاه ابن سعود ونازله في السليمية فأخرجه منها. ولكنه لم يتمكن من تعقبه وإدراكه لقلّة خيله وركائبه، ولكثرتها مع ابن الرشيد، فقد كان جيش ابن الرشيد مؤلفاً من أربعة آلاف ذلول وأربعمائة خيّال، [والجيش][٥] السعودي لم يتجاوز الألفين، ولم يكن فيه غير أربعين من الخيل، ومع ذلك فقد انهزم ابن الرشيد في الخرج، وثبتت سيادة ابن سعود فيه، بل في النواحي الجنوبية كلها[٦]. انتهى ما في تاريخ نجد الحديث.

---

(١) ماوان: أحد أودية العلية (طويق) والذي ينزل من الغرب إلى الشرق متجهاً إلى الخرج وعلى هذا الوادي اطلال وآثار قديمة وقصور. انظر: تاريخ اليمامة لعبدالله بن خميس (١١/١)، الخرج، تأليف سعد الدريهم: ٤٢.

(٢) تقدم التعريف بها في (ص: ٢٥).

(٣) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (٦٣-٦٤).

(٤) في الأصل: فكان.

(٥) في الأصل: وجيش. والتصويب من تاريخ نجد (ص:١٣٢).

(٦) انظر: تاريخ ملوك آل سعود (ص:٦٤).

وفي الجزء السابع من مجلة المنار[١] نقلاً عن رسالة مكاتب خبير أرسلها لتنشر في المجلة قال فيها: لما حدثت الحوادث في بلاد نجد وانتصر ابن سعود على ابن الرشيد وخيف من سوء العاقبة، انبرى لتلافيها صاحب الحمية الدينية، وهو الشهم الغيور ذو الصداقة والعبودية والإخلاص لحضرة متبوعه، ملجأ الخلافة الكبرى الإسلامية، قائمقام قضاء قطر[٢]، ورئيس العشائر، وشيخ القبائل فيه: الشيخ جاسم[٣] الثاني ، الذي ما فتئ عند حدوث كل حادثة في

---

(١) مجلة المنار (المجلد ٧، ٢٢/٨٧١-٨٧٢).

(٢) وفي كتاب الدولة العربية المتحدة لأمين سعيد (١/٣٩٥): قطر هي شبه جزيرة بين العُديد والعقير، منفصلة عن البلدان المجاورة لها سياسياً، ومستقلة برئاسة آل ثاني، ولا يزيد عدد سكانها عن خمسين ألفاً.

وسرى النفوذ البريطاني إلى هذه المقاطعة، فعقد الإنكليز مع شيخها أول معاهدة في سنة ١٨٢٠م، ثم عقدوا معاهدة أخرى سنة ١٨٣٥م تعهد فيها بما تعهد به جيرانه شيوخ السواحل.

ووقعت اختلافات بين الشيخ وجيرانه سكان أبو ظبي، فاتخذ الإنكليز ذلك ذريعة لعقد معاهدة جديدة وقّع عليها سنة ١٨٦٧م، أخذوا [عليه]١ العهد فيها بأن لا يبني سفينة حربية، وأن يرجع إلى المعتمد البريطاني في الخليج في كل خلاف يحدث بينه وبين جيرانه، وأن يعترف بسيادة البحرين.

واغتنم الشيخ فرصة رجوع الدولة العثمانية إلى التدخل في شؤون الخليج ووصول قواها إلى الأحساء في عهد مدحت باشا سنة ١٨٦٩م، فأعلن خضوعه لها وطاعته، فعيّنته قائمقاماً على قطر، وأنشأ في الدوحة -من ثغور قطر- محطة للفحم، ومرسى للسفن، وأبى الإنكليز الاعتراف بما وقع، وأنكروه، ونادوا بأن قطر مشمولة بحمايتهم. وظل الحال على هذا المنوال حتى عقدت معاهدة لندن في سنة ١٩١٣م بين إنكلترا وتركيا، وقد تنازلت بموجبها الأخيرة عن جميع ما لها من الحقوق في قطر إلى سكانها، ولا تزال الحالة في قطر على ما كانت عليه، ولا تزال هذه البلاد مشمولة بالنفوذ البريطاني، ولا يتدخل الإنكليز في شؤونها مباشرة. انتهى. (غازي).

١- في الأصل: عليها. والتصويب من الدولة العربية المتحدة (١/٣٩٥).

(٣) ولد سنة ١٢١٦هـ، وتوفي سنة ١٣٣١هـ، فيكون قد عاش مائة وخمس عشرة سنة، وقد تزوج على ما قيل بتسعين امرأة، وكان إذا ركب يركب ستون فارساً في موكبه من صلبه، وكان ذا ثروة واسعة. كان له خمس وعشرين سفينة للغوص١، وكان عالماً ورعاً ديّناً، يعلّم الناس الدين،
=

القطعة العربيـــة يعرض ثمين النصائح لجلالة متبوعه الأعظم، عمـــلاً بقولـــه ﷺ: «الدين النصيحة»[(١)]، فإنه حفظه الله لما نظر لهذه الحادثة نظر المندهش المتخوف من وخامة عاقبتها، اهتمّ [بها][(٢)] اهتمام الحكيم المتدين العاقل، فقدّم النصيحة إلى عبدالعزيز ابن سعود بأن لا يتخذ له يداً مع الأغيار مهما آل إليه الأمر، وأن لا يخرج عن رسم الطاعة لجلالة المتبوَع الأعظم، وأراه وخامة العاقبة إذا لم يسلك طريق السمع والطاعة والخضوع لإرادة سلطان الحرمين الشريفين، وبيّن له من التبيان وأوضح له من الدلائل بتنويع القول وتكرار النصائح ما أقنعه بأن الدولة العلية تتلقى خضوعه لها بالقبول، فأخذ عبدالعزيز ابن سعود يسلك طريق الاسترحام من جلالة متبوعه الأعظم بكمال خضوع وتذلل واستعطاف [ودخالة][(٣)] بعدم الأمر بسوق العسكر عليه، وأن لا يطلق عليه ولا عشائره عنوان العصيان، لأنه منعقد بكل المطالب سامع ومطيع [لجميع][(٤)] الأوامر، وإليك ما وصلنا من نصوص تلغرافاته التي قدمها إلى الأعتاب الملوكانية بواسطة وبلا واسطة كما تلقيناها من مصدر موثوق به (انظروا لمنصوص تلغرافات عبدالعزيز) وهي واصلة طياً.

=

ويخطب فيهم خطبة الجمعة، وكان كثير البرّ والإحسان لصرف واردات أوقافه على الجوامع والخطباء، وأعتق أكثر من خمسين عبداً. اهـ تاريخ نجد الحديث. (غازي).

١- في هامش الهامش: لأجل إخراج اللؤلؤ من البحر وكان من تجار اللؤلؤ. وكتبه: محمد نصيف.

(١) أخرجه مسلم (١/٧٤ ح٥٥).

(٢) في الأصل: لها. والتصويب من مجلة المنار (المجلد ٧، ٢٢/٨٧١).

(٣) قوله: "ودخالة" زيادة من مجلة المنار (المجلد ٧، ٢٢/٨٧٢).

(٤) في الأصل: بجميع. والتصويب من مجلة المنار، الموضع السابق.

وأما حضرة الفاضل الشيخ جاسم الثاني فإنه ما اكتفى ببث النصيحة لعبدالعزيز حتى أشفعها كذلك بعريضة خطية لحضرة والي ولاية البصرة، وأخرى تلغرافية إلى الأعتاب السلطانية بواسطة الوالي وبواسطة مجلس الوكلاء الخاص وواسطة الكاتب الأول في المابين وواسطة سماحة أبي الهدى أفندي، وهذا نصهما كما تلقيناهما من مصدر موثوق (انظروا عريضتي الشيخ جاسم الثاني).

التلغراف الأول من ابن سعود:

إلى سلطان البرّين وخاقان البحرين، السلطان المعظم السلطان عبدالحميد خان الثاني أدام الله عرش سلطنته إلى آخر الدوران، آمين:

أقدم الأعتاب السامية ممتثلاً كل إرادة وفرمان، لست بعاصٍ ولا خارج عن دائرة الأمر، بل [أنا][1] الصادق في خدمة دولتي ، أريد الإصلاح ما استطعت. قد ابتلاني سبحانه وتعالى بشرذمة يحسدون ويفسدون ولا يصلحون، قاموا يشوشون أفكار دولة جلالة ولي النعم، ويدخلون على فكره الأوهام الواهية، يريدون تفريق الكلمة الإسلامية، وتقسيم الجامعة المقدسة العثمانية وإلجائي إلى الاحتماء بالدول الأجانب، فحاشا ثم حاشا[2]، أجمع كلمة بادية الخطة النجدية بما آتاني الله ومنحتني الدولة العلية من النفوذ تحت راية

(١) في الأصل: إن. والتصويب من مجلة المنار (المجلد ٧، ٢٢/٨٧٢).

(٢) هناك طمس وبياض في بعض المواضع بالأصل.

مولانا أمير المؤمنين سلطان المسلمين السلطان عبدالحميد نصره الله، لكن هؤلاء الذين يريدون تفريق الجامعة العثمانية لا يألون جهداً في إلقاء الدسائس، حتى تمكنوا من جعل الأمر في غير قالبه، [واستجلبوا لي](١) انحراف الرضاء العالي، فساقوا عليَّ العساكر الشاهانية أولاً، وقدمت طاعتي فلم أوفق لإزالة الشبهة التي أدخلها المفسدون، والآن بلغني أن الحكومة السنية ساقت عليّ عساكر غير الأولى، فأنا أضرع إلى مولانا أمير المؤمنين أن لا يؤاخذني بدسيسة ألقاها المفسدون، ولا شبهة احتجّ بها الحاسدون المزوّرون، فينظر إليَّ حفظه الله بعين العدالة، ويحقن دماء ألوف من المسلمين الطائعين الداعين بدوام عرش جلالته، وعلى كل حال فليس [لي](٢) إرادة أو قول أو فعل يخالف الرضاء العالي، وتظهر الحقيقة بالاختبار، كما أني أسترحم من حكمته وفطنته السامية أن لا يروّج مقاصد أرباب الفساد وأعداء الدين والدولة الذين يريدون اشتغال دولتنا العلية وتشتيت عساكرها المظفرة يميناً وشمالاً وإضعاف ماليتها، فإن لهم بذلك مقاصد لا تخفى سمو [حكمة](٣) جلالة مولانا أمير المؤمنين.

١ رمضان سنة ١٣٢٢(٤).

عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود

---

(١) في الأصل: واستجلبوا إلي. والتصويب من مجلة المنار (المجلد ٧، ٨٧٣/٢٢).
(٢) زيادة من مجلة المنار، الموضع السابق.
(٣) في الأصل: حكم. والتصويب من مجلة المنار، الموضع السابق. وفي الأصل طمس وبياض في المواضع.
(٤) مجلة المنار (المجلد ٧، ٨٧٢/٢٢-٨٧٣)، وهذا التاريخ يوافق ٨ نوفمبر ١٩٠٤م وهي خلال فترة حكم السلطان العثماني عبدالحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م) والذي كانت فيه الدولة العثمانية في أوج عزها.
كما لم نستطيع التأكد من مصدر موثوق عن صحة نسبة هذه الرسالة والتي تليها بأنها للملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه-.
ولكن من خلال هذه الرسالة والتي تليها يظهر مدى حرص الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- على حقن دماء المسلمين، والحفاظ على وحدة كيانهم، أما الأطماع الأجنبية التي كانت تتربص بالمسلمين حينذاك، وهذا يظهر لنا بُعْد نظره وحسن تصرفه في الأمور بحنكة سياسية. المحقق.

التلغراف الثاني:

إلى سلطان المسلمين السلطان عبدالحميد - نصره الله -.

إن مرحمة جلالتكم وشفقة عظمتكم وعفو سلطنتكم أجلّ وأعظم أن يمنعوا (كذا) مثلي.

قدمت جملة دخالات لخلافتكم السامية الإسلامية معلناً إذعاني، ومع هذا فلم تصدر إرادة بإيقاف الحركة العسكرية الموجهة ضدي.

حضرة أمير المؤمنين: اعلم علم اليقين ما يكلف سوق العساكر الشاهانية إلى منطقة نجد من المشاق والأضرار على الملة الإسلامية والجامعة العثمانية، ويعلم أن المسبب لهذه المشاق والأضرار دسيسة من أعداء السلطنة السنية يريدون تفريق الجامعة العثمانية ليدركوا مطالبهم. وأما أنا فسامع مطيع دخيل على عفوكم (كذا) إن كان صدر مني ذنب، وحقن دماء ألوف من المسلمين من الطائعين الداعين بدوام عرش السلطنة الحميدي، وأن حكمة جلالتكم أن لاتصغوا بعد ذلك لزخارف دسائس أرباب المقاصد المفسدين. هذا عرضي.

٥ رمضان سنة ١٣٢٢.

عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود

---

(١) سقط بياض في مواضع من الأصل.

أرسل كل واحد من التلغراف نسخة باسم السلطان بلا واسطة، ونسخة بواسطة باشكاتب المابين، ونسخة بواسطة مجلس الوكلاء، ونسخة بواسطة أبي الهدى أفندي، وكذلك فعل الشيخ جاسم الثاني في تلغرافه، وزاد نسخة بواسطة والي البصرة[١].

تلغراف الشيخ جاسم الثاني:

إلى الأعتاب المقدسة والركاب المحروسة السلطانية، أيّد الله سرير سلطنته بالعز والنصر، آمين:

إن عبوديتي[٢] وصدقي وإخلاصي وصداقتي وغيرتي وحميتي لا يدعوني أن أترك النصح لديني ودولتي وسلطاني، سواءً صادف قبولاً أم لا، [فقد][٣] سبق من هذا العبد الصادق العرض بعدم تنسيب سوق العساكر الشاهانية على ابن سعود، وأن الأمر دون ذلك، حيث إن المشهور والمعروف من سياسة وحكمة مولانا أمير المؤمنين خليفة رسول رب العالمين نصره الله وأيّده، المرحمة والشفقة لعموم [التبعية][٤] السلطانية، وأن ليس في طبعه الشريف اتباع آراء أرباب المقاصد والأغراض الذين لا يقدّرون عواقب الأمور حق قدرها، والذين لا يهمّهم إلا منافعهم الشخصية، على أنه ليس هناك سبب يستوجب سوق العساكر المنصورة على ابن سعود سوى العداوة الثابتة بحكم الطبيعة بينه وبين الأمير ابن الرشيد، وإن الأمير ابن رشيد وجد من يساعده على مقاصده من

(١) مجلة المنار (المجلد ٧، ٢٢/٨٧٣-٨٧٤).
(٢) العبودية إنما هي لله عز وجل وحده لاشريك له ولايجوز مخاطبة أحد بهذه الألفاظ مهما علا منصبه.
(٣) في الأصل: وقد. والتصويب من مجلة المنار (٢٢/٨٧٤).
(٤) في الأصل: التبعة. والتصويب من مجلة المنار، الموضع السابق.

أرباب الأطماع يبذل النقدين حباً للانتقام، وقد أعرضت بلسان الصدق والصداقة واسترحمت عدم سوق العساكر الشاهانية على ابن سعود، وإن كل مطلب ومقصد يحصل بدون أن تطلقوا على نجد وأهلها اسم العصيان، الذي يكلّف الحكومة السنية من المشاقّ والمصاريف والخسائر ما هي غنيّة عنها بدون فائدة، على أن ابن سعود ليس بعاصٍ ولا خارج عن رسم الطاعة. نعم إن الذين أدخلوا في أفكار مولانا أمير المؤمنين سوء قصد ابن سعود وأن [منه](١) الخطر على نجد وما يليها، هم أعداء الدولة والملة الذين يريدون تفريق الكلمة، حيث إن أمثال هؤلاء لا يستفيدون نقداً وجاهاً وموقعاً إلا بإحداث مثل هذه المشاكل والقلاقل، كما فعلوا في غير هذه القضية، وكما فعلوا في مبادئ مسألة الكويت، وقد أعرضت أفكاري عند حدوث كل حادثة، والآن قد بلغني أن الدولة العلية -صانها رب البرية- قد عزمت على إظهار عساكر مرة ثانية لنجد، وحيث إن هذا القصد مبنيّ على أوهام لا وجود لها، أتيت أعرض ما يجب عليَّ ذمةً وديناً من أداء النصيحة، بأن سوق العساكر على نجد وأهلها ليس فيه صلاح ولا منه فائدة، وأجلّ الفائدة وأعظم الفوز [بجمع](٢) الكلمة الإسلامية العثمانية، وأهل نجد بالتحقيق ما خرجوا عن هذه الدائرة، ولا صدر منهم سوى احتلالهم(٣) وطنهم بحكم المشيخة والرياسة حسب القواعد العربية، وحيث إن الذي كان مترئساً فيها ابن رشيد(٤) قام هو ومن هو مساعدٌ له

---

(١) في الأصل: هذا. والتصويب من مجلة المنار (٨٧٥/٢٢).
(٢) في الأصل: يجمع. والتصويب من مجلة المنار (المجلد ٧، ٨٧٥/٢٢).
(٣) الأولى أن يقال: استرجاعهم وطنهم. المحقق.
(٤) في هامش الأصل: بعد ضعف آل سعود، والآن تقوى آل سعود فاسترجعوا ملكهم. وكتبه: محمد نصيف.

وعلى شاكلته يُدْخِلون الأوهام على الحكومة السنية، وليس عندهم إلا حُبّ الانتقام بدون مصلحة ولا فائدة، والأولى والأصلح أن ينذر ابن سعود وكبار نجد وعلماؤه بالنذر، ويبلغوا البلاغات المقتضية سياسة، ويوعظوا بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن أذعنوا وأطاعوا لإرادة سلطانهم وخليفتهم فنعم ذلك، وهو المقصود، وإن أبوا وعصوا فذاك آخر علاج، على أنه قد بلغني أن ابن سعود قد استرحم مراراً بأن الحكومة تشكّل لجنة لتحقيق أحواله وأحوال ابن رشيد، وكف الطرفين، وذلك أولى وأصلح وأحقن لدماء المسلمين وأفود للدولة العلية.

وعلى كل حال أسترحم باسم العدالة والصداقة والحمية أن يصرف النظر عن سوق العساكر، وتنظر الدولة العلية في الأمر بجعل مشايخ نجد مأمورين رسميين، لا فرق بين ابن سعود وابن رشيد، كما أني أسترحم أن لا تجعل نصيحتي هذه في زوايا الإهمال، والأمر والفرمان لحضرة من له الأمر.

٨ رمضان سنة ١٣٢٢[١].

العبد الصادق قائمقام قضاء قطر
ورئيس عشائرها وقبائلها
جاسم الثاني

كتابه لوالي البصرة:

لجانب والي ولاية البصرة الجليلة صاحب الدولة مخلص باشا الأفخم:

يقتضي على كل عبد صادق صاحب وجدان وغيرة وحمية لدينه ودولته

(١) مجلة المنار (المجلد ٧، ٢٢/٨٧٤-٨٧٥).

وسلطانه عند حدوث كل مشكلة سياسية في داخل الممالك المحروسة أن يعرض فكره ونصيحته لأولياء الأمور، عساه أن يصادف قبولاً ويوفق لأداء واجب الخدمة بالنصيحة، فإنه لا يخفى على دولتكم حدوث القلاقل والمشاكل في قطعة نجد بين [الأمير](١) ابن رشيد والمترئس في وطن آبائه وأجداده عبدالعزيز آل سعود، حتى تحول نظر أرباب الحل والعقد من أمراء ومأموري الدولة العلية إلى هذه المسألة فلبست غير قالبها الحقيقي، فجعلوها محوجة التدخل العسكري، ويقيناً أن ذلك غير موافق للرضاء العالي، فإن رضاء أمير المؤمنين حفظه الله ونصره في حلّ كل مشكلة حلاً لا يخالطه وجود غائلة ولا يلجئ الدولة لتكبّد المشاقّ والخسائر وإهراق دماء ألوف من المسلمين، فإن كل حادث لا [يحوج](٢) حقيقة إلى التدخل العسكري إذا صارت فيه المداخلة بادئ بدء كانت نتائجه غير محمودة، وموجب للتلف وتكبد الخسائر والمشاق، وإهراق دماء المسلمين، وفي النهاية لا تأتي بفائدة، ولا تنتج نتيجة حسنة، وما ذلك إلا لخطأ السياسي يتبع، ونحن جماعة المسلمين لنا شريعة إلهية تنهانا عن تفريق الكلمة وتأمرنا بتوحيدها، والطاعة الكاملة بجميع معناها لخليفة رسوله أمير المؤمنين بنص: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٦].

وليس قصدي من هذا بيان مساوئ بعض الأمراء والمأمورين، بل قصدي أداء ما يجب عليّ ذمةً وديناً(٣) من أداء النصيحة ببيان لزوم حل هذه المسألة حلاً يوافق للمصلحة بدون إحداث مشاكل أصعب ما هي فيه الآن، وذلك

(١) في الأصل: الأميرين. والتصويب من مجلة المنار (٢٢/٨٧٦).
(٢) في الأصل: بحوج. والتصويب من مجلة المنار (المجلد ٧، ٢٢/٨٧٦).
(٣) في مجلة المنار، الموضع السابق: ذمة وحمية وديانة.

امتثالاً للشريعة الإلهية:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥]، فيلزم على من هو مثل دولتكم حائزاً هذا المقام متصفاً بالصفات الحميدة أن يجعل كل اجتهاده في حلّ هذه المسألة حلاًّ يوافق للمصلحة الحاضرة، وذلك بطريق الإصلاح بين الفئتين المتشاجرتين بدون مساعدة أحد الطرفين على الآخر، حتى لا يوجب له المروق عن الطاعة حقيقة وفعلاً، وذلك بأن يكف الفريقان كفّاً قطعياً عن إحداث القلاقل، وإلزام كل منهما الراحة والسكون، وإن كان ثمة اشتباه من ابن سعود وأمره أعطي التعليمات اللازمة، وأنذر الإنذارات المقتضية، فإن أذعنوا وأطاعوا فلا تبغوا عليهم سبيلاً، وإن عتوا وعصوا فَسَوْق العساكر آخر علاج تستعمله الدولة لإخضاع الرعايا، على أن ابن سعود طلب هذا الأمر مراراً، وبحجة التأهب أدخل أرباب الأغراض على الحكومة السنية الأوهام ومنعوها من استعمال الرفق الذي هو أوفق للمصلحة، ومع هذا فإني مقدم للأعتاب الملوكانية ولمجلس الوكلاء الخاص تلغرافاً هذه صورته، أقدمها لفاً لتعرض أيضاً بواسطة دولتكم، عساه أن يصادف قبولاً فأفوز بخدمتي لديني ودولتي ومتبوعي الأعظم خليفة رسول رب العالمين نصره الله وأيده، وعلى كل حال الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر.

٨ رمضان سنة ١٣٢٢.

العبد الصادق المخلص قائمقام قطر

ورئيس عشائرها وقبائلها

جاسم الثاني

وفي الجزء الثامن من المجلة المذكورة[١] الصادر في ١٦ صفر سنة ١٣٢٣هـ[٢] نقلاً من رسالة كتبها رجل كبير من أهل نجد في غرة صفر أخبر فيها: أن الدولة أرسلت إلى الشيخ عبدالرحمن الفيصل بأن يواجه والي البصرة مع [الشيخ مبارك. فتوجه الشيخ عبدالرحمن من نجد إلى أطراف الزبير، وطلع الشيخ مبارك، والتقوا مع][٣] الوالي على مسافة ساعتين من بلد سيدنا الزبير، وقدّم الشيخ عبدالرحمن الطاعة لمولانا أمير المؤمنين، وكذب جميع ما نُسب إليه، وأنه خاضع لأوامر مولانا أمير المؤمنين، إلا أن ابن رشيد ليس له يد على أهل نجد، وبعد ذلك توجه الوالي إلى البصرة وبلّغ الآستانة ما كان، وليلة ٩ ذي الحجة[٤] وصل تلغراف من أمير المؤمنين بتولية الشيخ عبدالرحمن على نجد ورفع يد ابن رشيد، وبأن يكون في القصيم عسكر "رسم طاعة"، وأمرهم راجع إلى الشيخ عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز آل سعود، وبلغ الوالي عبدالرحمن ذلك[٥].

وفي موضع آخر من المجلة المذكور أيضاً[٦]: (انطفاء فتنة نجد واستقرار الأمر في آل سعود): إن ابن رشيد الذي كان متغلباً على بلاد نجد جَارَ وظَلَم، معتمداً على أن الدولة تؤيّده وتنصره بما كان يوهمها من أن آل سعود الوهابية يريدون محو سلطتها من بلاد العرب، وهو الذي يؤيد نفوذها، وكان هو وأنصاره يستعينون على ذلك ببعض رجال الحكومة في البصرة والشام والحجاز،

---

(١) مجلة المنار (المجلد ٥، ٨/١٩٦).

(٢) الموافق (٢٠/ ابريل ١٩٠٥م).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من مجلة المنار، الموضع السابق.

(٤) الموافق (٢/ يناير ١٩٠٦م).

(٥) في هذه الفترة استطاع الإمام عبدالعزيز آل سعود ضم معظم بلدان نجد وفي العام الذي يليه ١٣٢٤هـ تمكن من القضاء على عبدالعزيز بن رشيد

(٦) مجلة المنار (المجلد ٨، ٨/٣٠٣).

وبعض الجرائد المصرية التي توصف (بإسلامية)، فقد حاول هؤلاء الأنصار إقناع الآستانة أو يلدز[١] بأن آل سعود متفقون مع الأجانب على تمليكهم بلاد نجد، وما كانوا ينطقون ولا يكتبون إلا بأجرة عظيمة يأخذونها من بعض كبار التجار الأغنياء المشايعين لابن رشيد، فكانوا يوقعون الفتنة بين المسلمين ويَغشّون دولتهم وسلطانهم حباً في منفعة أنفسهم. ولما تمكن أهل الغيرة والنجدة من أمراء العرب وغيرهم من إقناع الدولة العلية بخضوع آل سعود لها وبُعدهم عن الفتن والاستظهار بالأجانب لشدة تمسكهم بدينهم، عمدت الدولة إلى التحقيق، فأرسلت المشير أحمد فيضي باشا[٢] إلى نجد ليدعو أهل البلاد النجدية ورؤساء القبائل إلى الطاعة، ويتبين هل هناك جنود أجنبية كما زعم الواشون، فأجيبت دعوته، وعلم أن آل سعود هم المخلصون الصادقون، وأن ابن رشيد وأنصاره هم الغاشّون المخادعون. فحصر سلطة ابن رشيد في بلده وعشيرته، وجعل عبدالرحمن الفيصل أمير سائر بلاد نجد وقبائلها، فاستراحت الدولة بذلك من الدسائس والمفاسد التي كانت تسري إلى بلاد نجد من مصر وغيرها، فالشيخ عبدالرحمن الفيصل وولده عبدالعزيز آل سعود لا يعرفان غير بلادهم وسلطانهم، ولا علاقة لهم بمصر ولا بغيرها. وإننا ننشر هنا ما جاءنا من بلاد العرب من صور الرسائل التي أرسلها المشير أحمد فيضي باشا إلى أهل نجد المتهمين وإلى الآستانة وولاية البصرة، لأن هذه رسائل رسمية قاطعة لألسنة الفسدة من أصحاب الجرائد الكاذبة في مصر وغيرهم.

---

(١) قصر يلدز من القصور المشهورة للدولة العثمانية في اسطنبول.

(٢) في هامش الأصل: أحمد فيضي باشا: من الأتراك التتر. قائد من قواد الجيش العثماني التركي. كان ظالماً غشوماً مرتشياً، وله أعمال سيئة لما صار والياً في اليمن. وكتبه: محمد نصيف.

كتاب المشير أحمد فيضي باشا إلى عنيزة:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله الواحد مستوجب الشكر والحمد، مالك الأمر من قبل ومن بعد، والصلاة والسلام على نبينا الذي أرسله بالهدى ودين الحق، وعلى آله وأصحابه أولياء الخلق، وبعد:

فإن خليفة الله في الآفاق، الثابت البيعة في الأعناق، مصباح مشكاة الخلافة، مفتاح باب الرحمة[١] والرأفة، ولي الأمر المنصوص على طاعته بلسان الذكر المحكم، سلطان البرّين والبحرين، عنوان الشرف والإقدام، أمير المؤمنين، حامي حوزة الدين، إمام الإسلام والمسلمين، مظهر العدل والإحسان، مصدر اللطف والامتنان، حضرة السلطان ابن السلطان، والخاقان ابن الخاقان، مولانا الغازي عبدالحميد خان، قوى الله شوكته، وفسح كما تهوى الشريعة مملكته.

أمرنا بالسير إليكم مع جنوده الشاهانية المنصورة لإصلاح أحوالكم وبلادكم فامتثلنا أمره، وعملنا إرادته[٢] العالية (كذا) فارتحلنا وجئناكم كما أمر ذاته المقدسة[٣] سعياً نسير فيكم بسيرته الحسنة صوناً لكم ورعياً ونبثّ الإنصاف ونُغْضي عما سلف من وقايعكم وقبائلكم، ونوصل وسائلكم لباب النجاح على حسب منازلكم، ولا تحسبوا عدتنا لإراقة دم ومؤاخذة بما مضى وتقدم، فارقدوا آمناً وأطيعوا أولي الأمر منا وتدبروا، ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ﴾ [الإسراء:٧]، وسابقوا لمرضاته وتقرّبوا من ألطافه. أيها

(١) الرحمة الحقيقية بيد الله سبحانه وتعالى وهو الرحمن الرحيم وهو الرؤوف بعباده.

(٢) في هامش الأصل: إرادته: تعبير تركي، وصوابه بالعربية: الأمر.

(٣) هذا من الغلو المنهي عنه شرعاً.

المسلمون السابقون أولئك المقربون، إنا لا نقضي فيكم بسوى الكتاب والسنة، ولا نولي أعمالكم من تشب به نار الفتنة، بل نولي عليكم من تحمدون ولايته، وتقبلون بأحكام روايته، فادخلوا تحت رواق صفح الملك، فعفوه مَمْدودُ السرادق، وولوا ركنه الشديد واستظلوا بطود حلمه الشاهق، واستقبلوا إنعامه والمنى، واعتصموا بعروته الوثقى، ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام: ١٢٠]، ولا تتبعوا المجرمين ليمكروا فيكم، وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون، عجلوا بالجواب الصواب، وأرسلوا من تعتمدون عليهم لأجل المواجهة والاستقبال، ولهم منّا الرأي وأمان الله، فلا يحصل عليهم سوء ولا مكروه، فاعتمدوا وبالله الاعتماد، والسلام على من سبّح في كفه الجماد، والسلام.

في ١٣ محرم سنة ١٣٢٣ الإمضاء

المشير أحمد فيضي

وكتب المشير مثل هذا الكتاب لبريدة، وذلك بعد أن فتش المعاهد التي زعم ابن رشيد فيها عسكراً من الأجانب، وكان مقامه حينئذ في القُوَارَة[1] -على مسافة يوم ونصف من عنيزة، يوم بل بعض يوم من بريدة-، وكتب إمضاءه.

مأمور إصلاحات القصيم

مشير أحمد فيضي

وقد جاء الجواب ناطقاً بأنهم لم يكونوا عاصين للدولة، فيطيعوا الآن، بل هم طائعون من قبل ومن بعد، ولكن الدولة ألبستهم ثوب العصيان بتزويد

(١) القوارة: من قرى بريدة، بمنطقة القصيم (المعجم الجغرافي ٢/١٠٢٦).

ابن رشيد، وأرسل كل أمير معتمداً من قبله لمواجهة الوالي وكشف الحقائق، فأكرمهم وخلع عليهم، ولما رأى ما يحملون من خطوط الأمراء شدّ رحله ونزل بريدة، فواجهه أمير البلد صالح بن حسن المهنا، فكساه وعاهده وأقرّه على بلاده، وترك عنده خمسين جندياً ولواءً عثمانياً، ثم رحل إلى عنيزة فواجهه الأمير عبدالعزيز عبدالله السليم، فلقي منه ما لقي ابن مهنا من اللطف والإكرام، وكان كتب إلى عنيزة الكتاب الآتي جواباً عن كتابهم إليه:

الكتاب الثاني من المشير إلى أهل عنيزة:

إلى كافة أكابر وأصاغر أهل عنيزة:

الحمد لله ولي الاحسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله رحمة للأكوان:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد: فقد وصل إلينا معتمدكم عبدالله بن محمد القاضي وصحبته المضبطة المحررة من طرفكم، وعرض طاعتكم وانقيادكم لأوامر حضرة أمير المؤمنين، فصرنا ممنونين لذلك، وحمدنا الله على ما هنالك، ثم نحن بيّنا له مقصودنا وعرّفناه -كما كتبنا لكم سابقاً- مطلوبنا، وهو سيصل إليكم ويكشف الحال لديكم، وطلب منا معتمدكم المشار إليه لكم الأمان والعفو عما سلف وعدم تولية ابن رشيد عليكم، فلكم أمان الله، وقد عفونا عما سلف، ولا نولي ابن رشيد عليكم، ولا نحكم بغير أحكام الشريعة ليصير معلومكم، والسلام.

٤ صفر سنة ١٣٢٣. الإمضاء

انتهى.

وقال العلامة الأمير شكيب أرسلان في تعليقات كتاب حاضر العالم الإسلامي[١]: ولما تولى نظارة الحربية أنور باشا، وكان ذلك قبل الحرب العامة ببضعة أشهر، وكان برنامج [سياسته][٢] اتحاد المسلمين، وكان يكره سفك الدماء فيما بينهم، لا سيما مع الأخطار المحدقة بجميعهم، ولم يكن عنده روح النفاسة لقوة العرب كما كان عند غيره، فكان يرسل بالأسلحة والعدد الحربية إلى ابن رشيد وإلى الإمام يحيى، وقد عذله بعض الأتراك على عمله هذا، فقال له: أتسلح رجالاً قد يجيء يوم [يستعملون][٣] فيه هذا السلاح في قتالنا. قال له أنور: أترى لو هاجمت اليمن أو نجداً دولة أجنبية نقدر أن ندفعها نحن من هنا، قال: لا. قال أنور: إذا كنا لا نقدر أن نحافظ عليهم، أفلا نمكّنهم على الأقل من المحافظة على أنفسهم. فأخرسه أنور بهذا الجواب.

استشارني في أمر ابن سعود، فأبديت له رأيي، وهو أن تُصافيَ الدولة ابن سعود وتجعله من [أعضادها][٤] بدلاً من أن يكون من أعدائها، فوجدته متشبعاً بهذا الرأي عازماً على مصالحة ابن سعود والإدريسي، وكان يريد إنفاذ الأستاذ المرحوم الشيخ صالح الشريف التونسي لمخاطبة الإدريسي في الصلح، على أن تبقى بيده المقاطعة التي كان فيها من بلاد عسير، ثم أخّر سفره إلى عسير نشوب الحرب العامة. وقبل نشوب الحرب العامة بقليل اتّفقت الدولة بسياسة أنور

---

(١) التعليقات على حاضر العالم الإسلامي (٤/١٦٩-١٧٠).

(٢) في الأصل: سياسة. والتصويب من التعليقات على حاضر العالم الإسلامي (٤/١٦٩).

(٣) في الأصل: يستعمله. والتصويب من التعليقات على حاضر العالم الإسلامي، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: أعضائها. والتصويب من التعليقات على حاضر العالم الإسلامي، الموضع السابق.

رحمه الله مع الأمير عبدالعزيز آل سعود على إقطاعـــه[١] الأحساء والقطيف وسائر لواء نجد، والاعتراف بإمارته على ما كان في يده من قبل وما دخل فيها من بعد، على شرط أن يعترف هو بسيادة الحضرة السلطانية، وأحسن السلطان إليه برتبة المشيرية السامية، ورغب إليَّ علي منيف بيك مستشار الداخلية يومئذ في تحرير كتاب بالعربية إلى الأمير عبدالعزيز المشار إليه، توضح فيه الدولة خطة سياستها في نجد وبلاد العرب، فحرّرته له، وكل ما أوصوه به هو إقامة العدل، وتأمين المسالك، ورفع المنازعات [من][٢] بين المسلمين بدون تمييز بعض على بعض، وأن الدولة تمدّه بكل ما يلتمسه منها لأجل تحقيق هذه المقاصد.

ولما اشتعلت الحرب العالمية الأولى راسلت الدولة الأمير ابن سعود في

---

(١) في هامش الأصل: على إقطاعه: كان الأمير عبدالعزيز آل سعود قد استولى على الأحساء والقطيف بالقوة سنة ١٣٣١هـ، وأخرج منها جنود الدولة العثمانية وضمها إلى نجد، وأرادت الدولة سوق الجيوش لمحاربته، ولكن رأى أنور باشا إقرار ابن سعود وجعل الأحساء في يديه، وأن يكون والي نجد، لأن الدولة كانت تسمي: الأحساء لواء نجد، فقبل ابن سعود هذا الحل الطيب، واعترف بذلك.

وكان يرفع مكاتيبه للدولة العثمانية هكذا: (والي نجد وقمندانها ورئيس عشائرها: عبد العزيز آل سعود)، وهو حفظه الله صاحب حظ عظيم بدفع الشر عن نفسه بأهون الضررين، وإذا نكثوا العهد معه فهو مستعد للحرب والنزال. ولما دخلت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى عام (١٣٣٣) هجرية، يوافق عام (١٩١٥م) صارت الأحساء -أي لواء نجد- معتبرة دولياً أنها من بلاد الدولة العثمانية، وكانت بريطانية (الدولة الإنكليزية) تريد أن تنازعه فيها، ففاز عليها، فاعترفت به سلطاناً مستقلاً في بلاده، وأدخلت في المعاهدة معه كما هو عادتها مع كل ضعيف لا يمكنه صد شرها أن لا يخاطب دولة أجنبية غيرها، ثم بعد استيلائه على الحجاز الغيت تلك المعاهدة بأحسن منها، وصارت مملكة ابن سعود مملكة مستقلة استقلالاً تاماً، وعقد بينه وبين جميع الدول معاهدات وتبادل السفراء، والحمد لله رب العالمين. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) قوله: "من" زيادة من التعليقات على حاضر العالم الإسلامي (٤/١٧٠).

خوض غمراتها إلى جانبها، فلم يجب طلبها خوفاً على بلاده من الإنكليز، لا سيما بعد أن رأى تقدمهم في العراق، على أنه من الجهة الثانية لم يَأْت عملاً تقدر أن تعاتبه الدولة عليه، بالرغم من مساعي الإنكليز لديه في ذلك، فكانت خطته في هذا الحرب التزام الحياد التام. انتهى.

وقال الشيخ محمد طاهر العمري في تاريخ مقدرات العراق السياسية[١]:
وأما مناسبات آل سعود السياسية مع إنكلترا فإنها مستندة على الخصومة القديمة التي بين الأتراك وآل سعود، الذين ذاقوا أشد الآلام في منفاهم ونزع أملاكهم، وبما أن آل الرشيد كانوا من منتسبي الحكومة العثمانية، بل كانوا ممثليها في جزيرة العرب، ولما كان كلٌّ من شيخ الكويت مبارك ابن الصباح وشيخ البحرين وآل سعود يخافون من اتساع سيطرة آل الرشيد وازدياد نفوذ الدولة العثمانية على أملاكهم، فقد فكّروا في الدخول تحت حماية[٢] إنكلترا، فعقدت هذه سنة ١٨٢٠م مقاولة مع شيخ البحرين تعهدت له ببسط حمايتها عليه، بشرط أن يتعهد بمحافظة التجارة البحرية، ويمتنع عن القرصنة[٣]، وعن الاتّجار بالرقيق، وعن تهريب الأسلحة إلى بلاد الهند والأفغان، وأن يتعهد بأن لا يؤجر ولا يبيع شيئاً من أملاكه إلى دولة أجنبية من دون موافقة إنكلترا، وقد طلب مبارك ابن الصباح شيخ الكويت حماية إنكلترا سنة [١٨٩٧م][٤]، وعقدت الدولة البريطانية سنة ١٨٩٨م معه مقاولة طبق المقاولة المعقودة مع أمير البحرين.

---

(١) تاريخ مقدرات العراق السياسية (١/٥٤-٥٩).
(٢) في هامش الأصل: لم يدخل ابن سعود تحت الحماية أبداً، والحمد لله رب العالمين. وكتبه: محمد نصيف.
(٣) اتهام بريطانيا لمشيخات الخليج بالقرصنة إدعاء باطل، الهدف منه السيطرة التامة على الملاحة في مياه الخليج العربي. المحقق.
(٤) في الأصل: "١٨٨٧". والتصويب من المقدرات (١/٥٥).

ولما كان [جميع] (١) هؤلاء الشيوخ هم أصدقاء آل سعود وأعداء الحكومة العثمانية، كان من الضروري أن يتقرّب آل سعود منهم ومن إنكلترا، فعقدت بريطانية العظمى سنة ١٨٩٩م مقاولة(٢) مع الأمير عبدالعزيز آل سعود، تعهدت له فيها [حمايته](٣) ضد الحكومة العثمانية، على أن لا يتجاوز هذا على التجارة البحرية والمنافع البريطانية(٤).

---

(١) قوله: "جميع" زيادة من المقدرات (١/٥٥).

(٢) هذه المعلومة غير صحيحة، ففي العام المشار إليه كان الملك عبدالعزيز لايزال بالكويت ولم يسترد الرياض إلا عام ١٩٠١م، وليس له إمارة أو ملك فكيف تعقد معه بريطانيا معاهدة حماية؟!. انظر: صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية (٢/٣٣).

(٣) في الأصل: حماية. والتصويب من المقدرات، الموضع السابق.

(٤) وفي كتاب ملوك المسلمين (١/١٤٤-١٤٧): الحكومة البريطانية هي أول حكومة غربية تقدمت إلى ابن سعود خاطبة ودّه، وساعية لإنشاء صلات سياسية بينها وبينه، فأرسلت إليه الرسل والمندوبين، وقد فازت فيما رامت إليه، فعقدت بينها وبينه يوم [٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥م] أول معاهدة، ويسمونها معاهدة العقير، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كانت الحكومة البريطانية من جهة وعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل السعود حاكم نجد والأحساء والقطيف والجبيل [والمدن]١ والمراسي التابعة لها بالأصالة عن نفسه وورثته وخلفائه وعشائره من جهة أخرى، راغبين في [توطيد]٢ الصلات الودية التي مرّ عليها وقت طويل ما بين الفريقين وتعزيزها، لأجل توثيق مصالحهما، فقد عينت الحكومة البريطانية اللفتننت كولونل السير برسي كوكس، أي المعتمد البريطاني في خليج العرب، مفوّضاً من قبلها ليعقد معاهدة مع عبدالعزيز ابن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، [وقد اتفق الليفتننت كولونل السير برسي كوكس وعبدالعزيز ابن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود]٣ (المشار إليه فيما يلي بابن سعود)، وأبرما المواد الآتية:

(أولاً): تعترف الحكومة البريطانية وتقرّ بأن نجداً والأحساء والقطيف والجبيل وتوابعها والتي يبحث فيها وتعين أقطارها فيما بعد ومراسيها على خليج العرب هي بلاد ابن سعود وآبائه من قبل. وبهذا تعترف بابن سعود المذكور حاكماً عليها مستقلاً، ورئيساً مطلقاً على قبائلهما، وبأبنائه وخلفائه بالإرث من بعده، على أن يكون ترشيح خلفه من قبله ومن قبل الحاكم بعده، وأن لا يكون هذا الحاكم المرشح مناوئاً للحكومة البريطانية بوجه من الوجوه، خاصة فيما يتعلق بشروط هذه المعاهدة.

(ثانياً): إذا حدث اعتداء من قبل إحدى الدول الأجنبية على أراضي الأقطار التابعة لابن سعود وخلفائه بدون مراجعة الحكومة البريطانية وبدون إعطائها الفرصة للمخابرة مع ابن سعود وتسوية =

=

المسألة، فالحكومة البريطانية تعين ابن سعود بعد استشارة ابن سعود إلى ذلك القدر، وعلى تلك الصورة اللذين تعتبرهما الحكومة البريطانية فعالتين لحماية بلدانه ومصالحه.

(ثالثاً): يتفق ابن سعود ويعد بأن يتحاشى للدخول في مراسلة أو وفاق أو معاهدة مع أية أمة أجنبية أو دولة، وعلاوة على ذلك بأن يبلغ حالاً إلى معتمدي السياسة من قبل الحكومة البريطانية كل محاولة من قبل أية دولة أخرى في أن تتدخل في الأقطار المذكورة سابقاً.

(رابعاً): يتعهد ابن سعود بأن لا يسلم ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر الأقطار المذكورة ولا قسماً منها، ولا يتنازل عنها بطريقة ما، ولا يمنح امتيازاً ضمن هذه الأقطار لدولة أجنبية أو لرعايا دولة أجنبية بدون رضى الحكومة البريطانية، وبأن يتبع مشورتها دائماً بدون استثناء، على شرط أن لا يكون ذلك مجحفاً بمصالحه الخاصة.

(خامساً): يتعهد ابن سعود بحرّية المرور في أقطاره على السبل المؤدية إلى المواطن المباركة، وأن يحمي الحجاج في مسيرهم إلى المواطن المباركة، ورجوعهم منها.

(سادساً): يتعهد ابن سعود -كما تعهد آباؤه من قبل- بأن يتحاشى الاعتداء على أقطار الكويت، والبحرين، ومشايخ قطر، وسواحل عُمان، التي هي تحت حماية الحكومة البريطانية، ولها صلات عهدية مع الحكومة المذكورة، وأن لا يتدخل في شؤونها، وتخوم الأقطار الخاصة لهؤلاء ستعين فيما بعد.

(سابعاً): تتفق الحكومة البريطانية وابن سعود على عقد معاهدة أكثر تفصيلاً من هذه على الأمور التي لها مساس بالفريقين.

وكتب في ١٨ صفر سنة ١٣٣٤هـ، الموافق ٢٦ ديسمبر سنة [١٩١٥م] ٤.

ولما استتب لابن سعود الأمر في الحجاز كاتب الحكومة البريطانية طالباً إلغاء المعاهدة القديمة، وعقد معاهدة جديدة تتناسب مع حالته، فأجابته إلى طلبه، وأرسلت مندوباً خاصاً اجتمع بمندوبه.

وفي يوم الجمعة ٢٨/ ذي القعدة ١٣٤٥هـ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧م اتفقا على المعاهدة الآتية والمسماه بمعاهدة جدة:

جلالة ملك بريطانيا وإيرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند من جهة، وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة أخرى:

رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها، وتأمين مصالحهما وتقويتها، قد عزما على عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم، لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السر جلبرت مكنجهام كليتن مندوباً مفوضاً عنه، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز نجله ونائبه في الحجاز مندوباً مفوضاً عنه.

بناءً على ما تقدم، وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادهما والتثبت من صحتها، قد اتفق سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز وحضرة السر جلبرت كليتن على المواد الآتية:

=

=

(المادة الأولى): يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لممالك حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاها.

(المادة الثانية): يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاها، ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين أن يحافظا على حسن العلاقات مع الفريق الآخر، وبأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الآخر.

(المادة الثالثة): يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاها بتسهيل أداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والأشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية أسوة بسائر الحجاج، ويعلن جلالة الملك أنهم يكونون آمنين على أموالهم وأنفسهم في أثناء إقامتهم في الحجاز.

(المادة الرابعة): يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفاً، والذين ليس لهم في بلاد جلالته أوصياء شرعيون إلى المعتمد البريطاني في جدة، أو من يندبه لذلك الغرض لإيصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين، بشرط أن لا يكون تسليم تلك المخلفات إلى الممثل البريطاني إلا بعد أن تتم المعاملات بشأنها أمام المحاكم المختصة، وتستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية النجدية.

(المادة الخامسة): يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاها عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية أو البلاد المشمولة بحماية جلالته، وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية، ولجميع الأشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجودن في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاها، على أن تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة.

(المادة السادسة): يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاها بالمحافظة على علاقات حسن الجوار مع الكويت، والبحرين، ومشايخ قطر، والساحل العماني، الذين لهم معاهدة خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية.

(المادة السابعة): يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق.

(المادة الثامنة): على الفريقين المتعاقدين إبرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الإبرام [بأقرب وقت، وتصير نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الإبرام]٥، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ، وإن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين للفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر أنه يريد إبطال المعاهدة تبقى نافذة، ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضي ستة أشهر من اليوم الذي يعلن فيه أحد الفريقين للفريق الآخر إبطالها.

=

وقد أراد الأمير عبدالعزيز سعود أن يستفيد من حماية الدولة البريطانية للهجوم على بلاد القصيم وإيقاع الفتك بإمارة الرشيد، فمنعته إنكلترا عن ذلك قائلة: إن المنافع البريطانية تنحصر بسواحل خليج العرب، ولا فائدة لإنكلترا من الاشتغال بداخلية البلاد العربية الوسطى، فانكسرت قوة ابن سعود المعنوية من منع إنكلترا هذا، غير أن الوزارة الخارجية البريطانية بلغت قنصلها الجنرال في الخليج سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م السر ([برسي][1] كوكس) فخامة المندوب السامي في العراق سابقاً بوجوب اكتساب صداقة أمير نجد، فأرسل السر برسي كوكس الكابتن (شكسبير) ممثل إنكلترا في الكويت إلى نجد، فتواجه مع الأمير عبدالعزيز في البر، ورأى من الأمير حفاوة وإكراماً، وأبان الأمير نفرته وغضبه

=

(المادة التاسعة): تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥م يوم كان جلالته حاكماً [لنجد]٦ وما كان ملحقاً بها إذ ذاك ملغاة ابتداءً من تاريخ إبرام المعاهدة.
(المادة العاشرة): دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية، وللنصين قيمة واحدة. أما إذا وقع اختلاف في تفسير قسم منها فيرجع إلى النص الإنكليزي.
(المادة الحادية عشرة): تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة.
وقّعت المعاهدة في جدة يوم الجمعة ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥، الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧م. انتهى٨. (غازي)٧.

١- قوله: "والمدن" زيادة من ملوك المسلمين (١٤٤/١).
٢- في الأصل: توصيد. والتصويب من ملوك المسلمين، الموضع السابق.
٣- ما بين المعكوفين زيادة من ملوك المسلمين، الموضع السابق.
٤- انظر نص المعاهدة في خالد بن ثنيان آل سعود، العلاقات السعودية البريطانية،ص٢١٦-٢١٧.
٥- ما بين المعكوفين زيادة من ملوك المسلمين (١٤٧/١)، وصقر الجزيرة (٩٢٥/٥).
٦- قوله: "لنجد" زيادة من ملوك المسلمين، الموضع السابق.
٧- انظر:جريدة أم القرى (ع١٤٥، ص:١-٢، سنة ١٣٤٦)، وصقر الجزيرة (٩٢٣/٥-٩٢٦).
انظر نص المعاهدة في خالد بن ثنيان آل سعود، العلاقات السعودية البريطانية،ص٢٤٣-٢٤٧.
(١) في الأصل: سي. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من المقدرات (٥٥/١).

على الأتراك، وقال للكابتن شكسبير: إنه يود أن يدخل في مفاوضات [جدية][١] مع الدولة البريطانية، وإنه من أخلص الأصدقاء لإنكلترا، وبحث عن صداقة والده عبدالرحمن مع ممثل إنكلترا في الكويت سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م، وعن مودة جدّه فيصل للمستر(بالغراف)[٢] الذي زاره[٣] في بريدة سنة١٢٨٥هـ/١٨٦٥م، وأظهر شكره وامتنانه من الفرصة السانحة لملاقاته معه، وكرر أسفه على بلاد الأحساء لضبطها من قبل الدولة العثمانية، تلك البلاد التي لم يزل يدعي أنها ملكاً لأبيه وأجداده، وأضاف الأمير على كلامه أنه سوف يقبل ممثلاً لإنكلترا في سواحل مقاطعة الأحساء فيما إذا استولى عليها.

وطبعاً كان يودّ الأمير استرداد مقاطعة الأحساء من الأتراك للخروج إلى سواحل خليج العرب وإيجاد منفذ بحري لــه هناك، وهذا الذي كان قد جعل الإنكليز يترددون في أمر مساعدة الأمير حذراً من تأسس سيطرته على سواحل الخليج، تلك السيطرة المتعصبة بالمذهب الوهابي[٤]. ومع ذلك كان السر برسي قوقس قد أفهم وزارة لندن الخارجية بأنه يرى استمالة ابن سعود ومساعدته من إيجابات المنافع البريطانية، فلم يَرِدْه إشعاراً ما بأمر معاضدة الأمير، غير أن عبدالعزيز آل سعود لم يصبر، فهجم على جنود الدولة العثمانية في الأحساء سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م، فطردهم من هناك واسترد مقاطعة الأحساء، واستولى على مرفأي (القطيف) و(العقير) من دون أن ينتظر مساعدة إنكلترا.

---

(١) في الأصل: جديدة. والتصويب من المقدرات (١/٥٦).

(٢) بالجريف، سبق تعريفه.

(٣) الإمام فيصل بن تركي توفي سنة ١٢٨٢هـ فكيف يكون قد زاره بالغريف سنة ١٢٨٥هـ؟!.

(٤) لفظ أطلقه أعداء الدعوة الإصلاحية في نجد والتي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وازرها الإمام محمد ابن سعود بالمذهب الوهابي وهي تسمية غير صحيحة، فالشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يأت بمذهب جديد، وإنما دعى إلى العودة للكتاب والسنة.

ولما عاد الكابتن شكسبير من سياحته الطويلة في البلاد العربية عام١٣٣٢هـ / ١٩١٤م وذهب إلى لندن، وكان قد أفهم الوزارة الخارجية درجة أهمية الأمير عبدالعزيز آل سعود في الديار النجدية وسطوته ونفوذه في البلاد العربية، فهذا الذي جعل وزارة لندن الخارجية تعتقد بوجوب التقرّب من ابن سعود واستمالته إليها.

ولكن الأتراك أرادوا أن يستردوا مقاطعة الأحساء من ابن سعود بالطرق السياسية، فشرعوا بالمفاوضة معه بوساطة السيد طالب النقيب، وفكّروا بتعيين الأمير عبدالعزيز متصرفاً على الديار النجدية، بشرط أن تكون واردات الكمرك للحكومة العثمانية، وأن يكون للجيش التركي عسكراً في الأحساء، غير أن نشوب الحرب الكبرى سنة ١٩١٤م[١] حال دون ذلك الاتفاق الذي كاد أن يبرم بين تركيا والأمير عبدالعزيز آل سعود.

ولما كان الأمر قد تمّ لابن[٢] سعود على (القطيف) و(العقير)، أصبح هذا الأمير أحد أمراء سواحل الخليج، ثم عاد الكابتن شكسبير من إنكلترا إلى خليج العرب في أوائل شهر اكتوبر تشرين الأول سنة ١٩١٤م الموافق ذي القعدة ١٣٣٢هـ لعقد اتفاق مع الأمير عبدالعزيز واستمالته إلى جانب إنكلترا فيما إذا نشبت حرب مع الأتراك، ولكن قبل أن يصل الكابتن شكسبير المومأ إليه إلى نجد نشبت الحرب، فأرسل الكابتن شكسبير كتاباً إلى الأمير بلغه فيه أنه إذا التزم جانب إنكلترا في الحرب تعهدت الدولة البريطانية له في كل ما يطلبه من المساعدة.

---

(١) هي الحرب العالمية الأولى والتي حدثت في عام١٣٣٢هـ/١٩١٤م واستمرت حتى سنة١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م.

(٢) قوله: "لابن" مكرر في الأصل.

أما الأتراك فإنهم لم يضيعوا الفرصة، فطلبوا عند نشوب الحرب الكبرى مساعدة كل من الأمير ابن سعود والأمير ابن الرشيد، وأرادوا أن يمدهم [الأخير](١) بمجاهدين يشتركون في حرب قناة السويس، وأن يساعدهم ابن سعود في صد هجمات الإنكليز على العراق، وأرسل أنور باشا مقداراً من الهدايا والدراهم مع وفد من بغداد تحت رئاسة المرحوم شكري أفندي الآلوسي(٢) إلى الأمير عبدالعزيز، ولم يفلح، بل أجاب ابن سعود أنه لا يتمكن من مساعدة تركيا في الحرب ما لم يطرد آل الرشيد إلى حدودهم.

وفي ١٧ كانون الثاني يناير سنة ١٩١٥م الموافق ٢/ ربيع الأول ١٣٣٣هـ وصل كتاب من الأمير عبدالله ابن ملك الحجاز الحسين بن علي إلى الأمير عبدالعزيز يستمزج رأيه في طلب الأتراك اشتراك القبائل العربية في الجهاد العام الذي أعلنه الخليفة السلطان محمد رشاد، فأجاب ابن السعود: أن لا فائدة من اشتراك العرب في الحرب بجانب الأتراك.

وفي ٢٤ كانون الثاني يناير سنة ١٩١٥م الموافق ٩/ ربيع الأول ١٣٣٣هـ حدثت معركة شديدة بين آل السعود وآل الرشيد، قُتِلَ فيها الكابتن شكسبير(٣) الذي كان إذ ذاك هناك عند الأمير عبدالعزيز يحمله على كسر شوكة آل رشيد الذين لم يزالوا يمثلون الأتراك في جزيرة العرب، ولكن لم تسفر هذه المعركة عن غالبية طرف ما، بل إنها بقيت بلا نتيجة رغماً عن كثرة

---

(١) قوله: "الأخير" زيادة من المقدرات (٥٧/١).

(٢) في هامش الأصل: السيد شكري الآلوسي: من أكبر علماء بغداد العراق، وكان سلفي العقيدة رحمه الله آمين ورضي عنه. وكتبه: محمد نصيف.

(٣) في هامش الأصل: قال كنث وليمز في كتاب: "ابن سعود سيد نجد" (ص:٧٩): خرج الكابتن شكسبير في أثناء المعركة في ثيابه العسكرية الرسمية لمراقبة القتال، فأصابته رصاصة طائشة جرحته جرحاً مميتاً، وأقبل بعض المقاتلين من بيت الرشيد بسيوفهم فأجهزوا عليه. انتهى.

عَدد [وعِدد] [١] جنود ابن سعود وتفوقه على آل الرشيد المادي والمعنوي.

وكان الأمير عبدالعزيز جسوراً، شجاعاً في شخصه، غير أنه لم يتمكن من محو آل الرشيد بتاتاً، بل ضربهم ضربة جعلتهم غير قادرين على مساعدة الأتراك مدة طويلة، وبقي العداء بين الطرفين حتى عقد اتفاق بينهما في ٢٧ رجب ١٣٣٣هـ/ ١٠ يونيه [حزيران][٢] سنة ١٩١٥م اعترف فيه آل الرشيد بسيادة الأمير عبدالعزيز على مقاطعة نجد كلها من (الحنف) [٣] إلى (وادي الدواسر)، وتعهد فيها أن لا يساعد الأتراك أثناء الحرب من دون رضاء ابن سعود. انتهى.

وقال الريحاني في ملوك العرب في ذكر السلطان عبدالعزيز[٤]: هو طويل

---

(١) قوله: "وعدد" زيادة من المقدرات (٥٨/١).

(٢) في الأصل: حيزران. والتصويب من المقدرات (٥٩/١).

(٣) قال ياقوت: ماء لبني معاوية بن عامر بن ربيعة. معجم البلدان (٣١١/٢).

(٤) ملوك العرب (٥٣٣/٢، ٥٣٥-٥٣٦).

وفي كتاب ملوك المسلمين في ذكر أحوال الملك عبدالعزيز (١٢٠/١-١٢٢): أنه يستيقظ مبكراً بين الساعة ٣-٤ صباحاً، فيتوضأ ويصلي الصبح، ثم يبدأ بتلاوة القرآن سواء كان في الرياض أو مكة، فيقرأ جانباً كبيراً منه، [ويظل في اعتكافه وتهجده حتى قرب شروق الشمس] ١، ثم ينام عند الساعة الخامسة ويستيقظ نحو الساعة الثامنة، فيلبس ثيابه ويشرب القهوة، ويجرع كميته من لبن الإبل، ثم يخرج إلى الديوان فينظر في الشؤون المعروضة عليه، ويوافيه عامل اللاسلكي كل صباحٍ بتقارير عماله وأمرائه. وكل حاكم مدينة عندهم يسمى: أميراً، وجميعهم يتصلون اتصالاً مباشراً بالملك، فيوافيه كل منهم بتقرير مفصّل عن الحالة في منطقته، فلا يكاد يفوته شيء مما يقع، ثم يأخذ في استقبال زائريه وقاصديه وعماله ورجاله، فيجلس معهم متربعاً على سجادة مفروشة على الأرض، ويحادثهم ويناقشهم، ويشرب القهوة مع كل زائر، ويظل على ذلك حتى الساعة ١١ قبل الظهر، ويكون الطهاة قد انتهوا من إعداد الطعام وتهيئته، فيجلس على مائدة مدّت على الأرض وحوله ضيوفه، ويأكل بيده إذا كانوا من أهل نجد والحجاز. أما إذا كان هنالك رجال رسميون فيأكل بالملعقة، ويجلس إلى موائد نظمت على الطراز الحديث. ولديه غرفة للطعام في القصر العالي بمكة، أعدت إعداداً مناسباً. وكذلك أعدّ القصر الأخضر في جدة على نمط حديث. وبعد الفراغ

=

من الأكل تدار القهوة العربية، ثم يصلي الظهر، ويدخل الجناح الخاص بالنساء فينام، ثم ينهض عند الساعة الثالثة فيستحم ويبدل ثيابه، ويتطيب، وينتقل إلى الديوان فيصلي العصر جماعة، ثم يجلس لاستقبال الزائرين والنظر في الشؤون المعروضة عليه والفصل في الخصومات حتى أذان المغرب، فيصلي جماعة مع الموجودين. ثم يبدأ أحد العلماء بإلقاء درس الفقه بحضور الملك وأنجاله وأمرائه وغيرهم من الذين يودون الاستفادة، ويستمر في إلقائه حتى دخول وقت العشاء، فيصلّون، ثم يلقي عالم آخر درساً في التفسير والحديث يستغرق ساعة، وفي ختامه يتفرق الناس للنوم، فيقصد جلالته مخدعه فينام. هذا هو برنامجه اليومي في الأوقات العادية حينما يكون مستقراً في نجد أو في الحجاز.

أما في الأسفار أو في أيام الحرب والغزوات فيختلف برنامجه عن ذلك، فقد تمرّ به ليال لا ينام في خلالها إلا غراراً على ظهور الإبل أو الخيل، مواصلاً سرى الليل بسير النهار، لا يأكل إلا قليلاً، ولا يشرب إلا نادراً إذا وجد ماء.

ومما يروى عنه: أنه اضطر في بعض غزواته إلى شق بطون النياق لاستخراج ما فيها من ماء وشربه؛ لندرة الماء، وكثيراً ما قضى الأيام والليالي طاوياً لعدم وجود ما يأكله.

وطعامه اليومي المعتاد هو الأرز، واللحم المسلوق، واللبن الرائب، ولبن الإبل، والخبز، ويأكل الفواكه إذا وجدت.

ويحب المباسطة على المائدة خلال تناول الطعام، ويمازح جلساءه ورجال خاصته، ويحادثهم أحاديث طلية لا أثر فيها للكلفة، ويعاملهم معاملة الصديق للصديق، والند للند، وهم يحبونه حباً جماً، ويتفانون في سبيله، على أنه لا يتأخر عند الحاجة عن تأديب بعض من يذنب منهم بيده. وهو مشهور بالإفاضة في الحديث، فإذا بدأ بموضوع لا يتركه قبل أن يلمّ به من جميع نواحيه، ولا يدع زيادة لمستزيد، فإذا قاطعه جليسه أو محدثه مستدركاً على شيء أو مبدياً رأياً لاح له، أو فكرة مرّت بخاطره قال له: (اسمع أنا أعلمك) أي أخبرك، أو (اسمع، اسمع الله يهديك)، أو (ما تسمع الله يسلمك)، ويردد هذه الجمل كثيراً في محادثاته اليومية.

ومن مزاياه الحميدة: اعترافه بأنه لم يتعلم العلوم، ولم يرزق حظ الإحاطة بها، وهو يكرر ذلك في معظم المناسبات، ويقول: (حنا) أي نحن ما تعلمنا، فيجب على الذين تعلموا أن يساعدونا ويرشدونا.

(خطبه):

خطبه كثيرة متداولة، وهو يخطب في كل مناسبة تقريباً. ومن عادته: أنه يخطب وهو جالس، ويشير بسبابته اليمنى، ويستعين بها أو بقضيب صغير يحمله في يده على أداء ما في فكره. وهو يرسل الكلام إرسالاً من دون أن يتقيد بأساليب البلغاء أو بقواعد اللغة، بل يخطب بلهجة أهل نجد، وتغلب [على][٢] خطبه المسحة الدينية، وكثيراً ما يستشهد بأحاديث نبوية وآيات قرآنية في خلالها[٣].

=

=

(أخلاقه):

تغلب عليه الوداعة والمرونة مع شدة وقسوة عند الحاجة، فهو [يعرف]٤ كيف يضع السيف، كما يعرف كيف يضع الندى، وهو متسامح مع خصومه وأعدائه، واسع الصدر، كريم اليد، فإذا جاؤوه تائبين أو نادمين عفا عنهم، ورحّب بهم، وأجزل لهم العطايا، وأنزلهم أحسن المنازل. ويكون انتقامه شديداً ممن ينتقض عليه أو يحاربه بعد أن يكون دخل في طاعته.

وقد تمّ له بفضل سياسة الحزم والعزم والشدة التي يسير عليها في إدارة بلاده وأقطاره الواسعة إقرار الأمن على منوال غير معروف في أعظم البلاد رقياً وحضارة، فاطمأن الناس على أرواحهم وأموالهم، حتى ندر وقوع الحوادث العادية. والفضل في ذلك إلى يقظته الزائدة، وأخذه بالشدة المجرمين وقاطعي الطريق والعابثين بالأمن العام، فلا يرحمهم، ولا يشفق عليهم، ولا تنفع عنده فيهم شفاعة٥.

(راتبه):

ليس لجلالته راتب معين يتناوله من بيت المال، بل هو يأخذ ما هو في حاجة إليه لإنفاقه على ضيوفه وزوّاره، ولا توجد في الحكومة العربية السعودية ميزانية [مرتبة]٦ مبوّبة كما هو الحال في الممالك الأخرى، بل كل شيء رهن إرادة الملك. وتقصده وفود العربان حينما يكون في نجد، فيصابحه كل يوم عدد منها، فيترلون في دار الضيافة، ولكل أمير من أمراء ابن سعود في نجد والحجاز دار للضيافة يترلها المسافرون، وبعد أن يقضي القادمون أيام الضيافة -وهي ثلاثة في الغالب- يرفع وكيل بيت المال إلى الملك كشفاً بأسمائهم، ليأمر [لهم]٧ بأعطياهم، فيكتب إلى جانب اسم كل واحد منهم المبلغ الذي يعطى له، مراعيا حالته ومقامه. ويمنح كبار الضيوف وعظماءهم السيوف المذهبة، أو الخناجر المطعمة، أو الساعات الثمينة، كلّ برتبته ودرجته، ولا يغادر قصره [زائر]٨ من دون هدية.

وبابه مفتوح للضيف والمظلوم، وكيسه مفتوح للبذل والعطاء، كما أن سيفه مسلول للبطش والتأديب. وقد ساد قومه بهذه المزايا الثلاث: العدل، والكرم، والشجاعة، ونال ما لم ينله غيره من آل السعود٩.

(زوجاته):

لا يوجد إحصاء حقيقي بعدد النساء اللواتي تزوجهن حتى الآن، بيد أن بعض العارفين يقول: إن عددهم يزيد عن المائة، فقلّ أن توجد قبيلة أو مدينة في نجد لم يتزوج بنتاً من بناها تقرباً إليها واستمالة لها.

وهو متمسك بما قرّره الدين من جهة العدد، رغم تعدد زوجاته وكثرهن، ومعنى ذلك أن عدد الزوجات الشرعيات لا يتجاوز الأربع بوجه من الوجوه، فإذا أراد الزواج طلّق واحدة من الموجودات، ثم عقد على التي وقع اختياره عليها وبنى بها.

ومطلقاته يقسمن إلى قسمين: فاللواتي يحبلن أو يلدن يبقين داخل قصر الرياض، ويقمن منفردات، كل واحدة في مكان يخصص لها ريثما تضع حملها، فإذا كان حياً عنيت به وقامت على تربيته، ولها ما للزوجات الباقيات من المأكل والملبس. وأما اللواتي لم يلدن فيرجعهن إلى أهلهن مع جهازهن

=

=

وألبستهن وما يكون الملك قد أجراه لهن مدة وجودهن في قصره. وبينهن من يلزمن بيوتهن ولا يقبلن الزواج بغيره. وبينهن من يتزوجن بعد انقضاء العدة الشرعية، ولا يجدن في ذلك أقل بأس.
وفي القصر الملكي عدا النساء الشرعيات طائفة من الجواري السود اللواتي يدخلن في آية: ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ ، يفترشهن الملك، وكذلك فهنالك طائفة غير قليلة من السراري، ويسموهن (كرجيات)١٠، وقد حملن إلى نجد في زمن الحرب العظمى، فاشتراهن الملك وتسراهن، وهو يستمتع بهن، وبينهن واحدة ولدت له أولاداً، وهي تقيم في القصر محترمة مكرمة، تعنى بملابسه الخاصة، وتسهر على ترتيبها ونظافتها.
وقد اعتاد أن يأتي معه بجانب من نسائه حين قدومه إلى الحجاز سنوياً، ويبقي الجانب الأكبر في نجد، ويأخذهن معه في رجوعه إليها١١.

(أولاده):

لا يقلّ عدد أولاده ذكوراً وإناثاً عن أربعين، ونحن نكتفي بإيراد ما نعرفه من أسماء الذكور. وأما الإناث فلا يعرف أسماءهن إلا القليلون:
سعود، وفيصل، ومحمد، وخالد، وناصر، وسعد، ومنصور، وفهد، وبندر، ومساعد، وعبدالمحسن، ومشعل، وعبدالله، وسلطان، وعبدالرحمن، ومتعب، وطلال، وتركي، ونواف.
وللملك عناية عظيمة بالصحف العربية، وخصوصاً الصحافة المصرية، ويقرأ ما تكتبه عن بلاده بإمعان، وهو مشترك في معظم الصحف العربية؛ مصرية، وسورية، وعراقية، وتقرأ في ديوانه، وترفع إليه قصاصات منها عن الحالة في بلاد العرب.
وكذلك فهو مشترك في جريدتيّ التيمس والنيريست الإنكليزية، ويتولى [قلم]١٢ الترجمة في ديوانه ترجمة المقالات الخاصة ببلاد العرب ويرفعها إلى جلالته. وهنالك مترجمون أيضاً لترجمة ما يكتب في الصحف الهندية عن الحجاز١٣.

(عادته في رحلاته):

ومن عادته في رحلاته: أن يقف اثنان من رجاله وبيد كل واحد منهما بندقية على درج سيارته، هذا من اليمين وذاك من الشمال، خوف وقوع حادث مفاجئ. وتكون إلى جانبه في السيارة بندقية خاصة به، ويضع سائق سيارته الخاص -وهو هندي مضى على وجوده عنده سنوات عديدة- بندقية في جانبه.
ويسير وراءه حيثما سار شاب أسود اللون، تسلح بالبندقية والمسدس والجنبية والخنجر، فيرافقه في زياراته وفي ذهابه إلى الولائم الخاصة وإلى المسجد وإلى كل مكان، ولا يتركه إلا بعد دخوله غرفته الخاصة في القصر، ويقف وراءه في صلاته، ولا يصلي هذا التابع حينما تقام الصلاة، بل ينتظر ختامها ليصلي، فلا يباغت الأمير في صلاته١٤. انتهى.

=

القامة، مفتول الساعد، شديد العصب، متناسق الأعضاء، وهو أسمر اللون، أسود الشعر، ذو لحية خفيفة مستديرة وشارب يقضبه على الطريقة الوهابية[١]. له من السنين سبع وأربعون[٢]. يلبس في الصيف أثواباً من الكتان بيضاء، وفي الشتاء قنابيز من الجوخ تحت عباءة بُنِّية، ويتنعل ويتطيب، ويحمل عصا من الشَّوْحَط[٣] طويلة، يستعين بها على الإفصاح عن آرائه، على تشكيل كلماته

=

١- ما بين المعكوفين زيادة من ملوك المسلمين (١/١٢٠).

٢- في الأصل: عليه. والتصويب من ملوك المسلمين (١/١٢٢).

٣- ملوك المسلمين (١/١٢٢).

٤- في الأصل: يعرفه. والتصويب من ملوك المسلمين، الموضع السابق.

٥- ملوك المسلمين (١/١٢٢-١٢٣).

٦- قوله: "مرتبة" زيادة من ملوك المسلمين (١/١٢٣).

٧- في الأصل: هم. والتصويب من ملوك المسلمين، الموضع السابق.

٨- في الأصل: زائراً. والتصويب من ملوك المسلمين، الموضع السابق.

٩- ملوك المسلمين (١/١٢٣-١٢٤).

١٠- الكرجيات: نسبة إلى بلاد الكورج أو جورجيا في القوقاز جنوب روسيا، وقد اشتهرت هذه البلاد بجمال نسائها (هامش ملوك المسلمين ١/١٢٤).

١١- ملوك المسلمين (١/١٢٤-١٢٥).

١٢- في الأصل: قيم. والمثبت من ملوك المسلمين (١/١٢٥).

١٣- ملوك المسلمين (١/١٢٥).

١٤- ملوك المسلمين (١/١٢٥-١٢٦).

(١) يعني على طريقة أهل السنة والسلف الصالح.

(٢) كان ذلك في سنة ١٣٤٤هـ حيث أن مولده كان في عام ١٢٩٧هـ.

(٣) الشوحط: ضرب من شجر جبال السراة تتخذ منه العصي، ونباته قضبان تنمو كثيرة من أصل واحد، وورقه رقاق طوال، وله ثمرة مثل العنبة الطويلة إلا أن طرفها دقيق، وهي تؤكل (المعجم الوسيط ١/٤٧٤).

إذا صحت الاستعارة وتمكينها، وله في الحديث غيرها من الأعوان. له أنامل طويلة لدنة يشير بها [في][1] مواقف البلاغة، وله عينان عسليتان تنيران أماكن العطف واللطف ساعة الرضى، وتضرمان في كلامه ساعة الغيظ نار الغضا، وله فم كورق الورد في الحالة الأولى، وفي الحالة الثانية كالحديد، يتقلص فيشتد، فهو إذ ذاك كالنصل حدّاً ومضاءً.

ينام على الفراش والسجادة في الليل، ويضعهما تحته على الكور في السفر، وهو لا يحمل شيئاً في جيبه، لا ساعة، ولا قلماً، [ولا][2] ذهباً ولا فضة، ولا أظن أن في ثيابه جيوباً البتة، إلا أنه يحمل ساعة في الخرج عند السفر، ويضعها تحت الوسادة عندما يقيم في مكان، وهي لا تزال في صندوق المخمل الذي جاءت فيه من المعمل، ويحمل كذلك ناظوراً كبيراً لا غنى له عنه، فهو دائماً يراقب من مجلسه حركات رجاله وخدامه، فضلاً عن أنه لا تمر غيمة في الأفق إلا ويرفع إليها الناظور [متيقناً][3] متثبتاً.

قال لي: أَمْرُنا مُشكِل يا حضرة الأستاذ، علينا الكبيرة والصغيرة، فإذا كنا لا نداوم المراقبة لا نكوَن عالمين بكل ما يتعلق بشؤوننا، العبد والأمير، عيننا على الاثنين حتى ننصف دائماً الاثنين ونعدل بينهما.

وفي نجد اليوم من الأمن ما لا تجده في بلاد الانتداب السعيدة، بل في البلاد المتمدنة.

لا يظنني القارئ مبالغاً بما أقول، ولست على ما أقول مستشهداً بنفسي، مع أن رحلتي النجدية استمرت خمسة أشهر، قطعت في أثنائها الدهناء مرتين،

---

(١) قوله: "في" زيادة من ملوك العرب (٢/٥٣٣).
(٢) قوله: "ولا" زيادة من ملوك العرب (٢/٥٣٦).
(٣) في الأصل: متقيناً. والتصويب من ملوك العرب، الموضع السابق.

جنوباً في طريقي من الأحساء إلى الرياض، وشمالاً في طريقي من القصيم إلى الكويت، [وكانت][١] حقائبي وفيها مالي مكسرة الأقفال مفتوحة، وهي مع الحملة بعيدة مني النهار كله، وكان في خدمتي أناس من البدو، ولم أفقد مع ذلك شيئاً من حوائجي ولا ورقة من أوراقي.

إن الأمن في نجد لا يحتاج إلى رحلتي مثالاً وإثباتاً، بل إن له أكبر دليل وأقطع حجّة في أهل البلاد أنفسهم، المسافرين من قطر إلى قطر، وفي القوافل التي تسير إلى أربعين يوماً في ملك ابن سعود من طرف إلى طرف، من القطيف مثلاً إلى أبها، [أو][٢] من وادي الدواسر إلى وادي سرحان، دون أن يتعرض لها أحد من البدو أو الحضر، دون أن تسأل من أين وإلى أين.

كانت الطرق في الأحساء في عهد الأتراك لا تعبر إلا بقوة عسكرية، أو بدفع (الخُوّة)[٣]، وكانت الطريق بين العقير والأحساء -وهي طريق التجارة إلى نجد الأسفل- أكثرها وأشدها أخطاراً، فكان التاجر العربي المسلم الذي يروم الوصول إلى الهفوف -مسافة أربعين ميلاً- يضطر أن يدفع (الخُوّة) كلما اجتاز خمسة أميال أو عشرة من [هذه][٤] الطريق المخيفة، طريق التجار والأموال.

جاءها العجمان من الجنوب، وبنو مرة من الربع الخالي، والمناصير من القطر وما دونها، وبنو هاجر من الشمال من نواحي القطيف والكويت، وجاء من داخل البلاد من وراء الدهناء الدواسر الأشاوس، فحاموا على هذه الطريق وربطوها، وقطعوها، وتقاسموا أموال قوافلها.

---

(١) في الأصل: وكان. والتصويب من ملوك العرب (٥٥٨/٢).
(٢) في الأصل: "و" والتصويب من ملوك العرب، الموضع السابق.
(٣) الخوّة: المكس والضريبة والرسوم. وكلها بمعنى واحد.
(٤) في الأصل: هذا. والتصويب من ملوك العرب (٥٥٩/٢).

كان يجيء التاجر من البحرين مثلاً، فيدفع قبل أن يطأ برجله العقير (خُوّة) للعجمان، ومن العقير إلى النخل خمسة أميال، وخمسون ريالاً [(خُوّة) للمناصير، ومن النخل إلى أم الذر خمسة أميال، وخمسون ريالاً][1] (خُوّة) لبني مرة، ومن أم الذر إلى العلاة خمسون ريالاً (خُوّة) لبني هاجر، ومن العلاة إلى... إلخ. وإذا فاز [التاجر][2] المسكين بحياته وبقي شيء في كيسه، فمن المؤكد أن أحماله لا تصل [كلها][3] إلى الأحساء، وكان إذا خرج عسكر الترك لتأديب أحد من هؤلاء العشائر يطاردهم البدو فيغلبوهم، ويأخذون خيلهم وثيابهم، ويرجعوهم إلى الأحساء حفاة عراة، ثم يجيء البدوي منهم راكباً حصان الجندي التركي. هذه حال الأحساء قبل أن تسقط في يد ابن سعود.

أما اليوم؛ فقد مررنا في النفود بجمل بارك، رازح تحت حمله، فسألت عن صاحبه فقيل لي: إنه سار في طريقه، وسيرجع بعد أن يصل إلى البلد بجمل آخر يحمل البضاعة، وقد يموت الجمل الرازح ويبقى حمله على قارعة الطريق عشرة أيام، فيعود صاحبه فيجده وما مسته يد بشر[4].

التدخين ممنوع في نجد، بل في مُلك ابن سعود كله، ولا أحد يدخّن علناً أو في الأسواق، لا في الأحساء، ولا في العارض، ولا في القصيم، ولكنهم في الأحساء وفي القصيم يدخنون في بيوتهم، والمشايخ يتساهلون، وفي الرياض رأيت من يدخّن سراً حتى في حضور أقرب الناس إلى السلطان، ذلك لأنهم لا

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من ملوك العرب (٢/٥٥٩).
(٢) في الأصل: التجار. والمثبت من ملوك العرب، الموضع السابق.
(٣) في الأصل: كله. والتصويب من ملوك العرب، الموضع السابق.
(٤) ملوك العرب (٢/٥٥٨-٥٦٠).

يرون في الدخان ما يراه المتعصبون من العلماء[١].

وقد شاهدتُ معرض عطاء السلطان في الرياض، كنت أشاهده كل يوم مدة إقامتي هناك. هذه يا طويل العمر جريدة بمن نوّخوا اليوم.

يقدمها إبراهيم بن جميعة رئيس التشريفات، فيقرأها [السلطان][٢] ويكتب إلى جانب كل اسم ما يجب أن يُعطى صاحبه يوم ارتحاله، وقد أذن عظمته بإحدى تلك الجرائد وفيها أكثر من مائة اسم. إني أنقل من رأسها ووسطها وآخرها ثلاثة أسماء ليطلع القارئ على أحوال ابن سعود كلها:

بخط رئيس التشريفات: حمود بن صوَيْط معه فرسان[٣] وذلول.

بخط السلطان: ألفان ربية، وبشت، وبر معلّم (أي عباءة مقصبة)، وزبون (قنباز) جوخ، وسيف مذهّب.

بخط رئيس التشريفات: سليمان بن علي، من أهل حائل.

بخط السلطان: أربعمائة ربية، وبشت، وزبون.

بخط رئيس التشريفات: هزاع بن سلطان بن زايد راعي (حاكم) عُمان، معه عشر ركائب (نوق) عمانيات (هدية).

بخط السلطان: ثمانية آلاف ربية، وسبعون ليرة، وعشرون بندقية، وفرسان.

ثم إلى رجاله الخمسة والعشرين[٤] كل واحد كسوة، وكيس فيه من المائة

---

(١) ملوك العرب (٢/٥٦٢-٥٦٣). وقد ثبت أن الدخان ضار وأجمعت على ذلك تقارير الأطباء وذلك مما لايدع مجالاً للقائلين بغير ذلك.

(٢) في الأصل: والسلطان. والتصويب من ملوك العرب (٢/٥٧٦).

(٣) في هامش الأصل: بعض الزائرين يجيئون بالهدايا من خيل وإبل. اهـ.

(٤) في الأصل زيادة: من. انظر: ملوك العرب (٢/٥٧٧).

إلى الخمسمائة ربية حسب مقامه[١].

وفي الرياض جيش من السباهلة والفقراء يتراوح عددهم بين الألف والألفين، يألون في القصر مرتين كل يوم، الظهر والمساء، وفيها أيضاً مائة أسرة أو ما يزيد، منها أسر بيت الرشيد، لا يحتاجون إلى أقل سعي في سبيل رزقهم، فالبيوت والخيل والإبل والثياب والمؤونة والجواري والعبيد كلها من السلطان.

رأيت العربان والإخوان ينتظرون في الرواق، ومحمد بن صالح الشلهوب – وزير المالية– جالس وراء منضدته يَعُدّ الروبيات، وأعوانه في المخازن يوزّعون الثياب، وكنت أرى كل يوم عند غروب الشمس صفاً طويلاً من العبيد، ساسة الخيل، كلٌّ يحمل وعاءه وينتظر عند باب من أبواب شلهوب ليملأه شعيراً. وشلهوب هو القيم الأول في المطبخ السلطاني والمطبخ العام اللذين لا يختلفان في غير التِّمَّن (أي الأرز)، فالصنف الذي يطبخ للسلطان ورجاله أحسن من ذاك الذي يطبخ للعربان والإخوان[٢].

رأي السلطان عبدالعزيز في الوحدة العربية

قال الريحاني[٣]: كانت الوحدة العربية حديثنا في جلسات عديدة، ولكن عندما دنا يوم الرحيل أفاض السلطان في الموضوع، فدوّنت خلاصة حديثه تلك

---

(١) ملوك العرب (٢/٥٧٥-٥٧٧).
(٢) ملوك العرب (٢/٥٧٨-٥٧٩).
(٣) ملوك العرب (٢/٥٨٥-٥٨٦).

الليلة وعرضتها عليه في الليلة التالية، فقرأها وأصلح خطئي فيها، وإليكها أيها القارئ في الحالين:

رأي السلطان عبدالعزيز في الوحدة العربية من حديث له ليلة ٣ جمادى الثاني سنة ١٣٤١هـ في منزلي بالقصر:

١- هو يبغي الوحدة العربية، ويساعد مَن سعى بإخلاص في تحقيقها، فيحضر اجتماعاً يعقد [لهذه][1] الغاية، ويقبل الزعامة والبيعة ملكاً على البلاد العربية كلها، لاعتقاده أنه أهل لها، ويستطيع تعزيزها.

٢- وإذا بايع العرب غيره فهو يقبل ذلك، ولا يتحوّل عن فكرته، بل يستمر في خدمة [القضية][2] العربية بما يستطيع.

٣- وإذا لم تتحقق الوحدة وكان ائتلاف أو حلف عربي بين أمراء العرب لتعزيز شؤونهم معنوياً وسياسياً ولضمانة مصالحهم الاقتصادية المشتركة فهو ينضم إليه.

٤- وإذا لم تكن الوحدة ولا الحلف فهو على سياسته، يحالف دولة تكون المصالح مشتركة بينه وبينها.

٥- وفي كل حال هو رجل سِلْم في بلاده، لا يبغي الاعتداء على أحد، ولكنه يأبى أن يعتدي أحد عليه.

كتبت خلاصة الحديث تلك الليلة كما هو أعلاه، وأطلعت السلطان عليها لأتحقق صحة الرواية، فقرأ ما كتب مادة مادة، وأخذ القلم وضرب على المادة الثانية قائلاً: أسأت فهمنا فيها. نحن لا نقول كلمة ينقلها عنا الأستاذ الريحاني ولا نثبت عليها، ولكن هذا لا يكون، مشيراً إلى المادة الثانية. نحن نعرف أنفسنا، ولا نقبل الرئاسة في غيرنا. انتهى.

---

(١) في الأصل: بهذه. والتصويب من ملوك العرب (٥٨٦/٢).

(٢) قوله: "القضية" زيادة من ملوك العرب، الموضع السابق.

جدول الأئمة والأمراء من آل سعود

الأمير سعود بن مقرن	....	توفي سنة ١١٤٠هـ[١]
الإمام محمد بن سعود	تولى الإمارة سنة ١١٤٠هـ[٢]	توفي سنة ١١٧٩هـ
الإمام عبدالعزيز بن محمد[٣]	تولى الإمارة سنة ١١٧٩هـ	استشهد في عام١٢١٨هـ[٤]
الإمام سعود بن عبدالعزيز	تولى الإمارة سنة١٢١٨هـ[٥]	توفي سنة ١٢٢٩هـ
الإمام عبدالله بن سعود	تولى الإمارة[٦] سنة ١١٢٩هـ	توفي سنة ١٢٣٤هـ[٧]
فترة الاستيلاء المصري[٨]		
الأمير محمد بن مشاري بن معمر والأميرمشاري بن سعود	تنازعا الإمارة نحو سنة ونصف السنة	
الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود	تولى الإمارة سنة ١٢٣٦هـ[٩]	توفي سنة ١٢٤٦هـ[١٠]
الأمير مشاري بن عبدالله بن حسن بن مشاري بن سعود[١١]	حكم أربعين يوماً	

(١) كانت وفاة سعود بن محمد بن سعود بن مقرن سنة ١١٣٧هـ وفي السوابق لأبي بشر وعند الفاخري أنه رئيس الدرعية وأول من يلقب بالإمام، الإمام محمد بن سعود بعد المبايعة بينه وبين الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الدرعية على نشر الدعوة السلفية سنة ١١٥٧هـ.

(٢) الذي ترأس في الدرعية بعد وفاة سعود بن محمد بن سعود بن مقرن سنة١١٣٧هـ هو زيد بن مرخان.

(٣) في هامش الأصل: تولى حكم نجد والحجاز وعسير.

(٤) كذا في الأصل، ولم تكتب السنة. والصحيح أنه استشهد ١٢١٨هـ.

(٥) الصحيح أنه تولى الإمامة بعد استشهاد والده الإمام عبدالعزيز بن محمد سنة ١٢١٨هـ.

(٦) تولى الإمامة بعد وفاة والده الإمام سعود في عام ١٢٢٩هـ..

(٧) استشهد وسقطت الدولة السعودية الأولى في عهده عام ١٢٣٣هـ على يد إبراهيم باشا.

(٨) ليس هناك فترة تسمى فترة الاستيلاء المصري وإنما هو صراع على إمارة الدرعية بعد سقوط الدولة السعودية الأولى واستمر الوضع كذلك حتى سنة ١٢٤٠هـ حينما تمكن الإمام تركي بن عبدالله من تأسيس الدولة السعودية الثانية.

(٩) بدأت تحركات الإمام تركي بن عبدالله الرامية لاستعادة الحكم السعودي منذ عام ١٢١٥هـ واستطاع في عام ١٢٤٠هـ تأسيس الدولة السعودية الثانية وإخراج الحامية العثمانية واسترداد الرياض، كما تمكن من مد نفوذ الدولة السعودية إلى أغلب الأقاليم التي خضعت للدولة السعودية الأولى عدا الحجاز.

(١٠) هذا غير صحيح فوفاته كانت في أواخر سنة ١٢٥٠هـ.

(١١) هو: مشاري بن عبدالرحمن بن مشاري بن سعود.

الإمام فيصل بن تركي (الدور الأول)	تولى الإمارة سنة ١٢٤٦هـ حتى ١٢٥٤هـ[١]	تنازل عن الحكم سنة ١٢٥٤هـ
الأمير خالد بن سعود بن عبدالعزيز	تولى الإمارة سنة ١٢٥٥هـ[٢]	توفي سنة١٢٥٧هـ[٣]
الأمير عبدالله بن ثنيان بن سعود	تولى الإمارة سنة ١٢٥٧هـ	توفي سنة ١٢٥٩هـ
الإمام فيصل بن تركي (الدور الثاني)	تولى الإمارة سنة ١٢٥٩هـ واستمر حكمه حتى وفاته.	توفي سنة١٢٨٢هـ[٤]
الإمامان عبدالله وسعود ابنا فيصل	تنازعا الإمارة تسع سنوات من سنة ١٢٨٢هـ إلى سنة ١٢٩١هـ	
الإمام عبدالله بن فيصل	تولى الإمارة سنة ١٢٩١	تنازل عن الحكم[٥] لأخيه سنة ١٣٠٢هـ
الإمام عبدالرحمن بن فيصل	حكم نحو سنة[٦]	
محمد بن رشيد[٧]	تولى على نجد من سنة ١٣٠٢هـ[٨] إلى سنة ١٣٠٧هـ	
فترة الاستيلاء الرشيدي نحو عشر سنوات ١٣٠٩-١٣١٩هـ		
الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن	استولى على الرياض سنة ١٣١٩هـ	

(١) الإمام فيصل بن تركي تولى الإمامة بعد والده منذ عام ١٢٥٠هـ وامتدت فترة حكمه الأولى حتى عام ١٢٥٤ ثم عاد لتولي الإمامة للفترة الثانية من حكمه منذ عام١٢٥٩هـ حتى وفاته عام١٢٨٢هـ.

(٢) بعد أن قامت قوات محمد علي بأسر الإمام فيصل بن تركي صار الحكم الأسمي لخالد بن سعود بن عبدالعزيز وذلك سنة ١٢٥٤هـ.

(٣) كانت مغادرة خالد بن سعود للرياض سنة ١٢٥٧هـ. أما وفاته فلم تذكرها المصادر.

(٤) في هامش الجدول: المرة الثانية.

(٥) شهدت الدولة السعودية بعد وفاة الإمام فيصل خلافاً بين ابنيه الإمام عبدالله والإمام سعود حيث تولوا الحكم على فترات متفاوتة، فولى الإمام عبدالله الحكم بين عامي ١٢٨٢-١٢٨٨هـ ثم تولى الإمام سعود بين عامي ١٢٨٨-١٢٩١هـ ثم عاد الإمام عبدالله فتولى الحكم عام ١٢٩٣-١٣٠٥هـ وتوفي عام ١٣٠٧هـ.

(٦) تولى الإمام عبدالرحكم الحكم بين عامي ١٢٩١-١٢٩٣هـ وكذلك بين عامي ١٣٠٧-١٣٠٩هـ.

(٧) في هامش الجدول: إدخاله في الجدول غير صحيح، لأنه من أمراء الرشيد من قبيلة شمر، وعاصمة ملكه حائل. كتبه: محمد نصيف.

(٨) انفرد محمد بن رشيد بحكم نجد بعد خروج الإمام عبدالرحمن إلى بادية الإحساء بعد هزيمته في معركة حريملاء عام ١٣٠٩هـ وبقي حاكماً حتى وفاته عام ١٣١٥هـ حيث خلفه ابن أخيه عبدالعزيز بن متعب بن رشيد.

الفصل الثاني: في ذكر من يقع عليه اسم العرب وذكر أنواعهم

قال العلامة القلقشندي[١] رحمه الله[٢]: قال الجوهري في صحاحه[٣]: العرب جيل من الناس، وهم أهل الأمصار. والأعراب: سُكّانُ البادية. والنسبة إلى [العرب: عربي، وإلى][٤] الأعراب: أعرابي.

والذي عليه العرف العام إطلاق لفظة العرب مشتقة من الأعراب، وهو أُخذ من قولهم: أعرب الرجل عن حاجته [إذا][٥] أبان؛ سُمُّو بذلك لأن الغالب عليهم البيان والبلاغة.

ثم إن [كل][٦] من كان عدا العرب فهو عجمي، سواء الفرس أو الترك أو الروم وغيرهم، وليس كما تتوهم العامّة من اختصاص العجم بالفرس، بل أهل المغرب إلى الآن يطلقون لفظ العَجَم على الروم والفرنج ومن في معناهم.

أما الأعجم فإنه الذي لا يفصح [في][٧] الكلام وإن كان عربياً، ومنه سمي زياد الأعجم الشاعر، وإن كان عربياً.

وأما أنواع العرب؛ فقد اتفقوا على تنويعهم إلى نوعين: عاربة، ومستعربة.

---

(١) نهاية الأرب (ص:١٨-١٩).

(٢) في هامش الأصل: القلقشندي الشهير بابن هندة، المتوفى عام ٨٢١، في كتابه نهاية الأرب في أنساب العرب، طبع ببغداد العراق بمطبعة الرياض ببغداد، وقد تصرف المصنف في عبارة القلقشندي. وكتبه: محمد نصيف.

(٣) صحاح الجوهري (١٧٨/١).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من نهاية الأرب (ص:١٨).

(٥) في الأصل: أو. والمثبت من نهاية الأرب، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: كلاً. وقد صححت على الهامش بخط محمد نصيف إلى: كل.

(٧) قوله: "في" زيادة من نهاية الأرب (ص:١٨).

فالعاربة: هم العرب الأولى الذي فهمهم الله اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها.

فقيل لهم: عاربة؛ إما بمعنى الراسخة في العروبية، كما يقال: ليل لائل، وإما بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها، لما [كانت][١] أول من تكلم بها.

والمستعربة: هم الداخلون في [العروبية من بعد العجمة][٢]، أخذاً من استفعل، بمعنى الصيرورة، نحو: استنوق الجمل، إذا صار في معنى الناقة، لما فيه من [الخنوثة][٣]، واستحجر الطين، إذا صار في معنى الحجر ليبسه.

ثم اختلف في العاربة والمستعربة؛ فذهب ابن اسحاق [والطبري][٤] إلى أن العاربة هم: عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وأميم، وعبيل، والعمالقة، وعبد [ضَخْم][٥]، وجرهم، وحضرموت، وحضوراء، وبنو ثابر، [والسلف][٦] ومن في معناهم.

والمستعربة: بنو قحطان بن عابر، وبنو إسماعيل عليه السلام، لأن لغة عابر وإسماعيل عليه السلام كانت عجمية، إما سريانية وإما عبرانية، فتعلّم بنو قحطان العربية من العاربة ممن كان في زمانهم، وتعلّم بنو إسماعيل العربية من جرهم ومن بني قحطان حين نزلوا عليه وعلى أمّه بمكة.

---

(١) في الأصل: كان. والتصويب من نهاية الأرب (ص:١٩).
(٢) في الأصل: العربية بعد العجم. والمثبت من نهاية الأرب، الموضع السابق.
(٣) في الأصل: الخشونة. والمثبت من نهاية الأرب، الموضع السابق.
(٤) في الأصل: الطبري. والمثبت من نهاية الأرب، الموضع السابق.
(٥) في الأصل ونهاية الأرب: صنم، وهو خطأ. انظر: نهاية الأرب (ص:٣١١)، ومعجم قبائل الحجاز (ص:٣٠٧).
(٦) قوله: "والسلف" زيادة من نهاية الأرب (ص:١٩).

وذهب آخرون -منهم صاحب [تاريخ][١] حماة[٢]- إلى أن بني قحطان هم العاربة، وأن المستعربة هم بنو إسماعيل فقط. والذي رجّحه صاحب العبر[٣]: الرأي الأول.

ثم قسم المؤرخون أيضاً العرب إلى: بائدة، وغيرها.

فالبائدة: هم الذين بادوا ودرست آثارهم؛ كعاد، وثمود، وطسم، وجديس، وجرهم الأولى، ويلحق بهم مدين، فإنهم ممن ورد القرآن بهلاكهم.

وغير البائدة: وهم الباقون في القرون المتأخرة بعد ذلك، كجرهم الثانية، وسبأ، وبني عدنان، ثم منهم من باد بعد ذلك؛ كجرهم، ومن تأخر منهم إلى زماننا، كبقايا سبأ وبني عدنان. انتهى.

وفي خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام في تقسيم العرب[٤]: قد قسّمت هذه الأمة إلى ثلاث طبقات: وهي العرب البائدة، والعرب العاربة، والعرب المستعربة.

أما العرب البائدة: فهم الأعراب الأولون الذين بادوا ودرست آثارهم لما أزالتهم عن موضعهم العرب العاربة.

وأما العرب العاربة: فهم العرب الحقيقيون الذين أبادوا البائدة وتوطنوا مكانهم.

---

(١) قوله: "تاريخ" زيادة من نهاية الأرب (ص:١٩).

(٢) في هامش الأصل: لعله صاحب حماة الشهير بأبي الفدا مؤلف كتاب المختصر في أخبار البشر. وكتبه: محمد نصيف.

(٣) في هامش الأصل: لعله هو ابن خلدون في تاريخه العبر. وكتبه: محمد نصيف.

(٤) خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام (ص:٤١-٤٨).

وأما العرب المستعربة: فهم الذين انضموا إلى العرب العاربة من الأمم المجاورة، وليسوا عرباً في الأصل، وأخصهم ولد إسماعيل عليه السلام.

العرب البائدة[١]

هؤلاء الأعراب كانوا شعوباً كثيرة، والذين اشتهروا منهم: عاد، وثمود، وطسم، وجديس، والعمالقة، وأميم، وعبيل، وعبد ضخم، وجرهم الأولى، وحضورا.

وأول من ورد ذكرهم من هذه الطبقة: قوم عاد، وهم: بنو عاد بن عوص ابن إرم بن سام.

قال ابن خلدون[٢]: وكان عاد فيما يقال أول من مَلَكَ [مِنَ][٣] العرب، وطال عمره، وكثر ولده.

ثم إن قوم عاد بعد أن ارتفع شأنهم زمناً طويلاً أدركهم البوار وزال ملكهم، وذلك أنهم كثر طغيانهم وعتوّهم، فانتحلوا عبادة الأوثان، وأضروا بالعباد، وأكثروا في الأرض الفساد، فصبّ عليهم ربك سوط عذاب، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، حسبما ورد في القرآن الشريف. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [النجم: ٥٠-٥١].

وأما قوم ثمود: وهم بنو ثمود بن كاثر بن إرم، فكانت ديارهم بالحِجْر، [ووادي][٤] القرى فيما بين الحجاز والشام، وكانوا ينحتون الجبال بيوتاً،

(١) يقال لهم عاربة أيضاً، بمعنى مُحْدثين للعربية، وإنما سموا بائدة لكونهم بادوا ولم يبق منهم أحد (هامش خلاصة الكلام ١/٤٢).
(٢) تاريخ ابن خلدون (٣/٣٥).
(٣) قوله: "من" زيادة من خلاصة الكلام وتاريخ ابن خلدون، الموضعان السابقان.
(٤) في الأصل: وادي. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٤٣).

ويسكنون المغارات بالجبال. قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر:٨٢]، وقد مَرَّ بها النبي ﷺ في غزوة تبوك ونهى عن دخولها، -كما في الصحيح-. وكانوا كفاراً، وعاهدوا صالحاً حين دعاهم على أنه إن أتى بما اقترحوا عليه آمنوا به، واقترحوا عليه أن يخرج لهم من صخرة معيّنة ناقة، فسأل الله صالح فأخرجها لهم، وولدت فصيلاً، فلم يؤمنوا، وعقروا الناقة وعَتَوْا عن أَمْرِ ربّهم، فأُهلكوا بعد ثلاثة أيام بِصَيْحَةٍ من السماء تقطعت بها قلوبهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

وأما طسم وجديس: فهم من ولد كاثر أو [جاثر][١]. قيل: إن هاتين الأمتين سكنتا اليمامة معاً، وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها، وأكثرها خيراً وأثمرها، وكان الملك عليهما من طسم، فانتهى الملك إلى ملك ظلوم غشوم لا ينهاه شيء عن هواه، ولا يرده أحد عن نيل مشتهاه، وكان هذا الملك يدعى: عمليقا، استذلّ جديساً وأهانهم، وسنّ أن لا تهدى بِكْرٌ منها إلى زوجها حتى يفترعها[٢]. وكان السبب في ذلك: أن امرأة منهم كان اسمها هزيلة بنت مازن طلّقها زوجها ماشئ، وأراد أخذ ولدها منها، فخاصمته إلى عمليق، وقالت: أيها الملك، حملته تسعاً، ووضعته دفعاً، وأرضعته شفعاً، حتى إذا تمت أوصاله ودنا فصاله أراد أن يأخذه مني كرهاً، ويتركني بعده ورهاً. فقال زوجها: أيها الملك! إني أعطيت مهرها كاملاً، ولم أصب منها طائلاً، إلا وليداً خاملاً، فافعل ما كنت فاعلاً. فأمر الملك بالغلام فصار في غلمانه، وأن تباع المرأة وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها، وتعطى هي عشر ثمن زوجها، فقالت هزيلة:

---

(١) في الأصل: جاسر. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٤٤).

(٢) هذه الرواية وأمثالها من الروايات التي ليس لها خطم ولا أزمة، تتناقلها كتب الأدب وبعض كتب التاريخ، وتكاد لا تصمد أمام البحث العلمي المجرد. ولو نزه المؤلف كتابه عن أمثالها لكان أفضل.

أتينا أخـا طـسم لـيحكم بيننـا فأنفـذ حكمـاً في هزيلـة ظالمـا
لعمري لقـد حكمـت لا متورعـاً ولا كنت فيمن يبرم الحكـم عالمـا
نـدمت ولم أنـدم وإني بعثـرتي وأصبح [بعلي][1] في الحكومة نادمـا

فلما سمع عمليق قولها غضب، وأمر أن لا تزوج بِكْر من جديس وتهـدى إلى زوجها حتى يفترعها، فلقوا من ذلك بلاءً وجهداً وذلاً، ولم يزل يفعل ذلك حتى تزوجت الشموس، وهي عُفَيْرة[2] بنت غفار أخت الأسود، فلمـا أرادوا حملها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق لينالها قبله، ومعها الفتيـات يـضربن بالدفوف، فلما دخلت عليه افترعها وخلّى سبيلها، فخرجـت إلى قومهـا في دمائها وقد شقّت درعها من قبل ودبر، والدم يبين، وهي في أقبح منظر، تقول:

لا أحـد أذل مـن جـديس أهكـذا يفعـل بـالعروس
يرضى [بذا][3] يا قوم بعـل حـر أهدى وقد أعطـى وسـيق المهـر

وقالت أيضاً تحرّض قومها على الملك:

أيجمـل مـا يـؤتى إلى فتيـاتكم وأنتم رجال فـيكم عـدد النمـل
وتصبح تمـشي في الـدماء عُفَيْـرة جهاراً وزفّت في النـساء إلى بعـل
ولـو أننـا كنـا رجـالاً وكنـتم نساءً لكنـا لا نقـرّ لـذا الفعـل
فموتوا كراماً [أو أميتـوا][4] عـدوّكم [وذوبوا][5] لنار الحرب بالحطب الجزل
وإلا فخلـوا بطنـها وتحملـوا إلى بلد قفر وموتـوا مـن الهـزل
فَلَلْبينُ خير من مقـام علـى الأذى وَلَلْموتُ خير من مقام على الـذلّ
وإن أنـتمُ لم تغـضبوا بعـد هـذه فكونوا نساء لا تعيب من الكحـل

(١) في الأصل: لبعلي. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٤٤).
(٢) في هامش الأصل: عفيرة كجهينة. اهـ.
(٣) في الأصل: هذا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٤٥).
(٤) في الأصل: وأميتوا. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.
(٥) في الأصل: ذوبوا. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

ودونكم طيب النساء فإنما خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فبُعداً وسُحقاً للذي ليس دافعاً ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

فلما سمع القوم قولها، وسمع أخوها الأسود بن الغفار ذلك -وكان سيداً مطاعاً في قومه- فقال لرؤساء جديس: قد ترون ما نحن فيه من الذل والعار الذي ينبغي للكلاب أن تعافه، فأطيعوني أدعكم إلى عز الدهر، فقالوا: وما ذاك؟ قال: أصنع للملك وقومه طعاماً، فإذا جاؤوا -يعني طسماً- نهضنا إليهم بأسيافنا فنقتلهم، فأجمعوا على ذلك، ودفنوا سيوفهم بالرمل، ودعوا عملوقا وقومه، فلما حضروا قاموا عليهم فقتلوهم، وقَتل الأسود عمليقا، وأفلت رباح بن مرة بن طسم وهرب إلى اليمن، واستغاث بحسان بن تبع، فنهض حسان في حِمير لإغاثته، حتى كان من اليمامة على ثلاث مراحل، قال لهم رباح: إن لي أختاً متزوجة في جديس اسمها: اليمامة، ليس أحد على وجه الأرض أبصر منها، وإنها لتبصر الراكب على ثلاث مراحل[1]، وأخاف أن تنظر القوم، فأمر كل رجل أن يقطع شجرة فيجعلها في يده ويسير كأنه خلفها، ففعلوا، وبصرت بهم اليمامة، فقالت لجديس: لقد سارت إليكم حِمير، وإني أرى رجلاً من وراء شجرة بيده كتف يتعرقها أو نعل يخصفها، فاستبعدوا ذلك ولم يحفلوا به، وصبّحهم حسان وجنوده من حِمير فأهلكهم وخرّب حصونهم وبلادهم. وقيل: إن الذي سار إليهم هو تبع والد حسان، وقيل: إنه ذو جيشان، والأول أرجح.

---

(١) وفي كتاب العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان (ص:٩٠): أن من أشهر مدن طسم وجديس: القرية، في اليمامة، ويقال لها: خضراء حجر، وهي حاضرة طسم وجديس، فيها آثارهم وحصونهم وبُتلهم -الواحد بتيل-، وهو بناء مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء، من طين، وقد رآه المسلمون في القرن الثالث والرابع. وذكر أحدهم أنه أدرك بتيلاً طوله خمسمائة ذراع، ولعل زرقاء اليمامة نظرت جيش تبع من أحدها. انتهى.

وهرب الأسود بن غفار إلى جبلي طيء فأقام بهما، ودعا تبع باليمامة أخت رباح التي أبصرتهم فقلع عينها. ويقال: إنه وجد لها عروقاً زعمت أن ذلك من اكتحالها بالإثمد، وكانت تلك البلد تسمى: (جوًّا)، فسمّيت باليمامة اسم تلك المرأة، ولم يبق لطسم وجديس ذكر بعد ذلك، وبقيت اليمامة خالية إلى أن نزل بها بنو حنيفة واستوطنوها، وبها صبّحهم الإسلام.

وأما العمالقة: فقيل إنهم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام.

قال أبو الفدا(١): ولما تبلبلت الألسن نزلت العمالقة بصنعاء من اليمن، ثم تحولوا إلى الحرم وأهلكوا من قابلهم(٢) من الأمم، وكان منهم جماعة بالشام.

وكانت ديارهم واسعة، قيل: إن أهل البحرين وعُمان والحجاز وبعض أهل نجد منهم.

والمتفق عليه: أن ديارهم كانت في شبه جزيرة طور سينا والحجاز إلى تخوم مصر، والظاهر أنهم لم يكونوا من نسل واحد، ومنهم من ملك مصر، وكان فرعون إبراهيم وفرعون يوسف وفرعون موسى عليهم السلام منهم.

وأما أُمَيم(٣) بن لاوَذ بن عِمْليق فكانت ديارهم بأرض فارس. قيل: وهم أول من بنى بها البيوت من الحجارة وسقفوا بالخشب، وكان من شعوبهم [وَبار](٤)

---

(١) المختصر في أخبار البشر (٩٨/١).
(٢) في المختصر: قاتلهم.
(٣) قال السهيلي: يقال: بفتح الهمزة، وكسر الميم، وبضم الهمزة وفتح الميم، وهو أكثر. اهـ (الروض الأنف ٤٦/١).
(٤) في الأصل: دبار. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٤٧).
وفي هامش الأصل: كقطام. اهـ.

ابن أميم، نزلوا برمل عالج بين اليمامة والشحر، وانهالت عليهم الرمال فأهلكتهم.

وأما عبيل: فهم إخوان عاد بن عَوْص، فيما قاله الكلبي، وإخوان عوص ابن إرم فيما قاله الطبري. وكانت ديارهم بالجحفة بين مكة والمدينة، وأهلكهـــم السيل.

وأما عبد ضَخْم: فهو ابن إرم. قال الطبري(١): كان مسكنهم الطائف، وهلكوا فيمن هلك من ذلك الجيل. وقال غيره:إنهم أول من كتـــب بالخط العربي.

وأما جرهم الأولى: فهي أمة كانت على عهد عاد، وهي غير جرهم الثانية الآتية في العرب العاربة حسبما نقله ابن خلدون، وكانت ديارهم باليمن، وأهلكهم تطاول العصور وتقلبات الدهور.

وأما حَضُورا -بفتح الحاء بعدها ضاد مضمومة، ثم واو بعدها راء وألف مقصورة- فكانت ديارهم بالرس، وكانوا يعبدون الأوثان، فبعث الله إليهم نبياً منهم اسمه: شعيب بن ذي مهرع، فكذبوه، فهلكوا كما هلك غيرهم من الأمم المعاندين.

وفي نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب(٢): بنو حَضُورا -بفتح الحاء وضم الضاد-: قبيلة من حمير من القحطانية، بعث الله إليهم نبياً منهم اسمه: شعيب، قتلوه، فسلط الله عليهم بخت نصّر، فغزاهم فقتلهم. وفيهم أنزل

---

(١) تاريخ الطبري (١/١٢٥).

(٢) نهاية الأرب (ص:٢١٩).

الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ [الأنبياء:١٢] إلى قوله: ﴿ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ [الأنبياء:١٥]، ويقال: إنهم أصحاب الرس الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ وَأَصْحَابَ ٱلرَّسِّ ﴾ [الفرقان:٣٨]. انتهى.

وهؤلاء الذين ذكروا من هذه الطبقة هم أشهرها، وكان لكل منهم ملوك وآطام، وقصور ومصانع، حسبما أورده ابن خلدون، فبادوا جميعاً ولم يبق منهم أحد[١].

العرب العاربة[٢]

هذه الطبقة من نسل قحطان بن سكران[٣] بن عابر بن شالخ بن أَرْفَخْشذ ابن سام بن نوح عليه السلام، منهم[٤] بنو جرهم، وكانت ديارهم باليمن.

هاجم بنو قحطان قوم عاد وسكنوا مكانهم، وكان ملكهم إذ ذاك: يَعْرُب بن قحطان.

قال ابن خلدون[٥] نقلاً عن البيهقي: أن يَعْرُب بن قحطان لما غلب عاداً على اليمن وملكه من أيديهم، وولّى إخوته على الأقاليم، ولّى أخاه جرهماً على الحجاز، وهؤلاء هم جرهم الثانية، وقد سبق جرهم الأولى، وهم الذين اتصل بهم إسماعيل وتزوج منهم.

---

(١) خلاصة الكلام (ص:٤١-٤٨).

(٢) بمعنى الراسخة في العروبة.

(٣) ورد اسمه في المصادر بإسقاط لفظ: "بن سكران". انظر: صبح الأعشى (٣٦٦/١).

(٤) في خلاصة الكلام (ص:٤٩): ومنهم.

(٥) تاريخ ابن خلدون (٥٥/٣).

ومنهم: حضرموت[١] الذي سميت باسمه هذا البلاد، وكان لهم فيها ملوك أقوياء، وكان يعرب المذكور من أشهر ملوكهم، ولما مات مَلَكَ بعده ابنه: يَشْجُب، فخرج عليه بعض من ولاه[٢] أبوه على البلاد فقهروه، وتملك بعده ابنه: عبد شمس، الملقب بسبأ، وكان له عدة أولاد، أشهرهم: حِمير، وكهلان، وعمرو أو أشعر[٣]، وعاملة، ومن نسل الأول أغلب سكان الأمصار، ومن نسل الثاني أغلب سكان الوبر، وكان لبني حِمير شهرة عظيمة، واستقلوا بملك اليمن حتى فتحه الحبشة، وجميع قبائل عرب اليمن وملوك [التبابعة][٤] من ولد سبأ المذكور، وجميع الملوك التبابعة من نسل ولده حِمير إلا عمران وأخاه مُزَيْقياء، فإنهما من نسل ولده كهلان على المشهور[٥].

---

(١) قال القلقشندي١: بنو حضرموت –بفتح الحاء وسكون الضاد وفتح الميم وتاء مثناة فوق٢– بن قحطان، وبهم عرفت مدينة حضرموت من أرض اليمن (نهاية الأرب ص:٢١٨).
قال الجوهري (٢/٦٣٤): حضرموت: اسم بلدة وقبيلة. (غازي).

١– في هامش الأصل: هو مؤلف كتاب صبح الأعشى ونهاية الأرب في أنساب العرب، وهو إمام الأدب، أحمد بن عبدالله بن أحمد المصري الشهير بابن أبي غدّة. وكتبه: محمد نصيف.
٢– في الأصل: فوقي. والتصويب من نهاية الأرب (ص:٢١٨).
(٢) في خلاصة الكلام (ص:٤٩): ولاهم.
(٣) في خلاصة الكلام (ص:٤٩): وأشعر.
(٤) في الأصل: التتابعة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٤٩). وكذا وردت في المواضع التالية.
(٥) خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام (ص:٤٨–٤٩).

ذكر بني حِمير بن سبأ

فمن بني حمير: التبابعة ملوك اليمن، ومنهم بنو قضاعة[١] بن مالك بن حِمير بن سبأ، وكان قضاعة المذكور مالكاً لبلاد الشحر، وقبر قضاعة في جبل الشحر.

ومن قضاعة أيضاً: كلب: وهم بنو كلب بن وَبْرة بن ثعلبة بن حُلوان بن عِمْران بن إلحاف بن قضاعة، وكان بنو كلب في الجاهلية يترلون دومة الجندل[٢]، وتبوك، وأطراف الشام.

ومن قبائل قضاعة: بَهْراء[٣]، وبَلِيّ[٤]، وتَنُوخ، وجُهَيْنَة، وبنو سَلِيح[٥]،

---

(١) قضاعة: -بضم القاف- لقب عمرو بن مالك بن حمير أبو حي باليمن. اهـ قاموس (ص:٩٧١). (غازي).

(٢) دومة الجندل: حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء كانت به بنو كنانة من كلب (معجم البلدان ٢/٤٨٧).
قلت: كانت دومة الجندل من أعمال المدينة المنورة، وتبعد عنها نحو (٩٠٠) كم إلى الشمال، ويفصلها عن جبلي طيء النفود (وهي صحراء رملية ذات كثبان مرتفعة)، وللدومة الآن طريق معبد يبدأ من المدينة المنورة ماراً بتيماء فالقليبة فالدومة سالكاً غرب النفود ثم شمالاً. وهناك طريق آخر يصل الدومة بمدينة عرعر مركز إمارة الحدود الشمالية. وحيث أن الدومة تقع على حد الحماد الجنوبي مباشرة في نقرة الجوف فإنها تسمى بالجوف أيضاً، كما أنه يطلق لفظ الجوف على المنطقة كلها، والجوف إمارة من إمارات المملكة العربية السعودية. وكانت الدومة عاصمة لمملكة صاحبها (الأكيدر) الذي أسلم ثم ارتد (هامش تاريخ الدولة العلية ص:٢٨).

(٣) بهراء: كحمراء، والمد أصلي، وقد يقصر، والنسبة: بهراني، على غير قياس، والنون فيه بدل من الهمزة، وبهراوي على القياس، كما في تاج العروس (١٠/٢٦٥). (غازي).

(٤) بليّ: كرضيّ، وهو ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة، والنسبة إليها بلوي، كعلوي (هامش خلاصة الكلام ص:٥٠).

(٥) سَلِيح: كجَريح، وهو سليح بن حلوان بن [عمران]١ بن الحاف بن قضاعة. اهـ. (غازي).

١- في الأصل: عمر. وستأتي بعد قليل على الصواب كما أثبتناها.

وبنو نَهْد(١)، وبنو عُذْرَة(٢).

ومن بطون حِمير: بنو شعبان، ومنهم: الشعبي الفقيه، واسمه: عامر(٣).

[ذكر بني كهلان بن سبأ](٤)

وأما بنو كهلان بن سبأ فقد تفرّع منها أحياء كثيرة، والمشهور منها سبعة، وهي: الأزد، وطيء، ومَذْحِج(٥)، وهَمْدان(٦)، وكِنْدَة -بكسر الكاف-، ومُراد(٧)، وأنْمار.

أما الأزد: فهو(٨) من ولد الأزد بن الغَوْث بن نَبْت [بن](٩) مالك بن [أُدَد](١٠) ابن زيد بن [كهلان](١١) بن سبأ.

---

(١) نَهْد: كشَهْم، وهو نهد بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. (غازي).
(٢) عُذْرة: -بضم العين- وهم مشهورون في العشق والعفة، ويضرب بحبهم المثل. اهـ. (غازي).
(٣) خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام (ص:٤٩-٥٢).
(٤) زيادة من خلاصة الكلام (ص:٥٢).
(٥) مَذْحِج: كمَجْلِس -بفتح الميم وسكون الذال وكسر الحاء آخره جيم- وهو اسم الأكمة، ولد عندها فسمي بها. اهـ. قاموس (ص:٢٤٣). (غازي).
(٦) هَمْدان: بفتح الهاء، وسكون الميم بعد دال مهملة مفتوحة، وألف ونون في آخره. (غازي).
(٧) مُراد: كغراب، أبو قبيلة باليمن، وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وكان اسمه: يَحَابر، فسمي مُراداً لتمرّده. وقال ابن دريد: سمي مُراداً؛ لأنه أول من [مَرَدَ]١ باليمن. اهـ. تاج (١٦٨/٩-١٦٩). (غازي).

١-في الأصل: تمرد. والتصويب من تاج العروس (١٦٩/٩).
(٨) في خلاصة الكلام (ص:٥٢): فهم.
(٩) زيادة من خلاصة الكلام (ص:٥٢).
(١٠) في الأصل: داود. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٥٢). وانظر: صبح الأعشى (٣٧٠/١).
(١١) في الأصل: سهلان. والتصويب من الموضعين السابقين.

ومن قبائل الأزد: الغسانية ملوك الشام، والأوس والخزرج أهل يثرب، وخزاعة، وبارق، ودوس، والعتيك، وغافق.

وأما طيء: فهو أُدَد بن زيد بن كهلان بن سبأ. ولما تفرق أهل اليمن بسبب سيل العرم[١] نزل طيء بنجد الحجاز في جبلي أجأ وسُلمى[٢] -بضم السين- فعرفا بجبليْ طيء إلى يومنا هذا.

ومن بطون طيء: جَديلة، ونَبْهان، وبَوْلان، وسلامان، وهَنْي[٣]، وسُدوس -بضم السين-. وأما سَدوس التي في قبائل ربيعة بن نزار، فمفتوحة السين.

وأما مَذْحِج: واسم مَذْحِج: مالك بن أُدَد بن زيد بن كهلان بن سبأ.

ولِمَذْحِج بطون كثيرة منها: خَوْلان، وجَنْبْ -كقَبْر-، وأَوْد[٤] بنو سعد العشيرة، وسمي بذلك: لأنه لم يمت حتى ركب معه من وَلَده وولَد وَلَده [ثلاثمائة][٥] رجل، وكان إذا سئل عنهم يقول: هؤلاء عشيرتي؛ دفعاً للعين عنهم، فقيل له: سَعْد العشيرة لذلك.

ومن بطون مَذْحِج: زُبَيْد -كزُبَيْر-، والنَّخَعْ -محرّكة-، وعَنْس[٦]، وهي قبيلة الأسود العَنْسيّ الكذّاب الذي ادّعى النبوّة باليمن.

---

(١) ذكر ياقوت القصّة المطوّلة لخراب سد مأرب الذي أحدثت فيه فأرة فجوة كبيرة فخرّبته، وكان سيل العرم الذي دمّر الزروع والبلاد (انظر: معجم البلدان ٣٥/٥ وما بعدها).

(٢) سمّي (أجأ) باسم رجل، و(سلمى) باسم امرأة (معجم البلدان ٩٤/١).

(٣) في صبح الأعشى (٣٧٣/١): هناء.

(٤) قال [الأزهري]١: أود: -بفتحَ الهمزة وسكون الواو- قبيلة من اليمن، وهو اسم لجدّهم أود بن صعب بن سعد العشيرة. انتهى تاج العروس (٣٩٥/٧). (غازي).

١-في الأصل: الأزهر. والتصويب من تاج العروس (٣٩٥/٧).

(٥) في الأصل: ثمانمائة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٥٥). وانظر: صبح الأعشى (٣٧٩/١).

(٦) بفتح العين وسكون النون. اهـ. (غازي).

وأما هَمْدان: فهم من ولد ربيعة بن حيان بن مالك بن زيد بن كهلان، ولهم صيت في الجاهلية والإسلام.

وأما كِنْدَة: فهم بنو ثَوْر، وثَوْر المذكور هو: كِنْدَة بن عُفَير بن الحارث، من ولد زيد بن كهلان، وبلاد كِنْدَة باليمن تلي حضرموت.

وأما مُراد بن كهلان: فبلادهم إلى جانب زَبِيد من جبال اليمن.

وأما أَنْمار بن كهلان: فهو ينقسم إلى فرعين: بَجِيلة -كسفينة: حي باليمن، والنسبة بَجْلي، بفتح الباء وسكون الجيم- وخَثْعَم.

وبَجِيلة هي رهط جرير بن عبدالله البَجْلي صاحب رسول الله ﷺ. انتهى الكلام في بني كهلان بن سبأ[1].

ذكر بني عمرو بن سبأ

أما القبائل المنتسبة إلى عمرو بن سبأ، فمنهم: لَخْم -بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة آخره ميم- بن عدي بن عمرو بن سبأ.

ومن لَخْم: بنو الدار، رهط تميم الداريّ صاحب رسول الله ﷺ.

ومن لخم: المناذرة، ملوك الحيرة، وهم بنو عمرو بن عدي بن نصر اللَّخْمِي، وكانت دولتهم من أعظم دول ملوك العرب.

ومن القبائل المنتسبة إلى عمرو بن سبأ: جُذَام -(كغُراب. اهـ)، جُشَم (كصُرد. اهـ)- وهو أخو لخم. وجميع جُذام من ابنيه حزام وجُشَم.

وأما بنو الأَشْعر بن سبأ فيقال لهم: الأَشْعريون، وهم رهط أبي موسى الأشعري، وهو عبدالله بن قيس.

---

(١) خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام (ص:٥٢-٥٦).

وأما بنو عاملة بن سبأ: فهم أيضاً من القبائل اليمانية التي خرجت إلى الشام من سيل العرم، ونزلوا بالقرب من دمشق في جبل هناك يعرف بجبل عاملة[١].

انتهى ذكر سبأ، وهم عرب اليمن[٢].

العرب المستعربة

وهم الذين دخلوا في قبائل العرب وليسوا عرباً في الأصل، وأخصهم ولد إسماعيل عليه السلام.

تزوج إسماعيل عليه السلام برعلة بنت مضاض، سيد قبيلة جرهم، فولدت له اثنا عشر ولداً ذكراً، صاروا فيما بعد اثنتا عشر قبيلة، ومنهم: قَيدار -بفتح القاف- ثم ولد لقيدار ابنه: حمل، ثم ولد لحمل: نَبْت -بفتح النون وسكون الموحدة التحتية آخره مثناة فوقية-، ويقال له: نابت، وقيل: أن نَبْت ابن إسماعيل، وفي ذلك خلاف كثير. ثم ولد لنَبْت: سُلامان -بضم السين-، ثم ولد لسُلامان: الهَمَيْسَع، ثم ولد لهَمَيْسَع: اليسع، ثم ولد لليسع: أُدَدْ -بضم الهمزة وفتح الدال-، ولأُدَد ابنه: أد، ثم ولد لأد ابنه: عدنان، ثم ولد لعدنان: مَعدّ، ثم لمعدّ: نِزار -بكسر النون وفتح الزاء-، ثم ولد لنزار أربعة: منهم مُضَر على عمود النسب النبوي.

وخارجاً عن عمود النسب: إياد -بكسر الهمزة وفتح الياء مخففة- وكان أكبر من مضر، وإلى إياد بن نزار المذكور يرجع كل إيادي من بني معد، وفارق إياد الحجاز وسار بأهله إلى أطراف العراق. فمن إياد: كعب بن مَامَة الإيادي، وكان يُضرب بجوده المثل، وقُسّ -بضم القاف- بن ساعدة الإيادي، وكان يضرب بفصاحته المثل.

---

(١) ويقال له أيضاً: جبل عامل، في جنوب لبنان أو شمالي فلسطين في امتداد منطقة الجليل (صبح الأعشى ١/٣٨٩).

(٢) خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام (ص:٥٦-٥٧).

والثالث من بني نزار: ربيعة بن نزار، ويعرف بربيعة الفَرَس -بفتح الفاء والراء-؛ لأنه ورث الخيل من مال أبيه. وولد لربيعة المذكور: أسد وضُبَيْعة -كجُهَيْنة- فولد لأسد: جَدِيلة وعَنَزَة. ومن جَدِيلة: وائل. ومن وائل: بَكْر وتَغْلِب. فمن تغلب: كُلَيب، مَلِك بني وائل، قتله جَسَّاس، فهاجتْ الحرب في بني وائل بين بني بكر وبني تغلب. ومن بكر بن وائل: بنو شَيْبان، ومن رجالهم: مُرَّة وابنه جَسَّاس قاتل كُلَيب، وطَرَفة -محركة بالفتح- بن العبد الشاعر. ومن بكر أيضاً: المرقشان[1] الأكبر والأصغر. ومن بكر بن وائل أيضاً: بنو حنيفة، ومنهم: مسيلمة الكذاب.

وأما عَنَزة بن أسد بن ربيعة المذكور: فمنه بنو عَنَزة، وهم أهل خيبر. ومن بني عَنَزة: القارظان[2].

ومن قبائل ربيعة: النَّمِر، ولجيم، والعِجْل، وبنو عبد القيس، وهم من ولد أسد بن ربيعة.

ومن بني ربيعة: سَدُوس -بفتح السين-، واللهازم.

والرابع من بني نزار: أنمار بن نزار، ومضى أنمار إلى اليمن فتناسل بنوه بتلك الجهات، وحسبوا من العرب اليمانية.

---

(١) المرقش الأكبر: هو عمرو بن سعد، والمرقش الأصغر: هو ربيعة بن حرملة، وهما شاعران شهيران، والمرقش الأكبر هو عم المرقش الأصغر، والأصغر هو عم طرفة بن العبد (تاج العروس ٢٢١/١٧). (غازي).

(٢) والقارظان هما: يذكر بن عَنَزة وعامر بن [رُهْم]١ -بضم الراء وسكون الهاء- وكلاهما من بني عَنَزة، خرَجَا في طلب القَرَظ فلم يرجعا، فضرب بهما المثل فقالوا: "لا آتيكَ أو يؤوب القارظان"، يضرب في انقطاع الغَيْبَة. اهـ تاج العروس (٢٥٦/٢٠-٢٥٧). (غازي).

١-في الأصل: رهن. والتصويب من تاج العروس (٢٥٦/٢٠).

ثم ولد لُمضَر: إلياس بن مُضَر على عمود النسب النبوي.

وولد له خارجاً عن عمود النسب: قيس عَيْلان بن مضر، وعَيْلان -بالعين المهملة- قيل: فرسه، وقيل: كَلْبه، وقيل: بل عيلان هو أخو إلياس، وقيل: قيس هو ابن عيلان بن مضر، وقد جعل الله تعالى لقيس المذكور من الكثرة أمراً عظيماً.

فمن ولده قبائل هَوازن، ومن هوازن: بنو سَعْد بن بكر بن هوازن الذين كان فيهم رسول الله ﷺ رضيعاً.

ومن قبائل قيس: بنو كِلاب، وصار منهم أصحاب حَلَب، وكان أولهم: صالح بن مرداس.

ومن قيس: قبائل عُقَيل -بضم العين المهملة وفتح القاف بعدها مثناة تحتية- وهم الذين كان منهم ملوك الموصل: المقلد، وقراوش[1] وغيرهما.

ومن ولد قيس أيضاً: بنو عامر، وصعصعة، وخَفَاجَة، وما زالت لخفاجة إمرة العراق من قديم وإلى الآن.

ومن هوازن أيضاً: بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن [هوازن][2] بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عَيْلان.

ومن هوازن أيضاً: جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن[3]. ومن جُشَم: دُرَيد ابن الصِّمَّة الشاعر المشهور.

ومن قيس عَيْلان أيضاً: بكر، وبنو هلال، وثَقِيف، واسمه: عمرو بن

---

(١) في صبح الأعشى (١/٣٩٦): وقِرْواش.
(٢) في الأصل: هواز. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٦٠).
(٣) في الأصل زيادة: ومن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن. وهو خطأ.

منير[١] بن بكر بن هوازن، وقد قيل: إن ثقيفاً من إياد، وقيل: من بقايا ثمود، وهم أهل الطائف.

ومن قيس: بنو نمير، وباهلة، ومازن، وغَطَفان، وهو: ابن سعد بن قيس عَيْلان.

ومن قيس: بنو عَبْس بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس عَيْلان. ومن بني عَبْس: عنترة العَبْسي، المشهور بالشجاعة والحماسة، وادّعاه أبوه شدّاد بعد الكبر.

ومن قيس: أَشْجَع، وهم أيضاً من ولد غَطَفان.

ومن قيس أيضاً: قبائل سُلَيم.

ومن قيس أيضاً: بنو ذُبيان بن [بغيض بن رَيْث][٢] بن غَطَفان بن سعد بن قيس عَيْلان.

ومن بني ذبيان: بنو فَزَارة، وكان بين بني ذُبيان وبني عَبْس الحرب المشهورة بحرب داحس، وهو اسم حصان تسابقوا به، واختلفوا بسبب السباق، فثارت الحرب بينهم أربعين عاماً.

ومن بني ذُبيان أيضاً: النابغة [الذُّبياني][٣] الشاعر المشهور.

ومن قبائل قيس: عَدْوان بن عمرو بن قيس عَيْلان، وكانوا ينزلون الطائف قبل ثقيف، ومنهم: ذو الأصبع العَدْواني الشاعر. انتهى الكلام على قيس بن مضر الخارج عن عمود النسب[٤].

(١) في خلاصة الكلام (ص: ٦٠): منبه.
(٢) في الأصل: بغيص بن ريت. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٦٠).
(٣) في الأصل: الذيباني. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٦١).
(٤) خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام (ص: ٥٧-٦١).

ولنرجع إلى ذكر إلياس بن مضر: وَوُلِد لإلياس: مُدْرِكَة، على عمود النسب، واسم مُدْرِكَة: عمرو، ولُقِّبَ بِمُدْرِكَة؛ لأنه أدرك كل عزّ وفخر كان في آبائه.

وولد له خارجاً عن عمود النسب: طابِخَة بن إلياس، وبعضهم ينسب مُدْرِكَة وطابِخَة إلى أمهما خِنْدِف[1]، واسمها: ليلى بنت حُلْوان بن عمران بن إلحاف بن قُضاعة، وجميع ولد إلياس من خِنْدِف المذكورة، وإليها ينسبون دون أبيهم، فيقولون: [بنو][2] خِنْدِف، ولا يذكرون إلياس بن مضر.

وصار من طابِخَة -الخارج عن عمود النسب- عدة قبائل، فمنهم: بنو تميم ابن طابِخَة، والرباب، وبنو ضَبَّة -بفتح الضاد-، وبنو مُزَيْنَة، وهم بنو عمرو ابن أد بن طابِخَة، نسبوا إلى أمهم مُزَيْنَة بنت كَلْب بن وَبَرَة.

ثم وُلد لِمُدْرِكَة بن إلياس: خُزَيْمة بن مُدْرِكَة على عمود النسب.

وولد لِمُدْرِكَة خارجاً عن عمود النسب: هُذَيْل بن مُدْرِكَة، ومن هذيل المذكور جميع قبائل الهذليين، ومنهم عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ، وأبو ذؤيب الهذلي الشاعر، وغيرهم.

ثم ولد لخزيمة بن مدركة المذكور: كنانة بن خزيمة على عمود النسب.

وولد له خارجاً عن عمود النسب: الهُون وأسد ابنا خزيمة.

فمن الهون: عَضَل -بفتح العين المهملة والضاد المعجمة بعدها لام- وهي

---

(١) خنْدف: كزبْرج؛ لقب ليلى بنت حُلْوان، وكان إلياس خرج من نُجْعَة فنفرت إبله من أرنب، فخرَج إليها عمرو فأدركها، وخرج عامر فاصطادها وطبخها، وانقمع عُمير في الخباء، وخرجت أمهم تسرع فقال لها إلياس: أين تُخَنْدفين؟ فقالت: مازلت أخندف في أثركم، فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخنْدف. اهـ قاموس (ص:١٠٤٥). (غازي).

(٢) في الأصل: بَني. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٦١).

قبيلة تنسب إلى أبيهم عَضَل بن الهُون بن خزيمة.

ومن الهُون أيضاً: قبيلة الدِّيش -بكسر الدال-، سمّوا باسم أبيهم الدِّيش [بن][١] الهون السابق، ويقال لهاتين القبيلتين -وهما عَضَل والدِّيش-: القارَة.

وأما أسد بن خزيمة فمنه: الكاهليَّة، ودُودان -بضم الدال الأولى- وغيرهما، وإليه يرجع كل أسدي.

ثم ولد لكنانة بن خزيمة المذكور: النَّضْر بن كِنانة على عمود النسب.

وكان للنضر المذكور عدة إخوة ليسوا على عمود النسب، وهم: مَلَكان -محركة بالفتح-، وعبد مَناة، وعمرو، وعامر، ومالك أولاد كنانة. فصار من مَلَكان بنو مَلَكان، وصار من عبد مَناة عدة بطون، منهم: بنو غِفَار -ككتاب- رهط أبي ذرّ الغِفَاري الصحابي المشهور، وبنو بكر.

ومن بني بكر: الدُّؤل، رهط أبي الأسود الدؤلي.

ومن بطون عبد مناة أيضاً: بنو ليث، وبنو الحارث، وبنو مذحج[٢]، وبنو ضمرة. وصار من عمرو بن كنانة: العَمريون، ومن أخيه عامر: العامريون، ومن مالك بن كِنانة: بنو فراس.

ومن بطون كِنانة: الأحابيش، وهؤلاء إخوة النضر بن كِنانة.

وأما النضر المذكور فقد قيل أنه قريش، والصحيح أن قريشاً هم بنو فهر الذي سنذكره.

ووُلد للنَّضْر المذكور: مالك، على عمود النسب، ولم يشتهر له ولد غيره،

---

(١) في الأصل: من. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٦١).
(٢) في خلاصة الكلام (ص: ٦٢): مدلج.

ثم وُلد لمالك: فِهْر على عمود النسب، وفِهْر المذكور هو: قريش عند الأكثر، فكل من كان من ولده فهو قريشي، ومن لم يكن من ولده فليس قريشياً.

قيل: سمي قريشاً؛ لشدّته، تشبيهاً له بدابة من دواب البحر يقال له: القرش، تأكل دواب البحر وتقهرها، وقيل: إن قصي بن كلاب لما استولى على البيت وجمع أشتات بني فِهْر سموا قريشاً؛ لأنه قرش بني فِهْر، أي جمعهم حول الحرم، فقيل له: قريش. كذا نقله ابن سعيد المغربي.

فعلى هذا يكون قريش اسماً لبني فِهْر لا لفِهْر نفسه، وقيل غير ذلك.

[ولم][1] يولد لمالك غير فِهْر المذكور على عمود النسب. ووُلد لفِهْر: غالب، على عمود النسب.

وولد له خارجاً عن عمود النسب ولدان، وهما: محارب والحارث ابنا فِهْر، فمن محارب بنو محارب، ومن الحارث بنو الخُلُج -بضمتين- ومنهم: أبو عبيدة عامر بن الجراح أحد العشرة رضي الله عنهم[2].

ثم وُلد لغالب: لُؤَيّ، على عمود النسب.

ووُلد له خارجاً عن عمود النسب: تيم الأدْرم، والأدْرم: الناقص الذّقن. ومن تيم المذكور بنو الأدرم.

ثم وُلد للؤي المذكور ستة أولاد، وهم: كعب، على عمود النسب.

وإخوته الخمسة خارجون عن عمود النسب وهم: سعد، وخُزَيْمة، والحارث، وعامر، وأسامة أولاد لؤي بن غالب، ولكل منهم ولد ينسبون إليه خلا الحارث.

---

(١) في الأصل: ولما. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٦٣).

(٢) أي: العشرة المبشرين بالجنة.

ومن ولد عامر بن لؤي: عمرو بن [عَبْدِ وِدّ](١)، فارس العرب الذي قتله علي ابن أبي طالب في غزوة الأحزاب، ثم وُلد لكعب(٢): مُرّة، على عمود النسب.

وولد له خارجاً عن عمود النسب: هُصَيْص وعَدِيّ ابنا كعب. فمن هُصَيْص: بنو جُمَح، ومن مشاهيرهم: أميَّة بن خَلَف عدوّ رسول الله ﷺ، وأخوه أُبيّ بن خَلَف، وكان مثله في العداوة.

ومن هُصَيْص أيضاً: بنو سَهْم، ومن بني سهم: عمرو بن العاص.

ومن عدي بن كعب: بنو عَدِيّ، ومنهم: عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد، من العشرة رضي الله عنهم، ثم وُلد لمُرّة على عمود النسب: كلاب.

وولد له خارجاً عن عمود النسب: تَيْم ويَقَظَة ابنا مُرَّة. فمن تَيْم: بنو تَيْم، ومنهم: أبو بكر الصدّيق وطلحة، من العشرة رضي الله عنهم.

ومن يَقَظَة: بنو مَخْزوم، نسب خالد بن الوليد وأبي جهل بن هشام.

ثم وُلد لكلاب: قُصَيّ بن كلاب، على عمود النسب.

وولد له خارجاً عن عمود النسب: زُهرة بن كلاب، ومنه بنو زهرة نسب سعد بن أبي وقَّاص أحد العشرة، ونسب آمنة أمّ رسول الله ﷺ، ونسب عبدالرحمن بن عَوْف رضي الله عنه.

ثم وُلد لقصيّ: عبد مناف بن قصيّ، على عمود النسب.

وولد له خارجاً عن عمود النسب: عبدالدار وعبد العُزّى ابنا قصي. فمن

(١) في الأصل: عبدد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:٦٣). وانظر: صبح الأعشى (١/٤٠٦).
(٢) في الأصل زيادة: بن. وانظر: خلاصة الكلام (ص:٦٣).

عبدالدار: بنُو شيبة الحجبة. [ومن ولد عبد الدار: النضر بن الحارث وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، وقتله رسول الله ﷺ صبراً يوم بدر][1]. ومن ولد عبدالعزى بن قصي: الزُّبير بن العوّام أحد العشرة.

ومن ولد عبدالعزى أيضاً: خديجة بنت خويلد زوجُ النبي ﷺ.

ومن بني عبدالعزى أيضاً: وَرَقَة بن نَوْفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصي.

ووُلد لعبد مناف: هاشم على عمود النسب، واسم هاشم: عمرو العلا؛ لعلوّ مرتبته، ولُقِّبَ بهاشم؛ لِهَشْم الثريد للناس في مجاعة أصابتهم.

قال الشاعر:

عَمْرو العلا هَشَمَ الثّريدَ لقَوْمه ... ورجالُ مَكّةَ مُقفِرُونَ عجَافُ

ووُلد له خارجاً عن عمود النسب: عبد شمس، والمُطَّلب، ونَوْفل.

فمن عبد شمس: أُمَيَّة، ومنه بنو أُمَيَّة، ومنهم: عثمان بن عفَّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، ومعاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، وسعيد بن العاص بن أمية.

ومن المُطَّلب بن عبد مناف: المُطَّلبيون، [ومنهم][2] الإمام الشافعي رضي الله عنه.

ومن نَوْفل: النَّوْفليون.

ثم وُلد لهاشم: عبدالمطلب، على عمود النسب. ولم يعلم لهاشم ولد غيره. واسم عبدالمطلب: شيبة الحمد. قيل: لأنه ولد وفي رأسه شيبة مع رجاء حمد

(١) زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٦٤).
(٢) في الأصل: ومنه. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٦٤).

الناس له، وإنما قيل له عبدالمطلب؛ لأن عمه المطلب أردفه خلفه، وكان بثياب رثّة، فصار يقول لكل من يسأله عنه: [هو][١] عبدي، حياءً من أن يقول: هو ابن أخي.

ووُلد لعبدالمطلب: عبدالله، على عمود النسب.

وولد له خارجاً عن عمود النسب جميع أعمام رسول الله ﷺ، وهم: حَمْزة، والعباس، وأبو طالب، وأبو لهب، واسمه: عبدالعزى، والغَيْداق[٢]، -ومنهم من يقول هو حَجْل[٣]-، والحارث، وحَجْل، والمُقَوَّم[٤]، وضِرَار، والزَّبير -كأمير-، وقُثَم[٥] -مات صغيراً-، وعبد الكعبة، ومنهم من يقول أن عبد الكعبة هو المقوم.

ثم ولد لعبدالله: رسول الله ﷺ في عام الفيل، ولم يولد له سواه[٦]. انتهى.

(١) زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٦٥).
(٢) غَيداق -بفتح الغين المعجمة-: لقب به لكثرة جوده، لأنه كان أجود قريش وأكثرها طعاماً ومالاً، واسمه: مصعب، وقيل: نوفل. (غازي).
(٣) حَجْل -بفتح الحاء وسكون الجيم-: لقبه، واسمه: مغيرة. (غازي).
(٤) مُقَوَّم: بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة. (غازي).
(٥) قثم: كزُفر. اهـ. (غازي).
(٦) خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام (ص: ٦١-٦٥).

الباب الثاني: في ذكر أمور تتعلق بأحوال العرب وعاداتهم

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: في ديانة العرب ومعتقداتهم وعلومهم في الجاهلية

قال العلاّمة ابن الوردي[١]: العرب في الجاهلية أصناف: صنف أنكروا الخالق والبعث، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ [الجاثية:٢٤] ، وقال تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية:٢٤].

وصنف اعترفوا بالخالق وأنكروا البعث. قال تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [ق:١٥].

وصنف عبدوا الأصنام، كل صنم لقبيلة: وُدّ: بدومة الجندل لكلب، وسُواع[٢]: لهذيل، ويغوث: لمذحج ولقبائل من اليمن، ونَسْر: لذي الكلاع بأرض حمير، ويعوق[٣]: لهمدان، واللات[٤]: لثقيف بالطائف، والعزّى[٥]: لقريش وبني كنانة، ومناة: للأوس والخزرج، وهبل: أعظمها على ظهر الكعبة،

---

(١) تتمة المختصر في أخبار البشر (٨٦/١).

(٢) سواع: صنم سمي باسم سواع بن نوح عليه السلام، وكان على صورة امرأة (السيرة الحلبية ٢٠٩/٣).

(٣) اسم صنم كان لكنانَةَ، وقيل: كان لقوم نوح، عليه السلام (لسان العرب، مادة: عوق).

(٤) اللات: صخرةٌ كان عندها رجلٌ يَلُتُّ السَّويقَ للحاجِّ، فلما مات، عُبِدَتْ (لسان العرب، مادة: لتت).

(٥) قال الكلبي: "العزى" هي أحدث من اللات ومناة، وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له: حُراض، بإزاء الغُمير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة (الأصنام ص: ١٧-١٨).

وإساف ونائلة: على الصفا والمروة.

ومنهم من هاد، ومنهم من تنصّر، ومنهم صابئة تعتقد في أنواء المنازل اعتقاد المنجمين في [السيارات][١]، حتى لا تتحرك إلا بنوء من الأنواء، وتقول: مطرنا بنوء كذا، ومنهم عابدوا الملائكة وعابدوا الجن. انتهى.

وفي بلوغ الأرب في مآثر العرب[٢]: قال ابن قتيبة في تاريخه: أديان العرب في الجاهلية: كانت النصرانية في ربيعة، وغسان، وبعض قضاعة.

[وكانت][٣] اليهودية في حِمير، وبني كنانة، وبني الحارث بن كعب، وكِندة.

وكانت المجوسية في تميم، منهم: زُرارة بن عدس التميمي، وابنه حاجب بن زُرارة، وكان تزوج ابنته ثم ندم. ومنهم: الأقرع بن حابس، كان مجوسياً، وأبو [الأسود][٤] جدّ وكيع بن حسان، كان مجوسياً، وكانت الزندقة في قريش، أخذوها من الحيرة، وكان بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية إلهاً من حيس، فعبدوه دهراً طويلاً، ثم أصابهم مجاعة فأكلوه، فقال رجل من بني تميم:

أَكَلَتْ ربَّها حنيفةُ من جو ... ع قديم لها ومن إعْواز

وقال آخر:

أَكَلَتْ حنيفةُ ربَّها ... زمن التَّقَحُّم والمجاعة

لم يحذَروا من ربهم ... سوءَ العقاب[٥] والتباعة

(١) في الأصل: السيرات. والتصويب من تتمة المختصر (٨٦/١).
(٢) بلوغ الأرب (٣٤٤/١-٣٤٥).
(٣) في الأصل: وكان. والتصويب من بلوغ الأرب (٣٤٤/١).
(٤) في الأصل: أسود. والمثبت من بلوغ الأرب (٣٤٥/١).
(٥) في بلوغ الأرب: العواقب.

وقال في القاموس[١]: الزِّنديق -بالكسر- من الثَّنَويَّة، أو القائل بالنُّور والظُّلمة، أو من لا يؤمن [بالآخرة][٢] وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان، جمعه: زنادِقة أو زناديق.

وقال الرازي: إن المجوس يلقبون بالزنادقة؛ لأن الكتاب الذي زعم [(زرادشت)][٣] أنه نزل عليه من عند الله مسمّى بالزند، والمنسوب إليه زندي، ثم عُرّب فقيل: زنديق، ثم جُمع فقيل: زنادقة.

واعلم أن المجوس قالوا: كل ما في هذا العالم من الخيرات فهو من (يزدان)[٤]، وجميع ما فيه من الشر فهو من (أهرمني)[٥]، وهو المسمى بإبليس في شرعنا، ثم اختلفوا، فالأكثرون منهم قالوا: إنه قديم أزلي، وعلى القولين فقد اتفقوا على أنه شريك لله في تدبير هذا العالم، فخيرات هذا العالم من الله تعالى، وشرّه من إبليس. انتهى.

وقال العلامة شهاب الدين أحمد القلقشندي في نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب[٦]: وكان للعرب أحكام يدينون بها جاءت الشريعة الإسلامية بإبقاء بعضها وإبطال بعضها، فكانوا يحجّون البيت ويعتمرون، ويحرمون، ويطوفون ويسعون، ويقفون المواقف، ويرمون الجمار، ويغتسلون من الجنابة،

---

(١) القاموس المحيط (ص: ١١٥١).
(٢) في الأصل: بالآخر. والتصويب من القاموس المحيط (ص: ١١٥١).
(٣) في الأصل: زرداشت. والصواب ما أثبتناه.
وزرادشت: يقال أنه: نبي المجوس (انظر: تاريخ الطبري ٣١٧/١، والفهرست ص:١٩، ومعجم البلدان ١٥٩/١).
(٤) يزدان: خالق الخير بزعم المجوس (مفاتيح العلوم ص:٣٨).
(٥) أهرمن: خالق الشر بزعم المجوس (مفاتيح العلوم، الموضع السابق).
(٦) نهاية الأرب (ص: ٤٠٠-٤٠١).

ويديمون المضمضة والاستنشاق، ومسح الرأس، والسواك، والاستنجاء، وتقليم الأظفار، ونتف الأبط، ولا ينكحون الأمهات ولا البنات، فجاء الإسلام بإبقاء ذلك على وجه مخصوص، وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة أبيه، ويسمونه: الضيزن، ويقطعون يد السارق. وكانوا يجمعون بين الأختين، فجاءت الشريعة بمنع ذلك، وكانوا يعدون الظهار طلاقاً، وتعتد المرأة عن الوفاة بحَوْل[١]، وكانوا إذا لبس عليهم أمر ردّوه إلى كهنتهم، وهم الذين لهم أتباع من الجن يخدمونهم، وكانوا يعوّلون على عيافة الطير وزجره في حركاتهم ومقاصدهم، وهو أن يعتبره عند قصده بما يراه من الطير تارة باسمه، وتارة بطيرانه يميناً أو شمالاً، وتارة بصوته ومقدار ما يصوت، وتارة مسقطه الذي يسقط فيه، وجاءت الشريعة بإبطال ذلك. انتهى.

وفي النفحة الملوكية في أحوال الأمة العربية الجاهلية للسيد عمر نور الدين القلوصي الأزهري[٢]: ومن أعظم ما كانوا يتطيرون منه: الغراب، وكانوا يسمونه: بالأعور، على جهة التطير، مع أنه من أصح الطير بصراً، ويلقبونه بحاتم أيضاً، لأنه يحتم الفراق، وكانوا إذا أرادوا سفراً يخرجون في الغلس والطير

---

(١) في هامش الأصل: بحول: أي سنة أو عام واحد. وإن حكومة سويسرة من دول الإفرنج قد جعلت عدة المتوفى عنها زوجها ثمانية أشهر، وقد قلدها الحكومة التركية الكمالية، وذلك بعد [أن]١ لغت الخلافة الإسلامية من بلادها، وصارت حكومة جمهورية لا دينية، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وكتبه: محمد نصيف.

١- قوله: "أن" زيادة على الأصل.

وقوله: "الحكومة التركية الكمالية" يقصد: حكومة كمال أتاتورك.

(٢) النفحة الملوكية في أحوال الأمة العربية الجاهلية (ص:١٩٢).

في أوكارها على الشجر فيطيروها، فإن أخذت يميناً أخذوا يميناً، وإن أخذت شمالاً أخذوا شمالاً.

ومن الأشياء التي كانت تفعلها العرب في الجاهلية وجاءت الشريعة بمنع ذلك[١]: الصمت، أي الامتناع عن الكلام، قربة وطاعة.

روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل البيت الحرام فوجد امرأة من أحمس يقال لها: زينب، فرآها لا تكلم، قالوا: حجّت مصمتة، قال لها: تكلمي، فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت فقالت: من أنت؟ قال: امرؤ من المهاجرين، قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قريش، قالت: من أي قريش أنت؟ قال: إنك لسؤول، أنا أبو بكر. قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء به الله بعد، فقال: بقاؤكم عليه ما استقامت به أئمتكم، قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمروهم فيطيعوهم؟ قالت: بلى، قال: فهم أولئك[٢].

وكانت قريش أيضاً تحلف بآبائها، فلما جاء الإسلام قال عليه الصلاة والسلام ناهياً عن ذلك: « ألا من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله »[٣].

و« كانوا أيضاً في الجاهلية إذا رأوا جنازة قاموا لها، ويقولون إذا رأوها: كنت في أهلك ما أنت، مرتين، فنهوا عن ذلك »[٤]. روي هذا عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ.

---

(١) النفحة الملوكية (ص: ١٨٤-١٨٧).
(٢) أخرجه البخاري (٣/١٣٩٣ ح٣٦٢٢).
(٣) أخرجه البخاري (٣/١٣٩٤ ح٣٦٢٤)، ومسلم (٣/١٢٦٧ ح١٦٤٦).
(٤) أخرجه البخاري (٣/١٣٩٤ ح٣٦٢٥).

وكانوا [أيضاً][(١)] ينصبون الرايات على أبواب بيوتهم ليعرفوا بها، فكانت عرب اليمن تفتخر بالرايات الصفر، وعرب الحجاز تفتخر بالرايات الحمر، فنهوا عن ذلك.

ومنها: البحيرة، [والسائبة][(٢)]، والوصيلة، والحام، والخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام.

فالبحيرة: التي يمنع درّها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس.

والسائبة: التي [كانوا][(٣)] يسيبونها لآلهتهم، فلا يحمل عليها شيء.

والوصيلة: الناقة البِكر التي تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى، ثم تثني بعدها بأنثى ليس بينهما ذكر، فكانوا يسمّونها الوصيلة، ويُسيّبونها لطواغيتهم أيضاً.

والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه جعلوه للطواغيت، وأعفوه من الحمل، فلا يحمل عليه شيء، وسموه الحامي، لأنهم يقولون أنه حمي ظهره من الحمل عليه. وقد جاء القرآن ببطلان ذلك كله، قال الله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المائدة:١٠٣].

وكانوا يشربون الخمر، ويستعملون الميسر، والأنصاب، والأزلام، وتفسير ذلك: أن الخمر هو كل ما خامر العقل، ومنه سميت الخمر خمراً، والميسر:

(١) قوله: "أيضاً" زيادة من النفحة الملوكية (ص:١٨٤).
(٢) في الأصل: السائبة. والتصويب من النفحة الملوكية (ص:١٨٥).
(٣) في الأصل: كانت. والمثبت من النفحة الملوكية، الموضع السابق.

القمار[1]، والأنصاب: الأوثان، واحدها: نصاب، والأزلام: السهام التي كانوا يضربون عليها في حوائجهم، وتسمى قداحاً أيضاً، وكانت سبعة موضوعة عند سادن الكعبة بالبيت الحرام، فنهى الله سبحانه وتعالى عن هذه الأشياء. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

ومن معتقدات العرب الفاسدة وأقوالهم الكاذبة في أيام الجاهلية: أن من خرج في سفر والْتَفَتَ وراءه لم يتمّ سفره، فإن الْتَفَتَ تطيّروا له، وأن من علق عليه كعب أرنب لم تصبه عين ولا سحر، يزعمون أن الجن تهرب من الأرنب، لكونها تحيض[2]، وأن المرأة إذا أحبّت رجلاً وأحبّها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما، وأن الرجل إذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها، وأن دويبة صغيرة أكبر من البرغوث تسمى بالحرقوص، تدخل في فروج الأبكار فتفتقهنّ، وأن الرجل إذا ضلّ في سفر وقلب ثيابه اهتدى، وأن الناقة إذا نفرت وذكر اسم أمها فإنها تسكن، وكانت لهم خرزة يسمونها: السلوان، يزعمون أن العاشق إذا حكّها وشرب ما يخرج منها سلّى وتصبَّر، وأن النساء كانت لا تبكين على المقتول حتى يُؤخذ بثأره، فإذا أُخذ بثأره بَكَينه، وكانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها [خضبوا][3] صدره بدم الصيد الذي يصيدونه علامة له.

---

(١) في هامش الأصل: القمار: معروف، ومنه الذي يسمى الآن: يانصيب. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) انظر: بلوغ الأرب (٢/٣٢٤).

(٣) في الأصل: حصبوا. والتصويب من النفحة الملوكية (ص:١٨٦).

وكان فيهم أيضاً من المعتقدات الفاسدة والأوابد الكاذبة: الرتم والرتيمة، والتعمية، والتفقئة، والعرّ، وضرب الثيران عن البقر، وتثنية الضربة، والهامة، والصفر.

فأما الرتم [والرتيمة][١]: فكان أحدهم إذا أراد سفراً في الجاهلية عمد إلى شجرة فيعقد غصناً منها، فإذا عاد من سفره فوجده قد انحلّ قال: قد خانتني امرأتي، وإن وجده على حالته قال: لم تخنّي[٢].

[والتعمية][٣]: ناقة كانت العرب إذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت، يزعمون أنه إذا بعث من قبره ركبها.

[والتفقئة][٤]: كان الرجل منهم إذا بلغت إبله ألفاً قلع عين الفحل، يزعمون أن ذلك يدفع عنها العين، فإذا زادت على الألف فقأ عينه الأخرى.

والعرّ: داء يشبه الجرب يصيب الإبل، فكانوا في الجاهلية يكوون الإبل السليمة، ويزعمون أن ذلك يبرئ السقيمة من هذا الداء[٥].

وكانت البقر إذا امتنعت عن الشرب يضربون الثيران، يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب[٦].

ويزعمون أن الحية تموت في أول ضربة، فإذا ثنيت عاشت.

---

(١) زيادة على الأصل. وانظر: الصحاح للجوهري (١٩٢٧/٥).
(٢) انظر: بلوغ الأرب (٣١٦/٢).
(٣) في الأصل: والرتيمة. والصواب ما أثبتناه.
(٤) في الأصل: والتعمية. والصواب ما أثبتناه. وانظر: اللسان (١٢٣/١)، والغريب لابن قتيبة (٤٢٧/١)، والغريب للخطابي (٢٨٨/١).
(٥) انظر: بلوغ الأرب (٣٠٥/٢)، والصحاح للجوهري (٧٤٢/٢).
(٦) انظر: بلوغ الأرب (٣٠٣/٢).

ويزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر كالبومة يسمى: بالهامة، ولا يزال يصيح على قبره ويقول: اسقوني، إلى أن يؤخذ بثأره، ويقولون أيضاً: أنها تخبره بما يكون بعده[(١)].

قال بعضهم:

وهامتي تخبرني بما تستشعروا فتجنبوا الشعناء والمكروها

ويزعمون أن الصفر حية تكون في البطن، فإذا جاع الإنسان عضت على شُرْسُوفه فيقولون: عضت شُرْسُوفه[(٢)] الصفر[(٣)]، حتى جاء الإسلام والعرب ترى صحة الهامة والصفر، فقال النبي ﷺ: «لا هامة ولا صفر»[(٤)].

وإن وأد العرب لبناتهم -أي دفن العرب لبناتهم- في التراب أحياء أيام الجاهلية كان كثيراً في قريش، وكانوا يفعلونه خوفاً من الفاقة ولحوق العار، حتى جاء الإسلام فنهوا عن ذلك. قال تعالى مخبراً عما كان منهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل:٥٨-٥٩]، وقال تعالى أيضاً في نهيهم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٣١][(٥)].

---

(١) انظر: بلوغ الأرب (٢/٣١١).

(٢) في هامش الأصل: قال في القاموس (ص:١٠٦٤): الشُرْسوف: كعصفور: غضروفٌ مُعلَّقٌ بكل ضِلَع، أو مَقَطُّ الضِّلَع، وهو الطرف المُشرف على البطن.

(٣) انظر: بلوغ الأرب (٢/٣١٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/١٧ ح٣٩١١).

(٥) النفحة الملوكية في أحوال الأمة العربية الجاهلية (ص:١٩٠). وانظر: بلوغ الأرب (٣/٤٢).

ومن أقوال عرب الجاهلية في الغيلان والسعالي: أن الغول حيوان يتشكل للناس في الفلوات في أنواع الصور، فيخاطبهم ويخاطبونه، وقيل له: الغول؛ لأنه يغتال الشخص، أي يأخذه من حيث لا يدري فيهلكه، وكذلك كل شيء اغتال الإنسان فأهلكه قيل له: غول.

ومنهم من زعم أنه نوع من الحيوان يشبه الإنسان والبهيمة قد تفرد وتوحش، وهو يتراءى [لبعض][1] السفار في الفلوات، وذلك في الأوقات الخالية والليالي المظلمة، فيحاربهم ويحاربون. وقد وصفه عنترة بن شداد العبسي في شعره فقال:

والغول بين يدي يخفى تارة ... ويعود يظهر مثل ضوء المنجل

بنواظر زرق ووجه أسود ... وأظافر يشبهن حدّ المنجل[2]

وقال أيضاً ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي الشاعر، الملقب بتأبط شراً[3]، أبياتاً فيه[4]:

ألا من مبلغ فتيان فهم ... [بما][5] لاقيت عند رحا بطان

وإني قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان[6]

فقلت لها كلانا نضو ابن[7] ... أخو سفر فخلي لي مكاني

---

(١) في الأصل: بعض. والتصويب من النفحة الملوكية (ص:١٨٩).

(٢) منْجَل: كمنبر: حديدة يُقْضَبُ بها الزرع. اهـ قاموس (ص:١٣٧٠). (غازي).

(٣) هو من فحول شعراء الجاهلية وفرسانها المشهورين، كنيته أبو زهير، وبتلقيبه بتأبط شرّاً أقوال، المشهور منها: أنه تأبّط سيفاً وخرج، فقيل لأمه: أين هو؟ فقالت: لا أدري تأبط شراً وخرج. انتهى بلوغ الأرب (٢/٣٤٥). (غازي).

(٤) انظر الأبيات في: بلوغ الأرب (٢/٣٤٢).

(٥) في الأصل: لما. والتصويب من النفحة الملوكية (ص:١٨٩).

(٦) الصحصحان: المكان المستوي. (غازي).

(٧) في بلوغ الأرب: أرض.

والنِّضو: المهزول من الحيوان وغيرها (المعجم الوسيط ٢/٩٢٩).

فشدت شدة نحوي فأهوى ... لها كفي بمصقول يماني
فأضربها بلا دهش فخرّت ... صريعاً لليدين [وللجران][1]
فقالت: عد، فقلت لها: رويداً ... مكانك إنني ثبت الجنان
فلم أنفك منكباً لديها ... لأنظر مصبحاً ماذا دهاني
إذا عينان في رأس قبيح ... كرأس الهر مشقوق اللسان

وتقول العرب لإناث الغول: السعالي، والواحدة منها: سعلاة.

قال بعض الشعراء[2]:

لقد رأيت عجباً مذ أمسى ... عجائزاً مثل السعالي خمسا
يأكلن ما في رحلهن همسا ... لا ترك الله لهن ضرسا

ويزعمون أن السعلاة إذا انفردت بإنسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به، كما يلعب القط بالفأر. انتهى[3].

وفي بلوغ الأرب في أحوال العرب[4]: ومن مذاهبهم: أنهم يعتقدون أنهم يرون الجن ويظاهروهم ويخاطبوهم، ويشاهدون الغول، وربما جامعوها وتزوجوها، وتولد لهم أولاد منها، كل ذلك من المسلّمات لديهم.

وقالوا: إن عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين، ومكثت عنده دهراً فكانت تقوله له: إذا لاح البرق من جهة بلادي -وهي جهة كذا- فاستره عني، فإني إن لم تستره عني تركت ولدك عليك وطرت إلى بلاد قومي، فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائه فلا تبصره.

---

(١) في الأصل: والجران. والتصويب من النفحة الملوكية (ص:١٨٩).
(٢) انظر البيتين في: بلوغ الأرب (٢/٣٤٨).
(٣) النفحة الملوكية في أحوال الأمة العربية الجاهلية (ص:١٨٩-١٩٠). وانظر: بلوغ الأرب (٢/٣٤٩).
(٤) بلوغ الأرب (٢/٣٤٠-٣٤٢).

قالوا: فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة وقد لمع البرق فلم يستر وجهها، فطارت وقالت له وهي تطير:

أمسك بنيك عمرو إني آبق برق على أرض السعالي آلق

ومنهم من يقول: ركبت بعيراً وطارت عليه، أي أسرعت، فلم يدركها.

قال: فبنو عمرو بن يربوع يدعون إلى اليوم ببني السعلاة، ولذلك قال الشاعر يهجوهم:

عمرو بن يربوع شرار النات ليسوا بأبطال ولا أكيات
يا قبح الله بني السعلاة

والمراد بالنات: الناس، وبالأكيات: الأكياس، فأبدلت السين تاء، وهي لغة قوم من العرب.

ومن مذاهبهم في الغول: أنهم يقولون إن ضربت بالسيف ضربة واحدة هلكت، فإن ضربت ثانية عاشت، وإلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله:

فقالت: ثنِّ! قلت لها: رويداً مكانك إنني ثبت الجنان

ما ورد في الشريعة من أمر الغول والسعلاة

قد ورد في شأن الغول حديثان صحيحان: أحدها قوله ﷺ: « لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا غول »[1]. والثاني قوله ﷺ: « إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان »[2] أي: ادفعوا شرّها بذكر الله تعالى.

وحاصل ما ذكر أهل الحديث في الجمع بين هذين الحديثين المتعارضين: أنه ليس المراد بالحديث الأول نفي وجود الغول، وإنما معناه: إبطال ما تزعمه

---

(١) أخرجه مسلم (٤/١٧٤٤ ح٢٢٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٠٥ ح١٤٣١٦).

العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالهم، فقد قال أهل اللغة: إن الغول من السعالي، وهي إناث الشياطين، سميت بذلك: لأنها بزعمهم تغتالهم، أو لأنها تتلون كل وقت، من قولهم: تغولت على البلاد إذا اختلفت.

قالوا: ومعنى "لا غول" أي لا تستطيع أن تضلّ أحداً، ويشهد له حديث: «لا غول ولكن السعالي»[(١)] وهم سحرة الجن، أي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل، فحيث أثبتت في الحديث فالمراد إثبات وجودها، وحيث نفيت فالمراد نفي ما كانوا يزعمون فيها. ومثل ذلك كثير في الكلام الفصيح، وعلى هذا يحمل قول ابن هشام في شرح بانت سعاد: إن للعرب أموراً تزعمها لا حقيقة لها، منها: أن الغول تتراءى لهم في الفلوات، وتتلون لهم، وتضلهم عن الطريق[(٢)].

وكانت العرب إذا أجدبت وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يستمطروا، عمدوا إلى السلع والعشر فحزموهما، وعقدوهما في أذناب البقر، وأضرموا فيها النيران، وأصعدوها في جبل وعر واتبعوها يدعون الله تعالى ويستسقونه، وإنما يضرمون النار في أذناب البقر تفاؤلاً للبرق بالنار، وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات. وقال أعرابي[(٣)]:

شفعنا ببيقور إلى هاطل الحيا فلم يُغْن عنا ذاك بل زادنا جَدْبا
فعدنا إلى رب الحيا فأجارنا وصير جدب الأرض من عنده

---

(١) ذكره أبو الطيب في عون المعبود (١٠/٢٩٢).
(٢) بلوغ الأرب (٢/٣٤٦).
(٣) انظر الأبيات في: بلوغ الأرب (٢/٣٠٢).
والحيا: المطر، والهاطل: المتتابع المتفرق العظيم القطر، والجدب: المحل، والخصب ضده (المعجم الوسيط ١/٢١٣، ١٠٩، ٢/٩٨٨).

وقال آخر[١] يعيب العرب بفعلهم هذا:

لا دَرَّ درُّ أناس خاب سعيهم يستمطرون لدى الإعسار بالعُشر
أجاعلٌ أنت بيقوراً مسلّعةً ذريعةً لك بين الله والمطر[٢]

ومن عادة العرب أيضاً: تعليق الحلي والجلاجل على اللّديغ، يرون أنه يفيق بذلك، ويقال: إنه إنما يعلق عليه لأنهم يرون أنه إن نام يسري السم فيه فيهلك، فيشغلوه بالحلي والجلاجل وأصواتها عن النوم. قيل لبعض الأعراب: أتريدون سهره؟ فقال: إن الحلي لا تسهر، ولكنها سُنَّة ورثناها[٣].

ومن تخيلات العرب: أنهم كانوا إذا خافوا على الرجل الجنون وتعرُّض الأرواح الخبيثة له، نجَّسوه بتعليق الأقذار عليه، كخرقة الحيض، وعظام الموتى. قالوا: وأنفع من ذلك أن تعلق عليه طامث عظام موتى، ثم لا يراها يومه ذلك.

قالوا: والتنجيس يشفي، إلا من العشق. قال أعرابي:

يقولون علّق يا لك الخير رُمةً[٤] وهل ينفع التنجيس من كان

وقالت امرأة وقد نجَّست ولدها، فلم ينفعه ذلك ومات:

نجّسته لا ينفع التنجيس والموت لا تفوته النفوس[٥]

وكانت العرب تعلق على الصبي سنّ ثعلب وسنّ هرة، خوفاً من الخطفة والنظرة، وكانت العرب إذا ولدت المرأة أخذوا من دم السمر –وهو صمغه الذي يسيل منه– ينقطونه بين عيني النُّفَساء، وخطوا على وجه الصبي خطاً،

---

(١) هو وداك الطائي (هامش بلوغ الأرب ٣٠٢/٢).
(٢) بلوغ الأرب (٣٠١/٢-٣٠٢).
(٣) بلوغ الأرب (٣٠٤/٢).
(٤) الرمة: القطعة من الحبل البالية (المعجم الوسيط ٣٧٤/١).
(٥) بلوغ الأرب (٣١٩/٢).

ويسمى هذا الصمغ السائل من السمر: الدودم، ويقال بالذال المعجمة أيضاً. وتسمى هذه الأشياء التي تعلق على الصبي: النفرات[١].

وكانت العرب إذا رحل الضيف أو غيره عنهم وأحبوا أن لا يعود كسروا شيئاً من الأواني. قال بعضهم:

كسرنا القـــدر بعـــد أبي ســـواح فعاد وقدرنا ذهبت ضـــياعا

انتهى ما في بلوغ الأرب[٢].

وأما علوم العرب:

فمنها: علم الأنساب، والعلم بأنواء الكواكب، والتاريخ، وتعبير الرؤيا، وكان عندهم [علم][٣] القيافة، وأكثر ما كان في بني مدلج، وكان لهم معرفة بقصّ أثر الماشي في الرمل حتى يعلموا إلى أين ذهب، وهو ضرب من القيافة، إلى غير ذلك من العلوم التي دُرِسَ أكثرها. ذكره القلقشندي[٤].

وفي خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام للعلامة محمد أفندي غنيم[٥]: ومن علومهم أيضاً: إحكام لغتهم، ونظم الأشعار، وتأليف الخطب والحكم، إلى غير ذلك مما كان عندهم من العلوم العديدة، اكتسبوها بالتجربة المفيدة التي أحوجتهم لها ضرورة التقدم في أسباب المعيشة، وزعم بعضهم أن جاهلية العرب كانوا على جانب عظيم من العلم والفلسفة، وأن فيثاغورث الذي هو من أعظم حكماء اليونان استمدّ أكثر معارفه منهم، كما رواه كثير من المؤرخين.

---

(١) بلوغ الأرب (٢/٣٢٥).
(٢) بلوغ الأرب (٢/٣٣١).
(٣) قوله: "علم" زيادة من نهاية الأرب (ص: ٤٠١).
(٤) نهاية الأرب (ص: ٤٠١).
(٥) خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام (ص: ١٨٠).

وكذلك كان بين العرب بعض أطباء؛ كالحارث بن كلدة الثقفي، الذي رحل إلى أرض فارس وتلقى الطب هناك، فطبب به، وحصل مالاً كثيراً وثروة وافرة، ثم اشتاق إلى أوطانه فرجع إليها، وأقام بالطائف واشتغل بالطب.

وكانت القيافة والفراسة والتخطيط في الرمل[١] في عرب الجاهلية كثيرة فاشية. انتهى.

وفي النفحة الملوكية[٢]: القيافة والفراسة هما لطيفتان خفيتان يبحثان بواسطة الفعل على الاستدلال على إلحاق النظير بنظيره في الأغلب. فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن القافة قد قفت لقريش حين خرج النبي ﷺ وأبو بكر معه إلى الغار حتى أتت باب الغار على حجر صلد، وصخر صم، وجبال لا رمل عليها، ولا طين ولا تراب تبين عليه الأقدام، فحبسهم الله تعالى عن نبيه ﷺ بما كان من نسج العنكبوت، وما لحق القائف من الحيرة وقوله: "إلى هاهنا [انتهت][٣] الأقدام" ومعه الجماعة من قريش لا يرون على الصلد والصوان مثل ما يرى القائف، وأبصارهم سليمة، والآفات مرتفعة، والموانع زائلة، ولولا أن هناك لطيفة لا يتساوى الناس في علمها، ولا يتقنون بالأبصار إحصاء إدراكها لما استأثر بذلك طائفة دون أخرى.

---

(١) الخط في الرمل: هو الاستدلال على أحوال المسألة حين السؤال بأشكال الرمل -وهي خطوط ونقاط تخط في الرمل- وهي اثنا عشر شكلاً على عدد البروج في السماء، وأكثر مسائل هذا الفن تخمينية، مبنية على تجارب غير كاملة، فذلك لا يفيد اليقين في مثل هذه الأمور الخفية. وفيها ضرب من الكهانة. (انظر: هامش لطف السمر وقطف الثمر ٣٤/١، وأبجد العلوم ٣٠٤/٢).

(٢) النفحة الملوكية في أحوال الأمة العربية الجاهلية (ص:١٩٣-١٩٥).

(٣) في الأصل: انتست. والتصويب من النفحة الملوكية (ص:١٩٣).

قال: وأبطل الإسلام حكم العمل بالقيافة، بدليل ما رواه الجماعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « جاء رجل من بني فزارة إلى رسول الله ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال له النبي ﷺ: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر. فقال ﷺ: عسى أن يكون نزعه عرق هذا »[١].

ومن عرب الجاهلية أيضاً من كانت له المعرفة التامة بالتخطيط بالرمل، فقد زعموا أن رجلاً شردت له ناقة، فجاء إلى رجل من العرب في الجاهلية فسأله عن ذلك، فأمر الرجل ابنته أن تخطّ له في الأرض، فخطّت ثم قامت، فضحك أبوها، فقال لصاحب الناقة: أتدري ما قيامها؟ قال: لا، قال: رأت في الرمل أنك تجد ناقتك وتتزوج بها، فاسْتحت وقامت، فكان كما قال، ووجد ناقته وتزوج بها[٢].

ويوجد في بعض الموجودين من عربَ زماننا هذا بعض آثار قديمة من آثار أسلافهم منها: القيافة، وتسمى بقصّ الأثر، والفراسة، ويسمونها بالحذر، ويوجد فيهم أيضاً من عنده إلمام بالتخطيط في الرمل، ويسمونه [بالتقاذ][٣]. انتهى.

وقال الزركلي[٤]: الفراسة في اللغة: صدق النظر. ومنه حديث: « اتقوا فراسة المؤمن »[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١١٣٧/٢ ح١٥٠٠).
(٢) هذه القصة من خرافات العرب في الجاهلية، إضافة إلى عدم ثبوتها وعزوها إلى مصدر معتمد.
(٣) في الأصل: بالنقاد. والمثبت من النفحة الملوكية (ص:١٩٥).
(٤) ما رأيت وما سمعت (ص:١٩٣).
(٥) أخرجه الترمذي (٢٩٨/٥ ح٣١٢٧).

وقبيلة فَهْم[1] مشهورة بهذه المزية، قد يستعان بها في حل المعضلات، ومنازلها جنوب تهامة. أخبارها غير قليلة، يتناقلها الناس معجبين:

منها: أن عنزاً سرقت من فهم وهي صغيرة يسمونها (جفرة)، ومضى على فقدها نحو سنتين إلى أن كانت [فتاة][2] فَهْميّة مارّة بالطائف يوماً، فأبصرت الجفرة وقد أصبحت عنزاً، فعرفتها في حين أنها غير موسومة، –ولكل قبيلة وسم خاص تعرف به ماشيتها، إلا أن هذه سرقت صغيرة قبل أن توسم–، فأقبلت الفهمية على أصحاب الجفرة تخبرهم بأنها رأتها، فرفعوا القضية إلى حاكم الطائف –وهو في ذلك الحين الشريف زيد بن ناصر– فاستحضر من هي عنده فقال: إنه اشتراها جفرة وكبرت عنده وولدت، فبحث عن بائعها له، فجيء به بعد أيام وهو من سكان البادية، فأخبره بأنها كانت كسباً من فَهْم في إغارة له عليها، فأمره بردّ القيمة إلى مشتريها منه، ودفع العنز إلى صاحبها الفَهْمي، وعجب من معرفة الفَهْمية لها بعد تلك المدة.

قال[3]: ومعنى قصّ الأثر في اللغة: تتبّعه، ومنه الآية الكريمة:﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف:٦٤].

وفي القبائل القريبة من الطائف قبيلتان مشهورتان بمعرفة آثار الناس

---

(١) تنسب إلى: فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن إلياس، إلى عدنان. وديارهم اليوم أعالي وادي يلملم وبعض نواشغ صدور الليث الشمالية. وتنقسم بنو فهم إلى فرعين، هما: بلحارث، وأهل القُرنة (معجم قبائل الحجاز ص:٤٠٦-٤٠٧).

(٢) قوله: "فتاة" زيادة من ما رأيت وما سمعت (ص:١٩٣).

(٣) ما رأيت وما سمعت (ص:١٩٣-١٩٥).

وغيرهم، وهما: وقدان(١) [والكباكبة](٢).

فأما وقدان فمنازلها على مسيرة ساعة شرقي الطائف إلى الجنوب. وأما الكباكبة(٣) فمنازلهم شداد وأطرافها من سفوح جبل كبكب(٤)، وهم يسمون قص الأثر: (الجرة)، ويرجعون إلى هاتين القبيلتين [في](٥) كثير [مما](٦) يعضل عليهم الاهتداء إليه، وقد تستحضر الحكومة أحدهم في السرقات الخفية، فينظر في أثر قدم السارق، فيؤتى بمن يشتبه بهم فيحدق في آثار أقدامهم فيخرج اللص منهم، وقد أصبح ما يقول الكباكبة والوقدانيون حجّة عند عارفيهم، لتكرر صدقهم وتعدد إصابتهم، حتى أنهم فيما يقال لم يعرف عنهم الخطأ مرة.

[فمن](٧) أخبار الوقدانيين: أن تاجراً كان في الطائف يدعى: عثمان

---

(١) وقدان: بطن من اللُّصّة من الثبتة من بني سعد، سكناهم وادي نخب على أربعة أكيال شرق الطائف (معجم قبائل الحجاز ص:٥٦٨).

(٢) في الأصل: والكباكية. والتصويب من ما رأيت وما سمعت (ص:١٩٣).

(٣) الكباكبة: قوم يسكنون جبل كبكب ونواحيه من ديار هذيل (معجم قبائل الحجاز ص: ٤٣٧)، وهو من أشهر جبال هذيل قديماً وحديثاً، وهو جبل أسمر ضخم، يقع شرق مكة على قرابة(٢٧) كيلاً، يرتفع عن سطح البحر (١٧٥٠) متراً، يقع بين وادي نعمان جنوباً وجنوباً شرقياً، ووادي عرنة غرباً، وحنين شمالاً، ويشرف على المغمس من مطلع الشمس، وامتداده في الأرض قرابة ثلاثين كيلاً، وفيه بعض الزراعة في رأسه، وتنحدر منه أودية كثيرة منها: ذو المجاز في عرنة، والوصيق وبرم في نعمان (معالم مكة التاريخية ص: ٢٢٧).

(٤) كبكب: اسم جبل خلف عرفات مشرف عليها (معجم البلدان ٤/٤٣٤). وهو جبل طويل مشهور يحيط بسهل المغمّس من الشرق، وفي إحدى شعابه الغربية يقع سوق ذي المجاز المشهور.

(٥) قوله: "في" زيادة من ما رأيت وما سمعت (ص:١٩٤).

(٦) في الأصل: ممن. والتصويب من ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق.

(٧) في الأصل: وفي. والمثبت من ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق.

شافعي، أصبح يوم التاسع من شهر ذي الحجة الحرام، فرأى دكانه قد خرقت وأخذ ما فيها من أمتعة ودراهم وحلي، وكان الحاكم الشريف زيد وهو في مكة إذ ذاك، فرفع الرجل قضيته إلى وكيله، فأمر بالبحث والتنقيب. أما عثمان صاحب الدكان فعاد من ساعته ودعا وقدانياً، فجاء ورأى شيئاً من أثر القدم، فغطّاه بوعاء وانصرف إلى السوق يرى أقدام المارة، ثم عاد فأطال النظر في الأثر وغطّاه، والحكومة تبحث فلم تعثر للسارق على خبر، ولم يَهْتَدِ الوقداني إليه، وحضر الشريف زيد بعد أيام فحدث بالقضية، فاهتمّ لها، ولم يظفر بجدوى، فيئس صاحب المال. وبعد أن مضى على الحادثة نحو شهرين ولم يبق للأثر أثر، كان الوقداني ماراً في سوق الطائف، فرأى رجلاً ولمح أثر قدميه (جرّته) فعرف الجرّة، وتقدم فتثبت منها، وأسرع فنادى شرطياً راجياً منه أن يعرفه باسم الرجل، فقال: حسن بن عبيد. فأخبر الشريف زيداً بأن السارق في السوق الآن، فدعا به فجلب، فاستنطقه، فكان جوابه أنه يوم تاسع ذي الحجة كان في عرفة يلبي مع الحجاج، وأثبت ذلك بشهود ثقات، فكاد الشريف أن يطلق سراحه لولا أن الوقداني أصرَّ على أن هذا هو سارق الدكان دون غيره، فرأى الشريف أن يسجنه ثقة منه بآل وقدان، وشدّد عليه فاعترف السارق، وأخرج السرقة من مكان دفنها فيه، واتّضح أن السرقة كانت قبيل الساعة الرابعة من الليل، وأنه أسرع من فوره فوصل عرفة صباحاً فاختلط بالحجاج، والمسافة بين عرفة والطائف إحدى عشرة ساعة للراكب إذا لم يجلس للراحة في مكان.

ومن أخبار الكباكبة: أن رجلاً من أهل الهدا ضاف عنده جماعة من هذيل، فتظاهر بالنوم معهم حتى وثق من هجوعهم، فنهض سارياً كالبرق إلى جبل كبكب فسرق بندقاً، وعاد قبيل طلوع الصباح، ولم يشعر بغيبته أحد ممن كانوا

عنده، وأصبح الكبكبي فشعر بفقد البندق، فأسرع إلى قص جرة السارق، فتعقبها إلى أن بلغ الهدى، والمسافة نحو (٢٥) كيلو متراً بين جبل وسهل ووعر، فنظر في الجرة فاهتدى إليها، وأوصلته إلى دار الرجل، فدعا من في الدار قائلاً: هذه جرة من؟ فسئل عن غايته، فحدّث بما وقع له، فخرجوا جميعاً فقبض على السارق بعد أن رأى آثارهم، وقال: هذا غريمي، فشهد الضيوف الهذليون بأنه كان نائماً معهم، ورفعت القضية فبرأت الرجل شهادة أضيافه. ثم عرفت القصة بعد حين.

وأخبار هذه القبائل الثلاث: فَهْم، ووقْدان، والكَباكبة غريبة كثيرة، كلها على نسق ما تقدم. انتهى.

وفي بلوغ الأرب في أحوال العرب[١]: ومن علومهم: علم القيافة، وهي على قسمين: قيافة الأثر -ويقال لها: العيافة-، وقيافة البشر.

أما القيافة: فهو علم باحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في المقابلة للأثر، وهي التي تكون في تربة حرة يتشكل بشكل القدم؛ ونفع هذا العلم بيّن، [إذ][٢] القائف يَجِدُ بهذا العلم الفارّ من الناس، والضالّ من الحيوان بتتبع آثارها وقوائمها بقوة [الباصرة][٣]، وقوة الخيال والحافظة، حتى يحكى أن بعضهم يفرق بين أثر قدم الشاب والشيخ، وقدم الرجل والمرأة، والبكر والثيّب.

---

(١) بلوغ الأرب (٣/٢٦١-٢٦٤).

(٢) في الأصل: إذا. والتصويب من بلوغ الأرب (٣/٢٦١).

(٣) في الأصل: الباصر. والتصويب من بلوغ الأرب، الموضع السابق.

وأما قيافة البشر: فهي الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين [على][1] المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة في سائر أحوالهما وأخلاقهما.

وقد فسّرها أبو القاسم الأصفهاني في كتاب الذريعة[2] بتفسير أوجز، فقال: والقيافة ضربان: أحدهما بتتبع أثر الأقدام والاستدلال به على السالكين، والثاني: الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله على نسبته.

وخص الاستدلال بالقيافة البشرية من العرب: بنو مُدْلج[3]، وبنو لِهْب[4]، وذلك لمناسبة طبيعية حاصلة فيهم لا بتعلم.

قال الأصفهاني[5]: خصّ الله تعالى بذلك العرب؛ ليكون سبباً لارتداع نسائهم عما يورث ثلب[6] نسبهم، وخبث حسبهم، وفساد بذورهم، وزروعهم، صيانةً للنسبة [النبوية][7]؛ ولأجل حفظه تعالى نسبهم بذلك. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات:١٣] ، أي ليعرف بعضكم بعضاً بمعرفة أصله. انتهى.

---

(١) في الأصل: عن. والتصويب من بلوغ الأرب (٣/٢٦١).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص:٨٩).

(٣) بنو مدلج: بطن من كنانة، وهم بنو مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر، كان منهم من اختص بعلم وهو إصابة الفراسة في معرفة القرابات والآثار، كانوا مع خالد بن الوليد يوم فتح مكة، وكانت ديارهم في ساحل الحجاز تمتد من دوران قرب صعبر إلى ينبع مجاورين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة (معجم قبائل الحجاز ص:٤٧٦-٤٧٧).

(٤) بنو لِهْب: حي من أزد شنوءة، وهم بنو لِهْب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله ابن نَصر بن الأزد. كانوا مشهورين بالعِيَافة وزجر الطير، وبنو لهب اليوم بطن من بني عبدالله من غامد بتهامة، معروفون (معجم قبائل الحجاز ص:٤٥٦-٤٥٧).

(٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص:٨٩).

(٦) في الذريعة: ثقب.

(٧) قوله: "النبوية" زيادة من الذريعة (ص:٨٩).

وحصول هذا العلم بالحدس والتخمين لا بالاستدلال واليقين، ولا يحصل بالمدارسة والتعليم، فلذا لم يصنف فيه مصنف لا حادث ولا قديم.

والقيافة اليوم موجودة في بعض قبائل عرب نجد، ويقال: إنهم بنو مرة، وهم أعلم الناس بها، وقد نقل الثقات ممن سافر إلى بلاد نجد أن كثيراً منهم يرى الأثر فيقول: هذا أثر فلان وفلان، وهذا أثر بعير فلان وفلان، وهذا أثر أناس لم يطؤوا الأرض الفلانية، وهؤلاء أناس قدموا من كذا وكذا.

وسمعت أن أعرابياً اتبع أثر حمار لـــه سرقته اللصوص حتى دخل الحِلّة(١) وهو ينشده، حتى أوقفه أثره عليه من بين آثار حمير لا تحصى، وإذا نظروا إلى عدة أشخاص ألحقوا الابن بأبيه، والأخ بأخيه، والقريب بقريبه، وميزوا الأجنبي إذا كان بينهم.

ومن علومهم: علم الفراسة، وهو: الاستدلال بهيئة الإنسان، وأشكاله، وألوانه، وأقواله، على أخلاقه وفضائله [ورذائله](٢)، وربما يقال: هي صناعة صيادة لمعرفة أخلاق الإنسان وأحواله، وقد نبّه الله تعالى على صدقها بقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾، وقولـــه: ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقولـــه: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣٠].

ولفظها من قولهم: فرس السبع الشاة، فكأن الفراسة اختلاس المعارف،

---

(١) الحلة: وهي حلة بني مزيد، وهي مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين، وكان أول من عمّرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي (معجم البلدان ٢/٢٩٤). وهي لا تزال عامرة آهلة بالسكان، وفيها جامع لأهل السنة عامر لا نظير لـــه فيها يعرف بالجامع الكبير، وهي طيبة الهواء، عذبة الماء، ذات بساتين غنّاء، ومروج خضراء تسر الناظرين وتعجب الرائين.

(٢) في الأصل: ورزائله. والتصويب من بلوغ الأرب (٣/٢٦٣).

وذلك [ضربان: ضرب يحصل للإنسان عن خاطر لا يعرف سببه، وذلك][(١)] ضرب من الإلهام، بل ضرب من الوحي، وإياه عنى النبي ﷺ بقوله: « المؤمن ينظر بنور الله »[(٢)]، وهو الذي يسمى صاحبه: المروع والمحدّث. وقال عليه الصلاة والسلام: « إن يكن في هذه الأمة مُحَدثٌ فهو عُمَر »[(٣)]، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١] إنما كان وحياً بإلقائه في الروع، وذلك للأنبياء، كما قال عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤] ، وقد يكون بإلهام في حال اليقظة، وقد يكون في حال المنام، ولأجل ذلك قال عليه الصلاة والسلام: « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة »[(٤)].

والضرب الثاني من الفراسة: يكون بصناعة متعلمة، وهي معرفة ما بين الألوان والأشكال، وما بين الأمزجة، والأخلاق، والأفعال الطبيعية، ومن عرف ذلك كان ذا فهم ثاقب بالفراسة، وقد عمل في ذلك كتب كثيرة من تتبع الصحيح منها اطلع على صدق ما ضمنوه.

والفراسة ضرب من الظن، وهي من توابع العقل، وكلما كان العقل أكمل كانت الفراسة أقوى، ولهذا كانت العرب فيها أوفر نصيباً من غيرهم. وما روي عنهم من عجائب هذا الباب شيء كثير.

ومن علومهم: علم الريافة: وهو معرفة استنباط الماء من الأرض بواسطة

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة بلوغ الأرب (٣/٢٦٣).
(٢) أخرجه الترمذي (٥/٢٩٨ ح٣١٢٧) بلفظ: « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ».
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/١٨ ح٦٧٢٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٦٩).
(٤) أخرجه البخاري (٦/٢٥٦٣ ح٦٥٨٧)، ومسلم (٤/١٧٧٤ ح٢٢٦٣).

بعض الأمارات الدالّة على وجوده، فيعرف بعده وقربه بشمّ التراب، أو برائحة بعض النباتات فيه، أو بحركة حيوان مخصوص، وهو من فروع الفراسة، وهي موجودة في بعض أعراب نجد، وقد أخبرني بعض الثقات أنه شاهد بعض هؤلاء، قال: يضع أذنه على الأرض فيخبر بما يتبيّن له من وجود الماء وعدمه، وقربه وبعده، فإذا حفروا وجدوا الأمر كما وصف، ويسمى من له هذه المعرفة بين العرب اليوم: [بالصنَّات](١).

ومن علومهم: علم الاهتداء في البراري، وهو علم يتعرف به أحوال الأمكنة من غير دلالة عليه بالأمارات المحسوسة ظاهرة أو خفية بقوة الشامة فقط، لا يعرفها إلا من تدرب فيها، كالاستدلال برائحة التراب، ومسامتة الكواكب الثابتة، ومنازل القمر، إذ لكل بقعه رائحة مخصوصة، ولكل كوكب سمت يهتدى به، كما قال الله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧] ، ونفع هذا العلم عظيم بيّن، وإلا [لهلكت](٢) القوافل، وضلّت الجيوش، فضاعت في البراري والقفار.

والعرب لوقوعهم على معرفة الكواكب والأنواء [ومهبّ](٣) الرياح وصفاتها، ولوجاتهم في البراري والقفار، كانوا أعرف الناس بهذا العلم. انتهى(٤).

---

(١) في بلوغ الأرب (٣/٣٤٣): بالصاد وهو أفصح.
وانظر الخبر في: بلوغ الأرب (٣/٣٤٣).
(٢) في الأصل: لهلك. والتصويب من بلوغ الأرب (٣/٣٤٤).
(٣) في الأصل: وسبب. والتصويب من بلوغ الأرب، الموضع السابق.
(٤) بلوغ الأرب (٣/٣٤٤).

الفصل الثاني: في ذكر أنكحة العرب وطلاقهم في الجاهلية

قال الشيخ محمد غنيم[١]: كانت الأنكحة الشائعة في الجاهلية على أربعة أنحاء:

(الأول): نكاح يشبه نكاح الناس اليوم، أي أنه بإيجاب وقبول ومهر متفق عليه بين وليّ الزوجة ووليّ الزوج، وخطب وولائم.

(الثاني): نكاح البغايا، وهو أن يطأ البغي جماعة متفرقون واحداً بعد واحد، فإذا حملت وولدت ألحقت الولد بمن غلب عليه شبهه منهم.

(الثالث): نكاح الاستبضاع، وهو أن المرأة كانت في الجاهلية إذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها: أرسلي إلى فلان استبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسّها أبداً حتى يتبيّن حملها، فإذا حملت أصابها زوجها إذا أحب.

(الرابع): نكاح الجمع وهو أن تجمع البغي جماعة دون العشرة، فيدخلون عليها ويطؤونها كلهم، فإذا حملت ووضعت ومرّ عليها عدة أيام من وضعها، أرسلت إليهم، فلا يتأخر منهم أحد، حتى إذا اجتمعوا عندها [قالت][٢] لهم: قد علمتم ما كان منكم، وقد ولدت هذا المولود، فهذا ابنك يا فلان، فيلتزم بذلك ويعترف به، ولا يستطيع نفيه عنه، ولو لم يكن فيه أدنى [شبه][٣] منه.

وكان الرجل يتزوج ما شاء من النساء بدون مراعاة حدّ ولا عدد.

---

(١) خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام (ص:١٨٥-١٨٦).

(٢) في الأصل: قال. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٨٥).

(٣) في الأصل: شبهة. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

وقد كان عندهم أنكحة أخرى غير هذه، إلا أنها كانت نادرة فيهم، وقد استقبحها أشرافهم وعقلاؤهم، كنكاح المقت، وهو: أنه إذا مات الرجل وترك زوجة وله أولاد كبار، قام أكبرهم ووضع عليها ثوبه، فيرث بذلك زواجها، فإذا لم يكن راغباً في نكاحها زوّجها إلى من يريد من إخوته الباقين بمهر جديد، وكان أكثرهم يستقبح ذلك، كما كانوا يستقبحون نكاح البنت والأمهات، والجمع بين الأختين، وربما وجد فيهم من كان لا يستقبح مزاحمة أبيه في زوجته، كما وجد فيهم من كان يستحسن زواج ابنته، كما يفعله المجوس، ومثل هذا قليل جداً، والغالب عندهم إنما هو النكاح الذي كان بإيجاب وقبول.

وكان من عاداتهم فيه: أن تعرض الآباء أو الأولياء الزواج على البنات قبله بأيام، فإذا قبلن ذلك أجروا العقد بعد أن يتفقوا على مهر معين، وكان بعضهم يتغالى في مهر البنات حتى يبلغ مبلغاً عظيماً. انتهى.

وفي النفحة الملوكية[١]: كانت العرب أيام الجاهلية إذا زوجوا بنتاً من بناتهم زيّنوها وغيرها ممن لم يتزوجنّ ليرغب فيهن بما يقدرون عليه من الملبوس، ثم يضعون أقتاب الجمال بعضها فوق بعض حتى ترتفع عن الأرض، وتبقى مثل الدكة العالية، ويجلسون الزوجة عليها، وبعد أن تعمل الولائم تركب الفرسان وتلبس عدة حربها، وتدق الإماء والمولدات بالدفوف، وتشهر الفرسان الأسنة والسيوف، وتجتمع أبطالهم وفي أيديهم القسي، ثم يشرعون بزفاف الزوج أيضاً، فيزفّونه محمولاً إلى مكان زوجته، وتضرب له قبة فيدخل عليها بها، وبعد الدخول ينثر على الحاضرين النثار، وكان نثارهم إذ ذاك التمر.

---

(١) النفحة الملوكية في أحوال الأمة العربية الجاهلية (ص: ١٨٠-١٨١).

وأما الطلاق؛ فكان إذا لم تحسن المعاشرة بين الزوجين فيما إذا كان النكاح بمهر وبالصورة المتقدمة، فيكون للمرأة الحق في أن تطلق، كما أن الرجل كذلك، وطلاق الرجل عندهم هو أن يقول لامرأته: الحقي بأهلك، فتصير بذلك طالقاً، وطلاق المرأة هو أن تحوّل بيتها المصنوع من الشعر أو الوبر مثلاً إلى جهة المشرق إذا كان بالمغرب، وعكسه إذا كان بالعكس، وكذا إذا كانت وجهته إلى الشمال عكسته إلى جهة اليمن، ثم إن الشريعة الإسلامية جاءت بإبطال هذه الأنكحة واشترطت لذلك شرائط مخصوصة.

الفصل الثالث: في حكم عرب الجاهلية في القصاص والأسر

إن حكم عرب الجاهلية في القصاص كان مختلفاً؛ فتارة يوجبون القتل، وتارة أخذ الدية، وتارة يتعدون الحكمين، وذلك إذا كان المقتول شريفاً، فيقتلون به عدداً، أو يأخذون دية أضعاف دية الخسيس. فلما بعث النبي ﷺ أوجب الله رعاية العدل، وساوى بين عباده في حكم القصاص، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ ﴾[البقرة:١٧٨] ، وكانوا يقتلون في الجاهلية أيضاً أسراء الحرب، إلا إذا أكل الأسير وشرب من مال من أسره، فإنه يأمن القتل، فإذا أمنوه [أطلقوه][١] وجزّوا ناصيته، وكان الشريف إذا أسر فدي بمئين من الإبل. انتهى[٢].

---

(١) في الأصل: وأطلقوه. والتصويب من النفحة الملوكية (ص:١٨٢).

(٢) النفحة الملوكية في أحوال الأمة العربية الجاهلية (ص:١٨١-١٨٢).

الفصل الرابع: في ذكر نيران العرب في الجاهلية

أشهرها اثنتا عشرة ناراً:

الأولى: نار المزدلفة، وهي نار توقد في المزدلفة ليراها من دفع من عرفة، وأول من أوقدها قصي بن كلاب.

الثانية: نار الاستمطار، وذلك أهم كانوا في الجاهلية إذا احتبس عنهم المطر جمعوا [البقر، وعقدوا في أذناها وعراقيبها][1] السلع والعشر، ثم يصعدون بها في الجبل الوعر ويشعلون فيها النار، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر.

الثالثة: نار التحالف، وذلك أهم كانوا إذا أرادوا عقد حلف أوقدوا النار وعقدوا الحلف عندها، ويزعمون أن من نقض العهد منع [عنه][2] خيرها.

قال أبو هلال العسكري[3]: وإنما كانوا يخصون النار بذلك، لأن منفعتها تختص بالإنسان لا يشاركه فيها غيره من الحيوان.

الرابعة: نار الطرد، وهي نار كانوا يوقدونها خلف من مضى ولا يحبّون رجوعه.

الخامسة: نار الأهبة للحرب، وهي نار كانوا يوقدونها على رؤوس الجبال إذا أرادوا حرباً أو تربصوا جيشاً ليبلغ أصحابهم الخبر فيأتونهم، وأول من أوقد هـــذه النار بنو طيء.

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:١٨٨)، ونهاية الأرب (ص:٤٢٥).
(٢) في الأصل: عليه. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٨٩).
(٣) الأوائل (١/٦٤).

السادسة: نار الحرتين[١]، كانت تخرج من الأرض في بلاد عبس في الليل، فإذا طلع النهار فهي دخان مرتفع في الجو، وربما بدر منها عنق [فأحرق][٢] من مرّ بها، فدفنها خالد بن سنان [العبسي][٣].

السابعة: نار السعالي، وهي نار ترتفع للمتقفر والمتغرب فيتبعها، فتهوى [بها][٤] الغول على زعمهم.

الثامنة: نار الصيد، وهي نار توقد للظباء لتغشى إذا نظرَتْ إليها.

التاسعة: نار الأسد، وهي نار يوقدونها إذا خافوا الأسد لينفر عنهم، فإنه من شأنه النفار من النار، لأنه إذا رآها استهال منظرها ففزع منها، وقيل: إنه إذا رأى النار حدث له فكر صدّه عن قصده.

العاشرة: نار السليم، وهو الملدوغ، كانوا يوقدون النار للملدوغ إذا لدغ يساهرونه بها، وكذلك المجروح إذا نزف دمه، ومن عضّه الكلب كي لا يناموا، فيشتد به الأمر حتى يؤديهم إلى الهلكة.

الحادية عشر: نار القِرى، وهي نار توقد ليلاً ليراها الأضياف فيهتدون إليها.

الثانية عشر: نار الوسم، وهي النار التي يَسِمُ بها الرجل منهم خيله أو إبله بسِمَةٍ خاصة لتتميز من غيرها، فإذا ضاعت وسأل عنها يقال له: ما سِمَة إبلك مثلاً، فيقول: كذا ، فيهتدي إليها . ذكره الشيخ محمد غنيم في

(١) في نهاية الأرب: الحرثين.
(٢) في الأصل: فاحترق. والتصويب من خلاصة الكلام (ص:١٨٩)، ونهاية الأرب (ص:٤٢٥).
(٣) في الأصل: العبس. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.
(٤) في الأصل: به. والتصويب من نهاية الأرب (ص:٤٢٥).

خلاصة الكلام[١].

وذكره القلقشندي أيضاً وزاد[٢]: نار الفداء، كان الملوك منهم إذا سبوا نساء قبيلة خرجت إليهم السادة للفداء والاستيهاب، فيكرهون أن يعرضوا النساء نهاراً فيفتضحن أو في الظلمة فيخفى قدر ما يحسبون لأنفسهم من الصفيّ، فيوقدون النار لعرضهن[٣].

الفصل الخامس: في ذكر أسواق العرب في الجاهلية

قال العلامة الآلوسي رحمه الله في كتاب بلوغ الأرب[٤]: كان للعرب أسواق يقيمونها في شهور السنة، وينتقلون من بعضها إلى بعض، ويحضرها سائر العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر، منها:

دومة الجندل[٥]: كانوا يترلونها أول يوم من ربيع الأول، يجتمعون في أسواقها للبيع والشراء، والأخذ والعطاء، وكانت المبايعة فيه ببيع الحصاة، وهو من بيوع الجاهلية التي أبطلها الإسلام، وفسّر بأن يقول أحد المتبايعين للآخر: ارْمِ هذه الحصاة، فعلى أيّ ثوب وقعت فهو لك بدرهم.

وفسّر بأن يبيعه من أرضه قدر ما انتهت إليه رمية الحصاة.

وفسّر بأن يقبض على كف من حصى، ويقول: لي بعدد ما خرج في القبضة من الشيء المبيع، أو يبيعه سلعة ويقبض على كف من الحصى، ويقول: لي بكل حصاة درهم.

(١) خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام (ص:١٨٨-١٨٩).
(٢) نهاية الأرب (ص:٤٢٥-٤٢٦).
(٣) انظر: بلوغ الأرب (٢/١٦١-١٦٥).
(٤) بلوغ الأرب (١/٢٦٤-٢٧٠).
(٥) انظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ص:٢٣٢-٢٣٩).

وفسّر بأن يمسك أحدهما حصاة في يده ويقول: أي وقت سقطت الحصاة وجب البيع.

وفسّر: بأن يتبايعا ويقول أحدهما: إذا نبذت إليك الحصاة فقد وجب البيع.

وفسّر بأن يعترض القطيع من الغنم، فيأخذ حصاة، ويقول: أي شاة أصابتها فهي لك بكذا.

وهذه الصور كلها فاسدة؛ لما تتضمن من أكل المال بالباطل، ومن الغرر والخطر الذي هو شبيه بالقمار، ولذلك أبطلتها الشريعة.

وكان (أكيدر) صاحب دومة الجندل يرعى الناس ويقوم بأمرهم أول يوم، فتقوم سوقهم إلى نصف الشهر، وربما غلب على السوق بنو كلب فيعشوهم، ويتولى أمرهم يومئذ بعض رؤساء بني كلب، فتقوم سوقهم إلى آخر الشهر.

ومنها: سوق هَجَر[١] -بفتح الهاء والجيم-: اسم لجميع أرض البحرين، وسمي بهذا الاسم بلد باليمن، والنسبة: هجري وهاجري. والسوق من الموضع

---

(١) انظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ص:٢٤٥-٢٥١).

الأول، كانوا ينتقلون إليها في شهر ربيع الآخر فتقوم سوقهم بها، وكان يعشوهم ويتولى أمرهم: المنذر بن ساوى، أحد بني عبدالله بن دارم.

ومنها: سوق عُمان[١]: -كغُراب-. ذكر في القاموس[٢]: أنها بلد باليمن، ويُصْرف، وكشَدَّاد: بلد بالشام، ولم يذكر الموضع الذي كان سوقاً، وهو في أرض البحرين كانوا يرتحلون من سوق هَجَر فتقوم بها سوقهم إلى أواخر جمادى الأولى.

ومنها: سوق [المُشقَّر][٣]: -كمُعَظَّم- حصن بالبحرين كان فيه سوق للعرب تقوم من أول يوم من جمادى الآخرة، وكان بيعهم بالملامسة، والإيماء، والهمهمة، خوف الحلف والكذب. والهمهمة: الكلام الخفي وكل صوت معه بحح.

وبيع الملامسة على أوجه، وهي: أن يأتي بثوب مطوي أو في ظلمة، فيلمسه المستام، فيقول له صاحب [الثوب][٤]: بعتكه بكذا، بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رأيته.

الوجه الثاني: أن يجعلا نفس اللمس بيعاً بغير صيغة زائدة.

الوجه الثالث: أن يجعلا اللمس شرطاً في قطع خيار المجلس وغيره، وهو أيضاً من البيوع التي أبطلها الإسلام.

ومنها: سوق صُحار[٥] -بضم الصاد المهملة-: تقوم لعشر يمضين من رجب الفرد خمسة أيام.

---

(١) انظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ص:٢٥٢-٢٥٧).
(٢) القاموس المحيط (ص: ١٥٧٠). وهي إحدى دول الخليج العربية وعاصمتها مسقط.
(٣) في الأصل: المشعر. والتصويب من بلوغ الأرب (١/٢٦٥). وانظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ص: ٢٤٠-٢٤٤).
(٤) قوله: "الثوب" زيادة من بلوغ الأرب (١/٢٦٥).
(٥) انظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ص: ٢٦١-٢٦٣).

ومنها: الشَّحْر[١]: -كالمنع- ساحل البحر بين عُمان وعَدَن، ويكسر. تقوم في النصف من شعبان، وكان بيعهم في هذا السوق أيضاً برمي الحصاة كما في سوق دومة الجندل.

ومنها: سوق عَدَن أبْين[٢]: كانوا يرتحلون من الشَّحْر فيترلون هذا الموضع، وعدن جزيرة في اليمن أقام بها أبْين فنُسبت إليه، فتقوم سوقهم بها إلى أيام من رمضان، فتشترى التجارات وأنواع الطيب.

ومنها: سوق صنعاء[٣]: كانوا إذا ارتحلوا من عَدَن والشَّحْر تقوم سوقهم بصنعاء في النصف من شهر رمضان إلى آخره.

ومنها: سوق حضرموت[٤]: كانت تقوم في النصف من ذي القعدة، يحضرها بعض القبائل من العرب، والبعض منهم يحضر بسوق عكاظ ومَجَنّة[٥] اللتان كانتا تقامان في هذه الأيام أيضاً.

ومنها: سوق عكاظ[٦] -بضم المهملة وتخفيف الكاف وآخره ظاء معجمة، بالصرف وعدمه-. قال اللحياني: الصرف لأهل الحجاز، وعدمه لغة تميم، وهو موسم معروف للعرب، بل كان من أعظم مواسمهم وأسواقهم، وهو نخل في وادٍ بين نخلة والطائف، وهو إلى الطائف أقرب، بينهما عشرة أميال، وهو وراء قرن

---

(١) انظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ص:٢٦٦-٢٦٧).
(٢) انظر: المرجع السابق (ص:٢٦٨-٢٧٠).
(٣) انظر: المرجع السابق (ص:٢٧١-٢٧٤).
(٤) انظر: المرجع السابق (ص:٢٧٥-٢٧٦).
(٥) مَجَنَّة: موضع بأسفل مكة على أميال، وكان يقام بها للعرب سوق (لسان العرب، مادة: جنن).
(٦) انظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ص:٢٧٧-٣٤٣).

المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن، وكان المكان الذي يجتمعون فيه منه يقال له: الابتداء، وكانت هناك صخور يطوفون حولها، وكانوا يتبايعون فيها، ويتعاكظون[١]، ويتفاخرون، ويتحاجون، وتنشد الشعراء ما تجدد لهم، وقد كثر ذلك في أشعارهم، وفيها كان يخطب كل خطيب مِصْقَع، ومنهم قُسّ بن ساعدة الإيادي، إذ خطب خطبته الشهيرة هناك، وهو على جمله الأورق، وفيها علقت القصائد السبع الشهيرة افتخاراً بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل إلى غير ذلك، وكان كل شريف إنما يحضر سوق بلده، إلاّ سوق عكاظ فإنهم كانوا يتوافون بها من كل جهة، وكانت تقوم هذه السوق في قول: أول ذي القعدة إلى عشرين منه، ثم يتوجهون إلى مكة فيقفون بعرفات ويقضون مناسك الحج، ثم يرجعون إلى أوطانهم. وفي قول آخر: أنهم كانوا يقيمون به جميع شوال، إلى غير ذلك من الأقوال المختلفة، ولعل ذلك لاختلاف العادة في السنين أو لاختلاف القبائل في الإقامة في هذا الموسم.

والذي عليه صاحب قبائل العرب: أنهم كانوا يقيمون في هذه السوق من نصف ذي القعدة إلى آخره، فإذا أهلّ ذو الحجة أتوا ذا المجاز[٢]، وهو قريب من عكاظ بناحية عرفة إلى جانبها.

وعند الأزرقي[٣] من طريق هشام ابن الكلبي: أنها كانت لهذيل، على فرسخ من عرفة.

---

(١) أي يتفاخرون.
(٢) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن يمين الإمام على فرسخ من عرفة كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام (معجم البلدان ٥/٥٥).
(٣) الأزرقي (١/١٩١).

ومنها: سوق مَجَنّة[١] -بفتح الميم وكسرها-: موضع قرب مكة، كانت تقوم سوقهم فيها قرب أيام موسم الحج، ويحضرها كثير من قبائل العرب.

وقال ابن فهد[٢]: عكاظ: سوق وراء قرن المنازل بمرحلة، على طريق صنعاء في عمل الطائف، على بريد منها، وهي سوق لقَيْس [عَيْلان][٣] وثقيف، وأرضها لنصر، ويكونون به هلال ذي القعدة، ويقيمون به عشرين ليلة، والناس على [مداعيهم][٤] وراياهم منحازين في المنازل، يضبط كل قبيلة أشرافها وقادالها، ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء، ويجتمعون في بطن السوق، فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مَجَنَّة، وهي سوق بأسفل مكة على بريد منها، وهي سوق لكِنانة، وأرضها من أرض كِنانة، وهي التي يقول فيها بلال رضي الله عنه:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بفَخّ وحولي إذخر وجليلُ[٥]
وهل أَرِدَنْ يوماً مياه مَجَنَّة ... وهل يَبْدُوَنْ لي شامةٌ وطَفيلُ

وشامة وطفيل: جبلان مشرفان على مَجَنَّة. وأقاموا على مَجَنَّة عشر ليال أسواقهم قائمة، فإذا رَأَوْا هلال ذي الحجة انصرفوا إلى ذي المجاز، وهو سوق لهُذَيْل عن يمين الموقف من عرفة قريب من كبكب، على فرسخ من عرفة،

---

(١) انظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ص:٣٤٤-٣٤٦).

(٢) إتحاف الورى (١/٥٨٩-٥٩٢).

(٣) في الأصل: غيلان. والتصويب من إتحاف الورى (١/٥٨٩).

(٤) في الأصل: مداعبهم. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

(٥) الإذخر: حشيش طيب الريح أطول من الثِّيل، ينبت على نبتة الكَوْلان (لسان العرب، مادة: ذخر).

وجليل: الثُّمام، وهو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت، واحدته جليلة (لسان العرب، مادة: جلل).

[وأقاموا به ثماني ليال أسواقهم قائمة، ثم يخرجون يوم التروية من ذي المجاز إلى عرفة][١] فَيَتَرَوَّوْن [ذلك اليوم][٢] من الماء بذي المجاز، ينادي بعضهم بعضاً: تَرَوَّوْا من الماء؛ لأنه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة -يومئذ-.

وكان يوم التروية آخر أسواقهم، وإنما كان يحضر هذه المواسم بعكاظ ومَجَنَّة وذي المجاز[٣] التجار، ومن لم يكن له تجارة ولا بيع فإنه يخرج من أهله متى [أراد][٤]. ومن كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية فيتروّوا من الماء.

وكان الناس لا يتبايعون في يوم عرفة ولا أيام منى، فلما أن جاء الله بالإسلام أحَلّ الله ذلك لهم، فأنزل الله تعالى في كتابه:﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة:١٩٨] ، ولم تزل هذه الأسواق قائمة في الإسلام، إلى أن كان أول ما ترك من سوق عكاظ في زمن خروج الخوارج الحَرُورِيَّة[٥] بمكة مع المختار بن عوف سنة تسع وعشرين ومائة، فنهبوها، فتركت إلى الآن[٦].

وكان للناس سوق آخر لم يكن في مواسم الحج ولا أشهره، وإنما كان في

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (١/٥٩٠).
(٢) مثل السابق.
(٣) انظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ص:٣٤٧-٣٥٥).
(٤) في الأصل: أرادوا. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.
(٥) الحَرُورية: هم طائفة من الخوارج تنسب إلى حروراء قرب الكوفة، لأنه كان بها أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا علياً رضي الله عنه، وكان عندهم من التشدد في الدين ما هو معروف (لسان العرب، مادة: حرر).
(٦) في هامش الأصل: قال الفاسي في العقد الثمين في تاريخ مكة البلد الأمين (١/٢١٣-٢١٤): ترك سوق عكاظ في عام ١٢٩ هجرية عام حج الحروري بمكة مع أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي الأباضي. اهـ... صحيفة ٩١ مخطوط لم يطبع في باب أسواق مكة في الجاهلية نقلاً من الأزرقي. وكتبه: محمد نصيف.

رجب، وهو: سوق حُباشة[١] -بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وبعد [الألف][٢] شين معجمة-: كانت في ديار بارق[٣] نحو قنونى[٤] -بفتح القاف وضم النون الخفيفة وبعد النون ألف مقصورة- سوق للأزد، وهي من مكة على ست ليال، وهي آخر سوق [خربت][٥] من أسواق الجاهلية، وكان والي مكة يستعمل عليها [رجلاً][٦] يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية، حتى قتلت الأزد والياً كان عليها بعثه داود بن عيسى بن موسى في سنة ١٩٧، فأشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها، فخرّبها وتركت[٧]. انتهى.

الفصل السادس: في ذكر أخلاق العرب

قال الشيخ محمد رشدي الخبير في كتاب مدينة العرب[٨]: العرب من حيث العوائد، والأخلاق، والتهذيب، واللغة، والمعارف، تنقسم إلى ثلاثة أقسام، وهم: البدو، والبدو المتحضرون، والحضر.

---

(١) حُبَاشَة: سوق للعرب معروفة بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة (معجم ما استعجم ٤١٨/١). وانظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ص:٢٥٨-٢٥٩).

(٢) في الأصل: ألف.

(٣) بارق: جبل بتهامة (معجم البلدان ٣١٩/١).

(٤) قنونى: هي بلدة القنفذة، وهي: ميناء من موانئ الحجاز الجنوبية بالمملكة العربية السعودية (جغرافية شبه جزيرة العرب لعمر رضا كحالة ص:٢٨)، وهي من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة قرب حَلي (معجم البلدان ٤٠٩/٤).

(٥) في الأصل: قريب. والمثبت من إتحاف الورى (٥٩٢/١).

(٦) قوله: "رجلاً" زيادة من إتحاف الورى، الموضع السابق.

(٧) انظر: الأزرقي (١٨٧/١-١٩٢).

(٨) مدينة العرب (ص:١١-١٢).

أما البدو: فهم أقوام رحالة يسكنون في بيوت من الشَّعر، ويهيمون في كل واد، ويعولون في معيشتهم على ماشيتهم التي يغذونها مما تنبته الأرض من كلأ الطبيعة، ويتغذون بلحومها وألبانها، ويتخذون ما زاد منها ومن صوفها وشعرها ووبرها لسدّ ما بقي من احتياجاتهم من مطعم، وملبس، ومسكن، واكتساب درهم، وأكثر ما يسكنون السهول والجبال، يراقبون فيها سير الفصول.

والبدو أحرص الناس على ما ورثوه من العرف والعادة [إذ][1] ما فتئوا على فطرتهم متّصفين بما اتّصفوا به قبل الإسلام من الحسنات والسيئات.

يمتاز البدو بحب الضيافة، والشهامة، والنجدة، وحفظ العهود، والمحافظة على الأعراض، والمدافعة عن الجار ولو جار، والضيافة للقريب والغريب، وعزة النفس، وإباء الضيم، والصبر، والرضا، والصدق، والحماسة، والذكاء، والأخذ بالثأر، والفصاحة، وغير ذلك من مستحسن العادة.

والنساء في البادية أكثر عدداً من الرجال، ويَمْتَزْنَ عن غيرهنّ من أبناء جنسهنّ بلين الجانب، ورقّة الطبع، وحُسْن المعاشرة، وشدّة العفاف، واحتمال الشدائد، ومقاسمة الأزواج لِلَذيذ العيش ومُرّه، ذوات خُلُق حَسَن، تزينهنّ عزة نفوسهن.

وللبدو أحكام تمثل الحكم الفطري، لأن أحكامهم موكولة إلى المشايخ والأمراء، فهم أصحاب الحَلّ والعقد، لا يعرفون [لسيطرة][2] الحكومات معنى.

---

(١) في الأصل: إذا. والتصويب من مدينة العرب (ص:١٢).
(٢) في الأصل: سيطرة. والتصويب من مدينة العرب، الموضع السابق.

القسم الثاني: البدو المتحضرون: يزيدون عن البدو أهم يسكنون بمنازلهم الشَّعْرية حول الأهر الكبيرة، وأكواخهم المصنوعة من القصب، وجريد النخل، والبردى، ويزرعون ما جاورهم من الأرض، وإذا قدم العهد عليهم فإهم يتمحضرون ويدخلون الحضر.

القسم الثالث: الحضر: هم الذين يسكنون الأمصار والمدن، وتغالوا في الرفاهية حتى فسدت أخلاقهم، وانغمست نفوسهم في الشهوات. ويصح ما قاله ابن خلدون[١] من أهم قد تلوَّثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخُلُق والشرّ، وبَعُدَتْ عليهم طُرُقُ الخير ومسالكه بعدما حصل لهم من فنون الملاذ، وعوائد الترف، والإقبال على الدنيا، والعكوف على حُبِّ المال، والكذب، والشهوات، حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم، فتجد [الكثيرين][٢] منهم يُقذِعُون بأقوال الفحش في مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم، ولا يصدُّهُم عنه وازعُ الحشمة والأدب، لما أخذهم به عوائد السوء من التظاهر بالفواحش قولاً وعملاً، وبالجملة هم أهل غدر ومكر وخديعة. انتهى.

وقال البتنوني[٣]: العرب أخلاقهم في البادية واحدة في الغالب من قديم الزمان، فهم أهل صدق، ووفاء، وشهامة، وشجاعة، وكرم، شديدوا الغيرة على نسائهم، ولا قيمة للحياة في نظرهم إلا مع العزة. يأنفون العار، ويحفظون الجوار، ويدافعون عمن دخل في وجههم، وإذا بغى بعضهم على شخص فقال

(١) تاريخ ابن خلدون (١/٢١٥).
(٢) في الأصل: الكثيرون.
(٣) الرحلة الحجازية (ص:٥٦-٥٧).

لهم: أنا في وجه فلان، يعني رجلاً من قبيلتهم، ولو في [غيبته][(١)] رجعوا عنه، واحترموا حماية صاحبهم. يعرفون المعروف لصاحبه، ولا تأخذهم في الحق لومة لائم. وهم أبعد الناس عن الرياء والنفاق، وكلامهم كله صراحة، وليست فيه من ألفاظ التفخيم وجمل التعظيم ما تضيع معه الحقيقة، فهم ينادون أمير مكة وهو في منزلة الملك [منهم بقولهم][(٢)]: يا شريف، كما كانوا ينادون الرسولﷺ بقولهم: يا محمد[(٣)]. ضمائرهم تسيل على ألسنتهم، وسلاحهم أقرب الأشياء إلى يدهم. الربيع عندهم خير الأيام، واللحم سيد الطعام، وهم أبعد الناس عن التأنق في المأكل والملبس.

يغير قويهم على ضعيفهم، ويكثرون من غزو بعضهم البعض، ولا يترك الرجل منهم ثأره مهما كان ضعيفاً، وإذا لم يتيسر له أن يحصل على حقوقه من غريمه شخصياً كان له في عرفهم أن يغير على خميسه، وهو أي شخص من قبيلته يتصل معه في نسبه إلى الجدّ الخامس، وإذا قتل شخص آخر ولم يتمكن صاحب الدم أن يقتصّ من القاتل، قتل به أباه أو خاله أو عمه أو أحد بنيهم، وبه يسقط القصاص، وبعضهم يرضى بالدية في قتيله، وهي عندهم ثمانمائة ريال في العبد، وألف في الحر، وعشرة آلاف في الرجل الشريف، وإذا قُتل أحدهم أوقفوه في قبره حتى يأخذوا بثأره، وعندها يفتحون جدثه وينيمونه في فراشه الأخير مرتاحاً على زعمهم مما صنعوا[(٤)].

---

(١) في الأصل: عيبته. والتصويب من الرحلة الحجازية (ص:٥٦).

(٢) في الأصل: لهم بقوله. والمثبت من الرحلة الحجازية (ص:٥٧).

(٣) هذا ليس مدحاً، قال الله تعالى حاكياً عن الأعراب الذين نادوه: يا محمد:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

(٤) وهذا الفعل منهم مخالف لتوجيهات الإسلام وأحكامه.

ومن عوائدهم: (الممادَّة)، وهي: أنه إذا قتل أحدهم يذهب أهل القاتل إلى أهل المقتول، ولا يشربون لهم قهوة ولا يأكلون طعاماً، فإذا سئلوا عن حاجتهم سألوهم الممادَّة، وهي تأجيل المطالبة بالقصاص شهراً أو شهرين، فيقبلون منهم أجلهم في الغالب، وعليه يكون القاتل في أمن على نفسه طول هذه المدة التي يجتهدون أثناءها في الاتفاق مع أهل المقتول على الصلح أو الدية، فإذا انقضت دون أن يتفقوا طالبوهم بالقصاص، وإلا ثأروا لأنفسهم بأي طريقة[١].

وإذا اتّهم شخص منهم وأنكر أتوا به إلى المُلَحِّس، وهو رجل مخصوص عندهم، فيأتي بحديدة محمّاة في النار ويلحسه إياها، وهم يزعمون أنه إذا كان صادقاً لا تضرّه، وإلا فإنها تحرق لسانه، وبعضهم يخط دائرة في الأرض يوقف فيها المتهم ويحلّفه، ويعتقدون أنه إذا كان كاذباً لا يمكنه الخروج منها مطلقاً.

أما المتحضرون من العرب أو الذين لهم صلة بأهل الحضر؛ كالجمّالة والمقوّمين مثلاً، فأخلاقهم أقرب إلى أخلاق الحضر منها إلى البداوة، والطبقة السافلة منهم في الغالب من أشر ما يوجد من نوع الإنسان على الغريب، وربما كانت حاجتهم إلى العيش هي التي ترمي بهم إلى ائتلاف العيوب واقتراف الذنوب، [وليست][٢] أخلاقهم مما يؤخذ على أخلاق العرب في مجموعها، وأمثالهم في جميع الأمم كثيرون.

وفي النفحة الملوكية[٣]: إن جميع العرب قديماً وحديثاً مطبوعون على حُبِّ

---

(١) وكثير من هذه العادات إنما هي موروثات جاهلية، قد انقرضت أو قاربت.

(٢) في الأصل: وليس. والتصويب من الرحلة الحجازية (ص:٥٧).

(٣) النفحة الملوكية في أحوال الأمة العربية الجاهلية (ص:١٩٤-١٩٥).

السخاء والكرم، وهم دائماً من حيث الطمع والإذعان جامعون بين الضدين، فإذا غلت أيديهم عن التحامل وضاقت بهم الحيل قنعوا باليسير، فإن تبينوا سبيلاً إلى الاستطالة هبّوا إليه يرجعون بالتقاضي في أحكامهم إلى عرفهم، والمضيف للأكبر فيهم من شيخ أو أمير، يحلّ فيه القاصد، والعابر، وابن السبيل، يقضون فيه ما شاؤوا من الأيام، وإذا أولم للضيف بادر إليها كل من حضر بلا دعوة ولا تكلف، وإن لم يكن الشيخ أو الأمير حاضراً فكل البيوت تكاد أن تكون كلها مضائف له، فالغريب حيث حلّ بادر أهل البيت إلى إكرامه، بحيث لو أتى منزلاً ولم يكن صاحبه به، فمن حضر يقوم مقامه، ولا يسوغ لغيره أن يدعوه إلى منزله، فيعدّ ذلك إهانة لصاحب البيت، ومثل سخائهم بالمال سخاؤهم أيضاً بنفوسهم، ومراعاة الجار، ومن استجار بهم أجاروه وأنجدوه، وقد تكون النجدة أيضاً بغير المستجير إذا كان من حلفائهم.

ومن أخلاقهم أيضاً: أنهم لا يكثرون من خليط المآكل، وإذا ابتلوا بالمرض تجلّدوا وتصبروا، والكيّ عندهم مستعمل، فيعالجون به الناس والإبل وسائر الحيوان، ويولعون كثيراً بالصيد، وهم أقل الناس مبالاة بالحياة من غيرهم، ويكمنون الضغن في صدورهم، ويترقبون كل الفرص للأخذ بالثأر ولو مضت عليه السنون. انتهى.

ومن عوائد بعض عربان الطائف: أنهم لا يختنون صبيانهم إلا بعد البلوغ – أعني بعد سنّ خمس عشرة سنة– وكيفية الختان عندهم: أن يسلخوا جلد المختون من أسفل سرته بعرض بطنه إلى ثلثي فخذيه مع جميع جلد ذَكره[1]،

---

(١) في هامش الأصل: وبسبب سلخ جلده يصير محل السلخ أبيض كأنه حرق، أو أنه أبرص والعياذ بالله، ومع هذه العادة... وفيها تعذيب وأذى شديد. وكتبه: محمد نصيف.
وهذه للعادة قد انقرضت ولله الحمد.

وكثير منهم يموت بذلك، ويكون المختون قد خطب له زوجة من قبل، فتحْضُر وقت سلخه، وتُزَغْرِتُ تشجيعاً له مع ضرب الطبول، وهو واقف ثابت يهزّ خنجراً بيده، ويذكر بأعلى صوته بدون تضجر بل بفرح اسمه وألقابه ونسبه، حتى تنتهي العملية، وإن تأوّه كان ذلك عليه عاراً، ولا ترضى به مخطوبته. ذكره صادق باشا في كتاب دليل الحج[١].

(١) دليل الحج (ص:٣٤٩).

الباب الثالث: في ذكر بعض الأماكن والجبال المشهورة في الحجاز

وفيه فصلان:

الفصل الأول: في ذكر بعض الأماكن المشهورة العامرة من العيون والبساتين

فمنها: وادي فاطمة(١).

ويسمى مرّ الظهران، ويسمى بالجموم أيضاً، وعند أهل مكة يعرف بوادي فاطمة، وأما قديماً: وادي مرّ الظهران، وهو واقع في مخاطب(٢)، ومضيق [وعر](٣)، وجبلين، وعيون ماء، وبناء، ومسجد، وهو آخر درك ذوي رومي، ويقابلها أبو عروة(٤)، قرية أخرى مثلها منزلة الشاميين. كذا في نزهة الفكر(٥).

وفي شفاء الغرام للفاسي(٦): نقل الحازمي عن الكِندي: أن مرّ: اسم للقرية، والظهران: اسم للوادي.

---

(١) في هامش الأصل: وادي فاطمة: نسبة لأولاد فاطمة، لأن أكثر سكانه وبساتينه هي ملك لأهل البيت النبوي أولاد السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ من زوجها أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. هذا ما يقال عن سبب تسمية الوادي بوادي فاطمة، ويظهر أنه اشتهر بهذا الاسم قبل مائتين سنة، وكتبه: محمد نصيف في صفر سنة ١٣٦١.

(٢) كذا في الأصل ونزهة الفكر، ولعلها: مخاطر.

(٣) في الأصل: وغر. والتصويب من نزهة الفكر (٤٠٥/١).

(٤) سيأتي تعريفها قريباً.

(٥) نزهة الفكر (٤٠٥/١).

(٦) شفاء الغرام (٦٤٨/١).

قال الفاسي[١]: ومن مرّ إلى مكة -فيما قال البكري[٢]- ستة عشر ميلاً، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: إحدى وعشرون. حكاه ابن وضّاح. انتهى.

وفي الرحلة اليمانية[٣]: وادي فاطمة هو وادٍ جميل، أوله من جهة الشرق محطة وادي الليمون، التي هي أول محطة للقوافل الذاهبة من مكة إلى المدينة من جهة الشرق، ويمتد غرباً إلى حدّة الكائنة على الطريق الموصل من جدة إلى مكة، وبه مجرى السيل.

وطول هذا الوادي من الشرق إلى الغرب ثمانون كيلومتراً، وعرضه من ثمانية عشرة، حسب اختلاف المواضع.

وبهذا الوادي من العيون من جهة الشرق: عين المضيق[٤]، الواقعة بوادي الليمون، وبها قرية للأشراف الحُرَّث[٥]، ويليها: عين الجديدة[٦]،

---

(١) شفاء الغرام (١/٦٤٩).

(٢) معجم ما استعجم (٤/١٢١٢).

(٣) الرحلة اليمانية (ص:١٤١-١٤٤).

(٤) في هامش الأصل: عين المضيق: تسمى بردان، والمضيق كان يسمى قديماً وادي نخلة الشامية، والزيمة وسولة وادي نخله اليمانية. كتبه: محمد نصيف.
قلت: وهي عين في مضيق وادي نخلة الشامية، كانت تعرف باسم البردان، وهي اليوم عين ثرة تسقي على جانبي الوادي، يملكها الأشراف الحرث وأناس من هذيل، وقد نسب وادي نخلة إليها فسمي وادي المضيق، ويسمى أيضاً وادي الليمون، ولم يعد أحد يعرف اسم نخلة اليوم، بل إن العين منسوبة إلى المضيق، حيث يضيق الوادي بين جبلين هناك، وكل مضيق هو كذلك (معجم معالم الحجاز ٨/١٨٠).

(٥) فرع من الأشراف بني أبي نمي، وهم بنو الحارث بن محمد أبي نمي الثاني، يسكنون المضيق بنخلة الشامية، وكثير منهم يسكنون مكة (معجم قبائل الحجاز ص:١٠٩).

(٦) عين في وادي الزبارة، قرب اجتماع النخلتين، عليها قرية صغيرة لبني عمير من هذيل، وقد أجري ماؤها إلى مكة (معجم معالم الحجاز ٢/١٣٥).

وبها قرية صغيرة لبني عُمَيْر[١]، ويليها: عين سُولة[٢]، وبها قرية لقبيلة الزَّوَاهِرة[٣]، ويليها: عين الزيمة[٤]، وبها قرية لبني عمير، وهي أول محطة للمسافر من مكة إلى الطائف، ثم يليها: عين مُبَارَك[٥]، وبها قرية للأشراف المَنَاعِمة[٦]، ثم يليها: عين الرَّيَّان[٧]، وبها قرية للأشراف المناعمة أيضاً، ثم يليها: عين الطَّرْفاء[٨]، ثم يليها: عين القِشَاشِية[٩]، ثم يليها: عين الدُّبَّة، ثم يليها: عين

---

(١) بنو عمير: بطن من (بني) من هذيل، يسكنون وادي الزبارة، ولهم فيه قرى (معجم معالم الحجاز ص:٣٥٦).

(٢) عين جارية بنخلة اليمانية أسفل من الزَّيْمة، عند مصب وادي سَبُوحة في نخلة اليمانية، وهي والزيمة قريتان بنخلة اليمانية (معالم مكة التاريخية ص: ١٣٩، ومعجم معالم الحجاز ٤/٢٥٤). وقال ياقوت في معجمه (٩/٢٨٥): سولة: قلعة على رابية بوادي نخلة، تحتها عين جارية ونخل، وهي لبني مسعود، بطن من هذيل.

(٣) بطن من هذيل يسكن سولة في نخلة اليمانية، وأصلهم من العزرة من زبيد من مسروح من حرب، دخلوا حلفاً في هذيل (معجم قبائل الحجاز ص:١٩٨).

(٤) عين عذبة الماء بوادي نخلة اليمانية، سكانهم جلهم القناوية، يمر بها طريق مكة إلى الطائف المار بنخلة اليمانية، على ٤٥ كيلاً (معجم معالم الحجاز ٤/١٥٠).

(٥) عين جارية في وادي الزبارة عند مصب وادي نبْع، تبعد عن مكة ٣٥ كيلاً شمالاً إلى الشرق، وشمال الجعرانة على ١٨ كيلاً، والمبارك بين الزبارة والريان، وترى من الريان رأي العين (معجم معالم الحجاز ٨/١٢).

(٦) المناعمة: فرع من الأشراف بني حسن بن أبي نمي، وهم بنو عبدالمنعم بن حسن، يسكنون وادي الزبارة شمال شرقي مكة (معجم قبائل الحجاز ص:٥١٢).

(٧) عين في وادي الزبارة على ثلاثين كيلاً شمال مكة، بها قرية عامرة، سكانها الأشراف المناعمة، وقد ينسب الوادي إليها هناك فيسمى وادي الريان (معجم معالم الحجاز ٤/١١٢).

(٨) عين في وادي الزيادة قرب الريان، فيها قرية للأشراف المناعمة (معجم معالم الحجاز ٥/٢٢٨).

(٩) عين بمر الظهران أجري ماؤها إلى مكة، وقد كانت عيناً للأشراف، على بعد ثلاثين كيلاً شمال مكة في وادي الزبارة، وقد مدت إلى أسفل مكة، وهي من أقوى عيون مر الظهران، وتسقي جميع أحياء مكة الغربية (معجم معالم الحجاز ٦/٢١٠).

الفَايجَة[١]، ثم يليها: عين أبو حَصاني[٢]، ثم يليها: عين الخَلَص[٣]، ثم يليها: عين الدُّخَّان[٤].

ومن عين القشاشية إلى عين الدخان ملك الشريف عون أمير مكة الأسبق[٥].

ثم يليها: عين الخَيْف[٦] وبها قرية للأشراف الرَّوَاجحة[٧]، ثم يليها: عين شمس[٨]، وهي ملك دولة الشريف الحسين أمير مكة الحالي[٩]، وبها قرية للأشراف المَفَالِحة[١٠]، ثم يليها: عين البُرْقة[١١]، وهي ملك المرحوم الشريف

---

(١) عين في مر الظهران أسفل من القشاشية (معجم معالم الحجاز ١٢/٧).

(٢) عين في حلق وادي مر الظهران، بين خيف الرواجحة والقشاشية، عندها ضربت أنابيب ضخمة في جوف الأرض في السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري، وعندما امتصت الماء من باطن الأرض توقفت جميع عيون مر الظهران الواقعة في أسفل الوادي، وعددها ٢١ عيناً تقريباً (معجم معالم الحجاز ١٨/٣).

(٣) عين بمر الظهران، بين أبي حصاني وعين شمس، وقد انقطعت بعد مشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ١٤٥/٣).

(٤) عين في مر الظهران فوق خيف الرواجحة، كانت ضعيفة ثم انقطعت بعد مشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ٢١٤/٣).

(٥) في هامش الأصل: المتوفى بالطائف عام ١٣٢٣ هجرية.

(٦) عين بها قرية للأشراف الرواجحة تأثرت بمشروع أبو حصاني، تلي قرية أبي عروة من الشرق على ضفة الوادي الشمالية بلبط حرة النهمية (معجم معالم الحجاز ١٨٢/٣).

(٧) الرواجحة: فرع من أشراف بني قتادة، وجدهم: راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن إلى الحسن المثنى بن الحسن بن علي كرم الله وجهه (معجم قبائل الحجاز ص:١٨٢).

(٨) عين في مر الظهران بلصق حرة العُجيفاء من الغرب، ترى من الجموم شرقاً بعيداً، وقد انقطعت (معجم معالم الحجاز ٢٠٧/٦).

(٩) في هامش الأصل: ثم صار ملكاً للحجاز، وتنازل وخرج منه، وتوفي في عمّان عام ١٣٥٠ هـ.

(١٠) فرع من الأشراف ذوي بركات ابن أبي نمي (معجم قبائل الحجاز ص:٥٠٧).

(١١) عين مندثرة بطرف مر الظهران من الجنون، يمر طريق مكة غربها غير بعيد، وعليها قرية تعرف بهذا الاسم، تراها من أبي عروة جنوباً، ومن الجموم شرقاً (معجم معالم الحجاز ٢٠٦/١).

عبدالله[١]، ثم يليها: عين الرَّوْضة[٢]، ثم يليها: عين أبو عُرْوَة[٣]، ثم يليها: [عين][٤] [الحَسَنيّة][٥]، ثم يليها: عين الهنيّة[٦]، ثم يليها: عين الجَمُوم[٧]، وهي كائنة بأول محطة من جهة مكة شمالاً للمسافر إلى المدينة المنورة على الطريق السلطاني، ومنها تستقي جميع الحجاج، وهي للأشراف ذوي حسين[٨]، القاطنين بقرية أبو عُرْوَة شرق العين المذكورة، وعين الخضْراء[٩]، وعين المَدْرة[١٠]، وعين أبو شُعَيب[١١]، وبها قرية للأشراف ذوي

---

(١) في هامش الأصل: أمير مكة المتوفى عام ١٢٩٦ هجرية. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) عين كانت بمر الظهران شرق الجموم ثم انقطعت بعد مشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ٨٩/٤).

(٣) عين بمر الظهران في طرفه الشمالي تحت حرة النهمية، أهلها الأشراف ذوو حسين، وقد انقطعت بعد مشروع أبو حصاني، وكانت من أكبر عيون مر الظهران وأعذبها، فيها قرية تعرف بهذا الاسم (معجم معالم الحجاز ٨٥/٦).

(٤) قوله: "عين" زيادة من الرحلة اليمانية (ص:١٤٢).

(٥) في الأصل: الحسينية. والتصويب من الرحلة اليمانية، الموضع السابق. والحسنية: عين بمر الظهران بين أبي عروة والجموم، كانت جارية فانقطعت بعد مشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ١٣/٣).

(٦) عين في مر الظهران بين أبي عروة والجموم، كانت جارية فانقطعت بعد مشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ١٨٤/٩).

(٧) كانت عيناً متدفقة غزيرة المياه في مر الظهران، على طريق مكة إلى المدينة على ٢٢ كيلاً، كانت محطة رئيسية للحجاج فتكونت عليها قرية ذات سوق عامرة، ثم انقطعت العين في مشروع أبو حصاني، ولكن البلدة اختيرت قصبة الوادي كله فلم تتأثر بانقطاع عينها (معجم معالم الحجاز ١٧٦/٢-١٧٧).

(٨) ذوو حسين: فرع من الأشراف يسكن وادي مر الظهران وبعضهم في مكة، وهم بنو الشريف حسين بن بركات بن أبي نمي (معجم قبائل الحجاز ص:١١٥).

(٩) عين قرب الجموم، انقطعت بعد مشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ١٣٢/٣).

(١٠) عين بمر الظهران، يُشرف عليها من الشمال جبل سنْر، ثم انقطعت بعد مشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ٦٤/٨).

(١١) عين كانت من أكبر عيون مر الظهران بعد المضيق والقشاشية، فأجريت مياهها إلى جدة، وهي أول مياه تصل إلى جدة من خارجها، ثم انقطعت بعد مشروع أبو حصاني، وقربها قرية دف زيني وهي سكنى أهلها، وأهل دف زيني ينتسبون إلى بني العباس (معجم معالم الحجاز ٧٢/٥).

حسين، وذوي عبدالله[١]، وذوي شَقْراء[٢]، وعين الفَيْض[٣]، وعين الشماس[٤]، وبها قرية لعرب يقال لهم: الشيوخ[٥]، من أتباع الأشراف[٦]، وعين الجديد[٧]، وبها قرية للأشراف ذوي حسين تسمى: الدَّوْح، وعين بحرين[٨]، وبها قرية للأشراف ذوي عبدالكريم[٩] يقال لها: [الدوح][١٠] الصغير، وعين واسط[١١]، وبها قرية لخزاعة، وعين

---

(١) ذوو عبدالله: فرع من الأشراف ذوي بركات بن أبي نمي الثاني (معجم قبائل الحجاز ص:٣٠٤).

(٢) ذوو شقراء: بطن يسكن دف زيني ينتسبون إلى الأنصار، ويقال لهم: ذوو زيني (معجم قبائل الحجاز ص:٢٤٨).

(٣) عين بمر الظهران قرب أبي شعيب، وقد انقطعت بمشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ٦٦/٧).

(٤) عين كانت جارية قرب دف زيني، فيها نزل لبعض الشيوخ، ثم انقطعت ولا زالت أرضها صالحة للزراعة، تبعد ثلاثة أكيال جنوب غربي الجموم (معجم معالم الحجاز ٨٩/٥).

(٥) الشيوخ: بطن صغير في أم الجرم بغران، يقال لهم المصابيح، وهم حلفاء الصحاف من زبيد من مسروح من حرب، والشيوخ عموماً ينتسبون إلى الأنصار، ولا يزوجون بناتهم إلا لقرشي أو من نفس الاسم (معجم قبائل الحجاز ص:٢٥٥).

(٦) في هامش الأصل: لعلهم أتباع بالحلف. وكتبه: محمد نصيف.

(٧) عين بين جبل مكسّر وعين البحرين.

(٨) عين كانت من أضخم عيون مر الظهران، يشرف عليها من الشمال جبل مكسِّر بينهما عين الجديد، وكانت البحرين تسقي أراضين برصمدة لخزاعة، والجراشع للأشراف، ونزل أهلها موزع أيضاً، خزاعة في دف خزاعة، والأشراف في الدَّوْح. وقد انقطعت البحرين بمشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ١٨٥/١).

(٩) ذوو عبدالكريم: فرع من الأشراف بني بركات بن أبي نمي، سكناهم مر الظهران وبعضهم في مكة، ويقال لهم: الكرماء (معجم قبائل الحجاز ص:٣٠٤).

(١٠) في الأصل: دوح. والمثبت من الرحلة اليمانية (ص:١٤٣).

(١١) عين كانت جارية في مر الظهران قرب البحرين، وقد انقطعت بمشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ١٠٩/٩).

الهَرَامز[١]، وعين الجَديدة[٢]، وعين البرابر[٣]، وبها قرية للأشراف ذوي عبدالكريم، وعين سَرْوَعة[٤]، وبها قرية للأشراف، وعين المُرْشديّة[٥]، وهي ملك المرحوم الشريف عبدالإله باشا[٦]، وعين المُقوَّع[٧]، وبها قرية للأشراف ذوي عبد الكريم، وعين الرِّكَاني[٨] وعين حَدَّاء[٩]، [وهما لسيدنا الشهيد الحسين أمير مكة سابقاً، وهي في نهاية الوادي من الغرب، وبها قرية حدّاء][١٠].

---

(١) عين كانت جارية بمر الظهران قرب الحُمَيمة وقد انقطعت بمشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ١٦٩/٩).
(٢) عين في مر الظهران قرب الحُمَيمة، وقد انقطعت بمشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ١٣٥/٢).
(٣) عين كانت جارية بمر الظهران قرب الحُمَيمة، وقد انقطعت بمشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ١٩٥/١-١٩٦).
(٤) عين بمر الظهران كانت بسفح جبل ضاف من الشرق، ثم انقطعت بعد مشروع أبو حصاني، ولم تقم عليها زراعة على الآبار كعيون مر الظهران الأخرى. وقد أنشئت بقربها بعض قريّات صغيرة لقبائل من بني عمرو الحربية التي أخذت ترحف على مر الظهران الذي أصبح شبه مقفر من أهله الأولين بعد اندثار عيونه (معجم معالم الحجاز ١٩٦/٤).
(٥) عين كانت بطرف مر الظهران من الجنوب مما يلي الحديبية، كانت ملك الشريف عبدالإله باشا، انقطعت في مشروع أبو حصاني، وتزرع أرضها بآبار الضخ الآلي (معجم معالم الحجاز ١٠٦/٨).
(٦) في هامش الأصل: أمير مكة سابقاً. مدة إمارته أيام وهو باستانبول، ومات بها في عام ١٣٢٦هـ.
(٧) عين بمر الظهران بطرفه الجنوبي عندها يدفع سيل وادي يأجج، انقطعت في مشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ٢٣٢/٨).
(٨) عين كانت بأسفل مر الظهران يمين الطريق من مكة إلى جدة عندما يهبط الوادي بعد الحديبية، كانت ملكاً للشريف حسين الشهيد أمير مكة. وقد انقطعت الركاني بعد مشروع أبو حصاني (معجم معالم الحجاز ٦٧/٤).
(٩) عين كانت جارية بمر الظهران، يمر عندها طريق مكة إلى جدة على ٢٩ كيلاً بين الحديبية وبحرة، كانت ملكاً للشريف حسين الشهيد أمير مكة. وقد انقطعت حداء بعد مشروع أبو حصاني، وعليها اليوم قرية لم تتأثر بانقطاع العين لوقوعها على خط الإسفلت، يسكنها اليوم الموال من توابع البلادية، وحي من العمايدة الحضارم (معجم معالم الحجاز ٢٤١/٢).
(١٠) ما بين المعكوفين زيادة من الرحلة اليمانية (ص:١٤٣).

وهذه العيون المذكورة متفجرة من نفس الوادي، وينابيعها من الجبال المجاورة لها.

وهذا الوادي تنحدر منه السيول الآتية بعضها من نجد، [وتصبّ بوادٍ][(١)] يقال له: مرّ، ويفيض على وادي فاطمة.

وأنهار جبل الحجاز الشرقية تصب في وادٍ اسمه: الزَّبَارة[(٢)]، ووادٍ اسمه: وادي الشامية أيضاً، وكلاهما يصب بوادي فاطمة، ووادٍ اسمه: وادي [عَلاَف][(٣)]، تسيل فيه أنهار من جبل رهاط[(٤)]، شرقي وادي فاطمة، وتنحدر مياهه في وادي فاطمة، [فيكون][(٥)] فيه سيل جارف، ودائماً الأنهار تجري بالوادي أيام فصول المطر، فإذا انقطعت المطر انقطعت الأنهار، ما عدا العيون؛ فإنها تجري على الدوام.

ويوجد خلاف هذا الوادي: وادي الهَدَة[(٦)]، وهو شمال وادي فاطمة، وبه

---

(١) في الأصل: وتنصب بوادي. والمثبت من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

(٢) الزبارة: قرية لبني عمير في وادي مَرّ، تقع بعد التقاء النخلتين، وعندها أخذ الوادي اسمها (معجم معالم الحجاز ١٢٨/٤).

(٣) في الأصل: علان. والمثبت من الرحلة اليمانية (ص:١٤٣).
وعلاف: واد يأتي مر الظهران من الشمال فيصب فيه قرب خيف الرواجحة عند الحلق (معجم معالم الحجاز ١٥٦/٦).

(٤) انظر: معجم معالم الحجاز (١٠٧/٤).

(٥) في الأصل: فتكون. والتصويب من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

(٦) واد فحل يسيل من الشرق إلى الغرب موازياً لوادي مر الظهران من الشمال تفصل بينهما حرة النهمية، وفيه خمس عيون جارية وهي: الدور، والبريكة والرهاطي، والفارعة، واليفاع (معجم معالم الحجاز ١٦٦/٩-١٦٧).

أربع عيون، وآبار كثيرة، ماؤها قريب من سطح الأرض بحيث لا يتجاوز بعده ثلاثة أمتار، وبعضها أقل، وماؤها غزير لا ينقطع، وأراضيها زراعية.

وبهذا الوادي النخيل بكثرة، والموز، والليمون، والخضروات ترد منه إلى مكة وجدة. انتهى.

ومنها: عسفان[١].

قال العلامة الحضراوي في نزهة الفكر[٢]: عسفان -بالضم ثم السكون- قرية جامعة بين مكة والمدينة على نحو يومين من مكة، سميت بذلك: لعسف السيول فيها.

وذكر الأسدي: بها آبار وبرك، وعين تعرف بالغَوْلا.

وقيل: عسفان مترلة العُقلة، وهي التي صلى النبيﷺ بها صلاة الخوف حين كان العدو [في][٣] جهة القبلة، وبئر وادي عسفان بها ماء حلو جداً، حسن الطعم، قيل: أن النبي ﷺ شرب منه [يتزودون منها][٤]، وهو محط لطيف، ومناخ ظريف. انتهى.

ومنها: خليص[٥].

---

(١) عُسْفان: بلدة عامرة تقع شمال مكة على ثمانين كيلاً على المحجَّة إلى المدينة، على التقاء وادي فَيْدة بوادي الصُّغُو، فيها آبار عذبة قديمة مجصصة ومرقبة، منها بئر التَّفْلة (معجم معالم الحجاز ٦/٩٩).

(٢) نزهة الفكر (١/٤٠٥-٤٠٦).

(٣) زيادة من نزهة الفكر (١/٤٠٦).

(٤) مثل السابق.

(٥) خليص: وادٍ كثير الماء والزرع، يقع شمال مكة على (١٠٠) كيلاً، يحف به من الغرب جبلا جمدان، ومنَ الشمال حرة الخليصية، ويصب فيه من الجنوب وادي غُران، وسكانه قبائل من حرب (معجم معالم الحجاز ٣/١٤٩).

قال في نزهة الفكر[1]: قال الأسدي: فيه عين غزيرة كثير الماء، وعليها نخل كثير وبركة، ومشارع، ومسجد لرسول الله ﷺ. وخليص فضاء واسع كثير الأنس، وبه حصن على جبل، ومزروعات، وخضرة، وبطيخ، [وبعض][2] كرم، وليمون، وقد جددت العين وأصلحت بخليص سنة أربعين وتسعمائة بأمر مولانا السلطان سليمان خان. انتهى.

وقال في الرحلة اليمانية[3]: وادي خليص هو ملك العسوم، والطيرة، والهنود، والمغاربة، وهما[4] من حرب بطريق المخالفة، وأعلى الوادي لقبيلة سليم، ويسمى: وادي ساية[5]، وهو خصب يزرع فيه أشياء كثيرة، أغلبها النخل، وبه من العيون خمس عشرة عيناً، ومن الآبار [كثير][6]. انتهى.

ومنها: قُدَيْد[7] -كزُبَيْر-.

قرية جامعة بين مكة والمدينة، كثيرة المياه. قاله البكري[8].

وهي محل واسع كثير الرعي والحشيش أيام المطر، وهي [المعروفة][9] الآن

---

(١) نزهة الفكر (١/٤٠٦-٤٠٧).

(٢) في الأصل: ويعض. والتصويب من نزهة الفكر (١/٤٠٦).

(٣) الرحلة اليمانية (ص:١٤٨).

(٤) أي العسوم والطيرة .

(٥) وادي ساية: واد من أعمال المدينة، فيه نخل ومزارع وفواكه، وأصله لولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه من أفناء الناس، ويشرف عليه جبل السراة دون عسفان (وفاء الوفا ٢/٣٢٠-٣٢١).

(٦) في الأصل: كثيراً. والتصويب من الرحلة اليمانية (ص:١٤٨).

(٧) واد فحل من أودية الحجـاز، وينقسم إلى قسمين: علوي وسفلي. فالعلوي يسمى ستارة، والسِّفلي يسمى قديداً، ويسكـن النصف السفلي زبيد بن حرب، ويبعد عن مكة (١٣٠) كيلاً من ناحية الشمال على طريق المدينة المنورة (معجم معالم الحجاز ٧/٩٦-٩٧). وما زال معروفاً بهذا الاسم إلى الآن.

(٨) معجم ما استعجم (٣/١٠٥٤).

(٩) في الأصل: المعروف. والتصويب من نزهة الفكر (١/٤٠٨).

بالقَضِيمة[١]. ذكره في نزهة الفكر[٢].

ومنها: رابغ[٣].

وهي بجانب البحر، بها حفائر، تارة يكون ماؤها بوجود المطر في غاية العذوبة، وتارة عند عدمه يميل إلى الملوحة يسيراً، وبها قرية، ومسيل ماء، وحشيش، ومزارع، وأهلها زمن الموسم يتسببون على الحاج بالحشيش للجمال، والحطب، والغنم، والبطيخ في أوانه.

والأصل في مكان الإحرام: الجُحْفَة[٤]، وهي تقابلها يساراً صوب الجبل وأمامها قليلاً.

قال صاحب المطالع: هي قرية جامعة على طريق المدينة من مكة، وهي مَهْيَعة[٥]،وإنما سميت الجحفة؛ لأن السيل أجحفها، وهي على ستة أميال من البحر وثماني مراحل من المدينة، وقيل: نحو سبع مراحل من المدينة وثلاث من مكة.

والجحفة -بالضم وسكون الحاء المهملة-: أحد المواقيت، قرية كانت كبيرة ذات منبر، وكانت تسمى أولاً:قهيعة، ويقال لها: مَهْيَعَة -كمرحلة-: اسم للجحفة.

---

(١) القضيمة: بلدة عامرة على الساحل شمال ثول بسبعة أكيال، أهلها من السادة الحسينيين، يمر بها الطريق من جدة إلى المدينة، ويصب عليها وادي قديد (معجم معالم الحجاز ٧/١٤١).

(٢) نزهة الفكر (١/٤٠٧-٤٠٨).

(٣) رابغ: بلدة حجازية ساحلية بين جدة وينبع على (١٥٥) كيلاً من جدة شمالاً و (١٩٠) كيلاً من ينبع جنوباً (معجم معالم الحجاز ٤/٥).

(٤) الجحفة: كانت قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة على خمس مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام. (معجم البلدان ٢/١١١، ومعجم معالم الحجاز ٢/١٢٢-١٢٦).

(٥) هذه تسمية رسول الله ﷺ لها. روى البخاري في صحيحه عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة، فأولت أن وباء المدينة نقل إليها» (٦/٢٥٨٠ ح٦٦٣١).

قال الحافظ المنذري رحمه الله[١]: لما أخرج العماليق بني عبيل [إخوة عاد][٢] من يثرب، نزلوها، فجاءهم سيل الجُحَاف -بضم الجيم- فجحفهم وذهب بهم، فسميت حينئذ [الجحفة][٣].

قال القاضي عياض[٤]: سميت الجحفة: لأن السيول أجحفتها وحملت أهلها. وقيل: إنما سميت بذلك من سنة سيل الجحاف سنة ثمانين، لذهاب السيل بالحاج. كذا في نزهة الفكر[٥].

وفي الرحلة اليمانية[٦]: وفي [شمالي][٧] وادي كُلَيَّة[٨] مما يلي البحر، وادي رابغ، لحرب، وأراضيه جيدة، خصبة للغاية، ويزرع فيه الخضر، والبطيخ، والشمّام بكثرة، ونخيله على أقل تقدير مائة وخمسون ألفاً، ويزرع به من الحبوب والذرة، وهذا الوادي لا يبعد عمق الماء فيه عن متر على الأكثر، والنخيل جذورها بالماء لا تحتاج إلى سقي. انتهى.

---

(١) الترغيب والترهيب (١٤٩/٢).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من الترغيب والترهيب، الموضع السابق، ونزهة الفكر (٤٠٩/١).

(٣) قوله: "الجحفة" زيادة من الترغيب والترهيب، الموضع السابق.

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١٦٨/١).

(٥) نزهة الفكر (٤٠٩/١).

(٦) الرحلة اليمانية (ص:١٤٩).

(٧) في الأصل: شمال. والمثبت من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

(٨) واد من من أودية الحجاز الغربية ومن أشهرها، يأخذ من حرة ذرة من سفوحها الغربية الشمالية، ثم ينحدر غرباً بين جبال ذروة شمالاً وجبل فرسان جنوباً، ويسمى أعلاه ثَمرة، وبين ذروة وفرسان الحصينية، فإذا تسهل من الجبال أطلق عليه اسم كليةوصار سهلاً واسعاً تجري كلية في وسطه ودوران في جنوبه، ودفين في شماله (معجم معالم الحجاز ٢٢٧/٧-٢٢٨).

ومنها: بَدْر[١] -بالفتح ثم السكون-.

بئر حفرها رجل من غفار اسمه: بدر بن قريش، وقيل غير ذلك.

وببدر مسجد الغمامة، وهو موضع الأريكة التي كان رسول الله ﷺ جالساً عليها يشرف على القتال والغمامة مظللة عليه.

وقال السيد في تاريخ المدينة[٢]: أنه كان العريش الذي بني لرسول الله ﷺ يوم بدر عنده، وهو بقرب بطن الوادي بين النخيل، والعينُ قريبة منه، وبقربه في جهة القبلة مسجد آخر يسمونه أهل بدر: مسجد النصر.

وأما محط أهل الركب ففيها نخل وعين ماء تجري، [والفسقية][٣] الكبيرة التي بها والقبة التي عليها بنيت بأمر السلطان قانصوه الغوري. ذكره في نزهة الفكر[٤].

ومنها: وادي الصفراء[٥].

قال في الرحلة اليمانية[٦]: هو شمال رابغ، وهو لحرب، وبه من العيون عشرون عيناً، وأغلب مزروعاته: النخيل، والليمون، والحناء. انتهى.

---

(١) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار وهو ساحل البحر ليلة. وهي الآن قرية عامرة من قرى الحجاز بأسفل وادي الصفراء على ١٥٥ كيلاً من المدينة جنوباً غربياً (معجم معالم الحجاز ١/١٨٩-١٩٣).

(٢) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (٣/١٠٢٦).

(٣) في الأصل: والفسيقة. والتصويب من نزهة الفكر (١/٤١٠).

(٤) نزهة الفكر (١/٤١٠-٤١١).

(٥) واد من أكبر أودية الحجاز الغربية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من جبال: ورقان وعار والفَقَارة والفقْرة، فيتجه غرباً مع ميل إلى الجنوب بتعرج، ويسمى أعلاه السدارة، وفيه الروحاء البئر المشَهورة، وقد تسميه العامة وادي بدر لاشتهار بلدة بدر (معجم معالم الحجاز ٥/١٤٨-١٤٩).

(٦) الرحلة اليمانية (ص:١٤٩).

وقال في نزهة الفكر[١]: وبالصفراء مسجد معروف يتبرّك به[٢].

وذكر ابن زبالة: أن رسول الله ﷺ صلّى فيه. انتهى.

ومنها: وادي الفُرُع[٣].

قال في الرحلة اليمانية[٤]: خيرات هذا الوادي كثيرة، وأرضه خصبة، وعيونه كثيرة.

ومن محصولاته: النخيل التي لا تعدّ ولا تحصى، والليمون بأنواعه، والنَّارَنْج[٥]، والموز، وهو جميل للغاية. ويزرع فيه من الحبوب: الحنطة، والذرة، والشعير، وجميع مزروعاته تشرب من العيون الجارية، وهو لحرب.

ومنها: وادي غُران[٦].

وهو ملك لقبيلة الصحاف، وهو خصب للغاية، ويزرع به الشمام، والبطيخ، والقثاء، والخيار، والنخيل، والخضر، [ويزرع فيه من][٧] الحبوب: الذرة، والدخن، ويسقى من الآبار، وفيه بعض عيون.

---

(١) نزهة الفكر (١/٤١٣).

(٢) الأصل في جواز التبرك بالشيء وجود دليل صحيح على جواز ذلك ولا دليل هنا يجيز ذلك.

(٣) واد من أطول أودية الحجاز وأغناها عيوناً، إذ لا تزال فيه عشرون عيناً جارية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من حرة بني عمرو، ويسمى وادي الفرع وادي النخل لكثرة نخيله، وقد يسميه البعض وادي بني عمرو، ذلك أنه لا يساكنهم فيه أحد. وسكانه بنو عمرو من حرب (معجم معالم الحجاز ٧/٤١).

(٤) الرحلة اليمانية (ص:١٤٨-١٥٠).

(٥) النَّارَنْج: نوع من البرتقال، ولكنه مرّ الطعم، وزهره يصنع منه ماء الزهر (الموسوعة العربية الميسرة ص:١٨١٥).

(٦) وادي غُران: يقع بين خليص وعسفان، ويعتبر رافداً من روافد أمج، ويسيل من حرة الحجاز العظيمة من قسمها الجنوبي، فيسمى رهاطاً، فإذا انحدر إلى البرزة سمي غرانا، إلى أن يجتمع بأمج، وفي غران كانت غزوة بني لحيان (وفاء الوفاء ٢/٣٥٣، وعلى طريق الهجرة ص:٢٣).

(٧) في الأصل: يزرع فيه ومن. والمثبت من الرحلة اليمانية (ص:١٤٨).

ومنها: وادي الخُوَار[١].

وأغلب بساتينه الليمون والموز، ويجلبان إلى مكة وجدة بكثرة، وغاباته نخل الدوم، وهو ملك لحرب.

ومنها: وادي ستارة[٢].

نصفه الأعلى لقبيلة سليم، ونصفه الأسفل لحرب، -الأعلى [هو الجهة الشرقية، والأسفل هو الجهة الغربية][٣]-، وهو خصب جداً، وفيه من العيون الجارية تسع وثلاثون عيناً، تسقي النخيل والليمون. ويزرع فيه من الحبوب: الذرة، والدخن، ومن الخضروات [كثير][٤].

أما أنهاره فتنحدر في وادي قديد، وقد مرَّ ذكره.

ومنها: وادي ينبع النخل[٥].

وبه خمس وثلاثون عيناً، وتربته جيدة للغاية، ومزروعاته كالذي قبله، وهو ملك الأشراف العيايشة، وذوي هجار، وقبيلة جهينة.

---

(١) الخوار: أكبر عيون وادي أمج على الإطلاق، يسمى بها مثناة منه (وادي الخوار)، وبها قريتان: الشعبة والنزة (معجم معالم الحجاز ١٦٥/٣).

(٢) واد فحل من أودية الحجاز يأتي من ذَرَة، ويدفع في البحر عند القضيمة، أعلاه ستارة وأسفله قديد، وستارة لبني سليم، وقديد لبني حرب (معجم معالم الحجاز ١٧١/٤).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من الرحلة اليمانية (ص:١٤٩).

(٤) في الأصل: كثيراً. والتصويب من من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

(٥) واد فحل كثير القرى والعيون والسكان، يقع غرب المدينة المنورة، أعلاه وادي بواط الغوري، وينحدر غرباً حتى يدفع في البحر قرب مدينة ينبع البحر، وأخذ ينبع هذا يميز باسم ينبع النخل للتفريق عن المدينة، فإذا ذكر فالمراد به الوادي لا المدينة، لأن المدينة حدثت متأخرة (معجم معالم الحجاز ٣٦/١٠).

ومنها: وادي العِيص[١].

وهو خصب التربة، ومياهه تجري على وجه الأرض، وبه عيون، وهو قريب العهد في الزراعة، وهو لجهينة، وأغلب بساتينه تابعة لسيدي السنوسي[٢].

ومنها: وادي رُهاط[٣]، ووادي مَدْرَكة[٤] في شرقي وادي فاطمة.

[وهما][٥] من أخصب الأودية، [ونخيلهما][٦] لا تعدّ ولا تحصى، [ورطبهما][٧] جميل جداً، [وبهما][٨] عيون وجداول جارية على الدوام، وعيون تسقي النخيل، وهما ملك قبيلة الروقة[٩] من عتيبة، والأشراف.

---

(١) واد من روافد إضم، يأخذ أعلى مياهه من حرة بني سنان شمال وادي ينبع، ثم يتجه شمالاً حتى يصب في وادي الحمض (إضم) عند قرية المربّع قرب ذي المروة، وسكانه بنو عروة من جهينة (معجم معالم الحجاز ٦/٢٠٠).

(٢) في هامش الأصل:السنوسي:شيخ الطريقة السنوسية، المؤسس لها الأول السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي المتوفى بجغبوب من نواحي طرابلس الغرب، ليبيا، وكتبه: محمد نصيف.

(٣) رهاط: صدر وادي غُران، وهو مكان خصب كثير العيون والنخيل، مياهه وفيرة ولكنها وبيئة، يتكون من ثلاث مثان هي: المعلاه –وهي صدره، فيها نخيل للروقة من عتيبة، وفيها عين النبي المشهورة– والجمعة، والبجّورة. ويقع رهاط في الشمال الشرقي من مكة على قرابة ١٥٠ كيلاً، وشرق البحر الأحمر بقرابة ١٠٠ كيل، وسكان رهاط اليوم الروقة من عتيبة في أعلاه، ومعبّد من حرب في أسفله وكان لهذيل فأصبحوا بعيداً عنه (معجم معالم الحجاز ٤/١٠٦–١٠٧).

(٤) مدركة: بلدة عامرة في وادي الهدة في أعلاه حيث يسمى هناك وادي مدركة، وهي واقعة في ديار المقطة من عتيبة، شمال مكة إلى الشرق على قرابة ٩٠ كيلاً (معجم معالم الحجاز٨/٦٣).

(٥) في الأصل: وهي. والتصويب من الرحلة اليمانية (ص:١٥٠).

(٦) في الأصل: ونخيلها. والمثبت من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

(٧) في الأصل: ورطبها. والمثبت من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

(٨) في الأصل: وبها. والمثبت من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

(٩) الروقة: بضم الراء وسكون الواو: أحد فرعي عتيبة الرئيسيين، وتمتد ديارهم من رهاط شمال مكة آخذة بشرق إلى داخل نجد قرب الرياض (معجم قبائل الحجاز ص:١٨٤، وقلب جزيرة العرب ص:١٨٧).

ومنها: وادي تربة(١).

شرقي مكة، ملك لقبيلة البقوم(٢)، والأشراف العبادلة ذوي سلطان، وهو من أعظم الأودية، كثير النخل، وبه نهر جار دائماً كبير جداً، وبه غابات كثيرة من الأثل والطرفاء [وخلافها](٣)، وفيه من النخيل على أقل تقدير مائتا ألف، والنخلة في هذا الوادي ثمرها يوازي ثمانية(٤) قناطير على الأقل، وفيها البساتين محتوية على الموز، والليمون، والنارنج، والعنب، وبعض الفواكه، ويزرع فيها البر، والذرة، والشعير، وكافة أنواع الخضر، ومنظر هذا الوادي من أحسن المناظر.

ومنها: وادي رنْية(٥).

وبهذا الوادي ما ينوف عن مائة ألف نخلة، وقراه مبنية باللَّبِن من طبقة إلى طبقتين، فيها أسواق دائماً.

---

(١) وادي تربة: واد فحل من أودية الحجاز الشرقية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من سراة زهران وبني مالك وبلحارث المطلة على دوقة والليث غرباً، ويسمى أعلاه تربة، ويميز باسم تربة البقوم، وفي هذا القسم قاعدة البقوم، وهي بلدة عامرة تسمى بنفس اسم الوادي (معجم معالم الحجاز ٢٠/٢، وبين مكة وحضرموت ص: ١٧٠).

(٢) البقوم: قبيلة تقيم شرق الطائف، في تربة وجبل حضن وما جاورهما، وكانت لها غارات وحروب مع كل من: عتيبة، وسبيع، وبلحارث، وغيرها من القبائل المجاورة، وقاعدة إمارتهم تربة، وتسمى: تربة البقوم (معجم قبائل الحجاز ص: ٤٤).

(٣) في الأصل: وخلافه. والمثبت من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

(٤) في هامش الأصل: لعل ثمر النخلة الواحدة يبلغ في السنة أو العام ثمانية قناطير، وأظن هذا التقدير مبالغ فيه. وكتبه: محمد نصيف.

(٥) وادي رنية: واد فحل من الأودية الشرقية، وكثيراً ما يطلق عليه اسم وادي سبيع؛ لأن كثيراً من بطون سبيع تقيم في هذا الوادي وعلى جنباته، يسيل هذا الوادي من سراة غامد على قرابة ٢٣٠ كيلاً جنوب الطائف (بين مكة وحضرموت ص: ١٧١-١٧٢).

ومنها: وادي بيشة(١).

[وهو](٢) من أكبر الأودية وأخصبها، إذ الأودية التي تصب مياهها فيه يبلغ عددها خمسة وعشرون وادياً، وكلها يأتيها الماء من جبل الحجاز.

ويزرع في هذا الوادي من الحبوب: البر، والشعير، والذرة، ومن الخضر أنواع كثيرة، وبه الليمون الحامض، والنارنج بكثرة، ولذلك فهو لا يقدر له ثمن عندهم، إذ ثمن مائة حبة من الليمون عند شدة غلائه قرش واحد، ولأهل هذا الوادي اعتناء زائد في غرس النخيل، فيه نصف(٣) مليون نخلة من أجود النخيل، وأنواع الرطب فيه تزيد عن خمسين نوعاً، والبلح عندهم رخيص جداً، فالقنطار يساوي خمسة عشر قرشاً، وهو أربعون أُقة، وحدائق النخـــلة تحف الوادي من الجانبين، وهي متواصلة ببعضها سير يومين بالهجين.

أما غابات الأشجار بهذا الوادي فهي كثيرة، وعدد قراه ثلاثين قرية، وبيوتهم من طبقتين إلى ثلاث، وجميعها باللِّبِن، وبكل قرية سوق مستمر للبيع والشراء.

---

(١) وادي بيشة: أكبر أودية السراة الشرقية على الإطلاق، ويحتلب منطقة تقدر بستمائة كيل طولاً، بين الفرشة شرق الخرمة إلى جنوب أبها وخميس مشيط، ويعتبر هذا الوادي وادي خثعم إذ أن جميع البطون القاطنة فيه وفي معظم روافده هي بطون من خثعم، وله روافد كبار أهمها تبالة (بين مكة وحضرموت ص:١٧٢).

(٢) في الأصل: وهي.

(٣) في هامش الأصل: نصف مليون: أي خمسمائة ألف نخلة. وكتبه: محمد نصيف.

ومنها: وادي نخلة.

قال الفاسي[١]: ويقال له بستان ابن عامر. ذكره ابن سيد الناس في سيرته[٢].

وهذا الوادي مشتمل على قرى كثيرة وعيون جارية، وبعض وادي نخلة يعرف بنخلة الشامية[٣]، وبعضه يعرف بنخلة اليمانية، فمن الشامية:البَرَدان[٤]، وبشرا[٥]. ومن اليمانية: سولة، والزيمة، وهو من مكة على ليلة. انتهى.

وفي كتاب بلوغ الأرب في أحوال العرب[٦]: كان من بلاد هذيل في طريق مكة نخلتان: (نخلة اليمانية): يصب فيها [يَدْعان][٧]:وهو وادٍ به مسجد النبي ﷺ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين. و(نخلة الشامية): ومجتمعها في مرّ.

---

(١) شفاء الغرام (٥٧/١).

(٢) عيون الأثر (٢٢٨/١).

(٣) في هامش الأصل: هي المسماة الآن المضيق يملك أكثره الأشراف الحرث. وكتبه: محمد نصيف.

(٤) البردان: عين بأعلى نخلة الشامية من أرض تهامة، وهما عينان: البردان وتنضب. وعين البردان تعرف اليوم بعين المضيق (معجم معالم الحجاز ٢٠١/١، وحسن القرى ص:٦٢).

(٥) بشرا: جاء في العقد الثمين (١٧٣/٣): إن أحمد القسطلاني وقف وقفاً على مسجد (بشرا) بنخلة الشامية.

وأورد بشرا في أماكن عدة بثلاث صفات: بَشَرا بالتحريك، وبَشْرا بسكون الوسط، وبُشْرا بضم الباء الموحدة.

وفي موضع آخر ذكرها مع التنضب وحصن العطشان، قال البلادي: أقول: بَشَرَا لا زالت معروفة: بلد من بلاد التنضب قرب البردان، كانت للأشراف ذوي غالب، وكان سقيها من عين التنضب (معجم معالم الحجاز ٧٣/١٠-٧٤).

(٦) بلوغ الأرب (١٩٤/١).

(٧) في الأصل: بدعان. والتصويب من بلوغ الأرب (١٩٤/١).

و(سَبُوحة)[1]: وهو وادٍ يصب في نخلة اليمانية. و(أُبام) و(أُبيّم[2])، وكانا لهذيل، وهما شعبان بينهما جبل مسير ساعة من النهار، ثم فوق ذلك شعب يقال له: (نَحَا)[3]، وكان لهذيل أيضاً، ثم (المِرَاخ)[4]، وهي لهذيل، وهي ثلاثة شعاب تصبّ من دَاءَة[5]. وداءة هي الجبل الذي يحجز بين نخلتين، ثم (عُشَر)[6]، وهو شعب لهذيل يصبّ من داءة أيضاً. وقبالة عشر من شق نخلة

---

(١) سبوحة: واد يصب في نخلة اليمانية من الجنوب، بين الزيمة وجبل ديثي، تأتي من جبل كنثيل والأشعر جنوب الزيمة، يأخذها الطريق عند خروجه من الزيمة إلى مكة، على كيلين من الزيمة، تبعد عن مكة ٤٣ كيلاً على طريق نخلة اليمانية، سكانها الحتارشة من هذيل (١٦٨/٤).

(٢) أبام: شعب يسيل من جبل أمغر بهذا الاسم، مقابل الزيمة من الشمال بينهما سيل نخلة اليمانية، وأبام يصب فيها من الشمال على مرأى من الزيمة، فيه نزل أهل الزيمة، ولهم فيه قريتان، وأهل البلد اليوم ينطقونه (بام) بحذف الألف، يجاوره من الشرق (أبيم) شعب يدفع في نخلة أيضاً من الشمال على مرأى من الزيمة، يسقي بلداً عثرية هناك، وأهل البلد يحذفون ألفه أيضاً فينطقونه (بيم)، سكانه القناوية أهل الزيمة، وهم يقولون أنهم هاشميون جاؤا من قنا جنوب القنفذة في ساحل عسير (معجم معالم الحجاز ٢٧/١-٢٨).

(٣) نحا: قال ياقوت (٢٧٤/٥): وهو شعب بتهامة لهذيل، وقال البلادي في معجم معالم الحجاز (٣٢/٩): ولم أسمع به اليوم.

(٤) المراخ: شعاب في ديار هذيل تسيل من جبال راية في وادي إدام من الجنوب (معجم معالم الحجاز ٨٠/٨).

(٥) داءة: الذي تفترق عنه النخلتين يسمى اليوم جبلة السعايد، بطن من هذيل يسكن نخلة اليمانية، وليست قريبة من نعمان (معجم معالم الحجاز ١٩٣/٣).

(٦) عشر: شعب يصب من داءة المعروفة اليوم بجبلة السعايد، فيصب في نخلة اليمانية من الشمال، غربي يسوم الشمالي (معجم معالم الحجاز ١٠٨/٦).

الأخرى شعبان يقال لهما: (الضهياتان)[١]، يجيئان من السَّراة[٢]، وبينهما وبين (يسوم)[٣] جبل يقال له: (المرْقَبَة)[٤]، كان مرقبة لهذيل تكون رقباؤهم فيه.

وشعب يقال له: (هِلال)[٥]، يجيء من السراة أيضاً من يسوم. ثم شعب مثل هذا أيضاً يقال له: (خيْص)[٦]، ويسوم جبل لهذيل، وشعبان يقال لهما: (الكفوان)، الكفو الأبيض والكفو الأسود، وهما طريقان مختصران يصعدان إلى الطائف. وهما [مغاني][٧] لا تطلع عليهما الشمس إلا ساعة من نهار،

---

(١) الضهيأتان: شعبتان قبالة عُشَر من شق نخلة بينهما وبين يسوم جبل يقال له المرقبة (معجم معالم الحجاز ٢٠٩/٥).

(٢) السراة في الحجاز: عبارة عن مجموعة من الحرار والجبال التي تتخللها، الممتدة من اتصالها بسراة عسير شرق القنفذة إلى مرتفعات الأردن الشرقية، وهي سلسلة تشبه العمود الفقري، تسيل مياهها شرقاً وغرباً مكونة أودية عميقة تدفع إلى مناطق زراعية خصبة في تهامة والسهول الشرقية من الحجاز، وتنفصم هذه السلسلة في مكانين أحدهما: في نخلة الشامية حيث تسيل من شرق السراة ثم تعطف غرباً محدثة فصماً في اتصالها. والثاني: عند المدينة، وتتميز هذه السراة باعتدال هوائها ووجود المصايف الجميلة في جنوبها خاصة، مثل هدأة الطائف، وشفا بني سفيان وشفا هذيل وغيرها (معجم معالم الحجاز ١٨٥/٤-١٨٦).

(٣) المعروف اليوم يسومان: جبلان أسودان متقابلان على جانبي وادي نخلة اليمانية، يسمى الشمالي يسوم سَمْر لشعب يصب منه في نخلة، ويسمى الثاني يسوم هلال، لشعب يصب منه في نخلة أيضاً، وهذا الجنوبي هو الأشهر يبعد عن مكة ٦٣ كيلاً شرقاً، يدخل الطريق، وسيل نخلة بينهما. وإذا أطلق اسم يسوم عند هذيل فهو هذا (معجم معالم الحجاز ٢٢/١٠-٢٤).

(٤) المرقبة: جبل كان فيه رقباء هذيل بين يسوم والضهيأتين (معجم معالم الحجاز ١٠٩/٨).

(٥) انظر: يسوم السابق.

(٦) انظر: يسوم السابق.

(٧) في الأصل: مغان. والمثبت من بلوغ الأرب (١٩٤/١). وفي معجم البلدان (٤٦٧/٤): مقاني. وانظر: معجم معالم الحجاز (٢٢٣/٧).

وهما شعبا سار، وهما بلاد مهائف تماف الغنم من المرعى الذي في التآر[١] ولا يرعيان إلا في الصيف، وهذه كلها أعلى نخلة اليمانية. انتهى.

الفصل الثاني: في ذكر بعض الجبال المشهورة في الحجاز

فمنها: كرا[٢].

وهو جبل عظيم عَسِيرٌ، يطلع المجدّ أعلاه في ثلاث ساعات حتى يصل أعلاه، وفي أعلاه وادٍ عظيم يقال له: الهدى[٣]، فيه بساتين ومزارع، وآبار عذبة، وقرى ومساكن، وأشجار وفواكه وثمار، ثم منه إلى الطائف مدة يسيرة[٤]. ذكره في تاج تواريخ البشر[٥].

وقال الفاضل خير الدين الزركلي[٦]: سكان الهدى من متحضرة البدو، ويعمل بعضهم في زراعة أرضه، وبعض يؤجر نفسه لينقل أكياس الحبوب وغيرها، وقرى الهدى سبع على عدد القبائل النازلة فيها، وتسمى بأسماء قبائلها، وهي:

---

(١) في معجم البلدان: الثأد. وانظر: معجم معالم الحجاز (٧/٢٢٣).

(٢) جبل كرا: ذلك الجبل الضخم الذي يصعده الطريق بين مكة والطائف، تسيل منه صدور وادي نعمان، كان طريقه صعباً لا تصعده غير الحمير وجمال مدربة على صعوده، ثم ذلل في العهد السعودي الزاهر فافتتح طريقه سنة ١٣٨٥هـ (معجم معالم الحجاز ٧/٢٠٧).

(٣) الهدى: موضع من نواحي الطائف على (١٨) كيلاً منها، ذات مزارع ومياه حسنة، تتكون من واديين (معجم معالم الحجاز ٩/١٦١-١٦٢).

(٤) في هامش الأصل: مشيناه ركوباً على البغال والحمير نحو أربعة ساعات. وكتبه: محمد نصيف.

(٥) سقطت لوحات عدة من آخر الجزء الثاني من تاج تواريخ البشر، وهي التي نقل منها المؤلف هذا النص.

(٦) ما رأيت وما سمعت (ص:٧٥-٧٦).

الغشَامرة[١]، وبنو صخرْ[٢]، [والقُصْرَان][٣]، والأغربة[٤]، والأخولة[٥]، واللُّمَضة[٦]، والبني[٧].

والهدى مرتفعة عن سطح البحر (٦٥٠٠) قدم.

وفي الرحلة الحجازية: (١٧٦٠) متراً[٨]. ولاعتدال مناخها يكثر فيها شجر التين، والرمان، والسفرجل، والصبير[٩] -ويسمونه: [البرشومي][١٠]، وهو التين الشوكي-، واللوز. وفيها كثير من الورد، يستخرجون ماءه على طريقة التقطير، [وماؤها][١١] عذب بارد لم نشرب مثله في مكة ولا جدة.

---

(١) بطن من قريش الحضر يسكن وادي العمق في هدأة الطائف (معجم قبائل الحجاز ص:٣٨٢).

(٢) بطن من قريش الحضر يسكن هدأة الطائف، ويقال أن أصلهم من بني صخر سكان البلقاء بالأردن (معجم قبائل الحجاز ص:٢٦٣).

(٣) في الأصل: والعصران. والتصويب من ما رأيت وما سمعت (ص:٧٥).
والقصران: من قريش الحضر يسكنون الهدأة غرب الطائف، ويقال: إن أصلهم من اليمن فحالفوا قريشاً (معجم قبائل الحجاز ص:٤٢٤).

(٤) الغرَبة: بطن من النمور، يسكن الهدأة، وينسب إليهم وادي الغربة هناك، ويقال أنهم من ذرية رجل مغربي، ولهم أقارب في نجد يقال لهم: الغرابية (معجم قبائل الحجاز ص:٣٨٠-٣٨١).

(٥) الخُولَة: بطن من النمور من ثقيف، ينسب إليهم وادي الخولة أحد أودية الهدأة غرب الطائف (معجم قبائل الحجاز ص:١٤٨).

(٦) اللمضة: بطن من النمور من ثقيف (معجم قبائل الحجاز ص:٤٥٥).

(٧) البني: بطن من النمور يسكن الهدأة قرب الطائف (معجم قبائل الحجاز ص:٥٢).

(٨) ذكر محمد صادق باشا في كتابه دليل الحج (ص:٣٥٠): أن ارتفاع الهدى عن سطح البحر بنحو (١٧٥٨) متراً.

(٩) في ما رأيت وما سمعت: والصبر.

(١٠) في الأصل: البرشوم. والمثبت من ما رأيت وما سمعت (ص:٧٥).

(١١) في الأصل: وماؤه. والمثبت من ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق.

قال(١): ومن غريب الصُّدَف أن نزولنا كان في قرية بني صخر، تلك القرية التي لا يزال بعض العارفين يتناقلون أن مولد الحَجّاج بن يوسف الثقفي كان فيها، وهذه القرية بضعة بيوت قديمة ولكنها ليست بأثرية. وقد سألنا من بها عن علاقتهم ببني صخر القاطنين في بلاد الشام فقالوا: إنهم أبناء أعمامنا، وكانت هذه منازلهم، وقد نزحوا منذ عهد طويل على أثر قتال نشب بيننا وبين مجاورينا، ولم يبق منهم هنا غير رجل وعائلته، فأنسل أسرتنا التي ترونها الآن.

ولا ريب في أن قلة عدد بني صخر في الهدى تدلّ على قرب عهد بني عمهم بالجلاء، فإنهم هنا قد لا يزيدون عن الخمسين رجالاً ونساء، فلعل بني صخر الشاميين هاجروا منذ مائتي سنة أو نحو ذلك. وهم يسقون أراضيهم بماء الينابيع والآبار يستخرجونه إلى سطح الأرض بالسَّوَاني، -وهي أبقار تربط بحبال، وتربط في تلك الحبال قِرَب، فتذهب الأبقار خطوات وتعود، فإذا أقبلت على البئر نزلت القِرَب فيه فامتلأت، وبذهابها تصعد القِرَب فتفرغ ماءها في حوض على طرف البئر-.

وفي جوار الهدى جبلان شامخان يسمون أحدهما: (الخبل)(٢)،

---

(١) أي: الزركلي في: ما رأيت وما سمعت (ص:٧٥).

(٢) كذا في الأصل، وفي ما رأيت وما سمعت، ولعله: جبل الحَبَلَة، وهو جبل أحمر ضخم ممتد من الشمال من هدأة الطائف إلى الجنوب قرب شفا هذيل، تسيل منه أودية كثيرة منها: الأعمق في الهدأة، ووادي الغديرين في نخلة الشامية، وعلق في نعمان. ويبعد عن الطائف ١٩ كيلاً غرباً (معجم معالم الحجاز ٢/٢١٣-٢١٤). وانظر: الرحلة النجدية (ص:١٣٣-١٣٤).

والثاني: (شُعاراً)[١]. انتهى.

ومنها: جبال الغِرْبان[٢] والعقيلات[٣].

هذه الجبال واقعة فوق وادي كلاخ[٤]، وهي الحد الفاصل بين قبائل ابن الحارث وقبائل عتيبة، وجبل العقيلات ملجأً للصقور بكثرة، ولا تبيض وتربي أفراخها إلا هناك، ولشهرة طيور هذه الجبال بالقنصة وافتراس الصيد يتوجه بعض العرب الذين لهم شغف بالصيد إلى هذه الجبال، ويأخذون بعض أفراخها الصغار ويربونها عندهم ليصطادوا بها.

ومنها: جبل شُذا.

قريب من وادي دَوْقَة[٥] الذي هو سابع مرحلة من مكة المشرفة جهة اليمن، مشهور بشجر البُنّ الذي لا يوجد مثله في الجودة، وبهذا الجبل أيضاً أشجار الفواكه بكثرة، ومياهه غزيرة، وهو من أحسن الجبال في الخصب والزراعة، وتابع

---

(١) شُعَار: جبل بالهدأة، هو قمتها الغربية التي تشرف على المعسل، يمر الطريق شمالها وغربها، فوقها الرادار اليوم، أحمر بارز (معجم معالم الحجاز ٥/٥٤-٥٥).

(٢) الغربان: جبال سود على الطريق بين الطائف وتربه، غرب الخُمْرة من الحدود القبلية بين عتيبة غرباً وبلحارث شرقاً جنوبياً (معجم معالم الحجاز ٦/٢٣٧).

(٣) العُقَيلات: جبال ذات رؤوس عسرة المرتقى، من مواقع الطيور، ذكر البركاتي أن الصقور في عهده كانت تصاد صغارها من هذه الجبال، وهي حد النفعة من بني سعد من الشرق، كذا قال البركاتي في الرحلة اليمانية (معجم معالم الحجاز ٦/١٤٦).

(٤) كلاخ: قرية وسط وادي كلاخ، وهو واد كثير القرى جنوب الطائف على مسافة ٤٦ كيلاً، وهي تابعة للنفعة وغيرهم من عتيبة، وفي أسفله جبل كنداث فيه قلعة وآثار (معجم معالم الحجاز ٧/٢٢٤، والمعجم الجغرافي ٣/١٢١٩).

(٥) دوقة: واد على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكوا تهامة، بينه وبين يلملم ثلاثة أيام، وهو من أودية القنفذة المأهولة، وفيه قرية بهذا الاسم وتقع جنوب الليث (معجم البلدان ٢/٤٨٥، ومعجم معالم الحجاز ٣/٢٤٠).

لقبائل زهران[١].

ومنها: جبل الفِقْرَة[٢].

في الجهة الغربية للمدينة المنورة بمرحلتين، وهو لقبيلة الأحامدة[٣] من حرب، ومساحة هذا الجبل سير يومين، وهو خصب التربة، ويزرع بسطحه البر والشعير، وبسفحه النخيل بكثرة.

ومن عجائب هذا الجبل: أن النخيل فيه تثمر في العام مرتين، والرطب على الدوام فيه، ويرتفع عن سطح البحر بنحو ألف ومائة وخمسين متراً، وهواؤه جيد للغاية، ويوجد به النخل بكثرة، وعسله[٤] مثل الشفاف من أحسن ما يكون، له رائحة جميلة.

وجنوب هذا الجبل جبل لقبيلة صبح[٥] من حرب، وبه اللوز والنخيل بكثرة، وارتفاعه ألف وأربعمائة متر عن سطح البحر، ومساحته تعادل مساحة جبل الفقرة.

---

(١) زهران: تقع في جنوب الحجاز، وسميت باسم قبيلة زهران التي تسكنها، وتعرف حالياً باسم إمارة الباحة (شبه جزيرة العرب ص: ٧٦).

(٢) جبل ضخم منقاد من الشمال إلى الجنوب، يبدأ قرب وادي الصفراء حيث تسيل منه روافد كبيرة في الصفراء، وجوه معتدل لارتفاعه وهواؤه طيب، يصلح أن يكون مصطافاً لأهل المدينة (معجم معالم الحجاز ٧/٥٥-٥٦).

(٣) الأحامدة: بطن من ميمون من بني سالم من حرب، ديارهم جبل الفقرة، وتحضّر منهم كثيرون في مكة والمدينة وجدة وينبع (معجم قبائل الحجاز ص:١٣).

(٤) في هامش الأصل: عسله صافي شفاف ليس فيه كدرة. وكتبه: محمد نصيف.

(٥) صبح: بطن من بطون ميمون من بني سالم من حرب، ديارهم من وادي العرج وعيقة وبدر إلى الساحل. وكانت لهم مرتبات من الدولتين العثمانية والمصرية، تعطى لهم كل عام لسلامة طريق الحجاز (انظر: معجم قبائل الحجاز لكحالة ٢/٦٢٩، وقلب جزيرة العرب ص: ١٥٠).

ومنها: جبل لجهينة يسمى: رَضْوى[١]، يزرع به النخيل بكثرة، وهواؤه جيد، وارتفاعه كالذي قبله[٢].

وقال السمهودي في خلاصة الوفا[٣]: رَضْوى -بالفتح، كسَكْرى-: جبل على يوم من ينبع وأربعة أيام من المدينة، منه تقطع أحجار المسانّ.

ومنها: جبل يقال له: حَضَن[٤].

شرقي مكة، وهو من الجبال الشهيرة بولاية الحجاز[٥].

ومساحة هذا الجبل من الشرق إلى الغرب عشرة كيلومتراً، ومن الشمال إلى الجنوب خمسة عشر كيلومتراً، وفي سطحه مياه كثيرة وأشجار عظيمة، وهي ملك لقبائل البقوم، وعندما تشبّ الحرب بينهم وبين قبائل عتيبة أو سبيع أو ابن [الحارث][٦] يقيمون بهذا الجبل؛ لأنه حصين، ويتركون إبلهم ومواشيهم ترعى في سطحه حتى ينتهي الحرب، وهو بمثابة حصن لهم[٧]. انتهى.

---

(١) رَضْوَى: جبل بالمدينة، وهو من ينبع على مسيرة يوم، ومن المدينة على سبع مراحل، ميامنه طريق مكة، ومياسره طريق البريراء لمن كان مصعداً إلى مكة (معجم البلدان ٣/٥١). وانظر: معجم معالم الحجاز (٤/٥٤).

(٢) من جبل الفقرة منقول من: الرحلة اليمانية (ص: ١٥٠-١٥١).

(٣) خلاصة الوفا (ص:٢٧٧).

(٤) جبل ضخم شرق الطائف، يُرى من تربة والخرمة ويراه من يسير في الطريق من الطائف إلى نجد على يمينه، ولا يزال لقبيلة البقوم وهم سكانه اليوم، وقد يسمى ضلع البقوم لاشتهاره بهم (معجم معالم الحجاز ٣/٢٣).

(٥) الرحلة اليمانية (ص: ١٥١).

(٦) في الأصل: الحارس. وقد سبقت على الصواب قبل قليل.

(٧) في هامش الأصل: ويقال: من أتى حضن فقد أنجد، بمعنى دخل حدود بلاد نجد، وفي اللغة: كل ما ارتفع عن تهامة فهو نجد. وكتبه: محمد نصيف.
وانظر: معجم معالم الحجاز (٣/٢٤).

الباب الرابع: في ذكر طرق قوافل الحجاج من بعض المواضع إلى مكة المشرفة

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: في ذكر طرق من يقصد الحج من مصر

ذكر البتنوني في رحلته[١] طرق مكة من مصر، وذكر أنها ثلاثة: أحدها: من مصر إلى عيذاب[٢] أو قصير[٣] براً، ومنه إلى جدة بحراً. والثاني: منها إلى السويس[٤] براً، ومنه إلى جدة بحراً. والثالث: منها إلى مكة براً، وهذا نص عبارته:

الطريق القديم والحديث من مصر إلى الحرمين:

كانت مصر ولا تزال طريق المسلمين إلى حج بيت الله الحرام وزيارة نبيّه عليه الصلاة والسلام[٥] في نصف الكرة الأرضية الغربية، باعتبار أن مكة المكرمة هي قلب العالم، أو النقطة المركزية التي تنبعث منها أنصاف أقطار إلى محيط جميع دائرة الأقطار، فالأندلسي الذي كان يسكن في غرب أوروبا، والمغربي الذي في

---

(١) الرحلة الحجازية (ص:١٠٥-١١١).

(٢) عَيْذاب: بليدة على ضفة بحر القلزم، هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد (معجم البلدان ٤/١٧١).

(٣) القصير: موضع قرب عيذاب، بينه وبين قوص قصبة الصعيد خمسة أيام، وبينه وبين عيذاب ثمانية أيام، وفيه مرفأ سفن اليمن (معجم البلدان ٤/٣٦٧).

(٤) السويس: مدينة على الجانب الغربي لخليج السويس، المسمى بالبحر الأحمر، وثغر من ثغور مصر، واقعة شرقي القاهرة، وهي ميناء أهل مصر إلى مكة والمدينة، بينها وبين الفسطاط سبعة أيام في برية معطلة يحمل إليه الميرة من مصر على الظهر ثم تطرح في المراكب، ويتوجه بها إلى الحرمين (معجم البلدان ٣/٢٨٦، والخطط التوفيقية ١٢/٦٩).

(٥) الزيارة المشروعة إنما هي لمسجده صلى الله عليه وسلم كما صح في الحديث: " لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد".

غرب أفريقيا وما دونه من مسلمي البربر، فالسنغال، فبلاد التكرور[١]، والسودان الغربي والشرقي، كانوا إذا قصدوا الحج إلى بيت الله الحرام سافروا من بلادهم إلى مصر بحراً أو براً، وبهذه الغاية كان يقصدها كذلك كثير من أهالي الشام، والترك، والقوقاز، والقريم، وبخارى، وقازان، وغيرهم من مسلمي شمال الروسيا، وسيبريا، وجزائر البحر الأبيض المتوسط، ويجتمع الكل بالقاهرة قبل شهر رمضان، ثم يسيرون منها إلى قوص[٢].

ومسافتها ستمائة وأربعون كيلو متراً، يقطعونها براً، ومن النيل في نحو عشرين يوماً، ثم تسافر قوافلهم منها في الصحراء الشرقية مدة خمسة عشر يوماً يقطعون فيها نحو مائة وستين كيلومتراً إلى عيذاب أو إلى القصير على البحر الأحمر.

وكان كل من هاتين القريتين ميناء [لمصر][٣] الشرقية من قديم الزمان، أي [أنها كانت][٤] من مصر بالأمس مكان ميناء السويس الآن. وكانت الأولى منهما أهم من الثانية، وكلتاهما كانتا في أيدي عرب البجاة[٥] الذين كانوا يتولون

---

(١) تكرور: مدينة على النيل على القرب من ضفافه، أكبر من مدينة سلا من بلاد المغرب (صبح الأعشى ٥/٢٧٥).

(٢) قُوص: مدينة كبيرة عظيمة واسعة، قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً، وهي محطّ التجار القادمين من عدن، وهي شديدة الحرّ؛ لقربها من البلاد الجنوبية (معجم البلدان ٤/٤١٣).

(٣) في الأصل: المصر. وقد صححت بين الأسطر بخط نصيف إلى: لمصر.

(٤) في الأصل: أنهما كانتا. والمثبت من الرحلة الحجازية (ص:١٠٥).

(٥) قبائل البجاة أو البجة، يقال أنهم من البربر، وكانوا يسكنون في صحراء مصر الشرقية من سواكن إلى قرية يقال لها: الخزية، في صحراء قوص، وهذه الصحراء عامرة بمعادن الزمرد والذهب والفضة والحديد، وفيها مغائر وآبار قديمة لاستخراجها، وهي طبعاً من عهد قدماء المصريين، وبعضها من عمل محمد علي باشا والي مصر، وكانت العرب تستخرج منها المعادن وخصوصاً (التبر) في القرن الأول والثاني للهجرة، وذلك باتفاق مع ملك البجة الذي كان مقره أسوان، وكان ينال المسلمين =

نقل الحجاج على إبلهم في [هذه](1) الصحراء.

وكانت أخلاقهم على غاية من الفظاعة، لا شفقه فيهم ولا رحمة، وربما بلغ بهم الأمر إلى تغيير طريق الماء على القافلة لغرض شنيع، وهو أن ركابها يموتون عطشاً فيستولون على متاعهم.

وفي هذه الصحراء قبر العارف بالله أبي الحسن الشاذلي(2)، قرب مكان يقال له: أمتان، توفي فيه سنة ٦٥٦ في طريقه من المغرب الأقصى إلى الحجاز، ودفن به، وكان الحجاج يقيمون في عيذاب أو القصير نحو شهر من الزمان في انتظار الفلايك التي تحملهم إلى جدة، [ويسموها](3): (جلاباً)، -واحدها جلبة-، وهي: سفن صغيرة غير محكمة الصنع، وشراعها في الغالب من الحصير، وكان أصحابها يتعسفون بالحجاج فيشحنوها بأكثر من حمولتها، وكثيراً ما كانت تغرق في وسط البحر بمن فيها من الحجيج، ومن وصل به إلى جدة وصلها في نحو أسبوعين يتقلب في أثنائها بين تحكم الملاح، وتبرم الرياح، وانزعاج الماء، واضطراب الهواء.

ولقد حج من هـذا الطريق ابن جبير الأندلسي سنة ٥٩٧هـ، فقطع المسافة بين القاهرة وجدة [في](4) نحو شهرين ونصف، قضاها في أسوأ حال بين

= منه ومن قومه أذى كبير، فأرسل المأمون إليه عبدالله بن الجهم فكانت له معهم وقائع (انظر: هامش الرحلة الحجازية ص:١٠٥ وما بعدها).

(١) في الأصل: هذا. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من الرحلة الحجازية (ص:١٠٦).

(٢) هو صاحب الطريقة الصوفية ويؤخذ عليها أنها انحرفت بسالكيها عن الطريق السوي، قال الإمام الذهبي: له عبارات في التصوف توهم، ويتكلف لـه في الاعتذار عنها. الموسوعة العالمية الميسرة في الفرق والأديان المعاصرة: ١/٢٧٥.

(٣) في الأصل: ويسمونه. والتصويب من الرحلة الحجازية، الموضع السابق.

(٤) قوله: "في" زيادة من الرحلة الحجازية (ص:١٠٧).

مشقات وأهوال مما هو مبين في رحلته.

وفي سنة ٧٢٥هـ سافر ابن بطوطة من مصر إلى عيذاب، ولكنه لم يجد فيها مركباً تحمله إلى جدة مع من قصدها من الحجاج؛ لأن السفن التي كانت بمينائها أحرقت في واقعة حصلت هناك بين الترك وعرب البجاة، فعاد منها إلى مصر، ومنها إلى بلاد الشام، ثم إلى بغداد، وسافر منها مع المحمل العراقي في السنة التالية(١).

وكان يسكن في قرية عيذاب حاكم بدوي من طرف شيخ قبائل الباجه، وآخر تابع لحاكم مصر، وكانا يأخذان عوائد مرور عشر جنيهات عن كل حاج مغربي، وسبعة على الحجاج الآخرين، ويقتسمان ما يتحصل بينهما وبين أمير مكة، واستمرت هذه المكوس حتى أبطلها صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٨٩هـ زمن الشريف مكثر بن عيسى، ورتب له شيئاً عوضاً عن نصيبه، ثم أعادها الأشراف من بعده على الداخلين من الحجاج إلى مكة، حتى ألزم الملك الناصر محمد بن قلاوون الشريف عطيفة بن أبي نمي سنة ٧٢١ بإبطالها في نظير ما رتّبه إليه من القمح الذي كان يحمل إليه في مكة كل سنة، ومازال طريق قصير هو الطريق الوحيد للحاج المصري من القرن الأول إلى سنة ٦٤٥هـ التي سافرت فيها شجرة الدر مع قافلة الحاج إلى مكة لأول مرة عن طريق البر على العقبة.

وفي سنة ٦٦٠هـ أخذ هذا الطريق الأخير أهمية، حيث سيّر الظاهر بيبرس البندقداري قافلة الحاج منه، وأرسل معها الكسوة التي عملها للكعبة والمفتاح الذي أمر بصنعه لبابها الشريف، ومن ثم أخذ يقلّ ذهاب الحجاج عن طريق عيذاب، ولكنها استمرت طريقاً للتجارة بين الشرق والغرب.

---

(١) انظر: رحلة ابن بطوطة (١/٦٨).

ويظهر أن عيذاب ابتدأت تسقط أهميتها شيئاً فشيئاً بنسبة زيادة أهمية القصير، نظراً لأن لها خليجاً طبيعياً يجعل مياهها على الدوام في أمن من التغيرات البحرية حتى تلاشى أمرها بالمرّة، ولا تزال أنقاضها في جنوب القصير بمسافة عشر كيلومتر.

ولقد اهتم العزيز محمد علي باشا بطريق القصير عند سوق العساكر المصرية إلى بلاد الحجاز لحرب الوهابية[١]، فمهّد سبله، وأصلح آباره، واستمرت عنايته به بعد ذلك لاشتغاله باستخراج ما فيه من معادن الذهب والنحاس، وهذا الطريق مطروق إلى الآن، وبه دروب كثيرة تسمى: مطارق، وأول محطة له بئر عنبر، ويسير إليها المسافر من قنا[٢] أو من قِفْط[٣]، وهذه البئر كانت ساقية قديمة أصلحها المرحوم إبراهيم باشا نجل محمد علي باشا، وبنى بجوارها سبيلاً لسقيا المواشي، وإلى جانبها مكاناً له قباب معقودة لاستراحة المسافرين، وقرر في الرزنامجة إلى خادم هذا البئر ستة جنيهات سنوياً، لا تزال تصرفها المالية إلى من يقوم بأمرها، ومن هناك يسير الطريق إلى الشمال الشرقي في درب يسمى: مطرق جيف الكلاب، لأن هناك مغاير مصرية قديمة كان بها جثث كلاب كثيرة محنطة، حتى يصل إلى محطة اللقيطة، ويقيم بها أناس من قبيلة العشابات من عرب العَبابدة، وهم فخذ من البجاة، وفي هذه المحطة نخيل وجملة

(١) يقصد الدعوة المباركة التي نادى بها الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

(٢) قنا: مدينة بالصعيد لطيفة، بينها وبين قوص يوم واحد (معجم البلدان ٤/٣٩٩).

(٣) قفط: سميت بقفط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام. وهي وقف على العلوية من أيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والغالب على معيشة أهلها التجارة والسفر إلى الهند، وبينها وبين قوص نحو الفرسخ، وفيها أسواق وأهلها أصحاب ثروة (معجم البلدان ٤/٣٨٣).

آبار بعضها من عهد البطالسة[1]، ولا يزال الطريق حتى يصل إلى محطة الوكالة، وبها آثار قديمة، ومنها يسير في مطرق يسمى: مطرق جيف العجول، وهناك مغاير كانت بها عجول كثيرة محنطة من التي كان يقدّسها قدماء المصريين، ثم في مطرق الحمامات، وفيه خزانات مياه طبيعية، ثم في مطرق الكافر، وفيه آثار فرعونية، وبئر حلزونية من الرخام ينزل إليها بمائة وثلاثة وأربعين درجة، ومن هناك يستمر الطريق إلى بئر الإنكليز التي حفروها عندما وصلت جنودهم بحراً إلى القصير، ومنها ساروا إلى تلك الجهة متعقبين عساكر الفرنساويين وقت احتلالهم لمصر، وماء هذا البئر يبعد عن سطح الأرض بنحو أربعة أمتار، ومنها يسير الطريق إلى العنبجة، وبها نبع معدني مياهه كبريتية، ويقصده بعض الناس للاستشفاء به، وهناك مستنقعات كثيرة ينبت فيها السمار، والحكومة تبيعه سنوياً للمصريين، ومنها يستمر الطريق إلى القصير.

ولقد كانت هذه المدينة في القرن الماضي عامرة آهلة بالسكان الذين كانوا يزيدون عن عشرين ألف نفس، وكانت من ضمن محافظات القطر المهمة.

وما زالت طريق القصير مستعملة للتجارة حتى عملت السكة الحديدية من القاهرة إلى السويس في مدة سعيد باشا عوضاً عن العربات التي كان سيّرها محمد علي باشا سنة [١٨٤٥غ][2] بواسطة الخيل في طريق الصحراء لحمل

---

(١) البطالسة أو البطالمة: هم ملوك اليونان، كان كل ملك منهم يلقب بَطْلَيْمُوس (صبح الأعشى ٤٧٦/٣).

(٢) في الأصل: (١٠٨٤٥). والمثبت من الرحلة الحجازية (ص:١٠٨).

السياح من القاهرة إليها، ومع كل فقد استمرت القصير ميناء مهمة بين مصر العليا والحجاز تنقل منها الحبوب إلى جدة، وينقل من هذه إليها: السجاد، والفلفل، والبن، والسنا المكي، وخلاف ذلك من واردات الهند وغيرها، وكانت لها سوق كبيرة في قنا، حتى إذا حفر قنال السويس وصارت ترسل كل هذه المحاصيل إلى أوربا رأساً قلّت أهميتها، وأصبحت من نحو عشرين سنة مأمورية صغيرة تابعة لمديرية قنا، وكان بعض الحجاج يسافرون من السويس إلى جدة بواسطة المراكب الشراعية، فيقطعون مسافتها في نحو عشرين يوماً، ولكن غالبهم كان يسير براً عن طريق العقبة مع المحمل أو مع غيره من القوافل التي كانت تقوم بها عربان مصر من أولاد علي وغيرهم، فيصل إلى مكة في نحو خمسين يوماً.

وأول من رتب ركب الحاج على هذا الطريق وعقبه عند رحيلهم من البركة الأمير جمال الدين الأستادار، عندما سافر ولده شهاب الدين [أميراً][1] للمحمل سنة ٨٠٩، فكان إذا وصل الركب إلى عجرود[2] -وهي محطة قبيل السويس- يأمر الأمير بكتابة أكابر الحاج، ويرتب كلاً في مكان معين من القافلة بجماله وذويه وخدمه، ثم يجمع الركب من الطليعة إلى الساقـــة، ويضبط أطرافه ونواحيه بجماعة من العساكر، بعد أن يسير أصحاب الحمول والأموال في وسط الركب.

وطريق البرّ شاق جداً، وخصوصاً في المنطقة التي بين السويس والعقبة،

---

(١) في الأصل: أمير. والتصويب من الرحلة الحجازية (ص:١٠٩).

(٢) عجرود: منزلة من منازل الحاج على طريق الحاج المصري في الجنوب الغربي من السويس على مسافة عشرين كيلو متر منها، ومن هناك كان يرجع المرضى والمنقطعون والمشيعون (الرحلة الحجازية ص:١٠٩-١١٠).

وهي لا تقلّ عن ثلثمائة [كيلومتراً][١]، كلها أرض رملية ناعمة [تسوخ][٢] فيها أخفاف الجمال قبل أقدام الرجال، ولا يهتدون فيها إلى الطريق إلا بواسطة نواطير[٣] أشبه شيء بطواحين الهواء أقيمت لهذه الغاية.

وماء هذا الطريق قليل، وعناؤه كثير، وقد كان في بعض القرى التي عليه مخازن للميرة والذخيرة، ومؤن الجمال وأمتعة الحجاج الذين كانوا يرسلونها إليها قبل سفرهم على سبيل الأمانة في نظير أجرة مخصوصة.

وبالجملة فإنا نورد لك أسماء المحطات التي كان يقطعها الحاج في طريق البر من القاهرة إلى مكة، ومسافة الركوب بين كل محطة والتي تليها بقافلة المحمل التي هي أسرع من القوافل الأخرى لانتظام سيرها، وإحكام أمرها وجودة جمالها:

---

(١) في الأصل: كيلومتر. والتصويب من الرحلة الحجازية (ص:١٠٩).
(٢) في الأصل: تسوح. والتصويب من الرحلة الحجازية، الموضع السابق.
(٣) وهي ثلاثمائة عمد من الحجر بين ترعة السويس وشرفة وادي الحاج، بين كل عمود وآخر مسيرة ساعة، وقد نصبت هناك لهداية الحاج من ذلك التيه. كذا في تاريخ سيناء. (غازي).
وفي كتاب دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج (ص:٢٦٥): الناطور مبني بالحجر الزلط فوق تل من رمل كهيئة طاحون الهواء، عرضه ثلاثة أمتار، وارتفاعه أربعة، والناطور الثاني هو على شكل العمود، ارتفاعه ثلاثة أمتار، مبني بحجر النحت، والناطور الثالث مثل الثاني، جُعلت هذه النواطير في هذا الوادي المتسع إعلاماً ليستدل المسافر على الطريق. انتهى.

أسماء المحطات التي كان يقطعها الحاج عن طريق البر من القاهرة إلى مكة

ساعة	من القاهرة
٦	إلى بركة الحاج.
١٤	إلى الدار البيضاء، وبها قصر عباس باشا الأول، ويليها الدار الخضراء.
١٢	إلى عجرود، وتوجد في الجنوب الغربي من السويس على مسافة عشرين كيلومتراً منها، ومن هناك كان يرجع المرضى والمنقطعون [والمشيعون][1].
٨	إلى الناطور الأول والثاني والثالث، والأرض في هذه المسافة رملية ناعمة متنقلة من جهة إلى جهة أخرى عند هبوب الرياح بشدة.
٦	إلى العلوة.
١١	إلى جنادل حسن، وأرضها رملية.
١٢	إلى قرية نَخِل[2]، وفيها نخل وشجر وقلعة وخان من عمل الغوري، وساقية من عمل الملك الناصر حسن، وإلى جانبها ثلاثة أحواض تسع ٣٠٠٠ قربة، تملأ في زمن الحج. وكان يرسل إليها أربعة من الثيران من طرف الحكومة، فلا تزال تدور في الساقية لملء الحيضان حتى ترجع مع قوافل الحاج إلى مصر.
١٢	إلى بئر قُرَيِّصْ، وسميت أخيراً بئر أم عباس، لأن والدة عباس باشا الأول أصلحتها، وماؤها عطن.

(١) في الأصل: والمتشيعون. والتصويب من الرحلة الحجازية (ص: ١١٠).

(٢) بكسر النون والخاء. اهـ دليل الحج (ص:٢٦٧).

وقال العلامة محمد صادق باشا في كتاب دليل الحج[(١)]: بئر أم عباس مبنية بالحجر ليس بها عدة للملء، عمقها (١٦) متراً، وبجانبها حوض كبير طوله (١٥) متر في عشرة، وعمقه ثلاثة أمتار، وهي خربة معطلة، ماؤها مُرّ جداً لعدم النزح، لانقطاع مرتبها، فلذا تحمل الحجاج المياه اللازمة لهم من نِخِل. انتهى.

ساعة	من القاهرة
٧	إلى العقبة، ويصعد إليها المسافر بمنحدر من مسافة طويلة من الغرب، حتى يصل إلى قمتها، [فإذا][(٢)] أراد أن ينزل إلى الجهة الشرقية، صار نازلاً صاعداً، وصاعداً نازلاً في أرض حجرية تارة، وأخرى رملية ناعمة، وأخرى خشنة أو زلطية، إلى أن يمر في مضيق لا يسع إلا جملاً جملاً، ويسمى قطع لاز. وطريق هذا القطع حلزوني تقريباً، أصلحه ابن طولون في القرن الثالث الهجري، ثم محمد بن قلاوون في القرن الثامن، ثم عباس باشا الأول في القرن الثالث [عشر][(٣)]. ومع ذلك فإن المسافر فيه لا بد أن ينزل عن دابته، ويسير على قدمه حتى يقطع العقبة في ست ساعات نزولاً، وضعفها صعوداً.

(١) دليل الحج (ص:٢٦٨).
(٢) في الأصل: وإذا. والمثبت من الرحلة الحجازية (ص:١١٠).
(٣) قوله: "عشر" زيادة من التاريخ القويم (٢/٢٥٤). وقد كتب في هامش الأصل: لعله: الثالث عشر.

من القاهرة	ساعة
ومن دون هذه العقبة قرية العقبة ويسموها أيلة، وهي قرية صغيرة في أيدي عرب الحويطات، وفيها قلعة بناها السلطان مراد الرابع بها بعض الجنود لحراستها، وعدد سكانها لا يزيد عن مائة نفس، وفيها نخيل وأشجار، وماؤها حلو، ويزرع بها الخضراوات. وبين العقبة ومعان نحو مائتي [كيلومتراً][1] شرقاً، والطريق ضيقة، وتخترق [جبال][2] السراة التي يكسوها الجليد طول الشتاء. وبينها وبين المقدس شمالاً بغرب نحو ثلثمائة كيلومتراً في صحراء قليلة المياه، وطريقها وعر. وبينها وبين السويس نحو ثلثمائة كيلومتراً.	

انتهى كلام البتنوني.

وذكر الفاضل نعوم بك شقير في تاريخ سيناء[3]: مدينة العقبة: هي مدينة صغيرة في رأس خليج العقبة على نحو (١٩٠) ميلاً من السويس بطريق البحر، و(١٥٠) ميلاً بطريق البر. وهي مدينة حديثة العهد، قائمة على أنقاض مدينة أيلة الشهيرة، فيها قلعة قديمة ونحو مائة كوخ، مبنية بالحجر الغشيم والطين، يسكنها نحو (٣٥٠) نفساً من متخلفي العساكر الذين كانت مصر ترسلهم

---

(١) في الأصل: كيلومتر. وكذا وردت في الموضعين التاليين، والتصويب من الرحلة الحجازية (ص:١١١).

(٢) في الأصل: جبل. والمثبت من الرحلة الحجازية، الموضع السابق.

(٣) تاريخ سيناء (ص:١٩٣-١٩٤).

لحماية القلعة، وينتابها مشايخ الحويطات العلويين، والبلدة قائمة على تلة وسط حديقة متسعة من النخيل تمتد شمالاً وجنوباً على شاطئ الخليج مسافة ميل أو أكثر. وفي البلدة والحديقة آبار عذبة الماء يزرع عليها أنواع الخضر؛ كالبامية، والملوخية، والباذنجان، والطماطم ونحوها.

وقد دخلتْ العقبة في حدّ الحجاز، وعظم شأنها بعد [حملة][(١)] الدولة الأخيرة [على اليمن][(٢)] فصارت محطة للعساكر، ومُدَّ إليها خط التلغراف من معان، ومُدّت سكة الحديد الحجازية من دمشق إلى المدينة، وكان في النية مدّ فرع إلى العقبة من معان، وكانت العقبة محطة من محطات الحج المصري أيام كانت طريق الحاج تمر بسيناء، وكان حجاج [جنوب][(٣)] سوريا يأتونها بدرب غزة فيجتمعون فيها مع الحج المصري، ويجيء مع حجاج سوريا نفر من التجار ومعهم الحبوب وأنواع الفاكهة والخضر والمأكولات بقصد بيعها على الحجاج، ولكن انقطعت درب غزة بانقطاع درب سيناء، ولم يعد يمرّ بها سوى بعض تجار الإبل بين الحجاز والشام.

وقال اليعقوبي: مدينة أيلة مدينة جليلة على ساحل البحر الملح، وبها يجتمع حاج الشام وحاج مصر والمغرب، وبها التجارات الكثيرة، وأهلها أخلاط من الناس. انتهى.

---

(١) في الأصل: حمل. والمثبت من تاريخ سيناء (ص:١٩٣).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من تاريخ سيناء، الموضع السابق.

(٣) قوله: "جنوب" زيادة من تاريخ سيناء (ص:١٩٤).

وقال البتنوني[١]: وفي العقبة يفصل أمير الحاج جميع المقطوعين الذين لا يمكنهم الاستمرار على السفر لمرضهم أو لفقرهم، ويعطيهم المؤونة اللازمة من البقسماط[٢]، ثم يستأجر لهم سنبوكاً يسيره بهم إما إلى مصر أو إلى جدة، وكثيراً ما كانوا يصلونها بعد نزول الناس من عرفة، ومن العقبة يتجه الحاج إلى جهة الجنوب.

ساعة	إلى
٩	ظهر حمار، وفي طريقها مضيق بين جبلين على البحر، لا يسع إلا جملاً جملاً.
١٤	الشرفا، ويسمونها أم العظام.
١٢	مغاير شعيب، وبها نخل وبساتين ومياه عذبة.
١٤	عيون القصب، وبها ماء ونخل وشجر سنط وعبل.
١٢	المويلح، وفيها قلعة أنشأها السلطان سليم العثماني، بها بعض الجند لحراستها، ومناخها رطب غير جيد للصحة، وسكانها يتجرون في الفحم الذي يصنعونه من شجر الطرفا الذي ينبت بكثرة في الوديان المجاورة لها. ومنها طريق إلى تبوك مسافة مائة كيلو متر.

---

(١) الرحلة الحجازية (ص: ١١٠-١١٣).

(٢) البقسماط: اسم لنوع من الخبز، يخبز ويجفف، ويسمى في المغرب: بُشماط (المعجم الوسيط ٦٥/١).

ساعة	إلى
١٢	سلمى (كفافة) وفي طريقها مضيق شق العجوز، تسير فيه الجمال جملاً جملاً، وبهذا الوادي شجر الدوم والسنط والطرفا.
١٢	اصطبل عنتر، وهو مكان متسع محاط بالجبال، وفيه ثلاثة آبار.
١٢	الوجه، وهو قرية على عرض (٢٦) درجة و(١٤) دقيقة، وطول (٣٦) درجة و(٢٧) دقيقة، وفيها نحو أربعين بيتاً صغيراً، وعدد أهلها لا يزيد عن خمسمائة نفس كلهم تقريباً عائلة واحدة تسمى عائلة: البديوي. ويشرف على القرية تلّة من ورائها، عليها قلعة حصينة، وفي هذه القرية على صغرها ثلاثة مساجد، يقصدها في أيام الجمعة كثير من العربان التي في ضواحيها من قبيلة بلِي. وكانت لقرية الوجه أهمية عندما كان يمرّ عليها ركب المحمل مدة سفره على البر، فقد كانت تنصب فيها الأسواق، وتفرّق فيها العوائد على العربان. أما الآن فحياة أهلها من صيد الأسماك، وتجارة السمن، والأصواف التي تأتي إليها من وراء الساحل، والفحم الخشبي الذي يؤتى به من داخل البلاد، وأغلب تجارتها مع السويس، ومنها تقوم إليه في كل خمسة عشر يوماً بوسطة على إحدى مراكب الشركة الخديوية.

ساعة	إلى
	ولما كانت الوجه محطاً لرحال المحمل المصري وممراً للحجاج المصريين كانت إدارتها وما وليها شمالاً من المويلح وضبا والعقبة في يد الخديوية المصرية، وكان يعين عليها محافظ من طرف حكومة مصر مع قاضي للنظر في الأحكام الشرعية، وكان بها جند يحرسون الطرق، حتى إذا انقطع الحج من هذا الطريق عادت إدارة هذه البلاد إلى الدولة العلية[1]. ومن الوجه تنشعب الطريق إلى العلا شرقاً، وإلى ينبع جنوباً، وإلى المدينة المنورة جنوباً بشرق.
١٦	عكرة، ولا ماء فيها.
١٢	الحنك، ولا ماء فيها.
١٢	الحوراء، وفيها مضيق تسير فيه الجمال جملاً جملاً، وأرضها ذات رمل ناعم.

وقال العلامة الموسوي[1]: الحوراء: ساحل خليج القلزم المعروف ببحر السويس، تشتمل على أشجار ملتفة، وبها شجر الأراك[2] وأطيار متنوعة، إلا أن ماءه في غاية الكدورة مفرط في الاسهال.

(١) الرحلة الحجازية (ص: ٢٨٣).

(٢) رحلة الشتاء والصيف (ص:١٣، ١٤).

(٣) الأراك: واحدته أراكة، وهو شجر المسواك، نبات شجيري من الفصيلة الأراكية كثير الفروع، خوار العود، متقابل الأوراق، له ثمار حمر دكناء تؤكل، ينبت في المناطق الحارة (المعجم الوسيط ١/ ١٤).

وقال العلاّمة محمد صادق باشا[١]: في الحوراء عين ماء عذب تجري إلى بقعة يتخللها النخيل كجنة وسط هذه الصحراء، يرى البحر بعيداً عنها بمسافة نصف ساعة، وبها أعراب يبيعون التمر، والعسل، والحشيش للدواب. انتهى.

ساعة	إلى
١٥	الخضيرة، وفيها معادن نحاسية وأرضها صلبة.
١٠	ينبع، ويدخلها المحمل [واكباً][٢] باحتفال عظيم، وهي ثغر المدينة المنورة على البحر الأحمر.

وفي كتاب دليل الحج لمحمد صادق باشا[٣]: بلدة ينبع على البحر، والوابور يرسو على بعد (١٥٠) متراً في الرصيف، وبها (٨٠٠) بيت، وسوق يباع بها كل شيء يلزم للحجاج، وبعض خضراوات، وبها نحو (٥٠٠٠) نفس، وأغلب تجارها من مصر والصعيد، وعند موسم الحج تأتي إليها العرب للتجارة، وأما في غير أوان الحج فلا يوجد بها شيء وتصير كالخراب، وتحمل إليها الغلال من مصر لترسل إلى المدينة، وبها شونة كبيرة، وبرج به مدفع من نحاس، وعشرة طوبجية من الترك، وبها محل [للكرنتينة][٤] مبني في غاية الانتظام. انتهى.

وقال العلامة إبراهيم رفعت باشا[٥]: ينبع البحر واقعة على 24° و ٥ دقائق

---

(١) دليل الحج (ص:٢٨٧).

(٢) قوله: "واكباً" زيادة من الرحلة الحجازية (ص:١١٢).

(٣) دليل الحج (ص:٢٨٩).

(٤) في الأصل: لكرنتينة. والتصويب من دليل الحج، الموضع السابق.

(٥) مرآة الحرمين (٢/١٢-١٣).

عرضاً شمالياً، وعلى °36 طولاً شرقياً، وهي على الساحل الشرقي للبحر الأحمر غربي المدينة، وهي فرضتها التجارية، والمسافة بينهما مسيرة (٥٩) ساعة من طريق ينبع السلطاني، ولها مرسى مبني بالحجارة، ويسكنها (٧٠٠٠) نفس، وبها (٨٠٠) منزل، و(٣٠٠) دكان، وثلاثة جوامع، وتسعة مساجد صغيرة، ومكتب للتعليم، ودار للحكومة، وأخرى للبريد، ومخزن كبير، وصهاريج يتجمع بها ماء المطر، وفيها ينابيع ماء لكنها قليلة الغَناء، وتجلب لها المياه من محل يسمى: [المسيحلي][1] على [مسير][2] خمس ساعات، وجوّها رطب، ويحيط بها سور به باب مخفور في الجهة الشمالية، وهذا السور بناه دولة المشير عثمان باشا نوري الذي منع الأعراب من الدخول في هذه البلدة مسلّحين، بل يضعون سلاحهم في المخفر، ثم يدخلون ويأخذونه بعد الخروج، ومكتوب على السور الأبيات الآتية:

سلطاننا عبدالحميد له الهنا ... أمنت بسعد رجاله الأوطان

لا سيما عثمان والينا الذي ... بوجوده وادي الحجاز أمان

قد شاد سوراً حول ينبع لم يزل ... أثراً له ما دامت الأزمان

قلنا وقد لاح المؤرخ ناجزاً: ... قد حصّن سور ينبع عثمان

وكان قبل هذا السور سور آخر جدّده عثمان آغا بأمر دار السعادة في سنة ١١٢٦، وقبل السورين سور آخر أمر بهدمه في سنة ١٠٧٩ الشريف سعد صاحب مكة. انتهى.

---

(١) في الأصل: المسجلي. والمثبت من مرآة الحرمين (١٣/٢).

(٢) قوله: "مسير" زيادة من مرآة الحرمين، الموضع السابق.

ساعة	إلى
١٨	السقيفة، وماؤها مالح.
١٠	مستورة، وماؤها حلو.
١٤	رابغ، وهي قرية بينها وبين البحر نصف ساعة، وفيها قلعة بها بعض الجند لحراستها، وفيها مخازن تحفظ بها مؤن ركب المحمل وذخائره، وفيها صهاريج عذبة، وهي الميقات لمكة، ومنها تتفرع الطريق إلى المدينة ثلاثة أفرع: الطريق السلطاني، والطريق الفرعي، وطريق الغاير.
١٢	بئر الهندي أو القضيمة، وهي قرية على البحر، ماؤها ملح، ومنها يتجه الطريق إلى الجنوب الشرقي.
٠٦	خليص، وبالقرب منها عيون ماء كثيرة يحيط بها مزارع وبساتين.
٠٨	عسفان، وهناك بئر [ماؤها](١) حلو يسمونها: بئر التفلة، ويقولون إن ماؤها كان مُرّاً، فتفل فيه النبي ﷺ فصار عَذْباً، وفي طريقها ممران على طول نحو كيلومتراً لا يسعان إلا جملاً جملاً.
١٥	وادي فاطمة، (وادي مَرّ، أو مرّ الظهران).
[٤](٢)	مكة المكرمة.
٣٣٧]	المجموع](٣)

---

(١) في الأصل: ماؤه.
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من الرحلة الحجازية (ص:١١٣).
(٣) مثل السابق.

وعلى حساب أن الجمل يقطع في الساعة الواحدة أربعة كيلومترات، تكون المسافة من مصر إلى مكة من طريق البر ألفاً وأربعمائة كيلومتر تقريباً، كانوا يقطعونها في نحو أربعين يوماً على الأقل.

أما الآن، فالحاج المصري يركب السكة الحديدية إلى السويس، ويبحر منها إلى جدة بغاية الراحة، ومنها إلى مكة، فَيَصِلُ إليها في أقل من أسبوع، ومن الناس من يسافر إلى المدينة أولاً بطريق السكة الحديدية الحجازية، وبعد الزيارة يسافر مع القافلة إلى مكة، أو يرجع إلى مصر ومنها إلى جدة، ومنهم من يسافر بعد الحج إلى المدينة بطريق البر، ومنها يعود إلى ينبع فالطور، أو يركب السكة الحديدية الحجازية إلى الشام[١].

الفصل الثاني: في ذكر طرق من يقصد الحج من الشام

ذكر المؤرخ الفاضل نعوم بك الشقير في تاريخ سيناء[٢] طرقاً متعددة من الشام إلى مصر، وكان كثير من أهل الشام يأتون للحج من إحدى هذه الطرق إلى مصر، ثم من هناك إلى مكة براً من الطريق الذي مرّ ذكره، فمن تلك الطرق:

طريق الفرما

هي أول مدن مصر، وبها أخلاط من الناس، بينها وبين البحر الأخضر[٣] ثلاثة أميال، وهي أقدم الطرق بين مصر وسوريا، وهي تنشأ من القنطرة التي

---

(١) انظر: التاريخ القويم (٢/٢٥٠-٢٥٥).

(٢) تاريخ سيناء (ص:٢٤٩-٢٥٥).

(٣) البحر الأخضر: هو البحر المحيط، وقد سماه أرسطاطاليس في رسالته الموسومة ببيت الذهب أوقيانوس، وهو محيط بالدنيا جميعها كإحاطة الهالة بالقمر، ويخرج منه شعبتان؛ إحداهما بالمغرب، والأخرى بالمشرق، فأما التي بالمشرق فهي بحر الهند والصين وفارس واليمن والزنج، والشعبة الأخرى في المغرب تخرج من ثم سلا، فتمر بالزقاق الذي بين البر الأعظم من بلاد بربر المغرب وجزيرة الأندلس وتمر بإفريقية إلى أرض مصر والشام إلى القسطنطينية (معجم البلدان ١/٣٤٤).

هي بلدة صغيرة في طريق العريش على شاطئ الترعة الشرقي على نحو (٣٣) كيلو متراً من الإسماعيلية، و(٤٥) كيلو متراً من بورسعيد إلى رفح الذي هو أول حدّ مصر الشرقي من جهة البحر المتوسط، وطول هذه الطريق من القنطرة إلى رفح نحو (٣٤) ساعة.

أمكنة الطريق مع ذكر المسافة التي بينه وبين المكان الذي قبله

من القنطرة		إلى
دقيقة	ساعة	
١٠	١	أم كرش
١٠	١	تلة هُرُبَّة
١٠	١	تل الحير
٣٠	١	تل الفضة
٤٠	١	المحمدية
٤٠	١	الفنطاس الكبير
٣٠	٣	الفنطاس الصغير
..	٤	الكليخة
٣٠	١	بركة الجمل
..	١	فم الزرانيق
٢٠	٤	بئر المساعيد

دقيقة	ساعة	إلى
من القنطرة		
..	١	النبي ياسر
..	٣	الخروبة
٣٠	..	المصيدة
٣٠	١	الزعقة
٣٠	..	الحنظلة
٤٥	..	عسلوج
٢٠	..	أم لوف
١٥	..	أبو شنار
٣٠	١	ميناء رفح
٣٤		المجموع

طريق العريش

وهي أروج الطرق الآن من سوريا إلى مصر، تبدأ من القنطرة إلى رفح.

مسافات طريق العريش

دقيقة	ساعة	إلى
من القنطرة		
١٠	١	وادي أم كرش
٢٠	..	تل [حبوة][1]

(١) في الأصل: حيوة. والتصويب من تاريخ سيناء (ص:٢٥٥).

من القنطرة		إلى
دقيقة	ساعة	
٢٠	١	بئر الدويدار
..	٢	بئر النصف
..	٢	سبخة قطية
٢٠	..	بئر قطية
٣٠	..	بئر الحسون
٣٠	١	برصة معن[١]
٢٠	١	بئر العفين
..	١	بئر العبد
١٥	١	ثميلة مبروكة
٥	١	الخشوم
٣٠	١	رجم عمورية
٣٠	١	سبخة أبو تلول
٣٠	١	سبخة المخيزن
..	١	سبخة سبيكة
٣٠	١	تل أبو مزروع
٤٥	..	رجم البردويل
..	٢	بئر المساعد
..	١	مدينة العريش

(١) في هامش الأصل: هي كثيب من الرمل الأبيض.

من القنطرة		إلى
دقيقة	ساعة	
٣٠	٢	الخروبة
٣٠	..	المكسر
٤٠	١	الشيخ زويد
..	٢	رفح

مجموع المسافة من القنطرة إلى العريش:		
دقيقة	ساعة	
٣٥	٢٤	
مجموع المسافة من القنطرة إلى رفح:		
دقيقة	ساعة	
١٥	٢٩	

طريق دمشق

ذكر العلامة أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خُرداذَبه في كتاب المسالك والممالك[1] في وصف طريق دمشق فقال:

وصفة الأرض والطريق من دمشق إلى الكُسْوة[2] اثنا عشر ميلاً، ثم إلى

(١) المسالك والممالك (ص:٧٨، ٨٠).

(٢) الكسوة: قرية تنـزلها القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. وقد سميت بذلك؛ لأن غسان قتلت بها رسل ملك الروم لما أتوا إليهم لأخذ الجزية منهم واقتسمت كسوقم (معجم البلدان٤/٤٦١).

جاسم[١] أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى فيق[٢] أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى طبرية[٣] مدينة الأردن ستة أميال، ومن طبرية إلى اللَّجُون[٤] عشرون ميلاً، ثم إلى القَلَنْسُوة[٥] عشرون ميلاً، ثم إلى الرَّمْلة[٦] مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى [أزدود][٧] اثنا عشر ميلاً، ثم إلى غزة[٨] عشرون ميلاً، [ثم إلى رَفَح[٩] ستة عشر ميلاً][١٠]، ثم إلى العَرِيش[١١] أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى

---

(١) جاسم: قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الأعظم إلى طبرية، انتقل إليها جاسم ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام أيام تبلبلت الألسن ببابل فسميت به (معجم البلدان٢/٩٤).

(٢) فيق: مدينة بالشام بين دمشق وطبرية، ويقال لها أيضاً: أفيق (معجم البلدان ٤/٢٨٦).

(٣) طبرية: بليدة من أعمال الأردن، في طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهي في طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها (معجم البلدان ٤/١٧).

(٤) اللجون: بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلاً، وإلى الرملة أربعون ميلاً، وفي اللجون صخرة مدورة في وسط المدينة وعليها قبة زعموا أنها مسجد إبراهيم عليه السلام وتحت الصخرة عين غزيرة الماء (معجم البلدان ٥/١٣).

(٥) القلنسوة: حصن قرب الرملة من أرض فلسطين، قتل بها عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان، وعمرو بن أبي بكر، وعبد الملك وأبان ومسلمة بنو عاصم، وعمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان، ويزيد ومروان وأبان وعبد العزيز والأصبغ بنو عمرو بن سهيل بن عبد العزيز، حملوا من مصر إلى هذا الموضع وقتلوا فيه مع غيرهم من بني أمية (معجم البلدان ٤/٣٩٢).

(٦) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت قصبتها قد خربت الآن، وكانت رباطاً للمسلمين (معجم البلدان ٣/٦٩).

(٧) في الأصل: أزرود. والتصويب من المسالك والممالك (ص: ٨٠).

(٨) غزّة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان (معجم البلدان ٤/٢٠٢).

(٩) رفح: في طريق مصر بعد الداروم، بينه وبين عسقلان يومان للقاصد مصر (معجم البلدان ٣/٥٤).

(١٠) ما بين المعكوفين زيادة من المسالك والممالك (ص: ٨٠).

(١١) العريش: مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل (معجم البلدان ٤/١١٣).

الوَرَّادة[١] ثمانية عشر ميلاً، [ثم إلى الثعامة ثمانية عشر ميلاً][٢]، ثم إلى أم العرب[٣] عشرون ميلاً، ثم إلى الفرما[٤] أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى جرير[٥] ثلاثون ميلاً، ثم إلى [الغاضرة][٦] أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلاً، ثم إلى بلْبيس[٧] أحد وعشرون ميلاً، ثم إلى الفُسْطاط[٨] مدينة مصر أربعة وعشرون ميلاً.

طريق غزة

مسافة هذه الطريق من غزة إلى عقبة[٩] (٩) أيام بسير القوافل، فيوم إلى بئر الصني، ويوم إلى وادي الأبيض، ويوم إلى عين القصيمة، ويوم إلى وادي الجرور، ويوم إلى وادي القريَّة، ويوم إلى مشاش الكنتلة، ويوم إلى جبل سويقة، ويوم إلى جبال الحمرة، ويوم إلى عقبة[١٠].

---

(١) الورادة: منزل في طريق مصر من الشام في وسط الرمل والماء الملح من أعمال الجفار، فيها سوق للمتعيشين ومنازل لهم، ومبرجة الحمام يكتب ويعلق على أجنحتها ويرسل إلى مصر بالوارد والصادر (معجم البلدان ٥/٣٦٩).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من المسالك والممالك (ص: ٨٠).

(٣) أم العرب: قرية كانت أمام الفرما من أر ض مصر، وقيل: هي من قرية يقال لها: ياق ثم أم دنين، منها مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ (معجم البلدان ١/٢٤٩).

(٤) الفرما: مدينة على الساحل من ناحية مصر (معجم البلدان ٤/٢٥٥) وهي مدينة قديمة بين العريش والفسطاط، وهي أقرب إلى العريش، ومكانها يقرب من مدينة بورسعيد المعروفة حالياً بمصر.

(٥) جرير، جَرجير: موضع بين مصر والفرما (معجم البلدان ٢/١٢٣).

(٦) في الأصل: القاصرة. والتصويب من المسالك والممالك (ص: ٨٠).

(٧) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام (معجم البلدان ١/٤٧٩).

(٨) الفسطاط: بضم أوله أو كسره؛ مدينة بمصر، بناها عمرو بن العاص (معجم البلدان ٤/٢٦٤).

(٩) في هامش الأصل: العقبة: عقبه إليا. وكتبه: محمد نصيف.

(١٠) تاريخ سيناء (ص: ٢٦٩).

طريق القدس الشريف

من القدس إلى عقبة[١] طريق طولها (٨١) ساعة بسير الجمال، تمرّ بالمياه الآتية: من القدس إلى الخليل بالعربة ست ساعات ونصف، فالخليل (١٢) ساعات ونصف، فبئر السَّبع[٢] (٧) ساعات، فنقب الغراب، فعسلوج (١٠) ساعات وثلث، فالشهايبة (١٢) ساعات وثلث، فالويبي (١٠) ساعات، فبئر المليحي (١٢) ساعات، فبئر غضبان (١٠) ساعات وثلث، فالعقبة، وهذه هي الطريق الذي اتخذها رجال كوك الذين رافقوا لجنة الحدود المصرية سنة ١٩٠٦م قطعوها بتسعة أيام، في كل يوم تسع ساعات.

ذكر طريق دمشق الشام إلى المدينة المنورة

ذكر الشيخ محمد بن عبدالله الموسوي في رحلته [المسمّاة][٣] برحلة الشتاء والصيف، مسيره من دمشق إلى المدينة المنورة مع المحمل الشامي، فنذكر هنا ما ذكر فيها من المراحل.

قال رحمه الله[٤]: وفي اليوم السابع عشر من شوال سنة ١٠٣٩ كان خروج المحمل السلطاني، وهو يوم مشهود تخرج له المخدَّرات.

فلما كان اليوم الثاني والعشرون برزنا من تلك الديار إلى حيث تسوقنا الأقدار، فمررنا بالكسوة وهي على ثلاثة عشر ميلاً من دمشق، وفيها يمكث الحاج، ثم أتينا على خان ذي النون، وفيه شكل حصار، ثم أتينا على

(١) أقحم فوق هذه الكلمة بخط نصيف: العقبة.
(٢) بئر السَّبع: بين القدس والكرك، جنوب فلسطين (انظر: القاموس المحيط ص: ٩٣٧).
(٣) في الأصل: المسمى.
(٤) رحلة الشتاء والصيف (ص:٢٢٩-٢٣٢).

الصنمين[١]، وهي من قرى حوران، ثم أتينا على المزيريب، وهو وادٍ به قلعة، وهو مجتمع الحجاج، وفيه الأسواق العامرة بما يحتاج إليه الركب، بل بما يتّجر به.

ولما كان الصباح رحلنا، ثم أتينا على وادي القديم، ويعرف بالمفرق؛ لأن الحجاج إذا رجعوا تفرّقوا فيه، وهو مسيل كثير الزلق، وحوله قرى وضياع، ثم أتينا على الزرقاء[٢]، وهو وادٍ من أعمال عمّان، وفيه نهر عظيم ينبت فيه القصب الفارسي، ثم أتينا على البلقاء وادٍ قفر، ويقال أن غربيه ماء، ثم أتينا على القطرانة بعد معاقبة عقبات، ومحاجر، وهو وادٍ فيه قلعة وبركة ماء تفيض على مثلها، ثم أتينا على الحسا من أعمال الكرك، وفيه نهر لطيف، ثم أتينا على عنيزة، وهناك البرد الشديد، وبه خان قديم، ثم أتينا على معان من أعمال الكرك، به ضيعة وقلعة، وآبار ماؤها ليس بالجيّد.

وقال العلامة الزركلي في كتاب مذكرات[٣] عمّان[٤]: معان بلدة صغيرة شاخصة في الجانب الغربي من الخط الحجازي، تبعد عن المحطة نحو ثلاثة كيلو مترات، يشرب أهلها من آبار لا يزيد عمق البئر منها عن أربعة أمتار، ماؤها عذب، وهواؤها نقي جاف، وفيها عين جارية تسمى: (عين سويلم).

---

(١) الصنمان: قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران، بينها وبين دمشق مرحلتان (معجم البلدان ٤٣١/٣).

(٢) الزرقاء: موضع بالشام بناحية معان، وهو نهر عظيم في شعارى ودحال كثيرة، وهي أرض شيب التبعي الحميري، وفيه سباع كثيرة مذكورة بالضراوة، وهو نهر يصب في الغور (معجم البلدان ١٣٧/٣).

(٣) في هامش الأصل: كتاب عامان في عمّان، لأن الأستاذ الزركلي كتب مذكراته لما أقام بعمّان، إمارة شرقي الأردن. وكتبه: محمد نصيف.

(٤) عامان في عمّان (ص: ٢١-٢٦).

وهناك قريتان تعرف كل منهما باسم: (معان)، إحداهما التي مرّ ذكرها، وهي تسمى اليوم: معان الحجازية، والثانية: معان الشامية، وهذه تبعد عن الأولى نحو ثلاثة كيلو مترات، مرتفعة على قمة جبل، يحوطها من غربها وشمالها الشرقي وادٍ يسمى: وادي المغارة، وعلى جانبيه مزارعها، وهي أكثر [مزارع][1] من معان الحجازية.

وينقسم أهل معان[2] الشامية إلى أربع عشائر هي: (عيال الحصان)، و(الخورة)، و(المحاميد)، و(القرامصة).

وأهل معان الحجازية أربع عشائر أيضاً هي: (الكراشين)، و(عيال أم خطاب)، و(الفناطسة)، و(اليزابعة).

وفي معان الحجازية دار حكومة، وثكنة عسكرية، وبناء مدرسة أميرية واسعة، ومسجدان.

أما معان الشامية ففيها مدرسة ومسجد مهملان، وثكنة قديمة هدمها الترك في أواخر أيامهم للاستفادة من أخشابها في تسيير القطار، فلم يبق منها غير جدرانها.

وأشهر القرى التابعة لمعان: (وادي موسى)، تبعد عن معان مسيرة سبع ساعات إلى الغرب، وهي الآن قرية صغيرة فيها نحو ثلاثين داراً في سفح جبل، تحوطها بساتين ومزارع، وأهلها ثلاث فصائل: (الفرجات)، و(السعادنة)، و(العمر)، يسكنون بيوت الشعر.

في هذه القرية ينابيع كثيرة، أشهرها: عين موسى. انتهى.

---

(١) قوله: "مزارع" زيادة من عامان في عمّان (ص: ٢١).
(٢) في الأصل: المعان. وقد صححت فوقها بخط نصيف إلى: معان.

قال الموسوي[١]: ثم أتينا على عقبة الصوان، منحدر على نصف ميل، وبها أحجار القدح الجيّدة، التي لا يكاد يوجد مثلها، ومنها تنقل للهدية، وإذا نزل عنها الركب أناخ أسفلها ليتكامل، فيُخرِجون أنواع الحلوى المعدودة لذلك، ويفرّقونها على بعضهم، فلذلك يقال لها: عقبة الحلوى، ثم أتينا على ذات حج، وادٍ فيه قلعة لطيفة، فيها شجرة توت، ونقر في حجر ينبع منه الماء، فيخرج من القلعة ويملأ البركة خارجها، وفيه نخيل ومياه غير جيدة، ثم نزلنا بالعرائد، وهي قاع البسيطة، ثم لم نزل في أيسر[٢] المسير حتى أتينا على تبوك، وهي على النصف من طريق الشام، وفيها عين ونخل وحائط، وقلعة فيها بئر، وشجرة توت، وحولها منازل للعرب، ومزارع، وأشجار على عيون وعريش، ثم أتينا على المعز، وهو قفر لا أنيس به، ثم مررنا بالمضيق، وهو مَسْلَك حصير[٣]، كثير الأوعار والمحاجر، حتى أتينا على الأخيضر، وهو وادٍ مثلث الجوانب، في جنوبيه قلعة سليمانية بتاريخ ثمان وثلاثين وتسعمائة، وفيها عين تملأ منها ثلاث برك، تلاصق القلعة [المبنية][٤] لحفظ البئر من دفنها أيام عصيان بني لام وبني عقبة، ثم أتينا على المعظّم، وهو وادٍ فيه قلعة عثمانية، عمّرت سنة إحدى وثلاثين وألف، غير أنه لم يكن بها ماء، وقد أشرفت على الدمار، وعند القلعة بركة عظيمة متّسعة جداً، يأتيها الماء من الأمطار، [ولها][٥]

(١) رحلة الشتاء والصيف (ص:٢٣٢-٢٤١).
(٢) في رحلة الشتاء والصيف: أسر.
(٣) في رحلة الشتاء والصيف: حصر.
(٤) في الأصل: المنية. والتصويب من رحلة الشتاء والصيف (ص:٢٣٥).
(٥) في الأصل: وبها. والتصويب من رحلة الشتاء والصيف، الموضع السابق.

خمس وعشرون درجة، ولما وردناها وجدنا منها خمسة عشر درجة في الماء الفرات، ثم أتينا على الأقيرع، ثم بشطب العجوز، وهو شِعب فيه ماء غزير من المطر، ولا يكاد يخلو عنه فيما يقال. ثم أتينا على المبرك، وهو بين صخرتين عظيمتين كالمأزمين، يمرّ من بينهما الركب، ويكون له ضجيج بالاستغفار، وزعموا أن صالحاً عليه السلام عقرت ناقته هناك. ثم أتينا على مدائن صالح، وهي بيوت منحوتة في الصخور، وعندها آبار. ثم أتينا على العُلا، فأقمنا فيها ثلاثة أيام بلياليها، وهي قرية لطيفة على ست مراحل من المدينة المنورة، وهي منقطع أحكام الشام، وبها النخيل الباسقة والأشجار المتناسقة، وفيها عينان تجريان، ثم أخذنا في قطع المراحل وسلوك فِجاج المسالك والمنازل، حتى مررنا بآبار الفقير، وهي أربعون بئراً فيما يقال، ثم أتينا على مَطران، وهو وادٍ قفر ممحل، ثم على بئر الزمرّد، وهي على الجادة بين جبال متضايقة، فارتوى منها الظمآن، واطمأن بها الوَلْهان، ورحلنا عن ذلك [الواد][1] وقد طاب الفؤاد.

ولم نزل نجوب الأغوار، ونقطع الفيافي والقفار، حتى أتينا على شعب النعام، [وهو قفر خال من الأنعام][2]، واتفق أنا اشترينا فيه من العرب قربة ماء بنصف دينار، ثم رحلنا وأتينا على هديّة، وهي شعب مسيل، فيه نخل وماء من بقايا السيل، وهو من أخبث المياه، وهي على مرحلة من خيبر، وخيبر: اسم ولاية مشتملة على حصون وعيون ومزارع ونخيل، على ثلاثة أيام من المدينة، على

---

(١) في الأصل: الوارد. والمثبت من رحلة الشتاء والصيف (ص:٢٣٨).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من رحلة الشتاء والصيف، الموضع السابق.

يمين الخارج إلى الشام. ثم رحلنا فلم نزل نطوي بالسير الفيافيَ القفار، فمررنا بالعقبة السوداء، ومنها ترى الفحلتان، ثم أتينا على الفحلتين، وهما قُنّتان على شاهق جبل من غربي الجادة، ثم أتينا على وادي القرى، قيل: كان بها ألف قرية، ولم يبق منها غير الأطلال، ثم امتطينا مَتْن الغبراء، وازورّ مسيرنا لنحو الزوراء، فلم نزل كذلك نجوب هاتيك المسالك، ثم أتينا على العراقيب، فانتشقنا من تلقاء طَيْبَة أطيب العرف، ولما أسفر الصباح وفاح، عرف هاتيك البِطاح، هبّت لنا نسيمات العقيق والنقا، مؤذنة بالتداني واللقا، فترجّلت وحمدت الله تعالى على ما أَوْلى وأنال. انتهى ما في رحلة الموسوي.

قال البتنوني[1]: وكانت هذه الطريق مسلوكة، كانت قافلة الحجاج تجيء من الشام مع المحمل الشامي إلى المدينة المنورة في أربعين يوماً، إلى أن أنشئت السكة الحديدية، وكان وصولها في المدينة المنورة سنة ١٣٢٦، وأول قطار وصل بها إلى محطة باب العنبرية[2] يوم الخميس عند غروب الشمس في الساعة الثانية عشر من اليوم السابع عشر من رجب، فبعد ذلك صار مسير الحجاج والزوار من الشام إلى المدينة على السكة الحديدية، فإذا وصل الحاج إلى المدينة فمنها يسير إلى مكة على إحدى الطرق الأربعة التي يأتي ذكرها، أو من طريق ينبع، فإذا وصل ينبع يكون مسيره منه بحراً إلى جدة، ومنها إلى مكة. انتهى.

---

(١) انظر: الرحلة الحجازية (ص:٣٥٩ وما بعدها).

(٢) باب العنبرية: أقيم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٣٠٥هـ–١٨٨٧م، ولذلك يسمى باب الحميدية، ويعرف أيضاً بباب الرشادية؛ نسبة للسلطان رشاد الذي خلف السلطان عبدالحميد (المدينة المنورة، تطورها العمراني وتراثها المعماري لصالح لمعي ص:٢١١-٢١٢).

وذكر الفاضل الشيخ محمد كرد علي في كتاب خطط الشام كيفية مسير الحجاج من الشام إلى مكة قبل إنشاء السكة الحديدية، وكيفية إنشاء السكة، فنذكر هنا ما ذكره بحذف واختصار:

قال الفاضل المذكور(١): كان الحجاج المسلمون يأتون ألوفاً من جميع الأقطار الإسلامية إلى دمشق، ويجتمعون فيها انتظاراً لسفر موكب الحج، وكان يتألف هذا الموكب في دمشق، ويسير منها متوجهاً نحو البلاد المقدسة تحت إدارة حاكم عثماني يلقب بأمير الحج.

وكانت العادة أن يرحل أمير الحج من دمشق في الخامس من شهر شوال، في ركب مؤلف من جيش صغير مجهّز بالأسلحة الكاملة، والمدافع الصغيرة، ويتبعه الحجاج زرافات ووحداناً.

والدمشقيون يقومون بتشييعهم إلى قبر أحمد باشا في الميدان، [أي](٢) إلى جامع العسالي، وتجري المراسم العسكرية والاحتفالات تكريماً لهذا الموكب العظيم، وكانت الحكومة في دمشق تهتم اهتماماً زائداً بتشييعه، ويسير الموظفون وأصحاب الرتب العالية بألبستهم الرسمية أمام المحمل تحيط بهم صفوف الجند وهجانة البدو حتى نهاية طريق الميدان، وكانت الموسيقى تصدح أثناء الموكب، والمدافع تطلق حين خروجه وعند وصوله إلى القَدَم.

وبعد ذلك يسير الركب من القدم إلى الكسوة، ثم يسير إلى المزيريب، فيبقى فيها أربعة أو خمسة أيام، وعندئذ يتألف الركب عسكرياً وعلى رأسه أمير الحج، فيسير قسم من الجيش في المقدمة والقسم الآخر يقوم بحفظ جناحي

---

(١) خطط الشام (١٨٤/٥-١٩٧).

(٢) قوله: "أي" زيادة من خطط الشام (١٨٥/٥).

الركب. وفي كل صباحٍ ومساء تطلق ثلاث طلقات نارية إعلاماً بوقت المسير والوقوف، وكثيراً ما يبلغ طول هذا الركب ثلاثة أو أربعة كيلو مترات.

وكانت المسافة بين دمشق ومكة المكرمة تقدر بأربعمائة وتسعين ساعة، وبأربعين مرحلة، منها (٩٠) ساعة من المزيريب إلى معان.

ويجتاز الركب من المزيريب: المفرق وعين الزرقاء والبلقاء والقطرانة، وهنا يشتد عليه الدرب صعوبة، ويدب الرعب والخوف في قلوب الحجاج، وذلك لأنه كانت المضايق غاصة بعصابات من اللصوص، والماء للشرب قليل، فإذا بلغ الركب مدينة معان يستريح فيها قليلاً ويتابع سيره، فيقطع العقبات المؤدية إلى النفود، وهذا المضيق الصعب يبعد ثلاث عشرة ساعة عن معان، فيترجل الحجاج عن دوابهم ويسيرون مشاة أمام أمير الحج الذي يصعد على رأس جبل صغير، ويجلس مشاهداً الجموع تمر أمامه، وبعد ذلك يسير الركب ولا يشاهد في طريقه سوى الرمال في سهل النفود القاحل حتى مدائن صالح مدة (١١٤) ساعة، وفيها كثير من الآثار القديمة النبطية، فمنها يسير الركب إلى المدينة المنورة، وبعدها إلى مكة المكرمة.

هكذا كانت حالة الطريق المؤدية إلى البلاد المقدسة، وهذه هي المشقات التي كان يلاقيها الحجاج في طريقهم، وهذا ما دعا الحكومة العثمانية في ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لإزالة هذه الصعوبات، فاهتم السلطان عبدالحميد الثاني، وقرر سنة ١٩٠٠غ مدّ خط حديدي يصل الشام بالحجاز، ويسهل السفر على الحجاج، ويأتي بالفوائد المادية والمعنوية على البلاد والدولة.

ولم تبدأ الحكومة بالعمل إلا بعد أن أعلنت عزمها على ذلك في جميع الأقطار الإسلامية مما هو داخل تحت سيطرها أو خارج عنها، وأبانوا ما ينتج عن ذلك من التسهيل لرواد الحج، واستمطرت أكف المسلمين تعضيداً لهذا المشروع الديني المحض، وبدأت الاكتتابات ترد من جميع البلدان الإسلامية، وقد افتتح هو نفسه هذه الاكتتابات بـــ (٣٢٠) ألف ليرة عثمانية، وتابعه في ذلك الملوك والأمراء المسلمون، فشاه العجم أرسل (٥٠) ألف ليرة عثمانية، وخديو مصر تعهد بإرسال كمية عظيمة من مواد البناء والإنشاء، وأُلفت في البلاد الإسلامية الخارجة عن حدود الدولة العثمانية كثير من الجمعيات لجمع الأموال، فألّف الهنود (١٦٦) جمعية، وأهالي لكنو وحدهم أرسلوا (٣٢) ألف ليرة عثمانية، وكذلك أهالي رانكون ومدراس أرسلوا أيضاً (٧٣) ألف ليرة، وأرسل المرزا علي -أحد أغنياء كلكتة- خمسة آلاف ليرة، وأرسل مدير جريدة الوطن في لاهور (٥٠٠٠) ليرة، وذلك من الاكتتاب الذي فتحه في جريدته، واشترك فيه الهنود والترانسفاليون والصينيون، ولم تنقطع الإعانات مدّة إنشاء الخطّ، مما دل على سريان روح التضامن في الشعوب الإسلامية.

والأغرب من هذا أن أحد النمسويين دفع (٢١٠٠) ليرة عثمانية ليحصل على لقب: (باشا).

ثم وضعت بعض الضرائب لإعانة الخط، ويترل الموظفون عن راتب شهر

كاملاً في بادئ [الأمر][١]، ثم أُكره الموظفون على دفع عشر راتبهم الشهري في السنة مرة واحدة، وأحدثت طوابع الخط الحجازي وبعض الضرائب الجمركية لمنفعة هذا الخط، كما جمعت إدارة الخط جلود الأضاحي من الناس تبيعها وترتفق بثمنها.

وقد جمع من الإعانات في البلاد الإسلامية (٧٥٠) [ألف][٢] ليرة عثمانية، أي (١٧) مليون فرنك. والضرائب التي وضعت تضمن مورداً قدره (٢٥٠) ألف ليرة سنوياً.

كان استعمال [الإعانات][٣] منظماً تنظيماً حسناً، وقد وُزّعت الأجور على العمال والرواتب على الموظفين بصورة منظمة، ودفع ثمن الأدوات ومواد الإنشاء في الحال، مما دعا الناس أن يؤمنوا بإنجاز هذا المشروع. وقد كان سير العمل سريعاً، فكانوا يمدّون مائة كيلو متر في كل عام، بيد أن أحد المقرّبين من السلطان عبدالحميد، أحمد عزت باشا العابد[٤] مع لجنة الحجاز كانوا يديرون الأموال على طريقة غير مرضية، فتسربت الملايين إلى جيوب اللصوص والخونة، فأدى سوء الاستعمال في مواد الإنشاء لإضاعة كثير منها. وكان هؤلاء المقرّبون يحمون بعض رجالهم الذين يتقدمون في صورة ملتزمين وينقدوهم الأموال الزائدة، ويعينون بعضهم في وظائف في الإدارة.

---

(١) قوله: "الأمر" زيادة من خطط الشام (١٨٨/٥).

(٢) قوله: "ألف" زيادة من خطط الشام (١٨٩/٥).

(٣) في الأصل: الإعلانات. والتصويب من خطط الشام، الموضع السابق.

(٤) في هامش الأصل: الكاتب الثاني لديوان السلطان عبدالحميد، وكان من العرب. جمع أموالاً جسيمة في البنوك -المصارف الأجنبية-، وبنى أملاكاً في استانبول ودمشق الشام. وكتبه: محمد نصيف.

شرع بإنشاء الخط الحجازي في شهر أيلول سنة ١٩٠٠ [1] مبتدأً به من المزيريب، لأن بين دمشق وهذه القرية سكة حديد إفرنسية يمكن نقل الحجاج من الشام إلى المزيريب عليها، وما كادت الحكومة تمضي في عملها حتى بدأت المنافسة تشتد بين الإدارتين، فشعرت الحكومة العثمانية حينئذ بشدة الحاجة إلى اتصال الخط الحجازي بمدينة دمشق، وقررت إنشاء خط (درعا - دمشق)، وبوشر بالعمل من دمشق والمزيريب دفعة واحدة، [وقد افتتح القسم الأول من الخط الحجازي، أي (دمشق - درعا) في أيلول ١٩٠٣][2]، وبعد ذلك بشهر واحد افتتح قسم (درعا - عمّان) وتيسّر لإدارة السكة الحجازية في أقل من ثلاث سنين مدّ (٢٢٣) كيلو متراً.

يتجه الخط الحديدي الحجازي بعد خروجه من واحة دمشق نحو الجنوب الشرقي في استقامة سهل حوران، فيمر بالمسمية أهم قرى اللجاة، ثم يقطع هذا الخط سهل حوران الخصيب برمته، وهو يمتد إلى سفح جبل الدروز، ويصل إلى محطة درعا الواقعة في وسط السهل، وهو على (١٢٣) كيلو متراً عن دمشق، ومن درعا يتفرع فرع حيفا متجهاً صوب الغرب، فَيَصِل البحر. وأما الخط الأساسي فيبقى مستمراً في طريقه نحو الجنوب.

وكانت القاطرات في نهاية سنة ١٩٠٣ تسير إلى مسافة (٣٠٠) كيلو متر من دمشق، وبلغت أكلاف الكيلو متر الوسطي حينئذ (٢٠٠٠) ليرة عثمانية ذهبية.

ولما بدأت المنافسة بين السكة الحجازية والسكة الإفرنسية شعر السلطان

---

(١) في هامش الأصل: في شهر.. عام ١٣١٨ هجرية. وكتبه: محمد نصيف.
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خطط الشام (١٩٠/٥).

عبدالحميد ومهندسوه بشدة الحاجة إلى اتصال الخط الحجازي بمرفأ بحري يستمدّ منه لوازمه وأدواته، ويكون منفذاً للأقطار الواسعة التي سيمتدّ فيها، فقرر إنشاء خط حديدي جديد بين حيفا ودرعا، وتمكنوا من الوصول إلى درعا نقطة اتصال [هذين](١) الخطين بأقل من ثلاث سنوات، بالرغم مما اعترضهم من الصعوبات العظيمة أثناء عملهم.

وقد كلف هذا الخط من سبعة إلى ثمانية أضعاف المعدل المتوسط لنفقات الخط الحجازي، وأصبح حيفا مرفأً خاصاً للحكومة، وهي تبعد عن درعا (٣٢٣) كيلو متراً بالقطار، وبين درعا وحيفا ستة جسور حديد، اثنان منها بطول (٥٠) متراً، والأربعة الأخرى بطول (١١٠) أمتار.

ويوجد سبعة أنفاق يختلف طولها بين الأربعين ومائة وسبعين متراً، والخط [يقطع نهر](٢) الشريعة على جسر من الحجر جميل المنظر والصنع، طوله (٦٠) متراً، وهو ذو خمس قناطر.

وفي الوقت الذي نجز فيه خط (حيفا – درعا)، تم القسم الثالث من الخط الحجازي الواقع بين (عمّان – معان).

إن الخط الأساسي بعد محطة درعا يسير نحو الجنوب الشرقي، ثم نحو الجنوب مباشرة، فيمرّ من سهل قاحل تنزل فيه عشيرة بني صخر المؤلفة من (٢٠٠٠) بيت و(٢٠) ألف نسمة، وبعد أن يقطع (الحماد) -أي السهل المنبسط- يمر بالقرب من أطلال الحصون الرومانية القديمة التي يسميها العرب اليوم: قلعة المفرق، وقلعة السمرة.

(١) في الأصل: هاتين. والتصويب من خطط الشام (١٩٢/٥).
(٢) في الأصل: يقع نحو. والمثبت من خطط الشام، الموضع السابق.

وفي القرب من قلعة الزرقاء الرومانية يقطع الخط وادي نهر الزرقاء [على جسر مرتفع جميل الصنع، ثم يصعد الخط في وادي نهر الزرقاء][١]، ويصل إلى عمّان بالقرب من نبع هذا النهر، وذلك بارتفاع (٧٣٧) متراً عن سطح البحر، وعلى (٢٢٣) كيلو متراً عن دمشق.

وبعد الخروج من عمّان يتجه الخط نحو الجنوب صاعداً سهل الصحراء المائل، فيمر من نفق طوله (١٤٠) متراً، ويترك بجانبه كثيراً من الآثار القديمة، منها المعبد اليوناني في قصر السهل، والمدينة القديمة في لُبَّنْ، وكذلك الخزان الروماني، والقصر العربي في [الجيزة][٢] أو قلعة [الزيزاء][٣]، وقبل أن يصل الخط إلى قلعة ضبعة يميل نحو الشرق ويلتف بأطراف وادي الموجب، وبعد ذلك يتجه أيضاً نحو الجنوب، فيمر من خان الزبيب وقلعة [القطرانة][٤] وقلعة الحسا وجروف الدراويش التي تحتوي على قصر روماني بديع، ومن بعد قلعة [عنزة][٥] التي تقطن فيها أحياناً قبيلة عنزة المؤلفة من (٧٠٠٠) نسمة. وبعد قلعة الحسا تبدأ الأرضون التي [فيها][٦] تنزل قبيلة الحويطات، ثم يصل الخط إلى معان المرتفعة مقدار (١٠٧٤) متراً عن سطح البحر. وهذه المدينة هي النقطة الوسطى للخط الحجازي، لأنها تبعد عن طرفيه على أبعاد متساوية، والمحطة تبعد كيلومترين عن مدينة معان. وفي هذه المحطة أبنية عديدة للسكة الحجازية.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خطط الشام (١٩٣/٥).
(٢) في الأصل: جيزة. والتصويب من خطط الشام، الموضع السابق.
(٣) في الأصل: المزيزاء. والتصويب من خطط الشام، الموضع السابق.
(٤) في الأصل: القطران. والتصويب من خطط الشام، الموضع السابق.
(٥) في الأصل: غزة. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من خطط الشام، الموضع السابق.
(٦) قوله: "فيها" زيادة من خطط الشام، الموضع السابق.

وبعد معان يتجه الخط الحجازي نحو الجنوب الشرقي، فتلتفّ حوله الصحراء من جديد، ويبتعد عن البحر الأحمر، ثم يصعد العقبة المسماة بالعقبة الحجازية أو الشامية، المرتفعة (١١٥٠) متراً عن سطح البحر.

وهذه النقطة هي المفرق الطبيعي للمياه التي تسيل إلى البحر الأبيض والبحر الأحمر، ثم يهبط الخط نحو ملعب بطن الغول المحفور في الصخور الرملية ذات الألوان العديدة المختلفة. وهذه البقعة هي من أجمل البقاع الطبيعية. وبعد ذلك يصل الخط إلى محطة المدورة، فتنتهي حدود قبيلة الحويطات وتبتدئُ منازل قبيلة بني عطية.

وكان وصول هذا الخط إلى هذه البلدة سنة ١٩٠٦، وهي تبعد مقدار(١١٤) كيلو متراً عن معان. وكان قسم من الخط أيضاً على وشك الإنجاز بين المدورة وتبوك، وهو على مسافة (١١٧) كيلو متراً.

وفي [١](١) أيلول سنة ١٩٠٧ تم القسم الرابع من الخط الحجازي، وهو القسم الواقع بين معان وتبوك، الذي يبلغ طوله (٢٣١) كيلو متراً، فبوشر باستثماره.

وقد جرى في التاريخ نفسه الاحتفال بافتتاح قسم جديد بين تبوك ومدائن صالح التي تبعد (٩٥٥) كيلو متراً عن دمشق بحضور الجنرال (أولير باشا) الألماني، من قواد الجيش العثماني.

وفي هذا القسم جسر حجري ذو عشرون قنطرة يبلغ طوله (١٤٣) متراً، وكانت الأرضون فيها قاحلة، ولكنها سهلة، وأقل عوارض طبيعية من غيرها،

---

(١) في الأصل: "١١" والمثبت من خطط الشام (١٩٤/٥).

وكان يكفي أن توضع القضب الحديدية على الأرض حتى يصلح السير عليها، وذلك على مسافة كيلو مترات كثيرة.

وبعد مدائن صالح يصل الخط إلى العلا التي تبعد (٩٨٠) كيلو متراً عن دمشق، يقدر عدده من ثلاثة آلاف إلى أربعة، وتقع في واحة جميلة، ويسير الخط بينها وبين المدينة المنورة على طريق القوافل، لأن المياه كثيرة في هذه الطريق، وبمرور الخط في سهل وادي العلا يرتفع (٧٩٠) متراً عن سطح البحر، وذلك بين الزمرد والبئر الجديد، ثم يهبط إلى بلدة الهدية المرتفعة (٣٤٥) متراً عن سطح البحر، وهي التي كان يؤمها سابقاً حجاج أفريقية من مرفأ الوجه على شاطئ البحر الأحمر.

وبعد الهدية يصعد الخط إلى اصطبل [عنتر][١] وبئر عثمان، ومنهما إلى المدينة المنورة التي ترتفع (٧٠٠) متر عن سطح البحر، وتبعد (١٣٢٠) كيلو متراً عن دمشق.

وقد وصل أول قطار إلى المدينة المنورة في ٢٢ آب سنة ١٩٠٨م[٢]، ولكن الاحتفال جرى في أول أيلول المصادف ليوم عيد الجلوس السلطاني، فكانت الحفلة عظيمة الشأن، ذات أُبهة وجلال، وجرى فيها أيضاً افتتاح المحطة التي شيدت خارج أبواب المدينة، وقد أُنيرت المحطة بمصابيح الكهرباء، وكان سرور أهاليها عظيماً جداً، حتى إنهم رفعوا على أكتافهم المشير كاظم باشا رئيس هذه الحفلة مع رئيس المهندسين مختار بك.

وقد طلب أهالي المدينة إعادة هذه الأفراح والأعياد بمناسبة وضع أول

---

(١) في الأصل: عتر. والمثبت من خطط الشام (١٩٥/٥).
(٢) في هامش الأصل: يوافق شهر.. عام ١٣٢٦ هجرية.

حجر لبناء جامع الحميدية قرب هذه المحطة. وعلى ذلك فقد أُعيد الاحتفال بحضور ثلاثين ألف شخص، ودُعي لهذه الحفلة ممثلوا الصحف الأجنبية وكثير من الأجانب، في حين أن هذا الأمر لم يسبق له نظير في الاحتفالات الماضية، غير أن ذلك جرى بمناسبة الانقلاب السياسي الذي وقع حينئذ في الآستانة.

ولما كان [القصد][1] من إنشاء الخط الحجازي خدمة الحجاج وتسهيل المواصلات بين الحجاز وبقية البلاد العثمانية، اقتضى الوصول به إلى عاصمة الإسلام مكة المكرمة ومدّ فروع منه إلى جدة وبعض البلاد العثمانية الأخرى تتميماً للفائدة، وكانت الحكومة مصممة على ذلك، وبإعلان الحكم الدستوري في البلاد وخلع السلطان عبدالحميد الثاني[2] موجد هذه الفكرة ومؤسس هذا العمل الكبير، توقف ورود الإعانات من الأقطار الإسلامية[3]، وهذه الأسباب [حالت دون الوصول إلى هذه الأمنية، وأخّرت إتمام هذا][4] المشروع العظيم.

حاولت بعد ذلك حكومة الاتحاديين أن تواصل العمل فلم توفق، فأعادت

---

(١) قوله: "القصد" زيادة من خطط الشام (١٩٥/٥).

(٢) السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد خان بن محمود خان العثماني، من سلاطين آل عثمان، بويع بالخلافة سنة ١٢٩٣هـ. وانظر أخباره في: الفتوحات الإسلامية (٢٩٧/٢-٣١٥)، وحلية البشر (٧٩٧/٢-٨٢٠)، وتاريخ الدولة العلية العثمانية (ص:٤٥٥-٥٢٩)،، والأعلام الشرقية (١٨/١-١٩)، وأعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث (ص:١٥٠).

(٣) في هامش الأصل: لأن للسلطان عبدالحميد صيتٌ عَظيم في البلاد الإسلامية خصوصاً عند مسلمي الهند وغيرها، ويعتقدون أنه كان مصلحاً عظيماً، ولا يدرون أن امراءه ذئاب يفسدون ولا يصلحون. وكتبه: محمد نصيف.

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خطط الشام (١٩٥/٥).

الكَرَّة قبل إعلان الحرب العامة بيسير، وأرسلت من [القضب][1] الحديدية والآلات والأدوات اللازمة الشيء الكثير، وكانت إدارة الخط تبدأ بالعمل، فأُعلنت الحرب العامة، وصرفت الوجوه عن جميع أعمال الإصلاح، ومنها هذا العمل الجليل.

بقي مبدأ الخط الحجازي حتى سنة ١٩٠٨ في منتهى محلّة الميدان بدمشق بالقرب من قرية القَدَم، وقد بُنيت بعد هذا التاريخ محطة القنوات الواقعة في غرب مدينة دمشق على طراز عربي حديث وبشكل جميل يتناسب مع عظمة هذا الخط المقدس.

وبالقرب من محطة القدم معمل كبير خصّص لإصلاح القاطرات والشاحنات وصب الآلات الحديدية وأعمال [النجارة][2] والتدهين، فالأبنية الخاصة بالمعمل والمخازن تشغل سطحاً من الأرض تبلغ مساحته (١٠٦٠٠) متر مربع.

وقد بلغت نفقات إنشاء هذه الأبنية: مليون فرنك، وبُنيت في محيط تبلغ مساحته (٥٣) ألف متر مربع، أُنيرت جميع هذه الأبنية مع الساحة بالأنوار الكهربائية.

الخط الحجازي في عهد العثمانيين وبعدهم

كان الخط في عهد الحكومة العثمانية يُدار في جميع أدواره بموازنة مستقلة عن موازنة الحكومة، باعتبار أنه وقف إسلامي. وكان في البدء مرتبطاً بلجنة عليا في الآستانة يرجع إليها في شؤونه العامة، ثم طرأت على إدارته طوارئ عديدة غيّرت من أوضاعه، ثم استقر مرتبطاً بإدارة الأوقاف عملاً بالقانون الصادر في هذا الشأن.

---

(١) في الأصل: القضيب. والتصويب من خطط الشام (١٩٥/٥).
(٢) في الأصل: التجارة. والتصويب من خطط الشام (١٩٦/٥).

أما حالته بعد انسحاب الدولة العثمانية من الشام ودخول جيوش الحلفاء؛ فإنه كان تام الأجزاء من حيث وضعه الأساسي، ولم يطرأ عليه الخراب سوى في الجهات البعيدة بعض البعد عن العمران، ويمكن اعتبار مبدأ التخريب من بعد المحطات التي تلي محطة عمّان جنوباً، على أن هذا التخريب يكاد ينحصر في [الجسور][(١)]، والمحطات، والمصانع، والمستودعات، وغير ذلك من المباني والمحال التي كان يسهل نسفها.

أما الخطوط الحديدية فظلت سليمة على الجملة سوى نقاط قليلة يسهل إصلاحها وتشييدها. هكذا كانت حالة هذا الخط عند دخول الحلفاء الشام.

وأما حالته من حيث الآلات والأدوات ومعامله وقاطراته ومركباته وشاحناته وغير ذلك من لوازم التعمير ووسائط سيره، فقد بلغت من الجودة درجة يندر وجود نظيرها [لدى][(٢)] أغنى الشركات في البلاد التي خاضت غمار الحرب العامة طول هذه المدة.

وإليك مقادير الآلات والأدوات المختصة بقسم السير والجر، وهي: (١٢٠) قاطرة بخارية، و(١٢٠٠) شاحنة، و(١٠٠) [مركبة][(٣)] ركاب من صنوف مختلفة، و(٢٠) شاحنة بريد، عدا ما هنالك من عدد كبير من شاحنات الماء (الصهاريج) وأشياء فنية كثيرة.

وأما المعامل: فمنها ما كان في القَدَم جنوبي دمشق، وهو معمل مجهز

(١) في الأصل: الجور. والتصويب من خطط الشام (١٩٦/٥).
(٢) في الأصل: الذي. والمثبت من خطط الشام (١٩٧/٥).
(٣) في الأصل: مركب. والتصويب من خطط الشام، الموضع السابق.

بأحدث الآلات الفنية، وكذلك مستودع صغير للتعميرات وصنعها. وفي درعا مصنع صغير ومستودع، وفي سمخ مستودع، وفي عمّان مستودع، [وفي معان مستودع][(١)] ومصنع مختصر، وفي تبوك مستودع، وفي مدائن صالح مستودع ومصنع صغير، وفي المدينة المنورة مستودع، وفي حيفا مستودع ومصنع صغير[(٢)].

تقسيم الخط الحديدي الحجازي

قسّم الخط في بدء الاحتلال ثلاثة أقسام، استولت بريطانيا العظمى على قسم فلسطين وسلّمته إلى إدارة الخطوط بفلسطين، واستلمت الحكومة العربية الفيصلية قسم سورية.

وأما القسم الثالث فقسم الحجاز، وهو أطول مسافات الخط، وهو قسم غير مثمر؛ لوقوعه في البادية ولخراب جسوره وأكثر محطاته.

وقد قسمت أيضاً المعامل الصناعية والآلات والأدوات الفنية إلى ثلاثة أقسام، وقسمتها تابعة للمصادفات، فكان أهل كل قسم من هذه الأقسام إذا وقعوا في منطقتهم على شيء أو ظفروا بشيء وضعوا أيديهم عليه.

فالمصانع التي كانت داخل المنطقة الشرقية الفيصلية بقيت لحكومتها، ومثلها المعامل الصناعية في فلسطين والحجاز، ورجع ما في فلسطين لحكومة فلسطين، وسلمته هذه إلى شركة الخطوط بفلسطين، وما في الحجاز إلى حكومة الحجاز، وكذلك القاطرات، والشاحنات، والمركبات، وشاحنات البريد، وسائر اللوازم، فقد قسمت على الطريقة عينها، ولكن كان حظ الحجاز منها قليلاً جداً، فإن جميع ما بقي على الخطوط ووضع اليد عليه لا يتجاوز عدد الأصابع،

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خطط الشام (١٩٧/٥).
(٢) خطط الشام (١٩٧/٥-١٩٨).

وأكثرها مخرّب، لأنها كانت طول هذه المدة عرضة لهجمات الثائرين، وكذلك الشاحنات، والعربات، وشاحنات البريد، فقد كان عددها لا يكاد يذكر بالنسبة إلى ما استولت عليه فلسطين وسورية، في حين أن أكثر الخط من حيث الامتداد بيد الحجاز.

وقد جرى إصلاح الخط على عهد الحكومة العربية بصورة سطحية، وعلى أثر هذا الترميم وصل القطار من المدينة المنورة إلى دمشق في أواخر سنة ١٩١٩م، وهي أول مرة دخلها بعد انتهاء الحرب العامة، ولم يتيسر تسيير القطارات بانتظام كما كانت تسير قبلاً؛ لعدم إتمام العمائر بصورة فنية تبعث على الطمأنينة، ولعدم وجود رأس مال كافٍ لهذه الغاية. وبقي الحال على هذا المنوال حتى سقوط الحكومة الفيصلية في سوريةٍ ودخول الجيش الإفرنسي إليها(١).

حالة الخط بعد دخول فرنسا دمشق

ولما دخل الفرنسيون دمشق في شهر تموز سنة ١٩٢٠ تركوا إدارة الحجاز تسير إلى ما كانت عليه في عهد الحكومة العربية حتى آذار سنة ١٩٢٤، وأُلغيت بعد ذلك، وأُحيلت إدارة هذا الخط إلى شركة (دمشق - [حماة) وتمديداتها الإفرنسية](٢).

الخط الحجازي في شرق الأردن

يبتدئ هذا الخط في هذه المنطقة من محطة نصيب، وينتهي بمعان، التي كانت من عمل الحجاز، على مسافة (٣٢٣) كيلو متراً. وكان في هذه المنطقة مستودعات عديدة، وفيها الشيء الكثير من آلات الخط وأدواته، وقد سلمتها

---

(١) خطط الشام (٥/١٩٨).

(٢) المرجع السابق (٥/١٩٩). وما بين المعكوفين زيادة من خطط الشام الموضع السابق.

جميعها حكومة شرقي الأردن إلى إدارة خطوط فلسطين مقابل مقاولة معقودة بينهما[١].

الخط الحجازي على عهد الحكومة الهاشمية

أراد جلالة الملك حسين تعمير الخط الحجازي [ليتسنى][٢] له استثماره ويصل مملكته بمملكة ولده الأمير عبدالله، فأصدر أمره خلال سنة ١٩٢٢هـ بتأليف لجنة يعهد إليها النظر في شؤون الخط وترميمه، فأُلفت لجنة للقيام بهذه المهمة في شرقي الأردن، وأرسل إليها الملك حسين أربعة آلاف جنيه مصري للترميمات الضرورية فقط، فقررت المباشرة بإصلاح الجسور والمنافذ، وفرضت إعانات تقطع من رواتب الموظفين، وكذلك من واردات الطوابع الحجازية التي تستوفى داخل المنطقة، فبلغ مجموع ما دخل عليها من هذه الموارد خلال مدة التعمير أربعة آلاف جنيه، والمجموع ثمانية آلاف جنيه مصري، في حين أن الترميمات والإصلاحات التي كان يقتضي إجراؤها لا تتم بأقل من (١٠٠) ألف جنيه ليمكن إعادة الخط سيرته الأولى.

وقد أتمت اللجنة إنشاء الخط حتى المدينة المنورة على صورة ساذجة مؤقتة؛ لقلة الأموال التي تمكنت من جمعها، وبدأ سير الخط رسمياً.

وقد نقل خلال استثماره في تلك الحقبة القليلة أكثر من أربعة آلاف زائر إلى المدينة المنورة ذهاباً وإياباً، وبلغت واردات الخط من الزوار والنقليات التجارية

---

(١) خطط الشام (١٩٩/٥).

(٢) في الأصل: يتسنى. والتصويب من خطط الشام، الموضع السابق.

أربعين ألف جنيه مصري[١].

الخط الجنوبي اليوم

بعد إلحاق معان والعقبة لشرقي الأردن خلال سنة ١٩٢٥، تسلمت إدارة خطوط فلسطين الخط الحجازي الجنوبي حتى [المدورة][٢] الواقعة في الكيلو متر
(٥٧٧).

وبما أن طول الخط الأصلي من دمشق إلى المدينة المنورة عبارة عن (١٣٠٧) كيلو مترات، فيكون ما يعود أمر إدارته من هذا الخط إلى الحكومة الحجازية الحاضرة (٧٣٠) كيلو متراً.

بلغت نفقات الخط الأصلي وفروعه حتى سنة ١٩١٨م، وهي السنة التي خرجت الدولة العثمانية فيها من الشام (٥٠١٢٣٩٨) ليرة عثمانية ذهباً. انتهى[٣].

وقال العلامة السيد رشيد رضا[٤]: طول الخط من دمشق الشام إلى المدينة ألف كيلو متر وثلثمائة وكيلو متران، يضاف إليه الخط من حيفا إلى درعا وطوله مائة وواحد وستون كيلو متراً، فيكون مجموع ما تم من الخط ألف كيلو متر وأربعمائة وثلاثة وستون كيلو متراً، بلغت نفقاته نحو ثلاثة ملايين ليرة عثمانية، وكانت نفقة الكيلو متر الواحد ما عدا آلات السكة نحو ألف ليرة وثلاثمائة ليرة، وطول الخط من دمشق إلى مكة (١٧٥١) كيلو متراً، وطوله إلى جدة (١٨٣٠) كيلو متراً.

---

(١) خطط الشام (١٩٩/٥).
(٢) في الأصل: المدرة. والتصويب من خطط الشام (٢٠٠/٥).
(٣) خطط الشام (٢٠٠/٥-٢٠١).
(٤) مجلة المنار (المجلد ١١، ٧٦٨/١٠).

وقال البتنوني[1]: المسافة بين المدينة المنورة ودمشق الشام تبلغ (١٣٠٢) كيلو متراً، وإلى حيفا (١٣٣٣) كيلو تقطعها الوابورات في أربعة أيام تقريباً، ومتوسط سيرها فيها (٨٠) ساعة، وسير القطارات من الشام إلى معان على متوسط (٣٠) كيلو في الساعة، ومن معان إلى المدينة على متوسط (١٥) كيلو في الساعة، وأجرها في الدرجة الأولى من حيفا إلى المدينة ذهاباً وإياباً أربعة عشر جنيهاً، وفي الدرجة الثالثة نصف هذا القدر، وليس فيها درجة ثانية.

ثم ذكر جدولاً بمحطات الطريق الحديدي من دمشق إلى المدينة، وهذا صورته:

جدول محطات الطريق الحديدي من دمشق إلى المدينة المنورة

أسماء المحطات	المسافة بالكيلو	ارتفاع عن سطح البحر	الماء
قدم شريف	..	٦٨٦	*
كسوة	٢١	٧٣٥	*
دير علي	٣١	٧٠٠	
مسجد	٥٠	٦٢٠	*
جباب	٦٣	٦٤٣	
خبب	٦٩	٦٢٤	
محجة	٧٨	٦٠١	
شفرة	٨٥	٥٩٩	
أذرع	٩١	٥٨٧	

(١) الرحلة الحجازية (ص: ٣٦١-٣٦٣).

أسماء المحطات	المسافة بالكيلو	ارتفاع عن سطح البحر	الماء
خربة الغزالة	١٠٦	٥٧٥	
الدرعا[١]	١٢٣	٥٢٩	*
نصيب	١٣٦	٥٨٦	
المفرق	١٦٢	٧١١	*
خربة السمراء	١٨٥	٥٥٨	
الزرقاء	٢٠٣	٦١٧	*
عمّان	٢٢٢	٧٣٧	*
القصر	٢٣٤	٩٤١	
لوين	٢٤٩	٧٧٢	
الجيزة	٢٦٠	٧٢١	*
الضبعة	٢٧٩	٧٥٢	
خان زبيب	٢٩٥	٧٨٢	
سواق	٣٠٩	٧٥٨	
قطرانة	٣٢٦	٧٨٣	*
منزل	٣٠٨	٨٤٠	
[فريفرة][٢]	٣٦٧	٨٩٣	
الحسا	٣٧٨	٨٢٢	*
جروف الدراويش	٣٩٧	٩٥٨	*
عنزة	٤٢٣	١٠٥١	

(١) ومن محطة الدرعا يخرج فرع حديدي إلى حيفا، ومحطاته هي: المزيريب، تل شهاب، زيزون، وادي كليب، المقارن، شجرة، صماخ، الحمة، جسر المجامع، يسان، العفولة، الشمال، حيفا. (غازي).

(٢) في الأصل: قريفرة. والتصويب من الرحلة الحجازية (ص:٣٦٣).

أسماء المحطات	المسافة بالكيلو	ارتفاع عن سطح البحر	الماء
وادي الجردون	٤٤٠	١٠٨٠	
معان	٤٥٩	١٠٨٤	
غدير الحج	٤٧٥	١٠٠٠	
بئر الشيدية	٤٨٧	٩٩٦	
عقبة	٥١٤	١١٥٢	
بطن الغول	٥٢٠	١١٢٥	
وادي الرتم	٥٣٠	٩٩٤	
تل الشحم	٥٤٦	٨٥٠	
الرملة	٥٥٥	٨٠٦	
المدورة	٥٧٢	٧٣٤	*
حالات عمار	٥٩٥	٧٦١	
ذات الحج	٦٠٨	٦٩١	*
بئر هرماس	٦٣٢	٧٤٧	*
الهضم	٦٥٤	٧٥٤	
المحطب	٦٧٧	٧٥٠	
تبوك	٦٩٢	٧٧٥	*
وادي الأتيل	٧٢٠	٨٤٤	
دار الحج	٧٤٤	٩٠٤	
مستبقة	٧٥٥	٩٥٠	
الأخضر	٧٦٠	٨٨٢	*

أسماء المحطات	المسافة بالكيلو	ارتفاع عن سطح البحر	الماء
جميس	٧٨٢	٩٠٨	
دي يسعد	٨٠٥	٩٦٤	
المعظم	٨٢٢	٩٨١	*
خشم صنعاء	٨٥٣	١٠٣٣	
الدار الحمراء	٨٨٠	١١٠٣	
المطلع	٩٠٤	١١٥١	
أبو طاقة	٩١٨	٩٦٦	
المرجم	٩٣٠	٩١٤	
مدائن صالح	٩٥٥	٧٨١	*
العلا	٩٨٠	٦٨٤	*
البدايع	٩٩٩	٦٠٣	*
مشهد	١٠١٢	٦٧٠	
[سهل](١) المطران	١٠٣٤	٦٠٠	
زمرد	١٠٤٩	٧١٤	
البتر الجديد	١٠٧٢	٧٣٩	
الطويرة	١٠٩٠	٦٧٠	
المدرج	١١١٦	٤٦٠	
هدية	١١٣٣	٣٨٥	

(١) في الأصل: سيل. والمثبت من الرحلة الحجازية (ص:٣٦٣).

اسم المحطات	المسافة بالكيلو	ارتفاع عن سطح البحر	الماء
جداعة	١١٥٥	٤٥٧	*
أبو النعم	١١٤٣	٤١٨	
اصطبل عنتر	١١٨٩	٥٣٠	*
بوير	١٢٠٨	٤٧٢	
ديار ناصف	١٢٢٨	٤٨٩	
بواط	١٢٤٧	٥٣١	*
الحفيرة	١٢٦٨	٥٤٠	
المحيط	١٢٨٧	٧٥٠	
المدينة المنورة	١٣٠٢	٦١٩	

الفصل الثالث: في ذكر طريق من يقصد الحج من أبها

عاصمة عسير

ذكر الشريف شرف بن عبدالمحسن البركاتي رحلته من مكة إلى أبها بمعية أمير الحجاز الشريف الحسين بن علي في الرحلة اليمانية[1]، وذكر فيها ذهابه إلى أبها من طريق الليث، ورجوعه من هناك إلى مكة من طريق الطائف، فنذكر هنا ما ذكر فيها ذهاباً وإياباً، وبذلك يظهر طريقان: طريق الليث وطريق الطائف لمن يقصد الحج من أبها.

(١) الرحلة اليمانية (ص: ١٤-١٦).

ذكر المراحل التي بين مكة وأبها من طريق الليث

المرحلة الأولى من مكة: البيضاء: وبها بئر ذات ماء عذب غزير، وهي في الجهة الجنوبية بمكة، وبها ديار الأشراف الحمودية من أشراف العبادلة.

السعدية[١]: وبها بئر عذبة الماء، ووادٍ متّسع ذو مرعى، وبها ديار القبائل التي تسمى: الجحادلة، وبها مسجد مبني على قمة رابية ارتفاعها ثمانية أمتار.

وادي الخضراء: وبه قبائل شعبة التي هي فرع من قبائل هُذَيل، وفيه تحت الأرض أبنية عتيقة يصل إليها الإنسان من باب معقود بالحجر، وفي تلك الجهة شمالاً على بعد نحو ألف متر من تلك الأبنية، جبل على قمته تمثال شخص يشاع بتلك الجهة أنه تمثال المؤسس لتلك المباني.

وادي الخُرْقان: وبه أراضي قبائل رحمن[٢]، وبين وادي الخضراء ووادي الخرقان وادي الغالّة[٣]، وهو لقبيلة تسمى: الزّنابحة، وبها بئر يقال لها: [الحدادية][٤]، أنشأها الشيخ أبو خُطْمَة[٥] الذي هو أكبر تاجر في بندر الليث، وفي بعد مساحة ساعتين أو ثلاثة من وادي الخرقان بئر يقال لها: الكَلابيَّة، في

(١) في هامش الأصل: السعدية: هي يلملم ميقات أهل اليمن، وكان اسمها قديماً: يلملم. كتبه: محمد نصيف.

(٢) رحمان: قبيلة من قبائل بلدة الليث، سكناها على الجانب الأيمن لوادي الليث (بين مكة واليمن ص:٢٠٣).

(٣) وادي الغالة: وادٍ صغير يسمى أعلاه (لحيّين) وأسفله الغالة في الساحل، وأعلاه لبني عَضَل، وأسفله للزنابحة (بين مكة واليمن ص:٣٧).

(٤) في الأصل: الحدايدة. والمثبت من الرحلة اليمانية (ص:١٥).

(٥) في هامش الأصل: هو الشيخ سعيد أبو خطمة الحضرمي. كان من أكبر تجار بندر الليث.

الجهة الشرقية من بندر الليث، وهو مركز لقائم مقامية تابعة لولاية مكة، وبالليث قائمقام من طرف الحكومة ومأمور من أشراف مكة من طرف دولة أميرها لحفظ الأمن وجباية الأموال. انتهى.

وذكر الشيخ جعفر لبنى المكي رحمه الله في رسالته: "الحديث شجون في رسالة الجدية لابن زيدون" مقالة في تعريف الليث وما يتعلق به فنذكرها بتمامها لأن فيها فوائد.

قال رحمه الله: قال ياقوت[١]: الليث وادٍ بأسفل السَّراة أو موضع بالحجاز أو موضع بديار هذيل. انتهى.

وكلٌّ صحيح، فإنه بالحجاز، [وبقرب][٢] ديار هذيل، وأنه بأسفل السَّراة، -وهي بفتح السين لا بضمّها، فإنه جمع الساري، أي: السائر ليلاً-، الجبال المتسلسلة من جزيرة العرب من ثغرة اليمن إلى أطراف بوادي الشام، ترتفع تارة وتنخفض أخرى، ويكون بينهما فتوق تارة، وهي باليمن أوسع، وتضاف في كل محل إلى من قرب منها فيقال: سراة ثقيف، وسراة عدوان، وسراة فهم، وسراة أزد شنوءة، وبأسفلها أودية تصب في بحر القلزم، منها: الليث، وهو يلي سراة فهم، وقد يخص اسم الحجاز بالسراة، ويعلل بحجرة بين تهامة ونجد وجبل كرا بطريق الطائف من جملة السراة.

والظاهر أن البهيتا في طريق اليمانية من الفتوق بين السراة، وكذا ريع سلاّمة

---

(١) معجم البلدان (٥/٢٨).
(٢) في الأصل: ويقرب.

بطريق الطائف من الليث[1]، فإنه أيضاً من الفتوق المذكورة، والليث اليوم: اسم للبلدة الصغيرة المعلومة التي يمرّ عليها سيل ذلك الوادي انصبابه إلى البحر فيكاد يجتحفها، وهي تبعد عن البحر بمقدار فرسخ، وهي يماني[2] مكة المكرمة، بينهما أربع مراحل، وبينها وبين القنفذة أول عسير واليمن أربع مراحل أيضاً، ومن الطائف ثلاث مراحل من ريع سلاّمة -بتشديد اللام-، وسكانها الحضارم والسادة، وبعض بيوت من أجناس مختلفة من ترك، وهنود، ومصارية، ومغاربة، ويحيط بها قبائل من أعراب هذيل وخزاعة وغيرهم، وأشراف ذو حسن بن عجلان، وأشراف عبادلة يقال لهم: الصوامل، وأشراف مناديل وشنابرة، وهواؤها جيد، وماؤها من آبار تغلب عليها ملوحة السباخ، والحلو منها من ركايا غير مطوية، يجدد حفرها كلما نضبت، وقلما تصفوا وتروق، ويجلب إليها من أطرافها السمن العجيب، ومنها إلى مكة، وهو من أحسن أنواع السمن، يقال: السمن الليثي. انتهى.

آبار نجيعة[3]: وهي ثلاثة آبار في وادي الشاقة الشامية، وهذا الوادي للأشراف ذوي حسن القاطنين به، وهو كثير الخيرات، يزرع فيه الدخن والذرة بكثرة، وأرضه جيدة، وهو وادٍ واسع الجوانب يسيل ماؤه على وجه الأرض،

---

(١) في هامش الأصل: الليث تهب فيها الرياح الشديدة حاملة معها الأتربة الكثيرة، تمنع الناس من الأكل والطبخ نهاراً في وقت...١. هذا هو المسموع ممن سكن بها. وكتبه: محمد نصيف.

١- بياض في الأصل قدر ثلاث كلمات.

(٢) أقحم بين الأسطر فوق هذه الكلمة بخط نصيف لفظ: "جنوب".

(٣) في الرحلة اليمانية: بجيعة.

يحفّ به من اليمين والشمال [أشجار][١] الأراك والأَثْل[٢] والطَّرْفاء[٣] والحمض، وماء هذا الوادي يأتي من جبل كبير الحجم، شامخ الارتفاع اسمه: عَفَفْ[٤]، وهو ملك لقبائل بني هلال.

عَلْيَبْ: وهي مكان في وادي الشاقة اليمانية التي هي لذوي حسن، وهذا الوادي كثير المياه، ماؤه يتدفق على وجه الأرض ويأتيه من جبل نَخْرَة، وهو في الجهة الشرقية من الوادي، ومزروعات الوادي كثيرة، وخيراته عظيمة، وأشجاره كثيرة، يشابه في منظره الشاقة الشامية.

المشيَّة: وهي في الجهة الشرقية من دوقة، وبين هذا المكان وبين مرفأ دوقة سير ساعتين على الهجين، وهو وادٍ خصب التربة، يزرع فيه الذرة، والدخن، والسمسم، والقطن الهندي، وجميع محصولاته ترسل إلى مدينة دوقة، ومنها ترسل إلى مرافئ الحرمين الشريفين بواسطة سفن شراعية.

وبين عَلْيَبْ ومشيَّة وادٍ متسع جداً لذوي حسن، وهو كثير الأشجار، ومعظمها من الأراك، وفي الجهة الشرقية من هذا الوادي جبل اسمه: شذا،

---

(١) في الأصل: الشجار. والمثبت من الرحلة اليمانية (ص:١٧).

(٢) الأثل: شجر من الفصيلة الطرفاوية طويل مستقيم يعمّر، جيد الخشب، كثير الأغصان، متعقّدها، دقيق الورق (المعجم الوسيط ٦/١).

(٣) الطرفاء: جنس من النبات منه أشجار وجنبات من الفصيلة الطرفاوية، ومنه الأثل (المعجم الوسيط ٥٥٥/٢).

(٤) جبل عفف: يقع جنوب شرق الليث، وهو جبل ضخم من جبال تهامة الحجاز، تراه وأنت في أي مكان من الليث، وتراه من دوقة ومن أماكن بعيدة، كثير القرى والمزارع، وهو لبني هلال (بين مكة اليمن ص:٢٩، ٥٣).

مشهور بشجر البُنّ الذي لا يوجد مثله في الجودة بالأراضي اليمانية، ويوجد بهذا الجبل أيضاً أشجار الفواكه بكثرة، ومياهه غزيرة، وهو من أحسن الجبال في الخصب والزراعة، وتابع لقبائل زهران.

وادي الأحسبة[1]: وهو ملك الأشراف العبادلة وقبيلة العجالين.

وبين مشيَّة ووادي الأحسبة وادٍ يقال له: القرماء، وهو لقبائل زبيد، وهو وادٍ خصيب التربة، كثير الأشجار، مياهه تسيل على وجه الأرض، ومزروعاته: الذرة، والدخن، والسمسم، ويزرع فيه القطن بكثرة.

ووادٍ يقال له: [ناوان][2]، وهو تابع لقبائل زبيد أيضاً، يشبه وادي القرماء الذي قبله في الخصب والزراعة.

أم الجرم: وهو محل في وادٍ يقال له: قنونا، وهو في الجهة الشرقية من مرفأ القنفذة، ويبعد عن القنفذة بسير ساعة للراجل، ووادي قنونا وادٍ عظيم، وبه جداول ماء يسيل على وجه الأرض، وعيون عذبة الماء للشرب، وهو لقبائل بني زيد، ويزرع به الدخن، والذرة بكثرة، ومن كثرة الحبوب به تباع بثمن زهيد جداً، فكل خمسة عشر مداً من الحب تساوي من الثمن بمعاملاتهم (ريال أبو طيرة)، وقيمته عشرة قروش مصرية، والمد اليمني يبلغ وزنه ثلاث أقق على الأقل، فيصير كل خمسة وأربعين أقة من الحب بعشرة قروش مصرية.

---

(١) الأحسبة: واد فحل كثير القرى والمزارع والسكان، يأخذ أعلى مساقط مياهه من سراة غامد غرب مدينة الباحة، وأكبر جبل هناك جبل (حُزْنَة)، ويأخذ أيضاً مياه جبل شدا اليماني، ثم يتجه غرباً مارابين وادي ناوان شمالاً ووادي لومة جنوباً، ثم يصب في البحر شمال القنفذة (بين مكة واليمن
ص: ٩٩).

(٢) في الأصل: نادان. والمثبت من الرحلة اليمانية (ص: ٢٠).

والمحل المسمى بأم الجرم ملك الأشراف ذوي زيد القاطنين بمكة، والمتولى أعمالها عبيد لهم ومواليد عتقاهم.

وأما بندر القنفذة فهو واقع على البحر الأحمر، وهو مرفأ عظيم حتى أن البواخر البحرية تسير فيه إلى قريب الشاطئ، وهذه المدينة ثلثها مبني بالأحجار، والثلثان الباقيان أكواخ مصنوعة من جريد النخل، وخشب أشجار السّمر والطرفاء، ولهم فيها صناعة جميلة واعتناء تام، حتى أنها تمكث ثلاثين سنة تقريباً.

وأغلب البيوت المبنية بالأحجار طبقة واحدة، عدا محلات الحكومة والأغنياء من التجار، فبيوتهم طبقتان، وبها محجر صحي، وثكنة للجند العثمانيين، وجمرك، وجميعها مبنية بالحجر بناء جميلاً.

وفي خارج البلد قلعة للحكومة العثمانية ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة، وبهذه المدينة سوق عظيم يوجد فيه جميع ما يحتاجه الإنسان من ملبس ومأكل وخلافه، وتردها أنواع الخضر، والليمون، والموز، والقطن، والسمسم، وما شاكلها من أوديتها.

أما الفواكه فترد لها من جهة بين تهامة والحجاز تسمى: المخواة، وبها ثلاث حوانيت عظيمة لمبيع أصناف البقالة، أحدها لشخص رومي، والدجاج فيها بكثرة، وهو رخيص، فثمن الواحدة قرشان مصريان، وبها مسجدان عظيمان للصلاة.

ومن عوائد أهلها: أن رجالها يلبسون الأحذية نهاراً والقباقيب[١] ليلاً[٢]. أما

---

(١) القَبْقاب: النعل تتخذ من خشب وشراكها من جلد أو نحوه (المعجم الوسيط ٢/٧١٢).

(٢) لعل ذلك لطرد هوام الأرض عند سماعها خفق القباقيب (هامش الرحلة اليمانية ص: ٢٤).

النساء فلا يلبسن في أرجلهن شيئاً أصلاً، بل هن حفاة على الدوام.

ومن عوائد أهلها أيضاً: أن الرجل لا يخرج من مترله صباحاً لقضاء أشغاله إلا بعد تناول طعام الإفطار، وبعد خروجه تخرج زوجته مستترة بملابسها بحيث لا يبدو منها سوى قدميها الحافيين ومعها ثلاث جبنات قهوة، والجبنة في عرفهم: وعاء للقهوة من الفخار، ثم تذهب إلى بيوت صواحباها، فإذا دخلت [عند](١) إحداهن سكبت لها صاحبة المترل فنجاناً من قهوها التي معها، وبعد أن تشربه تخرج من بيت إلى آخر وهلم جراً حتى تخلص قهوها، ثم ترجع إلى مترلها، ولهن محافظة تامة على هذه العادة(٢).

وادي يبا: وهو خصب التربة كثير المزروعات، يأتيه الماء من جبل الحجاز، والأراضي المترعة به تبلغ قدرها سبعين ألف فدان تقريباً من أجود الأطيان، ومساحة الوادي من الشرق إلى الغرب سبعون كيلو متراً، ومن الشمال إلى الجنوب ثمانية آلاف متر تقريباً، ويزرع في كل عام ثلاث مرات.

ومزروعاته: الذرة، والدخن، والسمسم، والنيلة، والليمون، والخضر بكثرة، وطينته صفراء، وهو مقسم إلى حياض كتقسيم الأرض الزراعية بمصر، وبهذا الوادي آبار كثيرة تسقي الأرض غزيرة الماء. أما أشجاره فكثيرة، إذ كل قطعة أو حوض فهي محفوفة بأشجار الأثل بشكل منتظم، حتى أن المقبل على الوادي يظنه غابة لكثرة الأشجار فيه(٣).

---

(١) قوله: "عند" زيادة من الرحلة اليمانية (ص:٢٤).

(٢) الرحلة اليمانية (ص:١٦-٢٤).

(٣) الرحلة اليمانية (ص:٤٩).

وفي أعلا وادي يبا من الجهة الغربية الى الجهة الشرقية قوز أبو العير، وهو مرتفع عن مسطح وادي يبا بخمسة عشر متراً تقريباً، وأرضه رملية لائقة للإقامة فيه، بخلاف نفس الوادي، فإن أرضه من الطينة الصفراء التي تصلح للزراعة.

وفي القوز ثلاثة آبار مبنية بالحجر ماؤها عذب غزير، وهواؤه جيد[١].

وفي الجهة اليمانية من وادي يبا وادي حلي: وبينهما خمسة عشر كيلو متراً، وهو أكبر من وادي يبا في الحجم أو أكثر في الخيرات، إذ مساحته توازي ثلاثة أمثال وادي يبا[٢].

المرحلة الحادية عشر: مكان لقبائل ربيعة بوادٍ منحصر بين جبال، والمياه تجري فيه بكثرة، يسمى ذلك المكان **بسوق الجمعة**؛ لأن في كل يوم جمعة تجتمع القبائل من جميع الجهات في هذا المكان للبيع والشراء، وعدد من يحضر بهذا السوق في يوم الجمعة يربو عن عشرين ألف نفس، ولا يمسي المساء إلا وهم متفرقون كل إلى وطنه.

وجميع اليمن وأغلب أهل الحجاز لهم أسواق يجتمعون بها في أيام مخصوصة.

ومن عوائد أهل اليمن المتعاهدين عليها: أن كل سوق من أسواقهم يكون حفظه على أهل جهته؛ لمنع اعتداء الحاضرين على بعضهم، حتى أن القاتل إذا حضر السوق وتقابل معه خصمه لا يقدر أن يمسّه بسوء، بل يتحادثان مع بعضهما وكل في مأمن من الآخر، فإذا تفرّقا ووصل كل إلى وطنه رجعا أعداء كما كانا[٣].

---

(١) الرحلة اليمانية (ص: ٤١).

(٢) الرحلة اليمانية (ص: ٤٩).

(٣) الرحلة اليمانية (ص: ٥٠-٥١).

الزبارة: وهي مكان في وسط الوادي -وادي بارق-، وهو من أعظم الأودية اتساعاً، خصب التربة، خيراته كثيرة، يزرع فيه السمسم، والذرة، والشعير، والدخن، والنيلة، ولأهله اعتناء تام باستخراج زيت السمسم وإرساله للخارج بكثرة.

وقرى وادي بارق تبلغ خمسين قرية، كلها مبنية بالحجر المنحوت الجميل، والدور فيها من طبقتين إلى ثلاث[١].

قال صاحب الرحلة بعد ذكر هذه المراحل الثلاثة عشر[٢]: إن شيخ قبائل بني شهر[٣] من أهل تهامة وهو الشيخ عبدالرحمن بن ذهيل طلب من دولة الأمير العدول عن الطريق الرسمي الموصل إلى أبها، وأن يكون مرور الجيش من قبيلته، وكذلك صعود جبل الحجاز مع العقبة المسماة: ساقين[٤]، إذ هي لبني شهر أيضاً، فاستحسن دولة الأمير رأيه، وأجابه إلى طلبه، وذلك لأن عقبة محائل[٥] التي هي للحكومة وهي الطريق الرسمي الموصل إلى أبها عاصمة عسير

(١) الرحلة اليمانية (ص:٥٤).

(٢) الرحلة اليمانية (ص:٥٥).

(٣) بنو شهر: تميل ديار بني شهر على فروع حلي الشمالية كوادي بقرة وما جاوره، ولها عقبة ساقين، ثم تأخذ على وادي خاط فلها جانب من وادي ية في العرضية، ولها جبل ثَرْبان الشهير بين ية وقنونا (بين مكة واليمن ص:٣٤٨).

(٤) عقبة ساقين: تخرج من قرب قرية الخوش ومن وادي خاط، ثم تفضي إلى سراة بني شهر (بين مكة واليمن ص:٣٦٤).

(٥) محائل: مدينة عامرة تقع على أحد روافد حلي يسمى وادي تيّة، وهو واد يأتي من السراة، كثير المزارع والقرى، وتقع المدينة بطرف هذا الوادي من الشمال، وتبعد عن البحر (١٢٠) كيلاً (بين مكة واليمن ص:٣١٠).

هدمت من أسفلها إلى أعلاها بواسطة السيد مصطفى عامل الإدريسي بتلك الجهة، وذلك لأنه حاصر قلعة شعار الواقعة في رأس العقبة، وامتد الحصار ستة أشهر حتى اضطرت العساكر الشاهانية إلى التسليم، فأخذهم أسارى وأرسلهم إلى صبيا مقر رئيسه[١]، وأخذ ما كان في القلعة من بنادق ومدافع، ثم هدمها حتى لم يبق لها أثر يذكر، ولهـذه الأسباب ترك دولة الأمير عقبة محائل وسار بجيشه إلى عقبة ساقين.

قال[٢]: وفي يوم الأحد الثامن والعشرين من جمادى الآخر ارتحلنا من وادي بارق، وسار معنا الشيخ عبدالرحمن بن ذهيل ومعه قوم كثيرون من بني شهر، وقد مررنا أثناء سيرنا في أودية عسيرة المسالك جداً، ولم نـزل سائرين حتى وصلنا وادي بقرة، التابع لقبائل بني شهر، وهو كثير النخل والعيون، وبتنا هناك في ضيافة بني شهر، وقمنا منه الساعة الحادية عشر صباح يوم الاثنين قاصدين عقبة ساقين.

وفي منتهى الساعة الواحدة صباح هذا اليوم ابتدأنا في صعود العقبة المذكورة، وهي عقبة عظيمة جداً، ولبثنا جميع يومنا في صعود، ثم بتنا أثناء العقبة في محل يقال له: صلبة، وهي روضة من رياض العقبة على طرف شلال ماء.

---

(١) في هامش الأصل: السيد محمد بن علي بن محمد بن السيد أحمد الإدريسي شيخ الطريقة الإدريسية. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) أي البركاتي في الرحلة اليمانية (ص:٥٥).

وفي الساعة الحادية عشر صباح يوم الثلاثاء واصلنا الصعود مجدّين المسير حتى أدركتنا القَيْلُولَة[١]، فقلنا في روضة يقال لها: [براد][٢]، تحت أشجار متنوعة الأشكال ذوات روائح زكية، وبعد القيلولة نهضنا وأخذنا في الصعود إلى أن وصلنا سطح العقبة منتهى الساعة الثالثة من ليلة الأربعاء، ونزلنا في وادي يسمى: تنومة لبني شهر أهل الحجاز، إذ قبيلة بني شهر بعضها ساكن فوق الجبل المسمى بالحجاز، وبعضهم ساكن بتهامة ويقال لهم: أهل تهامة.

وقبيلة [بني][٣] شهر من أعظم قبائل اليمن، وعددهم يزيد عن مائة وستين ألف[٤] مقاتل، ومكثنا هناك إلى اليوم السادس حتى وردت جميع الإبل والدواب الصاعدة بالذخائر مع العساكر النظامية، لأن صعود هذه العقبة شاق جداً، إذ يبلغ ارتفاع وادي تنومة عن سطح البحر ثلاثة آلاف متر تقريباً، وبرده في فصل السرطان أقوى من شتاء مكة المكرمة، وهواؤه أجود من هواء جبل لبنان الموجود بالشام.

وهذ الوادي تابع لقائم مقامية النماص، وهي من أقضية لواء عسير، وتسمى هناك بقضاء بني شهر.

وفي الوادي المذكور نهر عظيم يتفرع منه جداول تجري فيه من كل جانب، ويزرع في هذا الوادي: الحنطة، والشعير، والعدس بكثرة، وثمنها عندهم

---

(١) القيلولة: نومة نصف النهار، أو الاستراحة فيه وإن لم يكن نوم (المعجم الوسيط ٢/٧٧١).

(٢) في الأصل: برار. والمثبت من الرحلة اليمانية (ص:٥٦).

(٣) قوله: "بني" زيادة من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

(٤) في الرحلة اليمانية: وعددهم يزيد عن ستين ألف.

رخيص جداً، فكل تسعة أمداد من البر بريال، [وكل ثلاثة عشر مداً من الشعير بريال، وكل ثمانية أمداد من العدس بريال](١)، هذا عند ارتفاع الأثمان.

أما الثمن المعتاد بينهم فهو كل أردب من البر بثلاثة ريالات، وكل أردب من الشعير والعدس بريالين، وجميع أهل الشرق ونجد وبيشة يفدون على بني شهر القاطنين بجبل الحجاز بالتمر والإبل والخيل، ويشترون منهم الحبوب، والريال المستعمل بينهم هو الريال الفرنسي المسمى بأبي طيرة، وهو يساوي عشرة قروش مصرية.

وجبل الحجاز المذكور يفضل عن غيره بأربعة أشياء: بجودة السمن؛ بسبب جودة المرعى، وغنمه لا يوجد أحسن منها، وماؤه [من](٢) أعظم المياه [وأخفها](٣)، وهو شديد البرودة في فصل الأسد والسنبلة كأنه مثلج. أما في أيام الشتاء فإن جميع المياه به من غدران [وأنهار](٤) وآبار [تتجمد](٥) من شدّة البرد، وسكان هذا الجبل في غاية القوة وسلامة البدن.

وإنما سمي هذا الجبل بالحجاز؛ لأنه هو الحاجز بين تهامة ونجد، وأقل ارتفاع فيه عن سطح البحر ألفا متر، ومساحته واسعة جداً.

ويحدّه من جهة الشمال: عقبة كرا التابعة للطائف، ومن جهة الجنـــوب: صنعاء بأربعة أيام، وطوله من الشمال إلى الجنوب: إحدى وأربعون مرحلة،

(١) ما بين المعكوفين زيادة من الرحلة اليمانية (ص:٥٧).
(٢) قوله: "من" زيادة من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.
(٣) في الأصل: وافقها. والمثبت من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.
(٤) قوله: "وأنهار" زيادة من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.
(٥) في الأصل: تتجمد. والتصويب من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

وكل مرحلة سير يوم بالإبل المحملة، وهي أربعون كيلو متراً.

قال[١]: وسأذكر لك تفصيل بعضها: فمن الطائف إلى أبها عاصمة عسير خمسة عشر مرحلة، ومن أبها إلى صعدا سبع مراحل، ومن صعدا إلى شهارة [ثمان مراحل، ومن شهارة إلى][٢] صنعاء عاصمة ولاية اليمن سبع مراحل، ومن صنعاء إلى نهاية جبل الحجاز جنوباً أربع مراحل، وعدد سكان جبل الحجاز على أقل تقدير أربعة مليون ونصف.

أما من الشرق إلى الغرب فلا يتجاوز أربع مراحل من أي جهة كانت.

وتهامة اليمن السالف ذكرها هي أرض مبسوطة منخفضة عن جبل الحجاز انخفاضاً عظيماً، وهي واقعة بين جبل الحجاز والبحر الأحمر، شديدة الحرارة، كثيرة الأودية، فلا يبعد الوادي فيها عن الآخر أكثر من ثلاث أو أربع ساعات.

وجميع الأودية تشرب من السيول التي تهبط من جبل الحجاز المذكور، وكافة أودية تهامة [جيدة][٣] صالحة للزراعة، وتزرع بماء السيل الذي يأتيها من الجبل في السنة ثلاث زروعات.

وتهامة اليمن تبتدئ من جهة الشمال بقائمقامية الليث التابعة لإمارة مكة، وفيها أمير مولى من قبل دولة أمير مكة، ويحدّها من الجنوب: بلاد سلطان لحج وعدن.

وعدد مراحل تهامة من جهة الشمال إلى الجنوب أزيد من خمسين مرحلة، وجميعها آهلة بالسكان، إذ يبلغ عدد أهل تهامة على أقل تقدير خمسة ملايين.

---

(١) أي البركاتي في الرحلة اليمانية (ص:٥٨).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

(٣) قوله: "جيدة" زيادة من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

وجبل الحجاز الفاصل بين تهامة ونجد آهل بالسكان، وقراه متصلة ببعضها، فإذا سافر مسافر من الشمال إلى الجنوب فإنه يكون دائماً بين مزروعات وأشجار وأودية كثيرة المياه والمرعى، وجميع الجبل بهذا الشكل، وكافة قراه مبنية بالحجر المنحوت، ودورها من طبقتين إلى ثلاث، ولا يوجد فيه أكواخ مثل تهامة.

وأما نجد فهي في الجهة الشرقية من جبل الحجاز، وهي سهل منخفض عن جبل الحجاز بخمسمائة متر فأقل(١).

ثم دخلنا ديار بَالأسمر -وهي في الوادي المسمى بوادي حوراء- في منتهى الساعة الحادية عشر من يوم الأربعاء مساء تاسع رجب، وأقمنا فيها. وهذا الوادي كثير المزروعات، خصب التربة، [ومحصولاته](٢) من البر والشعير والذرة كثيرة وجباله مملوءة بأشجار العرعر، واللوز، والتين، والعنب، والخوخ، وغير ذلك من الفواكه.

وبهذه الجبال ينابيع طبيعية خارجة من جوف الصخور، ينحدر ماؤها بشكل غريب إلى وادي حوراء، ومنظر هذا الوادي جميل للغاية، وقراه متصلة ببعضها، وبه عيون ماء كثيرة تسيل على وجه الأرض.

ثم رحلنا صباح يوم الخميس عاشر رجب وسرنا حتى نزلنا في قرى بَالأسمر في مكان يسمى: سوق الاثنين، وأقمنا يومين.

ثم رحلنا صباح يوم السبت ثاني عشر رجب قاصدين قرى قبيلة بَالأحمر،

---

(١) الرحلة اليمانية (ص:٥٥-٥٩).
(٢) في الأصل: ومحصولاتها. والتصويب من الرحلة اليمانية (ص:٦٢).

فوصلنا الساعة التاسعة مساء اليوم المذكور قرى وادٍ يسمى: عمق، وفي الجهة الجنوبية من هذا الوادي عقبة يقال لها: بيحان[١].

وفي صباح يوم الثلاثاء الخامس عشر من رجب سرنا من قرى بيحان وصعدنا العقبة، وهي عسرة المسالك، كثيرة الأشجار، ومنظرها من [أجمل][٢] المناظر، وبها قرى كثيرة.

ولم نزل سائرين حتى وصلنا قرى من أملاك بَالأحمر في وادٍ يسمى: وادي صبح، وكان ذلك في الساعة التاسعة آخر اليوم المذكور، فترلنا هناك، وهو وادٍ خصب جداً، كثير البساتين والأشجار، ويزرع فيه البر، والشعير، والذرة، والسمسم، والبرسيم، والأنهار فيه بكثرة، وجباله كأنها رياض، تحفها الأشجار من العرعر، واللوز، والتين، وغيرها من النباتات ذوات الرائحة الزكية، وهواء هذا المكان جميل جداً، وماؤه من أحسن المياه[٣].

وفي صباح يوم الخميس سابع عشر رجب سرنا حتى وصلنا وادياً يقال له: عَبل، فترلنا فيه الساعة التاسعة مساء يوم الخميس المذكور، وهذا الوادي فاصل بين ديار بَالأحمر وديار قبائل عسير، وهو وادٍ خصب التربة، مزروعاته كثيرة، وبه من أشجار الفواكه ما لا يحصى؛ لكثرتها.

وفي صباح يوم الجمعة ثامن عشر رجب رحلنا قاصدين شعار، فوصلناها الساعة العاشرة مساء الجمعة ثامن عشر رجب.

وشعار: موضع متّسع تحفّه الجبال، وسرنا حتى وصلنا الساعة الحادية عشر آخر النهار وادياً لقبيلة بني مالك، من عسير[٤].

---

(١) الرحلة اليمانية (ص:٦٢-٦٣).
(٢) في الأصل: أجل. والمثبت من الرحلة اليمانية (ص:٦٥).
(٣) الرحلة اليمانية (ص:٦٥-٦٦).
(٤) الرحلة اليمانية (ص:٦٦-٦٧، ٧١).

وفي يوم السبت تاسع عشر رجب رحلنا صباحاً قاصدين أبها.

وفي الساعة التاسعة مساء هذا اليوم دخلنا أبها، وأقمنا بها خمسة عشر يوماً[1].

ذكر المراحل التي بين أبها والطائف

قال الشريف شرف[2]: وفي اليوم الرابع من شهر شعبان سنة تسع [وعشرين][3] وثلثمائة وألف أمر دولة الأمير[4] بالرحيل من أبها، فنهضنا الساعة الثانية صباح يوم الأحد الرابع من الشهر المذكور، وأمسينا في قرى بني مالك، من قبائل عسير، وبِتْنا بها.

وفي الساعة الحادية عشر صباح يوم الاثنين الخامس منه سرنا حتى وصلنا الساعة السادسة وادٍ يقال له: الجنفور، وهو الحدّ الفاصل بين ديار عسير وشهران، وهو ملك لبني مالك أيضاً، فإن قراهم أكثر من عشرين قرية، وهو وادٍ خصب التربة، كثير المياه، وأغلب زروعاته: البر، والشعير، والذرة، وفيه من الفواكه: التين، والعنب، والخوخ، والمشمش، والتفاح، وهواؤه معتدل.

وسرنا بعده إلى الساعة الثامنة من اليوم المذكور، ونزلنا في وادٍ لقبائل شهران يقال له: وادي راشد، وهو المرحلة الثانية من أبها، وهذا الوادي متّسع،

---

(١) الرحلة اليمانية (ص:٧٢).
(٢) في هامش الأصل: ابن الشريف عبدالمحسن البركاتي في الرحلة اليمانية. كتبه: محمد نصيف.
(٣) في الأصل: وعشرون. والتصويب من الرحلة اليمانية (ص:٨٠).
(٤) في هامش الأصل: الأمير دولة الشريف حسين بن علي أمير مكة، ثم ملك الحجاز. كتبه: محمد نصيف.

آباره كثيرة، غزيرة الماء، وفيه من الفواكه أصناف كثيرة، يزرع فيه البر، والشعير، والذرة، وهواؤه معتدل يقرب من هواء الطائف، بخلاف هواء ديار عسير أهل السرى، فإن بردها شديد.

ووادي راشد هذا واقع في الجهة الشرقية من أبها، ومنخفض عنها بنحو مائتي متر تقريباً[١].

وفي صباح يوم الثلاثاء السادس من شعبان سرنا ونزلنا في الساعة السابعة نهاراً في وادٍ يقال له: المسيرق، واسترحنا فيه ساعة، ثم نهضنا منه ونزلنا الساعة الحادية عشر في أسفل الوادي المذكور، وهو تمام المرحلة الثالثة من أبها، وبِتْنا هناك.

ثم سِرْنا في الساعة الحادية عشر من صباح يوم الأربعاء ومررنا بوادٍ يقال له: وادي الأراك، وهو وادٍ عظيم به نخيل كثيرة، وتحف به من الجانبين [غابات][٢] الأثل والطرفاء والأراك، ولم نزل سائرين في هذا الوادي إلى الساعة الحادية عشر من هذا اليوم، ثم أمر دولة الأمير بالمبيت في نهايته، وهو تمام المرحلة الرابعة، فبِتْنا.

وفي صباح يوم الخميس الثامن منه نهضنا وسرنا ساعتين، ثم دخلنا وادياً يقال له: وادي خضراء، لقبائل شهران، وهو من أكبر الأودية، خصب التربة، يوجد به النخل بكثرة، وشجر الليمون، ويزرع فيه البر، والشعير، والذرة، والبرسيم، ويسقي زرعه من الآبار، فنزلنا هناك.

---

(١) الرحلة اليمانية (ص: ٨٠-٨١).

(٢) في الأصل: غابة. والمثبت من الرحلة اليمانية (ص:٨٢).

وفي الساعة السادسة من اليوم المذكور نهضنا ونزلنا منتهى الساعة الثانية ليلاً في وادٍ يقال له: الفضايا، لقبائل شهران أيضاً، وهو تمام المرحلة الخامسة، وأهل هذه الديار أعراب يسكنون البيوت الشعر، وهم أهل غنم وإبل كثيرة، وغنمهم لحمها أحسن وأطيب اللحوم، وهي التي ترد بمكة المكرمة بكثرة، وبِتْنا هناك.

وفي الساعة الحادية عشر صباح يوم الجمعة التاسع منه نهضنا وسرنا سيراً حثيثاً إلى الساعة السابعة نهاراً، ثم نزلنا في المرحلة السادسة بشهران أيضاً، ومن هذه المرحلة نهضنا الساعة التاسعة من اليوم المذكور، ونزلنا الساعة الخامسة ليلاً للمبيت، وفي آخر الليل نهضنا وسرنا حتى وصلنا وادياً يقال له: بيشة، في الساعة الثانية من صباح يوم السبت العاشر منه، وهذا الوادي هو المرحلة السابعة[١].

ثم أمر دولة الأمير بالرحيل في الساعة الثامنة مساء يوم الاثنين ثاني عشر شعبان، ونزلنا بعد صلاة المغرب في قرية يقال لها: الدوار، بِتْنا بها.

وفي الساعة الحادية عشر صباح الثلاثاء رحلنا وسرنا وحدائق النخل محيطة بنا من كل جانب، حتى نزلنا في قرية: النقيع.

وفي الساعة الثامنة مساء يوم الثلاثاء سرنا من النقيع، ونزلنا عند الغروب في المرحلة الثامنة من أبها في مكان لقبيلة يكلب، وبِتْنا هناك.

وفي الساعة الحادية عشر من يوم الأربعاء الرابع عشر منه نهضنا ونزلنا الساعة الخامسة على آبار في وسط الوادي، ماؤها يسيل على وجه الأرض، وهو [لقبيلة][٢] يكلب أيضاً.

---

(١) الرحلة اليمانية (ص:٨٢-٨٣).
(٢) في الأصل: لقيلة. والتصويب من الرحلة اليمانية (ص:٨٨).

وفي الساعة الثامنة مساء سرنا ونزلنا وقت الغروب في المرحلة التاسعة من أبها، وبِتْنا بتلك الجهة.

وفي الساعة العاشرة يوم الخميس الخامس عشر من شعبان سرنا ونزلنا في أعلى وادي رنية، وهو المرحلة العاشرة من أبها، وهذه الديار لقبائل غامد أهل الشرق.

وقبيلة غامد متفرقة، بعضهم قاطن بهذه الديار، والقسم الأعظم منها قاطن بجبل الحجاز، وبعضهم قاطن بتهامة في الجهة الغربية من جبل الحجاز.

وفي الساعة الثامنة مساء الخميس سرنا ونزلنا الساعة الثالثة بعد المغرب، وبعد صلاة الصبح يوم الجمعة قمنا وسرنا في حرّة سوداء، والحرة عبارة عن جبل سطحه معتدل، وحجارة الحرة متساوية الحجم، ولونها أسود.

وفي الساعة الخامسة نزلنا على غدير ماء في وادٍ يقال له: لَرِمَهْ، وهذه الغدران متطاولة في الوادي، كثيرة الماء، وهذا الوادي واقع في منتصف الحرة، وقِلْنا يومنا، وبِتْنا على هذه الغدران واستقينا بأجمعنا من مياهها العذبة.

وبعد صلاة صبح يوم السبت السابع عشر منه أمر دولة الأمير بالرحيل، فرحلنا من لَرِمَهْ، ولم نزل سائرين في الحرة السوداء حتى دخلنا وادياً يقال له: كرى، وهو في وسط الحرة، وهذا الوادي كثير المياه، وعيونه تجري على وجه الأرض، وغدرانه مملوءة بالماء، وأشجاره الأثل والسمر، فقِلْنا تحت شجر الأثل بين المياه، ثم قمنا وتركنا وادي كرى يميننا واستلمنا ظهر الحرة ووجهتنا وادي تُربة.

ووادي كرى يصبّ ماؤه في أسفل تربة، ومازلنا سائرين حتى دخلنا [أعلى][(١)] وادي تربة الساعة الثانية ليلة الأحد، وهذه الحرة في غاية الصعوبة، وقد سرنا في ظهرها يومين ونحن مجدّون في السير حتى قطعناها[(٢)].

وفي يوم الأحد الثامن عشر قمنا من وادي تربة الذي هو المرحلة الثالثة عشر من أبها قاصدين وادي [الحُمْرة][(٣)]، وهو تمام المرحلة الرابعة عشر[(٤)].

وفي الساعة الحادية عشر مساء الأحد سرنا حتى نزلنا وادي كلاخ، وهو المرحلة الخامسة عشر من أبها. ويزرع في هذا الوادي: البر، والشعير، وفيه كثير من بساتين الفواكه، وحدائق النخيل، وتشرب مزروعاته من الآبار.

وفي الساعة الثامنة سرنا، ونزلنا الساعة الواحدة ليلة الثلاثاء في محل يقال له: شُرس، وبِتْنا هناك، وقِلْنا بوادي لية[(٥)]، وهو وادٍ كبير يزرع فيه من الفواكه: العنب، والخوخ، والمشمش، والكمثرى، والتفاح، والتين، والسفرجل، والتوت، والرمّان الذي لم يوجد له نظير في سائر الأقطار، فيضرب به المثل برمّان الطائف.

ويزرع فيه أيضاً: البر، والشعير، والبرسيم، والذرة، وتشرب مزروعاته من الآبار، وفي هذا الوادي عين جارية حفرها الشـــريف حمزة الفعـــر العبدلي،

---

(١) في الأصل: على. والمثبت من الرحلة اليمانية (ص:٨٩).

(٢) الرحلة اليمانية (ص:٨٧-٨٩).

(٣) في الأصل: الخمرة. والتصويب من الرحلة اليمانية (ص:٩١).

(٤) الرحلة اليمانية (ص:٩١).

(٥) لِيّة: واد من نواحي الطائف، مرّ به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حنين يريد الطائف، وأمر وهو به أن يهدم حصن مالك بن عوف قائد غطفان. وهو واد فحل من أودية الحجاز الشرقية، يمر جنوب الطائف على ١٥ كيلاً، وهو مشهور بزراعة الرمان، ورمانه من أجود أنواع الرمان (معجم البلدان ٥/٣٠، معجم معالم الحجاز ٧/٢٧٢-٢٧٣، وإهداء اللطائف ص:٩٠).

ولكنها تارة تسيل وتارة [يمتنع][1] سيلها إذا كف جريان السيل عن الوادي، وذلك لعدم تمام عمارتها إلى النهاية.

ثم سرنا ونزلنا في محل يقال له: نَخِب[2]، لقبيلة وقدان، واسمه الحقيقي: وادي النمل.

وفي صباح يوم الخميس الثاني والعشرين من شعبان، قمنا من هذا الوادي ودخلنا الطائف يوم الخميس الثاني والعشرين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلثمائة وألف. انتهى[3].

الفصل الرابع: في ذكر طريق من يقصد الحج من صنعاء عاصمة اليمن

ذكر الشيخ محمد بن سليم المخزومي في الرحلة الحجازية رحلته من عدن إلى صنعاء، فنذكر هنا ملخّص عبارته، وبذلك يظهر طريق من يقصد الحج من صنعاء من طريق عدن.

قال رحمه الله: توجهنا إلى إلى بورت سعيد، ثم إلى بحر السويس، وبعد ثلاثة أيام ونصف وصلنا عدن أول أساكل اليمن، فنزلت في التواهي[4]، ثم ركبت

---

(١) في الأصل: يمنع. والمثبت من الرحلة اليمانية (ص:٩٤).

(٢) نَخب: واد بأرض هذيل. وقيل: واد من الطائف على ساعة، مر به النبي ﷺ من طريق يقال لها: الضَّيِّقة، ثم خرج منها على نخب حتى نزل سدرة يقال لها: الصادرة (معجم معالم الحجاز ٣٥/٩).

(٣) الرحلة اليمانية (ص:٩٢-٩٤).

(٤) التواهي: ميناء ومدينة حديثة في خليج عدن الغربي، اكتسبت أهميتها منذ القرن التاسع عشر الميلادي عندما اتخذها الوالي البريطاني مقراً لسكنه، ثم صارت مقر سكن مساعديه وكبار الموظفين والعسكريين البريطانيين ومقراً للقنصليات والشركات الأجنبية (معجم البلدان والقبائل اليمنية ٢٤٤/١).

عربة، وبعد ساعة دخلت مدينة عدن، ثم توجهنا في الوابور إلى الحديدة، وبعد يومين وليلة وصلنا إليها، ثم توجهت إلى المَراوِعَة(١) بلدة السيد عبدالباري لزيارته، فزرتهم، وهم جماعة مكبّون على قراءة القرآن وعلى الحديث الشريف وعلى طلب العلوم، [يكرمون](٢) الضيف، ويجاملون الناس بأخلاقهم الحسنة، ولذا اعتقدهم الناس، وتتبرك بزيارتهم، والبلدة صغيرة، بيوتها عشش من الخشب والخصف، وحولها مزروعات قليل من الحب، والذرة، والدخن، والسمسم، وبعض الخضار، ومنها توجهنا إلى القُطَيْع(٣) -مسافة ساعة-، وزرنا السيد محمد الهجامي، وهو على نسج المراوعة في جميع ما ذكرنا، وقريته صغيرة، أكثر بنائها من الحجر، والبعض من العشش، وحوله مزروعات كما ذكرنا.

وكلا القريتين معفو عنها من جهة الدولة، ولا أحد يتعرض لهم بسوء، ومنها ركبنا إلى باجل ثماني ساعات مركز قائم مقامية، وبناؤها عشش، ثم ركبنا إلى [البُحَيْح](٤) ستة ساعات، ومنها إلى عُبَال(٥) أربعة ساعات، وهي قهاوي

---

(١) المراوعة: مدينة واقعة على طريق الحديدة ــ باجل، حيث تبعد شرقاً عن مدينة الحديدة بمسافة (٣٠) كيلاً، يعود ظهورها إلى القرن الثالث الهجري على أثر اندثار مدينة الكَدْراء (معجم البلدان والقبائل اليمنية ٢/١٤٨٢).

(٢) في الأصل: يكومون.

(٣) القطيع: مدينة بالشمال الشرقي من مدينة المراوعة بمسافة نحو عشرة أكيال، تقع بالقرب من خط الطريق الذاهبة من الحديدة إلى باجل (معجم البلدان والقبائل اليمنية ٢/١٢٨٦).

(٤) في الأصل: البحيج. وهو تصحيف.
والبحيح: قرية تهامية بالجنوب من الحديدة، كانت مبنية من القش، وقد عم فيها البناء الحديث (معجم البلدان والقبائل اليمنية ١/١٤١).

(٥) سكان هذه القرية شعر رؤوسهم طوال جعد، وهم يدهنون شعرهم بالأدهان، ويربطونه بشرائط من الحرير أو الجلد، ويزينونه بالريش أو [الزهر]١ أو الرياحين، ويتزرون بالفوطة. اهـ. ذكره الريحاني (ملوك العرب ١/٢٥٨). (غازي).
=

من العشش على الطريق، ويجري هناك سيل شاق الأرض قدر ثلاث قامات يصبّ من جبال عظيمة هناك من بعيد، ثم إلى مجيلة، وهي قائمقامية حدود تهامة أربعة ساعات، كانت المسافة من الحديدة إليها ثلاثة أيام، وهي أرض سهلة ما فيها شيء من الجبال، ومنها سرنا في وادٍ مملوءٌ شجراً وحجارة، يخاف الإنسان على دابته وعلى نفسه، مقدار ساعتين، حتى وصلنا تحت جبل حَرَاز[1]، وهو منفلق شقين من أسفله، حتى يرى كالغار، فيمر الإنسان من الغار.

ثم صعدنا إلى الجبل في طريق عرضه مترين، ونحن نرى يميناً وشمالاً الأشجار، والأعشاب، والأوراد، والأزهار، وشجر الياسمين يتدلى على رؤوسنا من الجانبين، وفي وقت من جانب واحد، فكنا نقطف منه زهر الياسمين ونحن سائرون على الدواب، وكلها نابتة خلقة على المطر، ولم نزل صاعدين ونحن ننظر في شعوب مزروعة بُنّاً، وفي أطرافها الموز والفواكه، وترى شكل البُنّ على شجرة خضر مثل العُنَّاب، وعند استوائه يحمرّ كحَبّ العناب، وبعد استوائه يجمعونه ويضعونه في الشمس ويحرشونه بعد الجفاف على رحى، ثم يغربلونه، ويبيعون البُنّ والقشر، ويبقون شيئاً لمشروبهم، فإنهم لا يشربون البُنّ، بل قشره.

=

١- في الأصل: الزهراء. والتصويب من ملوك العرب (٢٥٨/١).

(١) جبل حراز: هناك سبعة جبال يجمعها اسم (حراز) هي: مناخة، صَعْفَان، مَسَار، لِهَاب، مِجْيح، شبام، هَوْزَن، كانت تشكل وحدة إدارية معاً، وأطلق عليها صفة (حراز المُستَحْرِزة) أي المنيعة الحصينة؛ لجبالها الحصينة الصعبة المرتقى، وترتفع هذه الجبال عن سطح البحر بنحو ألفي متر وخمسمائة متراً (معجم البلدان والقبائل اليمنية ٤٤١/١).

وبعد اثنا عشر ساعة وصلنا سطح الجبل، عليه بلدة تسمى: مناخة[١] قائمقامية، وأهلها زيود، فبِتّ، وبالصباح نزلت من الجبل إلى وادٍ مع واد إلى الأرض مسافته ساعتين، ولم نزل ماشين إلى أن انتهينا بمحل يسمى: العز[٢] على مسافة ست ساعات، فجلسنا به حتى انشرحنا، فسرنا إلى قهوة تسمى: المضيق، وبِتْنا فيها.

وفي الصباح سرنا في شعب وجبال صغيرة حتى وصلنا جبلاً فصعدنا فيه، وبعد ثمانية ساعات وصلنا سطح الجبل عليه بلدة تسمى: الخميس[٣] قائمقامية، وبعد الاستراحة سرنا على جبل منفرش حتى وصلنا إلى سبيل وبركة لسنان باشا، فاسترحنا هناك، وسرنا قليلاً فدخلنا من أول باب سور صنعاء الثاني، ومشينا في محلة اليهود، وهم قدر اثنا عشر ألف نسمة، وبينهم محل يشرح الصدر متّسع، فيه عين جارية وبعض بساتين، سكانه ولاة صنعاء وأمراؤها وحكامها، وفيها خستخانة صنعاء[٤]،ثم دخلنا من الباب الثاني في السور الأول المحيط بصنعاء القديمة، ومررنا على جسر موضوع على سيل يشق صنعاء نصفين، يدخل من اليمين ويخرج من الشمال، ولم نزل سائرين على البغال ساعة وربع حتى وصلنا إلى محل متصل بمحل الضابطية، ودوائر الحكومة، والوالي، والعسكرية، والمشيرية، ويقابلها في جانب السور مسجد عظيم، ويليه قلعة من البناء القديم، وهي عظيمة جيدة البناء، وبينهما ميدان كبير، كل يوم

(١) مناخة: قائمة على قنة جبل حراز التي تشبه صهوة الفرس، وهي قسمان: قسم في الصهوة، وقسم خارجها على ربوة في الجهة الشمالية، ولكنها في الحالين حصينة منيعة، فهي في علوها ألف قدم فوق صنعاء، وعشرة آلاف قدم ونيف فوق البحر، وفيها مركز قضاء حراز، ودائرة للسلك والبريد، ومفرزة من الجنود، وهي محطة للتجارة بين الحديدة وصنعاء. اهـ ملوك العرب (١/٢٤٥). (غازي).

(٢) وفي ملوك العرب: العجزا. اهـ. (غازي).

(٣) فيها مركز للسلك. اهـ. (غازي).

(٤) تقدم التعريف بها في (٢/٦٣٥).

بعد العصر تصدح فيه الموسيقات، وهناك كوزينات -أعني قهاوي- تشرح الصدر، ثم تمشينا في صنعاء.

قال صاحب الرحلة: وبعد الفرجة على ساعات اليمن سرنا من الليث إلى جدة. انتهى.

طريق الحاج من صنعاء إلى مكة براً

ذكر الشيخ محمد بن أحمد بن أبي بكر البنا الشامي في كتاب[١] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم[٢]:

ومن أراد مكة من صنعاء أخذ إلى الرَّيْدة[٣] مرحلة، ثم إلى أُثافِت[٤]،

---

(١) في هامش الأصل: طبع هذا الكتاب في هولندا (البلاد الواطئة في أوربا). وكتبه: محمد نصيف.

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص:١١١-١١٢). وانظر: صبح الأعشى (٥/٤١-٤٢)، وكتاب المناسك وأماكن طرق الحج (ص:٦٤٣-٦٤٥).

(٣) الريدة: تعددت المناطق والقرى التي تحمل اسم (ريدة)، وتعني القرى التي تقع على سطوح الجبال أو في الحيود، منها: (ريدة البَوْن) تقع في السفح الشرقي الجنوبي من حصن تُلْقُم على بعد ٢٠ كيلاً شمالاً بشرق من عمران. و(ريدة عبد الودود) بلدة على الشاطئ الشرقي الساحلي لمدينة الشحر، تبعد عنها بمسافة (٤٠) كيلاً. و(ريدة الصَّيْعر) بلدة في الشمال الغربي من وادي حضرموت وشرقي حصن العَبْر. و(ريدة الدِّيِّن) منطقة في المرتفعات الواقعة ما بين وادي دوعن ووادي عمد. و(ريدة المَعَاره) تقع بين ريدة الجَوْهيين والحموم في الشمال الشرقي من المكلا بمسافة(١٠٠) كيلاً. و(ريدة الجوهيين) منطقة شمال غَيْل بن يُمَيْن، تبعد عن الشحر بمسافة(٨٧) كيلاً. و(ريدة الشعيب)، بلدة في منطقة الطلح بوادي عرماء في جنوب شبوة. و(ريدة الرشيد) قرية كبيرة بالشمال الغربي من مدينة مَيْفَعَة (أصبعون) فيها بعض قبائل الواحدي (معجم البلدان والقبائل اليمنية ٧١٩/١-٧٢١).

(٤) أثافت: -بضم الهمزة وفتحها- بلدة قديمة خاربة في دَمَّاج من بني قيس تُسيع بني صُريم من حاشد، عدادها اليوم من مديرية خَمر وأعمال محافظة عمران. وذكر الهمداني أنها كانت تسمى في الجاهلية (دُرْنا). أما خرابها فيرجع إلى القرن السادس الهجري، وقد هدمها محمد بن الإمام أحمد ابن سليمان حينما حاول الأخذ بثأر أخيه يحيى من قاتليه (معجم البلدان والقبائل اليمنية ٢٤/١).

ثم إلى خَيْـوان[١]، ثم إلى الأَعْمَـشيَّة، ثم إلى صـعدة، ثم إلى غُرْفَـة[٢]، ثم إلى المَهْجَـرة[٣]، ثم إلى شَـرُوراح، ثم إلى الثَّجَّـة[٤]، ثم إلى كُثْبـة[٥]، ثم إلى يَنْبَمْ[٦] على ثمانية أميال من جُرَشْ[٧]، ثم إلى بنات جَرْم[٨] مرحلـة ، ثم إلى

---

(١) خيوان: مديرية تتبع محافظة صنعاء، وتقع شمالاً منها بمسافة (١٣٠ كلم)، وتنسب إلى خيوان بن زيد بن مالك بن جشم بن حاشد بن همدان. قال الهمداني: يسكنها المعيديون، والرضوانيون، وبنو نعيم، وآل أبي عشن، وبها قبر الجدّين بكيل وحاشد (الموسوعة اليمنية ٤٣٩/١).

(٢) غرفـة : مدينة حضرميـة مشهورة، غربي مدينة سيئون بمسافة (٥ كلم)، يعود تاريخ إنشائها إلى القرن السابع الهجري. وقد عانت هذه البلدة ما عانت غيرها من المناطق اليمنية القديمة من المناوشات المسلحة التي أدت إلى تخلف مسار الحياة قديماً، بيد أنها صارت اليوم أكثر ازدهاراً واتساعاً في عمرانها، وخاصة بعد قيام دولة الوحدة (معجم البلدان والقبائل اليمنية ١١٧٢/٢-١١٧٣).

(٣) المهجرة: منطقة في جبل السَوْد من أعمال محافظة عمران (معجم البلدان والقبائل اليمنية ١٦٧١/٢).

(٤) الثجة: قرية قديمة خاربة كانت عامرة في السفح الشرقي لجبل التَّعْكَر على مقربة من مدينة جِبْلة، وهي اليوم مزارع وحروث. وقد يطلق على مدينة إب اسم (الثجة)، ويوجد في المدينة الحالية دار مسماة بهذا الاسم (دار الثجة) لعله نُقل إليها من أحجار تلك فسميت به (معجم البلدان والقبائل اليمنية ٢٥٣/١).

(٥) في كتاب المناسك وأماكن طرق الحج (ص:٦٤٤): كتنة.

(٦) ينبم: اسم موضع قرب تبالة عند بيشة (معجم البلدان لياقوت ٤٢٧/٥).

(٧) جُرش: قرية في منطقة بني خُولي من مديرية (بلاد الطعام) في رَيْمة وأعمال محافظة صنعاء. وجرش: قبيلة يمنية كانت من أسبق القبائل اليمنية تلبيةً لنداء الجهاد في سبيل نشر الإسلام، وقد نزلت في الأردن (معجم البلدان والقبائل اليمنية ٣١٤/١-٣١٥).

(٨) في كتاب المناسك وأماكن طرق الحج (ص:٦٤٤): بنات حرب. وهي جبال حُمر لا تزال معروفة شرق بلدة بيشة.

[جُسَداء][١]، ثم إلى بيشة، ثم إلى تَبَالة[٢]، ثم إلى رنية[٣]، ثم إلى كَدَى[٤]، ثم إلى صُفر[٥]، ثم إلى تُرَبَة، ثم إلى الفُتُق[٦]، ثم إلى الجُدَد[٧]، ثم إلى الغَمْرة[٨]، ثم إلى ذات عِرْق[٩].

الفصل الخامس: في ذكر الطرق التي توصل الحاج من الكوفة والبصرة إلى مكة

قال الشيخ محمد البنا الشامي رحمه الله[١٠]: وإن أردت مكة في جادَّة الكوفة: فَخُذْ من زبالَة[١١]، - وهي عامرة واسعة الماء - إلى

(١) في الأصل: جشداء. والتصويب من أحسن التقاسيم (ص:١١١).

(٢) تَبالة: موضع جنوب مكة، قرب بيشة، أسلم أهل تبالة وجُرَش حرب فأقرهما رسول الله ﷺ في أيدي أهلهما على ما أسلموا عليه، وجعل على كل حالم ممن هما من أهل الكتاب ديناراً، واشترط عليهم ضيافة المسلمين، وكان فتحها في سنة عشر، بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخاً نحو مسيرة ثمانية أيام، وبينها وبين الطائف ستة أيام، وبينها وبين بيشة يوم واحد. (معجم البلدان ٩/٢-١٠).

(٣) رَنْية: قرية من حدّ تبالة، يسكنها بنو عقيل، وهي قرب بيشة وتثليث، وبمبم وعقيق تمرة، وكلها لبني عقيل (معجم البلدان ٧٤/٣).

(٤) في كتاب المناسك وأماكن طرق الحج (ص:٦٤٤): كراء.

(٥) في كتاب المناسك وأماكن طرق الحج (ص:٦٤٥): صفن.

(٦) الفتق: منزل شرق الطائف، كانت قرية لبني هلال ثم خربت. ولا يعرف الفتق في يومنا هذا، غير أن موقعه شمال حلاة جلذان بينها وبين عكاظ (معجم معالم الحجاز ١٢/٧-١٣).

(٧) الجدد: موضع من تهامة (معجم معالم الحجاز ١٢٩/٢).

(٨) الغمرة: منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها، وهو فصل ما بين تهامة ونجد، ومن الغمرة إلى ذات عرق عشرون ميلاً (معجم معالم الحجاز ٢٥٥/٦-٢٥٧).

(٩) ذات عرق: مهل أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة (معجم البلدان ١٠٧/٤).

(١٠) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص:١٠٧-١٠٩). وانظر طريق الحاج من الكوفة إلى مكة مفصلاً في: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج (ص:٢٨١-٣٥٢).

(١١) زبالة: قرية بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية. قال السكوني: زبالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق، فيها حصن وجامع لبني غاضرة من بني أسد، =

الشُّقُوق[١] (٢١) ميلاً، ثم إلى البِطَان[٢] (٢٩) ميلاً، ثم إلى الثَّعْلَبيَّة[٣] (٢٩) ميلاً، وهي عامرة كثيرة البرك، بها آبار عذيبيَّة، ثم إلى الخُزَيْمِيَّة[٤] (٣٢) ميلاً، ثم إلى أَجْفُر[٥] (٢٤) ميلاً، ثم إلى فَيْد[٦] (٣٦) ميلاً، وهي مدينة بحصنَيْن، عامرة، واسعة الماء، ثم إلى [تُوْز][٧]، وهي نصف الطريق (٣١) ميلاً، ثم إلى سَمِيراء[٨] (٢٠) ميلاً، وفيها بِرَك وماءٌ واسع ومزارع، والماء عذيبيّ، ثم إلى حَاجِر[٩] (٣٣) ميلاً، ثم إلى معدن

=

وسميت زبالة؛ بزبلها الماء، أي بضبطها له وأخذها منه. وقيل: سميت باسم زبالة بنت مسعر، امرأة من العمالقة نزلتها (معجم البلدان ٣/١٢٩).

(١) الشقوق: بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة، وبعدها تلقاء مكة بطان وقبر العبادي (معجم البلدان ٣/٣٥٦).

(٢) البطان: بطريق الكوفة بعد الشقوق من جهة مكة دون الثعلبية، وهو لبني ناشرة من بني أسد (معجم البلدان ١/٤٤٦).

(٣) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية، وهي ثلثا الطريق، وأسفل منها ماء يقال له: الضويجعة (معجم البلدان ٢/٧٨).
قال حمد الجاسر في كتاب المناسك وأماكن طرق الحج: (ثلثا) صوابه: ثلث.

(٤) الخزيمية: منسوبة إلى خزيمة بن خازم، وهي من منازل الحاج بعد الثعلبية من الكوفة وقبل الأجفر. وقال قوم: بينه وبين الثعلبية اثنان وثلاثون ميلاً (معجم البلدان ٢/٣٧٠).

(٥) أجفر: موضع بين فيد والخزيمية، بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخاً نحو مكة (معجم البلدان ١/١٠٢).

(٦) فيد: بليدة في نصف طريق الحاج من الكوفة إلى مكة، سميت بفيد بن حام وهو أول من نزلها (معجم البلدان ٤/٢٨٢).

(٧) في الأصل: ثَوْز. والتصويب من أحسن التقاسيم (ص:١٠٧).
وتُوز: جبل في طريق الحاج بعد فيد للقاصد إلى الحجاز ودون سميراء لبني أسد (معجم البلدان ٢/٥٨).

(٨) سميراء: موضع بطريق مكة بعد توز مصعداً، وقبل الحاجر، سمي برجل من عاد يقال له: سميراء (معجم البلدان ٣/٢٥٥).

(٩) حاجر: موضع دون فيد وقبل معدن النقرة (معجم البلدان ٢/٢٠٤).

النَّقْرَة[١] (٣٤) ميلاً، وبها حصن وماء ضعيف وموضع وحش، ثم إلى المُغيثَة[٢] (٣٣) ميلاً، ثم إلى الرَّبَذَة[٣] (٢٤) ميلاً، وفيها ماء زعاق وموضع خراب، ثم إلى معدن بني سُلَيم[٤] (٢٤) ميلاً، ثم إلى السَّليلة[٥] (٢٦) ميلاً، ثم إلى العُمَق[٦](٢١) ميلاً، وبها آبار عجيبة، والماء غير واسع، ثم إلى الأُفَيْعية[٧] (٣٢) ميلاً، ثم إلى المَسْلَح[٨] (٣٤) ميلاً، وبها برك، والماء واسع، ثم إلى غَمْرَة (١٨) ميلاً، وبها الماء واسع، ثم إلى ذات عِرْق[٩].

---

(١) معدن النقرة: موضع بطريق مكة يجيء المصعد إلى مكة من الحاجر إليه، وكل أرض متصوبة في وهدة فهي نقرة (معجم البلدان ٢٩٨/٥).

(٢) المغيثة: في طريق مكة بعد العذيب نحو مكة، وكانت أولاً مدينة خربت، شُرب أهلها من ماء المطر، وهي لبني نبهان (معجم البلدان ١٦٣/٥).

(٣) في هامش الأصل: الربذة: هي قريبة من المحل المسمى الآن: الخندق، قريب من المدينة المنورة.
والربذة: قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيام من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (معجم البلدان ٢٤/٣).

(٤) معدن بني سليم: هو معدن فَران، وهو من أعمال المدينة على طريق نجد (معجم البلدان ١٥٤/٥).

(٥) السليلة: موضع من الربذة إليه ستة وعشرون ميلاً، وهو ماء لبني برثن من بني أسد (معجم البلدان ٢٤٣/٣).

(٦) العمق: موضع قرب المدينة، وهو من بلاد مزينة (معجم البلدان ١٥٦/٤).

(٧) الأفيعية: منهل لسليم من أعمال المدينة في الطريق النجدي إلى مكة من الكوفة (معجم البلدان ٢٣٣/١).

(٨) المسلح: موضع من أعمال المدينة (معجم البلدان ١٢٨/٥).

(٩) ذكر أهل المناسك وغيرهم أن ذات عرق على مرحلتين من مكة، وما رأيت أحداً بيّن المرحلة من بعد ذات عرق إلى مكة، لكن يظهر من كلام الشيخ طاهر سنبل في ضياء الأبصار حاشية منسك الدر المختار أنها المضيق، حيث قال: قوله: "وذات عرق" هي بعد المضيق إلى جهة العراق. انتهى.
وقال ابن حجر الهيثمي في شرح إيضاح النووي: ذات عِرق –بكسر العين وسكون الراء المهملتين–: قرية خربة، قيل: هي الحدّ بين نجد وتهامة وعرق، والجبل المشرف على العقيق واد مدفق ماؤه في غور تهامة أبعد من ذات عرق، بينهما مرحلة أو مرحلتان كما جزم السبكي، أو نحوَ أربعة أميال كما قال الأسدي. قيل: وهو أثبت.
قال الأسدي: وبين ذات عرق ومكة اثنين وأربعين ميلاً، وبه جزم ابن حزم. (غازي).

وإن أردها من البصرة[١]: فَخُذْ من البصرة إلى الحُفَيْر[٢] (١٨) ميلاً، ثم إلى الرُّحَيْل[٣] (٢٨) ميلاً، ثم إلى [الشّجِي][٤] (٢٧) ميلاً، ثم إلى حَفَر أبي موسى[٥] (٢٦) ميلاً، ثم إلى مَاوِيَّة[٦] (٣٢) ميلاً، ثم إلى ذات العُشَر[٧] (٢٩) ميلاً، ثم إلى اليَنْسُوعَة[٨] (٢٣) ميلاً، ثم إلى السُّمَيْنَة[٩] (٢٩) ميلاً، ثم

---

(١) انظر طريق الحاج من البصرة إلى مكة مفصلاً في: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة (ص:٥٧٢-٦٠٣).

(٢) الحفير: موضع من البصرة لمن يريد مكة، وهو ماء لباهلة (معجم البلدان ٢/٢٧٧).

(٣) الرحيل: بين البصرة والنباج، بينه وبين الشجي أربعة وعشرون يوماً، وهو عذب بعيد الرشاء، بينه وبين البصرة عشرون فرسخاً (معجم البلدان ٣/٣٧).

(٤) في الأصل: الشبحي. والمثبت من أحسن التقاسيم (ص:١٠٩).
والشجي: من منازل طريق مكة من ناحية البصرة (معجم البلدان ٣/٣٢٦).

(٥) حفر أبي موسى: وهي ركايا أحفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة إلى مكة، وهي بين ماوية للروافض بعيدة الأرشية يستقى منها بالسانية وماؤها عذب، وركايا الحفر مستوية. قال السكوني: حفر أبي موسى: مياه عذبة على طريق البصرة من النباج بعد الرقمتين وبعده الشجي لمن يقصد البصرة (معجم البلدان ٢/٢٧٥). ويدعى الآن حفر الباطن.

(٦) ماوية: منهلة بين حفر أبي موسى وينسوعة، كان ملوك الحيرة يتبدون إليها فينزلونها، وهي على طريق البصرة من النباج بعد العشيرة بينهما (معجم البلدان ٥/٤٨).

(٧) ذات العشر: -ويقال: ذات العشيرة-: من منازل أهل البصرة إلى النباج بعد مسقط الرمل (معجم البلدان ٤/١٢٧).

(٨) الينسوعة: منهلة من مناهل طريق مكة على جادة البصرة بها ركايا عذبة الماء، ثم منقطع رمال الدهناء بين ماوية والرياح. قال السكوني: هي موضع في طريق البصرة، بينها وبين النباج مرحلتان نحو البصرة بينهما الخبراء، ويصبح القاصد منها إلى مكة الأقماع أقماع الدهناء من جانبه الأيسر (معجم البلدان ٥/٤٥١).

(٩) السمينة: هو من النباج للقاصد إلى البصرة، وهو ماء لبني الهجيم، فيها آبار عذبة وآبار ملحة، بينهما رملة صعبة المسلك (معجم البلدان ٣/٢٥٨-٢٥٩).

إلى القَرْيَتَيْن[١] (٢٢) ميلاً، ثم إلى النِّباج[٢] (٢٣) ميلاً، ثم إلى العَوْسَجَة [(٢٩)][٣] ميلاً، ثم إلى رامة[٤]... ثم إلى إِمَّرَة[٥] [(٢٧)][٦]، ثم إلى طِخْفَة[٧] (٢٦) ميلاً، [ثم إلى ضَرِيَّة[٨] (١٨)، ثم إلى جَديلة (٣٢)، ثم إلى فَلْجَة[٩] (٣٥)][١٠]، ثم إلى الدَّثينة[١١] (٢٦) ميـــلاً ، ثم إلى قُبا[١٢] (٢٧) ميلاً ، ثم إلى

---

(١) القريتان: من النباج في طريق مكة من البصرة. قال السكوني: هما قرية عبد الله بن عامر بن كريز، وأخرى بناها جعفر بن سليمان، وبها حصن يقال له: العسكر (معجم البلدان ٣٣٦/٤).

(٢) النباج: موضع بين مكة والبصرة، وهي منها على عشرة مراحل (معجم البلدان ٢٥٥/٥).

(٣) في الأصل: (٢٣). والمثبت من أحسن التقاسيم (ص:١٠٩).

(٤) رامة : بينها وبين الرمادة ليلـــة في طريق البصرة إلى مكة، ومنه إلى إمرة وهي آخر بلاد بني تميم. وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة (معجم البلدان ١٨/٣). وهي لا تزال معروفة، تقع غرب مدينة عنيزة بميل نحو الجنوب (هامش كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ص:٥٩٢).

(٥) إمّرة: منهل في طريق مكة من البصرة بعد القريتين إلى جهة مكة وبعد رامة (معجم البلدان ٢٥٣/١). وهي واقعة في طرف حمى ضرية الشرقي، ولا تزال معروفة تطلق الآن على جبل يقع غرب بلدة دخنة، غرب جبل خزاز، بين بلدتي الشبيكية والخشبي في جنوب مدينة الرس (هامش كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ص:٥٩٢).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من أحسن التقاسيم (ص:١٠٩).

(٧) طخفة: موضع بعد النباج وبعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة (معجم البلدان ٢٣/٤).

(٨) ضريـــة : قرية عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة من نجد بين جديلة وطخفة (معجم البلدان ٤٥٧/٣).

(٩) فلجة: على طريق مكة من البصرة بعد أبرقي حجر، وهو لبني البكاء (معجم البلدان ٢٧٢/٤).

(١٠) ما بين المعكوفين زيادة من أحسن التقاسيم (ص:١٠٩).

(١١) الدثينة: بعد فلجة من البصرة إلى مكة، وهي لبني سليم، ثم وجرة، ثم نخلة، ثم بستان ابن عامر، ثم مكة (معجم البلدان ٤٤٠/٢).

(١٢) قبا: موضع بين مكة والبصرة لا زال معروفاً (معجم البلدان ٣٠٢/٤).

الشبيكة[١] (٢٧) ميلاً، ثم إلى وَجْرة[٢] (٤٠) ميلاً، ثم إلى ذات عِرْق، الجميع سبعمائة ميل.

الفصل السادس: في ذكر طريق من يقصد الحج من الرياض عاصمة نجد

ذكر بعض الفضلاء رحلته من الرياض إلى مكة، وبيَّن فيها المحطات التي أناخوا فيها، مع ذكر مقدار المسافة بين كل محطتين، فنذكر ههنا المحطة الأولى: الجُبَيْلَة[٣]، وهي قرية في وادي حنيفة كان بها مسيلمة الكذاب، وهي التي وقعت الواقعة فيها بين خالد بن الوليد رضي الله عنه وبين مسيلمة وحزبه، ولا تزال آثار قبور الشهداء من الصحابة رضوان الله عليهم، وقد أكل السيل من أطرافها، حتى أن الجالس في أسفل الوادي ليرى على علو خمس عشرة متراً تقريباً داخل القبور ولحدها.

أما القرية[٤] فلا يزال فيها قوم من العرب ينسبون لبني حنيفة الذين تفرقوا في أنحاء الجزيرة، وكان منهم عنزة، والرولة[٥]، وغيرهما من القبائل، وبنو حنيفة هؤلاء هم من بطن وائل، والمسافة بين الرياض والجبيلة تسع ساعات.

الغُزَيْز[٦]: وهو وادٍ كثير النبت للرعي، وماؤه لا بأس به للشرب، والمسافة من الجبيلة إلى الغزيز أربع عشرة ساعة.

---

(١) الشبيكة: منزل من منازل حاج البصرة، بينه وبين وجرة أميال (معجم البلدان ٣/٣٢٤).
(٢) وجرة: بين مكة والبصرة، بينها وبين مكة نحو أربعين ميلاً (معجم البلدان ٥/٣٦٢).
(٣) الجبيلة: من قرى العيينة بمنطقة إمارة الرياض في إمارة من إماراتها (المعجم الجغرافي ١/٢٣١).
(٤) يقصد الجبيلة.
(٥) عنـــزة والرولة ليسو من بني حنيفة وهذا معروف عند النسابة.
(٦) الغزيز: هجرة بمنطة ضرما، في إمارة الرياض (المعجم الجغرافي ٢/٨٩٨).

مَرَات[1]: هي قرية من بلاد الوشم التي اشتهرت بكرمها وحسن قراها، والمسافة بين الغزيز والمرات تسع ساعات وخمس وعشرون دقيقة.

الخُفّ[2]: وهو في منخفض من الأرض، وفيه آبار كثيرة قريبة الماء، عذبة للشرب، وهذا الماء متزل لبعض قبائل عتيبة يترلونها صيفاً، ويرحلون عنه شتاءً انتجاعاً للكلاء الخصيب، والمسافة بين مَرَات وخُفّ خمس عشرة ساعة.

شعراء: هي قرية كبيرة طيبة الهواء، حسنة المترل، فيها ماء عذب وماء أجاج، وفي ساحتها كثير من شجر الأثل، وهي مركز وسط بين الحجاز والقصيم والعارض، والمسافة بين خف وشعرة (١٥) ساعة و(٣٠) دقيقة.

المَصْلوم[3]: فيها آبار ماء جمعت من ماء المطر، والمسافة بين الشعراء والمصلوم (١١) ساعة.

الخَنابِج[4]: وهو واقع في وادٍ فسيح، وفيه مياه كثيرة يحفر في أرضه لمسافة قليلة فيخرج الماء العذب الطيب، والمسافة بين المصلوم والخنابج (٩) ساعات و (٥) دقيقة.

سَبْحا[5]: هو مكان فسيح فيه كثير من شجر الأثل، وأرضه ذات رمل

---

(١) مرات : بلدة ذات إمارة من إمارات منطقة الرياض يتبعها عدد من القرى، (المعجم الجغرافي ١١٢٨/٢).

(٢) الخف: من قرى الدوادمي بمنطقة إمارة الرياض، فيه إمارة من إماراتها، وهو من قرى وادي ثبيت بمنطقة السِّر (المعجم الجغرافي ٤٠٨/١).

(٣) المصلوم: بمنطقة الدوادمي في إمارة الرياض (المعجم الجغرافي ١١٧٨/٢).

(٤) الخنابج: مركز من مراكز إمارة الدوادمي يتبعه موارد للبادية بمنطقة إمارة الرياض، وفيه هجرة حديثة للمراشدة من الروقة (المعجم الجغرافي ٣٦٠/١).

(٥) سبحا : موضع في عالية نجد على طريق الحج من الرياض إلى مكة المكرمة.

وحصى سوداء، وفيه كثير من طير القطا، والمسافة بين الحنابج وسبحا (١٢) ساعة و(٢٠) دقيقة.

الدِّفِينَة[١]: والمسافة بين سبحا والدفينة (١٧) ساعة و(٥٠) دقيقة.

قِبا -بكسر القاف-: والمسافة بين الدفينة وقِبا (٩) ساعات.

مَرَّان[٢]: وهو وادٍ مربع كثير الخضرة، وفيها آبار ماؤها عذب طيب، وبين قِبا ومَرّان (٧) ساعاتٍ.

عُشَيْرة[٣]: وهي غابة واسعة، كثيرة المياه العذبة، هواؤها طيب، ومناخها معتدل، وأرضها طيبة صالحة للزراعة، والمسافة بين مران وعشيرة (٢٠) ساعة.

السّيْل[٤]: وهو قرية فيها بعض بيوت قليلة، والماء متوفر في ذلك المكان، وإذا حفر الإنسان في الأرض مقدار مترين وجد الماء العذب، والمسافة بين عشيرة والسيل (٦) ساعات.

مكة المكرمة: والمسافة بين السيل ومكة ثمان ساعات. فتكون المسافة من الرياض إلى مكة المكرمة مائة وخمساً وستين ساعة، وربما تكثر وتقل بحسب درجة سرعة السير والمهل.

---

(١) الدفينة: قرية فيها مركز تابع لإمارة مكة المكرمة (المعجم الجغرافي ١/٤٥٢).

(٢) مران: موضع على أربع مراحل من مكة إلى البصرة. وقيل: بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً، وفيه قبر تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، (معجم البلدان ٥/٩٥).

(٣) بعض أهل القوافل يترلون في موضع بين مران وعشيرة يسمى ركبة، وهو مكان كثير الأشواك. اهـ. (غازي).
وعشيرة : قرية ذات مركز من مراكز إمارة مكة، يتبعها موارد للبادية، (المعجم الجغرافي ٢/٨٢٠).

(٤) السيل: من قرى ثمالة، في إمارة الطائف (المعجم الجغرافي ٢/٧٥٥).

الفصل السابع: في ذكر طريق من يقصد من الكويت إلى مكة

ذكر الفاضل السيد أحمد بن محمد الزواوي رحلته من الكويت إلى مكة براً من طريق نجد، فنذكر منها المحطات التي نزل بها، [وكانت][1] رحلته من الكويت إلى مكة في تاريخ ٥ صفر سنة ١٣٣٣:

المحطة الأولى: المعدنيات[2]: والمسافة من كويت إليها ست ساعات.

الثانية: صبيحية[3]: وهي أرض خالية، وفيها آبار كثيرة، وبعض العرب نازلون فيها في بيوت من الشعر.

الثالثة: خبرا: وهي أرض مجمع السيول، وفيها مياه كثيرة.

الرابعة: الشق[4].

الخامسة: بليسان.

السادسة: قرعة[5]: وهي أرض خالية لا نبات فيها ولا ماء.

---

(١) في الأصل: وكان.

(٢) كذا في الأصل ولعلها: المعيدنيات، وهي على أربعة أميال غرب ملح في قرعة في الطرف الشمالي الغربي للعدان (الكويت في دليل الخليج "القسم الجغرافي" ٢/٦٨).

(٣) صبيحية: تقع على بُعد اثنين وثلاثين ميلاً جنوب الكويت وعلى مسافة عشرين ميلاً من الساحل، بها آبار منثورة على غير انتظام في أرض سهلة مساحتها ميل مربع واحد تقريباً، بعضها ماؤه صالح للشرب والآخر ماؤه ملح (الكويت في دليل الخليج "القسم الجغرافي" ٢/٦٨-٦٩).

(٤) الشق: واد طويل يكوّن منطقة في إمارة الكويت ربما يبلغ طولها (٨٠) ميلاً من الشمال إلى الجنوب، ومتوسط العرض عشرة أميال، وتنتهي في الشمال على بعد حوالي (٢٠) ميلاً شمال غربي الجهرة، وتحد من الجنوب بالمعيجل، وتحيط بها أم جنيب من الشرق، والدبدبة من الغرب (الكويت في دليل الخليج "القسم الجغرافي" ٢/٩١).

(٥) قرعة: منطقة رملية قاحلة في إمارة الكويت، ويحدها خليج الكويت من الشمال، والبحر من الشرق والغرب، ومنطقة العدان من الجنوب، ومكان يسمى (كبد) من الغرب، وتبلغ مساحتها حوالي (١٥) ميلاً مربعاً (الكويت في دليل الخليج "القسم الجغرافي" ٢/٨٣).

السابعة: حُميظات القطع.

الثامنة: الظبع.

التاسعة: شتيت العطشان.

العاشرة: رصافة: وهي أرض فيها ثلاثة آبار.

الحادية عشر: عِشرين.

الثانية عشر: جو الثويمر.

الثالثة عشر: عويشر.

الرابعة عشر: قرادان[1].

الخامسة عشر: صُفَيَّة[2].

السادسة عشر: الدهناء.

السابعة عشر: محزل أو بطين.

الثامنة عشر: بتيرة.

التاسعة عشر: نخيل حرمي.

المحطة العشرون: المجمعة: وهي بلدة عامرة، أغلب بيوتها بنيان، وفيها نخيل كثيرة، وماؤها من الآبار.

الحادية والعشرون: عطينة.

الثانية والعشرون: كنكل: وهي أرض خالية يربعون فيها البدو.

الثالثة والعشرون: الشقرا: وهي بلدة عامرة، وفيها بيوت ونخيل كثيرة، وماؤها من الآبار.

---

(١) قرادان: هجرة من منطقة القصيم (المعجم الجغرافي ٣/١١٢٧).

(٢) صفية: من قرى المذنب بمنطقة القصيم (المعجم الجغرافي ٢/٨٥١).

الرابعة والعشرون: شعيِّبْ.

الخامسة والعشرون: شعيب بَلْعيس.

السادسة والعشرون: رضمات الهيفا.

السابعة والعشرون: الدوادِمي: وهي بلدة عامرة، وفيها نخل وأثل، وماؤها من الآبار.

الثامنة والعشرون: شعرا: وهي بلدة عامرة، وفيها بيوت ومباني، وأكثر مزارعها خشب الأثل وحب، وماؤها من الآبار.

التاسعة والعشرون: كويكب: وهي أرض خالية، وفيها البدو يربعون.

المحطة الثلاثون: المصلوم: وهي أرض خالية، فيها آبار حلو مثل العسل.

الحادية والثلاثون: العقب.

الثانية والثلاثون: رهية.

الثالثة والثلاثون: محدث: وهي أرض خالية فيها بئر مالحة وبئر حلو.

الرابعة والثلاثون: دون البقرة.

الخامسة والثلاثون: الحمار.

السادسة والثلاثون: ظلم.

السابعة والثلاثون: هكران.

الثامنة والثلاثون: حَلَمة.

التاسعة والثلاثون: ركِيَّة: وهي أرض خالية ربيعة، وفيها غزلان كثيرة،

وأشجار ذات شوك لا تعد ولا تحصى، وأرضها مخضرة.

الأربعون: المبعوث: وهي أرض خالية فيها أربعة آبار، واحد منها يسموها بئر قريش.

الحادية والأربعون: وادي السيل.

الثانية والأربعون: الزيمة.

الثالثة والأربعون: مكة المكرمة.

الباب الخامس: في ذكر طرق المدينة المنورة
وذكر من يسكنون فيها من العرب

طرق المدينة المنورة المشهورة ثمانية، الطريق السلطاني، والفرعي، والغاير، والشرقي، وطريق الساحل، وينبع، والوجه، والشام.

ذكر الشيخ محمد لبيب البتنوني في رحلته[١]: أن قوافل الحجاج من مكة إلى المدينة المنورة تقوم، فيسيرون في واحد من أربع طرق على حسب تبعية المقوّم والجمّالة إليها.

وهذه الطرق هي: السلطاني، والفرعي، والغاير، والشرقي. والطريق السلطاني هو أحسنها سيراً، وأكثرها ماءً، فإذا قامت القافلة وخرجت من طريق العمرة وسارت إلى الشمال الغربي تمرّ على المحطات الآتية:

وادي فاطمة[٢]:

ويجري فيه ماء عذب، وبه مزارع كثيرة، ويسكن فيه عرب الأشراف من ذوي حسين، وذوي غالب، ويسكن في المنطقة التي بينه وبين مكة إلى بحرة بنو لحيان. والمسافة من مكة إلى وادي فاطمة ثمان ساعات.

---

(١) الرحلة الحجازية (ص:٢٦٩-٢٧١).

(٢) في هامش الأصل: وهو المسمى قديماً بمرّ، أو مرّ الظهران. وكتبه: محمد نصيف.
ووادي فاطمة: كان يعرف باسم مر الظهران أو وادي الشريف؛ نسبة إلى الشريف أبي نمي، الذي ملك جل هذا الوادي، وسمي بوادي فاطمة نسبة إلى أم الشريف بركات بن أبي نمي أو زوجته، ويعتبر من أكبر أودية الحجاز، وفيه عدد كبير من العيون تزيد على حوالي ثلاثمائة عين، ولم يبق منها اليوم سوى بضعة وعشرين. ويبعد عن مكة بحوالي اثنين وعشرين كيلو متر (انظر: تاريخ مكة للسباعي ٣٠٩/١ "حاشية ٣").

ذكره في مرآة[١] الحرمين[٢].

عُسْفان[٣]:

العرب التي تسكن في هذه الجهة: (بشر)، و(حمران)، وبها بئر ماؤها عذب، يقال أن النبيﷺ شرب منه، وهي مبنية بالحَجَر الأسود المتين، وسمك جدارها متر ونصف، وعمقها ثمانية أبواع ونصف عند نقص مائها، وخمسة أبواع عند زيادته، وهناك ثلاثة آبار أخرى عذبة الماء، الشمالية منها سعتها عشرة أمتار تقريباً، وسمك جدارها متر ونصف، ولها سلّم على الوادي يتدفق منه السيل إلى البئر إذا أقبل، وعمقها اثنا عشر متراً، وسعة الثالثة خمسة أمتار، وبالبلد سوق به حاجات المسافر، وقد اشتهر هذا البلد بكثرة اللصوص[٤].

قال الحضراوي[٥]: وفي عسفان شجر البلسان البري، وبعضهم يقول: أنه البَشام[٦] يوجد كثير في رؤوس الجبال في أماكن منه. انتهى.

والمسافة من وادي فاطمة إلى عسفان (١٢) ساعة و(٤٥) دقيقة، وبعض القوافل تنزل في المحسنية التي تبعد عن وادي فاطمة بثمان ساعات، والمسافة من المحسنية إلى عسفان (٤) ساعات و(٤٥) دقيقة، وبين المحسنية وعسفان

---

(١) في هامش الأصل: مرآة الحرمين: اسم لكتاب تأليف أمير المحمل المصري إبراهيم رفعت باشا. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) مرآة الحرمين (٢/١٩٩).

(٣) عُسْفان: تقع شمال مكة على ثمانين كيلاً على المحجّة إلى المدينة، على التقاء وادي فَيْدة بوادي الصُّغُو، فيها آبار عذبة قديمة مجصصة ومرقبة، منها بئر التَّفْلة (معجم معالم الحجاز ٦/٩٩).

(٤) معجم معالم الحجاز (٢/٢٠٠).

(٥) نزهة الفكر (١/٤٠٦).

(٦) البشام: شجر طيب الريح والطعم، يُسْتاكُ به (لسان العرب، مادة: بشم).

عقبة حجرية صعبة وسط ميدان فسيح، تقطع في نصف ساعة[١].

خُلَيْص[٢]:

يسكنها قبائل زبيد، ويقرب منها واحة بها مياه جارية، وفيها بساتين ونخيل، وبعد ما تشد القافلة من عسفان تقابلهم عقبة معوجة لا تسع إلا قطارين قطارين، تقطع في ساعتين ونصف، وفيه يقول الصلاح الصفدي:

طوينا الفلا نبغي الوصول لمكة [فناحت][٣] علينا الورق من عذب ألحان
وكم [مدرج][٤] قد راح في كفن البلا ليوم التلاقي في مدرج عثمان

وبها مكان عال يقف عليه العربان يمنعون القوافل من المرور أحياناً ما لم يدفعوا ضريبة يقدرونها، ولا يمكن لأيَّة قوة أن تمرّ بهذا المكان إذا احتلّته العربان إلا بخسارة فادحة، فإن سبقتهم إلى احتلاله سهل مرورها. وفي وسط العقبة على اليسار لوح من الرخام مكتوب عليه بالخط الثلث الجميل: البسملة، وأنه أنشئ بأمر سلطاني بمعرفة رضوان بك داود الفقاري[٥] في جمادى الأولى سنة ١٢٠٠هـ، وتسمى هذه العقبة بمدرّج عثمان. والمسافة من عسفان إلى خليص ٧ ساعات[٦].

---

(١) مرآة الحرمين (٢/٢٠٠).
(٢) خليص: واد كثير الماء والزرع، يقع شمال مكة على (١٠٠) كيلاً، يحف به من الغرب جبلا جمدان، ومن الشمال حرة الخليصية، ويصب فيه من الجنوب وادي غُران، وسكانه قبائل من حرب (معجم معالم الحجاز ٣/١٤٩).
(٣) في الأصل: فتاحت. والتصويب من مرآة الحرمين (٢/٢٠١).
(٤) في الأصل: ممدرج. والتصويب من مرآة الحرمين، الموضع السابق.
(٥) في مرآة الحرمين: الغفاري.
(٦) مرآة الحرمين (٢/٢٠١).

القَضِيمة[١]:

قرية على البحر، ماؤها من الحفر التي يخزنون فيها ماء الأمطار، وأهلها من زبيد.

وبها سوق، وبئر مبنية بالحجر لها سلّم ذو درجات ست من الخارج، ودرجات تسع من الداخل. والمسافة من خليص إلى القضيمة (٩) ساعات[٢].

رابغ[٣]:

وهي قرية على البحر الأحمر، وماؤها من الحفر والآبار، وأهلها من زبيد، وفيها قلعة مبنية بالحجر بناءً محكماً، لها سبعة أبواب و(١١٦) منزلاً، وخمسة مساجد، وعشرة صهاريج، وسوق، وبساتين، وهي مجتمع [طرق][٤] ثلاثة، الجنوبي منها يتفرع بعدُ إلى فرعين: أحدهما إلى مكة، والآخر إلى جدة، والشرقي الشمالي يتفرع إلى فرعين، يسمى أحدهما: بالطريق الفرعي، والثاني: بطريق الغاير، وكلاهما يتجه إلى المدينة، والشمالي يسمى: الطريق السلطاني، ويتفرع عند مستورة إلى فرعين: الشرقي منهما يسمى بالطريق السلطاني (ملف)، والشمالي يسمى بالطريق السلطاني فقط، وكلاهما يتجه إلى المدينة أيضاً، ومن الفرع الشمالي طريق إلى ينبع.

---

(١) القضيمة: بلدة عامرة على الساحل شمال ثول بسبعة أكيال، أهلها من السادة الحسينيين، يمر بها الطريق من جدة إلى المدينة، ويصب عليها وادي قديد (معجم معالم الحجاز ١٤١/٧).

(٢) مرآة الحرمين (٢٠٢/٢).

(٣) رابغ: بلدة ساحلية بين جدة وينبع على (١٥٥) كيلاً من جدة شمالاً و (١٩٠) كيلاً من ينبع جنوباً (معجم معالم الحجاز ٥/٤).

(٤) في الأصل: طريق. والتصويب من مرآة الحرمين (٢٠٢/٢).

والمسافة من القضيمة إلى رابغ (١٢) ساعة و(٣٠) دقيقة[١].

مستورة[٢]:

ماؤها غض، ومنها طريق إلى بدر إلى الصفراء يسمونه: الملف، يسكن قبائل صبح في بدر، والأحامدة في الصفراء. وبها على اليسار أكواخ، وبئر بنيت بناء متقناً سعتها ثلاثة أمتار، وسُمْك جدارها متر، وعمقها ثمانية أمتار، وترتفع عن الأرض مترين، ولها سلم ثابت ذو درجات خمس، وماؤها معين جميل صاف، وهناك بئر أخرى في الجهة الشرقية على مسيرة نصف ساعة، وتوجد بها حفائر كثيرة.

وقال الحضراوي[٣]: مستورة يقال لها: أبيار الشريف وأصحاب الدرك، بها جماعات متعددة من المطرة، وقبيلة صبح؛ طائفة من عربان الحجاز بينهم وبين المطرة عداوة، فلا يمرون عليهم إلا برفيق منهم، وأول هذا الدرك من بدر إلى آخر الصفراء. انتهى.

والمسافة من رابغ إلى مستورة (١٠) ساعات[٤].

---

(١) مرآة الحرمين (٢/٢٠٢-٢٠٣).

(٢) مستورة: بلدة ساحلية غير بعيدة عن البحر على الساحل الشرقي للبحر الأحمر بينه وبين جبال تهامة على ضفة وادي الفرع من الشمال إذا وصل إلى الساحل، تبعد عن رابغ (٤٠) كيلاً شمالاً، وتقع الأبواء شرقها على (٢٨) كيلاً، وهي تتبع رابغ إدارياً. وتبعد مستورة عن مكة (٢٣٥) كيلاً على الطريق العامة إلى المدينة، وهي المنتصف بينهما. ويقول الأهالي هنا: إن أصل المحطة بئر احتفرتها امرأة من زبيد يقال لها: مستورة (معجم معالم الحجاز ٨/١٣٩-١٤٠).

(٣) نزهة الفكر (١/٤١١).

(٤) نزهة الفكر (٢/٢٠٣).

بئر الشيخ[١]:

تسكنها قبائل صبح. وبها سوق به اللحم، والتمر، والأرز المطبوخ، والدخان، وبئر الشيخ سعتها ثلاثة أمتار، وعمقها (١٥) متراً، وبجدرها تخريب، وهي غير مجصصة من الداخل، وماؤها رائق نظيف حلو بعض الحلاوة. والمسافة من مستورة إلى بئر الشيخ (١٣) ساعة[٢].

ديار بني حصاني[٣]:

ماؤها غض، ويسكنها صبح والحوازم، وبها سوق عظيم، وبيوت، وآبار أربع طيبة الماء. والمسافة بين بئر الشيخ وديار بني حصاني (٦) ساعات، وبعد ثماني ساعات ونصف من بئر ابن حصاني رأس الملف، ومن الملف تصعد إلى عقبة لا تسع إلا قطارين في كل ناحية من [ناحيتيها][٤] قطار[٥].

خَلْص[٦]:

بها بئر وسوق، وكثير من اللصوص. والمسافة بين بئر ابن حصاني

(١) بئر الشيخ: بئر كانت عليها محطة للجمال بين مستورة آبار ابن حصاني، وهي المرحلة السابعة من مكة، وأهلها بنو صبح وبنو أيوب من حرب، وقد هجرت، وهي على (٢٤ كم) جنوب يثار ابن حصاني (معجم معالم الحجاز ١/١٥٩-١٦٠، ١٦٢-١٦٣).

(٢) نزهة الفكر (٢/٢٠٣-٢٠٤).

(٣) ديار يني حصاني: محطة قديمة للجمال في وسط وادي غَيْقة، قامت على آبار حفرها أحد أمراء بني صبح أهل هذه الديار ويدعى ابن حصاني، فنسبت إليه. كانت سوقاً عامرة فهجرت لتحول الطريق عنها بانقطاع قوافل الجمال، وآخر ما هجرها الناس سنة ١٣٦٠هـ، وهي المرحلة الثامنة من مكة لمن أتى على مستورة، تبعد عن الواسطة (٢٦) كيلاً، وعن المدينة (١٥٤) كيلاً (معجم معالم الحجاز ١/١٥٩).

(٤) في الأصل: ناحيتها. والتصويب من مرآة الحرمين (٢/٢٠٤).

(٥) مرآة الحرمين (٢/٢٠٤).

(٦) خلص: من قرى أبيار الماشي بمنطقة إمارة المدينة (المعجم الجغرافي ١/٤١١).

وخَلْص (١١) ساعة[١].

بئر درويش[٢]: وهي في ميدان فسيح، مبنية بالحجر والملاط، وسعتها (٨) أمتار، وعمقها إلى الماء (١٤) باعاً حوالي (٢٥) متراً، وعرض جدرها ثلاثة أمتار، وماؤها حلو غزير لا ينضب معينه، يكفي جميع القوافل مهما بلغ عددها وكثر أفرادها. ويسكن هذه الجهة قبائل الأحامدة. والمسافة من خَلْص إلى بئر درويش (١٤) ساعة و(١٥) دقيقة[٣].

المدينة المنورة:

والمسافة من بئر درويش إلى المدينة (١٢) ساعة و(٣٠) دقيقة[٤].

(الطريق الفرعي):

والطريق الفرعي يبتدئ من رابغ متجهاً إلى الشمال الشرقي، ويمر على المحطات الآتية:

بئر رضوان[٥]: وماؤها عذب، والمسافة من رابغ إلى بئر رضوان (١٠) ساعات.

---

(١) مرآة الحرمين (٢/٢٠٤).

(٢) بئر درويش: بئر كبيرة دائرية الفوهة واسعة غزيرة الماء عذبته، في صدر وادي الفُريش، تنسب إلى درويش الصبحي، من بني صبح من حرب، ثم نسبت إلى الوادي الذي تقع فيه فسميت الفُريش، وهي اليوم بلدة عامرة (معجم معالم الحجاز ١/١٦١).

(٣) مرآة الحرمين (٢/٢٠٥).

(٤) مرآة الحرمين (٢/٢٠٦).

(٥) بئر رضوان: محطة في وادي الفرع على مرحلة طويلة من رابغ، تحط فيها القوافل التي كانت تأخذ الفرع فتأتي المدينة عن طريق الشُّفية والنقيع (معجم معالم الحجاز ١/١٦٢).

أبو ضُبَاع[١]: ماؤها عذب، والمسافة من بئر رضوان إلى أبو ضباع (١١) ساعة.

الرَّيَّان[٢]: ماؤها عذب، وشجرها كثير، ويسكنها بنو عمرو. والمسافة من أبو ضباع إلى الريان (١١) ساعة.

الغدير[٣]: وفيه مجرى ماء. والمسافة من الريان إلى الغدير (١١) ساعة.

بئر العضم[٤]: ماؤها عذب. والمسافة من الغدير إلى بئر العضم (١١) ساعة.

بئر الماشي[٥]: ماؤها حلو، ويسكنها [عوف][٦]. والمسافة من بئر العضم إلى بئر الماشي (١١) ساعة.

المدينة المنورة: والمسافة من بئر الماشي إلى المدينة (٩) ساعات[٧].

---

(١) أبو ضباع: عين جارية من أكبر عيون وادي الفرع بعد أم العيال، وفي منتصف وادي الفرع، فيها نخيل كثيرة، وهي مقر أمير قبيلة جَهْم من بني عمرو، تبعد عن أم البرك "السقيا" (٥٦) كيلاً شرقاً إلى الجنوب (معجم معالم الحجاز ٥/١٨٣-١٨٤).

(٢) الريان: صدر وادي الفرع، فيه عيون كثيرة وقرى عامرة منها الفقير قاعدة الفرع اليوم، يبعد جنوب المدينة (١٥٠) كيلاً تقريباً، سكانه بنو عمرو من حرب (معجم معالم الحجاز ٤/١١٢).

(٣) الغدير: شرق الجحفة بين مكة والمدينة (انظر: معجم معالم الحجاز ٦/٢٢٣-٢٢٤).

(٤) في الرحلة الحجازية: وادي المعظم.

(٥) بئر الماشي: محطة للقوافل على ضفة وادي العقيق الغربية على (٣٨) كيلاً شمال المدينة، وهي المرحلة الأولى على نظام القوافل القديم، تشرف عليها من الشمال الغربي عن بعد حمراء الأسد، وشمالاً ترى جبل عَيْر يحجب المدينة؛ منها أو بعدها بقليل في وادي رئم يفترق الطريق المتجه جنوباً إلى طريقين: أحدهما يأخذ رئماً جنوباً غربياً فإلى الغائر ثم أم البرك فبئر مبيريك، وآخر يستمر جنوباً إلى وادي الفُرُع ثم بئر مبيريك من الشرق، وهي واقعة في ديار عوف (معجم معالم الحجاز ١/١٦٥-١٦٦).

(٦) في الأصل: عوق. والتصويب من الرحلة الحجازية (ص: ٢٧١).

(٧) انظر: الرحلة الحجازية (ص: ٢٧١)، ومرآة الحرمين (٢/١٤٠-١٤١).

(طريق الغاير)[١]:

طريق الغاير يبتدئ من رابغ، ويقطع جبل الغاير إلى الشمال، وهو أقل هذه الطرق مسافة، فإذا وصل المسافر إلى الغاير صعد من عقبة عالية تشرف على هاوية عميقة طريقها ضيق جداً، بحيث لا يسع إلا دابة دابة، وهذا الطريق خطر في صعوده وهبوطه، ويسكن الغاير ومنحدراته[٢] قبائل اللهبة، ومسروح[٣].

ومراحل هذا الطريق خمسة:

بئر مُبَيْرِك[٤]: بئر كبيرة ماؤها قليل الملوحة. والمسافة من رابغ إلى بئر مُبَيْرِك (١٢) ساعة.

الرَصْفة: في هذه المرحلة حفر ماء عميقة عذبة يشرب منها. والمسافة من بئر مُبَيْرِك إلى الرَصْفة (١٢) ساعة.

جبل الغاير: في هذه المرحلة ماء جارٍ دائم عذب جداً، وإن مسافة طلوع هذا الجبل ثلاث ساعات، ويقطع سطحه من الجهة الشرقية في نصف ساعة،

---

(١) هذا الطريق عبره المحمل المصري في سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٨م)، وقد تركوا (التختروانات) لعدم إمكان مرورها في الصعود والهبوط تخلصاً من عربان الطريق الشرقي الذين ناوؤوهم في ذهابهم إلى المدينة، فسلكوا هذه الطريق في قفولهم تخلصاً من شر العربان(هامش مرآة الحرمين٢/١٤٢).

(٢)جل القبائل الموجودة في هذه الطرق الثلاثة بطون من حرب(هامش الرحلة الحجازية ص:٢٧٢).

(٣) الرحلة الحجازية (ص:٢٧١-٢٧٢).

(٤) بئر مبيرك (مبيريك): بئر في صدر وادي الأبواء شرق مستورة بحوالي (٤٣) كيلاً، كانت محطة لقوافل الجمال، ثم اندثرت، وهي الحد بين إمارتي مكة المكرمة جنوباً وغرباً، والمدينة المنورة شمالاً وشرقاً، وهي أيضاً الحد بين قبيلتي العُبَدة شرقاً، وقبيلة بني محمد غرباً (معجم معالم الحجاز ١/١٦٦).

وفيه بئر تسمى: رصد. والمسافة من الرَصْفة إلى جبل الغاير (٦) ساعات.

بئر الماشي: من جبل الغاير إلى هذا البئر (١٢) ساعة، وهذه المسافة تبتدئ من [مبدأ][١] سطح جبل الغاير إلى البئر المذكور، ومن هنا يوجد طريق يوصل إلى الطريق الشرقي.

المدينة المنورة: والمسافة من بئر الماشي إلى المدينة ثمانٍ أو تسع ساعات، وفي هذه المسافة آبار كثيرة، ماؤها عذب[٢].

(الطريق الشرقي):

الطريق الشرقي يخرج من مكة من جهة المعلا، ويمر على المحطات الآتية:

بئر البرود[٣]:

هي بئر عظيمة مطوية بالحجارة المنحوتة، قطرها (٦) أمتار، وعمقها

---

(١) قوله: "مبدأ" زيادة من مرآة الحرمين (١٤٣/٢).

(٢) مرآة الحرمين (١٤٢/٢-١٤٣).

(٣) البرود في الأصل: هو الجبل الذي قتل عنده الحسن بن علي بن الحسين بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فخ، ويعرف اليوم بجبل الشهيد، وهو يشرف على حي الشهداء من الغرب، وهناك خمس آبار قديمة لا زالت قائمة على يسار الذاهب إلى التنعيم يشرف عليها جبل البرود، اثنتان منها لا زالت أمانة العاصمة تضخ منهما المياه، واحدها يقال له: بئر الكردي، وثلاثة منها معطلة، فيها مياه آسنة، ولم أستطع أن أجزم أيها هو البرود.
وهناك برود آخر في مجتمع طريق حجاج العراق ونجد سابقاً تقع اليوم على يمين الذاهب من الطريق المزفت إلى الجعرانة، قبل الجعرانة بخمسة كيلومترات تقريبا، وتبعد عن طريق الجعرانة أكثر من كيلو متر واحد شرقاً، يسلك إليها من طريق ترابي، وهناك في هذا الموضع بئر عظيمة وقفت عليها، وبقربها حياض واسعة، وآثار سدود، وقنواه للمياه، تصل بين هذه الحياض وبين مجرى عين يذهب حتى يلتقي مع مجرى عين زبيدة الآتي من المشاش عند الريع الأخضر، وهذه البئر هي التي وصفها إبراهيم رفعت في مرآة الحرمين هنا. وعندما وقفت عليها رأيت ماءها ثرًّا، وقد غطيت البئر بألواح من الحديد، وأقيمت عليها مضخة مياه، وبنيت عندها حجرة صغيرة لهذه المضخة.

(١٢) متراً، وماؤها عذب لا يزيد ارتفاعه في قاعها عن (٥٠) سنتياً، وبالبئر شجرة جميز ضخمة نبتت في أصل البئر، واخترقت جدارها الشرقي، وأظلت فروعها البئر، [ولهذه][١] البئر سلّم من خارج، جدرها ينتهي بفتحة إلى قاعها، ولكن بابه العلوي مردوم، وبجوارها بئر أخرى مردومة، ومن هذه البئر طريق سهل يوصل إلى الطائف. والمسافة من مكة إلى بئر البرود (٦) ساعات.

وادي الليمون[٢]:

يكثر فيه شجر الليمون والنارنج والليمون الحلو، وفيه ماء جارٍ يترل إليه من جبال الهدى، ويسير في مجرى مبني إلى بساتينه وغياضه، ومنه يتجه الطريق نحو الشمال. والمسافة من بئر البرود إلى وادي الليمون (٧) ساعات.

الحفائر أو الضريبة[٣]:

مياهها عذبة وقريبة من سطح الأرض، والطريق بين جبال، وهو سهل به حصباء وعقبة ذات تعاريج، بها مضيق لا يسع إلا جملاً واحداً يمر، والخشب هناك متوفر، والمرعى مفقود، واللصوص كثيرون. والمسافة من وادي الليمون إلى الحفائر (١٢) ساعة.

بركة سمرة:

لا ماء فيها مدة الصيف. والمسافة من الحفائر إلى [بركة سمرة][٤] (١٠) ساعات و(١٥) دقيقة.

---

(١) في الأصل: وهذا. والمثبت من مرآة الحرمين (١/٣٧٠).
(٢) في هامش الأصل: وادي الليمون: هو المسمى المضيق، وهو وادي نخلة الشامية. وكتبه: محمد نصيف.
(٣) الحفائر: آبار للاستقاء في ديار الروقة بين المحاني والقاحة، كانت محطة للحجاج (معجم معالم الحجاز ٣/٢٨).
(٤) في الأصل: أبركة. وقوله: "سمرة" زيادة على الأصل.

بركة المِسْلَح:

ماؤها غزير وعذب، وبساتينها كثيرة. والمسافة من بركة سمرة إلى بركة المسْلَح (١١) ساعة و(٢٠) دقيقة.

الحبيط أو الهضاب أو ضبعة: هو وادٍ متّسع ذو أرض صلبة. والمسافة من بركة المسلح إلى الحبيط (١٠) ساعات.

سُفَيْنَة[١]:

وفي مرآة الحرمين[٢]: صفينة –بالصاد– قال: وصفينة هذه بلدة أمير مكة الآن الشريف عون الرفيق باشا، وهي قرية صغيرة أبنيتها بالطين المكدس بعضه فوق بعض، يسكنها نحو (٤٠٠) نسمة، وبها حوالي [١٠٠][٣] نخلة صغيرة وكبيرة، وقليل من شجر الليمون، وشجر الطرفاء، وفيها (٣٦) بئراً مبنية بالحجر، عمق الواحدة منها ثلاث قامات، وماؤها رائق نظيف معين لا ينضب، ولكنه لا يروي، وأراضي هذه القرية صفراء يزرع بها الشعير والقمح وبعض الخضراوات. والمسافة من الحبيط إلى سُفَيْنة (١٣) ساعة.

السّوَيْرِجية[٤]:

قرية يسكنها سادات من بني حسين، وبها آبار ومزارع كثيرة. والمسافة من سُفَيْنة إلى السويرجية (١٠) ساعات.

---

(١) سُفينة أو صُفينة: قرية بالحجاز على أربعة أيام من مكة ذات نخل وزرع، وهي على طريق الزبيدية يعدل إليها الحاج إذا عطشوا (معجم معالم الحجاز ٥/١٥٦).

(٢) مرآة الحرمين (١/٣٧٥).

(٣) بياض في الأصل قدر كلمة. والمثبت من مرآة الحرمين، الموضع السابق.

(٤) السويرجية: ويقال لها: السوارقية والسويرقية؛ قرية غنّاء بين مكة والمدينة كانت لبني سليم، في مائها بعض الملوحة (انظر: معجم معالم الحجاز ٤/٢٤٦–٢٤٩).

الحَجْرِيّة[1]:

وبها (٦) آبار عذبة المياه، وماء المطر كثير يتجمع في بركة. والمسافة من السويرجية إلى الحجرية (١٢) ساعة.

غُرابة أو غُراب[2]:

وفيها مياه كثيرة على عمق ذراع أو ذراعين من سطح الأرض. والمسافة من الحجرية إلى غرابة (١٢) ساعة.

الغدير أو الحَنَك[3]:

وفيها بركة كبيرة طولها مائة متر، وعرضها عشرة أمتار، تملأ من مياه الأمطار. والمسافة من الغرابة إلى الغدير (٩) ساعات.

المدينة المنورة:

والمسافة من الغدير إلى المدينة (١٢) ساعة، وعربان هذا الطريق من الزّيود[4]، واللهبة، وعتيبة، ومطير، والرُحَلَة[5]، وهم أبعد الأعراب عن

---

(١) الحجرية: قرية بسفوح أُبْلى الشمالية، كان واديها قديماً يعرف باسم (الحَجَر)، وهي لبني سليم (معجم معالم الحجاز ٢/٢٢٨، ٢٣٥).

(٢) غراب، غرابة: قرية لحرب شمال غرب مهد الذهب وشمال الحجرية يسيل واديها إلى العقيق الشرقي من الغرب (معجم معالم الحجاز ٦/٢٢٧، ٢٣٢).

(٣) في هامش الأصل: الحنك أو الحناكية: هو مرعى.... وكتبه: محمد نصيف.
والحَنَاكِيّة أو الحَنَك: بلدة حجازية عامرة تقع على طريق القصيم من المدينة المنورة على (١٠٠) كيل، سكانه قبيلة حرب (معجم معالم الحجاز ٣/٦٧).

(٤) الزيود: (بنو زيد) بطن من بني كلب من مالك من جهينة (معجم قبائل الحجاز ص: ٢٠٤).

(٥) الرحلة: بطن من المطالحة من ميمون من بني سالم من حرب، ديارهم بين الروحاء والمدينة على طريق الحاج (معجم قبائل الحجاز ص:١٧٧).

الحضارة[١].

(طريق الساحل):

هذا الطريق يخرج من مكة من جهة جدة، ويتصل برابغ، ومحطاته ما يأتي:

المحطة الأولى: من مكة إلى بحرة[٢] (٩) ساعات.

المحطة الثانية: من بحرة إلى جدة (٨) ساعات و(٤٥) دقيقة.

المحطة الثالثة: من جدة إلى ذهبان[٣] (١٢) ساعة، بها بئر ماؤها مالح.

المحطة الرابعة: من ذهبان إلى القضيمة (١٢) ساعة و(١٢) دقيقة.

المحطة الخامسة: من القضيمة إلى رابغ (١١) ساعة و(٣٠) دقيقة[٤].

---

(١) الرحلة الحجازية (ص: ٢٧٢-٢٧٣). وانظر: مرآة الحرمين (١/٣٧٠-٣٨٠).

(٢) بحرة: بلدة عامرة بين مكة وجدة في منتصف المسافة بينهما، وسكانها بنو جابر والمعانية من حرب، وخليط من الناس، وكانت تعرف بالقُرين عندما مر بها ابن جبير سنة ٥٧٠ هجرية، ولكن الاسم تغير بسبب حفر بئر غرب القرين فظهرت البئر غزيرة لا تترح، فسميت بحرة (معجم معالم الحجاز ١/١٨٣).

(٣) ذهبان: قرية بالساحل بين جدة وبين قديد. قال البلادي: قلت: هي قرية عامرة اليوم على (٥٠) كيلاً شمال جدة على طريق المدينة، يصب عليها من الشرق وادي الغولاء، سكانها بنو زبيد من حرب، عملهم صيد السمك وزراعة الحبحب، وبعضهم يشتغل في المقاهي والدكاكين هناك، ولحبحب ذهبان شهرة في الحجاز؛ لحلاوته وطيبه، وهو يزرع عَثَرِياً على المطر (معجم معالم الحجاز ٣/٢٦٠).

(٤) انظر: مرآة الحرمين (٢/١٣٨، ١٤١).

(طريق ينبع):

من ينبع إلى المدينة المنورة طريقان: طريق تسلك القوافل منه دائماً، وتعرف بالسلطاني، وطريق غير مسلوك، وتعرف بالطريف، ومن هذا الطريق سافر المحمل المصري في سنة ١٣٢٢ إلى المدينة.

وصف الطريق السلطاني من ينبع:

قال في مرآة الحرمين[(١)]: طريق المدينة من ينبع[(٢)] واسع بين جبال أكثرها شاهق يتخللها فواصل، وإن سعته تختلف من (٥٠) متراً إلى (٢٠٠) متراً، وفي بعض الأحيان تزيد على الألف، وإن به مضيقين، يسمى الأول: (نَقْب [الفأر][(٣)])، يقطعه الراكب في ثلثي ساعة، ويمر منه الجمل تلو الجمل، وربما مرّ منه الجملان خلفهما آخران، وكله أحجار تجعل السير فيه عسراً. والثاني يسمى: (الجديدة)، يشبه الأول لكنه أطول، والسير به أسهل؛ لنعومة أرضه، والأول بديار الحوازم[(٤)]، والثاني بديار بني عمرو، ويسهل على العربان

---

(١) مرآة الحرمين (٣٨/٢). وانظر: (١٦/٢-٢٥).

(٢) في هامش الأصل: هي ينبع التي على ساحل البحر، يقال لها: ينبع البحر، وهي حارته. أما ينبع الأصلية فهي في الداخل ذات نخيل وعيون وآبار، وصارت تسمى: ينبع النخل، وبينها وبين الساحل.. ساعات بمشي الأقدام. وكتبه: محمد نصيف.

(٣) في الأصل: الغار. والمثبت من مرآة الحرمين (٣٨/٢).
ونقب الفأر: نقب في طريق ينبع من الحمراء، وهو ممر ضيّق بين جبلين بطول يقرب من كيلين، ويسمى نقب علي عليه السلام، ويسمى أيضاً (قلعة حرب) سمي بذلك لمنعة الجبال الشاهقة المحيطة به. وقد شق اليوم ووسع ومرت فيه السيارات (معجم معالم الحجاز ٧٩/٩).

(٤) الحوازم: بطن كبير من مروّح من بني سالم من حرب، دياره الحمراء بوادي الصفراء وما حولها (معجم قبائل الحجاز ص:١٢٦).

معاكسة الحجاج في هذين المضيقين مهما بلغت قوة الركب، لأن الجبال التي تكتنفهما شاهقة، فيعتليها أولئك العربان ويصوبون منها إلى الحجاج الرصاص أو السهام.

والماء بالطريق كثير يكفي الآلاف المؤلفة من الإنسان والحيوان، وهو في محطتين في قنوات مبنية، يغترف منها الإنسان بيده، وفي باقيها آبار تنزح منها المياه بالدلاء، والماء بينبع معدوم، ويجلب إليها من مسير خمس ساعات، ولذلك كان ثمنه مرتفعاً، وفي أيام المطر يكون رخيصاً.

المرحلة الأولى من ينبع: آبار سعيد: عذبة الماء، عمقها ثمان قامات، وآبار سعيد ثلاث آبار، أولها: بئر سعيد[1]، وثانيها: بئر فريج بن فراج الحازمي، والثالثة: بئر فهد بن محمد الحازمي، وبعد (٥) ساعات آبار المُسَيْحِلي[2]، ماؤها قليل العذوبة، وبالطريق مضيق الفُجَيج[3]، ثم بطن العُذَيْبَة[4] التي تتجمع فيها الأمطار والسيول، ثم شجر كثير، ثم عقبة لا تسع سوى قطارين. والمسافة من ينبع إلى آبار سعيد (١٨) ساعة.

المرحلة الثانية: الحمراء[5]: وهي قرية بها نهر عذب، وفيها بساتين ونخيل،

---

(١) بئر سعيد: بئر بوادي الرشاء بين الحمراء وينبع، وهي مرحلة في المنتصف، كان لها دور في الثورة العربية الكبرى باعتبارها سدادة إحدى الطرق الرئيسية في الحجاز، وكان قسم من جيش الشريف علي بن الحسين يعسكر حولها (معجم معالم الحجاز ١٦٢/١).

(٢) المسيحلي: مكان من أسفل ينبع النخل على شعبته المسماة الحجْر، يبعد عن بلدة ينبع البحر (١٥) كيلاً إلى الجنوب. وكان شرب بلدة ينبع من المسيحلي هذا على الجمال إلى أن مد لها الماء من ينبع النخل في أنابيب (معجم معالم الحجاز ١٦١/٨).

(٣) الفجيج: فج يأخذه طريق ينبع من الحمراء إذا تجاوز بئر سعيد غرباً(معجم معالم الحجاز١٦/٧).

(٤) العذيبة: ماء بين ينبع والجار (معجم معالم الحجاز ٥٤/٦).

(٥) الحمراء: قرية بوادي الصفراء، كانت تقوم على عين فاندثرت العين، وباندثارها اندثرت القرية وتخربت مبانيها، وتبعج عن المدينة (١٢١) كيلاً جنوباً، وعن الصفراء سبعة أكيال شمالاً =

ويسكنها الحوازم، والطريق حجري شامخ الجبال، وبالطريق بئر نويفع، وفي الطريق عقبتان: الأولى مسيرة (٥٥) دقيقة، والثانية مسير ساعتين لا تسع إلا جملاً، وبعدها ميدان واسع. والمسافة من آبار سعيد إلى الحمراء (٧) ساعات و(٢٥) دقيقة. وبعد الحمراء: الجُدَيِّدَة، وهي قرية ماؤها عذب، وبها قبر سيدي عبدالرحيم البرعي، ويسكنها قبائل الحوازم والأحامدة، ومنها يميل الطريق قليلاً نحو الشرق.

وقال الحضراوي(١): الجديدة -بالتصغير- وهي قرية بين جبلين، وعشش، وحدائق، ونخيل، ومضيق يخرج إلى عين جارية، ويسمى: خيف بني عمرو، وأهلها زيدية كغيرهم من أهل قرى الحجاز، وحد دركهم من آخر وادي الصفراء، فأول درك الجديدة من العطفات، ونهايته آخر المضيقات، وابتداء [السهل](٢) من الوعر. انتهى.

المرحلة الثالثة: بئر عباس(٣): ويسكنها جانب من الحوازم، وصبح، والأحامدة، وماؤها قليل، وبالطريق بئر الراحة وبئر عار، وماؤهما عذب، وبعد مسير ساعتين ملتقى الطرق الثلاثة؛ السلطاني والفرعي وينبع. والمسافة من حمراء إلى بئر عباس (٩) ساعة و(٣٥) دقيقة.

= شرقياً، سكانها وملاكها في الأساس الحوازم من بني سالم من حرب (معجم معالم الحجاز ٣/٥٧-٥٨).

(١) نزهة الفكر (١/٤١٣).

(٢) في الأصل: السيل. والتصويب من نزهة الفكر، الموضع السابق.

(٣) بئر عباس: بئر قديمة منسوبة إلى عباس أمير الظواهر، كانت المحطة الرئيسية قبل المسيجيد ثم انتقلت المحطة إلى المسيجيد وهجرت بئر عباس، تبعد ثلاثة أكيال تقريباً جنوباً غربيا من المسيجيد (معجم معالم الحجاز ١/١٦٣).

قال الحضراوي بعد ذكر محطة بئر عباس[١]: وأما قديماً فكان الناس لا يحطون إلا في الرَّوْحاء، وبالروحاء [الفسقية][٢] التي أنشأها الأمير سيف الدين طاز أحد [مماليك][٣] الناصر محمد بن قلاوون. وحد هذا الدرك من ابتداء السهل من الوعر إلى فسقية طاز، إلى وادي الغزالة، إلى آخر قبور الشهداء.

والرَّوْحاء -بالفتح ثم السكون والحاء المهملة- قال المجد[٤]: موضع من عمل الفرع على نحو أربعين ميلاً من المدينة المنورة[٥].

وقال ابن إسحاق في مسيره ﷺ إلى بدر: ونزل سجسج، وهي بئر الروحاء. والسجسج: الهواء الذي لا حرّ فيه ولا برد[٦].

وقال الأسدي: وبها آبار كثيرة، منها بئر تعرف بمروان، عندها بركة للرشيد، وبئراً لعثمان بن عفان رضي الله عنه، كان عليها سأنية، ويسيل ماؤها إلى بركتها، وبئر تعرف [بعمر][٧] بن عبدالعزيز في وسط السوق يسنى منها في أحد البركتين، وبئر تعرف بالواثق، وكان بها بركة للحاج تعرف ببركة طاز[٨].

قال الحضراوي[٩]: أقول وقد خربت الرَّوْحاء الآن، ودفن أكثر آبارها،

---

(١) نزهة الفكر (١/٤١٣).
(٢) في الأصل: العسقية. والتصويب من نزهة الفكر، الموضع السابق.
(٣) في الأصل: المماليك. وفي نزهة الفكر: المماليك الناصرية.
(٤) القاموس المحيط (ص:٢٨٣).
(٥) نزهة الفكر (١/٤١٤).
(٦) نزهة الفكر (١/٤١٥).
(٧) في الأصل: لعمر. والتصويب من نزهة الفكر (١/٤١٥).
(٨) نزهة الفكر (١/٤١٥).
(٩) نزهة الفكر (١/٤١٥).

ولم يبق إلا الآثار. انتهى.

المرحلة الرابعة: بئر درويش: وبالطريق بئر الشريوفي، ثم بئر الماشي، بعيدة عن الطريق مسير (٤) ساعات، ثم بئر عروة، وهي عذبة الماء. والمسافة من بئر عباس إلى بئر درويش (١١) ساعة و(٤٥) دقيقة.

المدينة المنورة: والمسافة من بئر درويش إلى المدينة (١٢) ساعة و(٣٠) دقيقة.

(طريق المدينة من ينبع من طريق طريف):

ومحطاته كما يأتي:

المحطة الأولى: ينبع النخل: وهي فيما سلف كانت من المحطات الهامة للحجاج، ويقيمون بها ثلاثة أيام يريحون فيها أنفسهم ودوابهم من مشاق السفر، ويأخذون منها كل ما يحتاجون، إذ كانت مملوءة بأصناف الطعام من لحوم، وسمن، وعسل، وتمر، ودجاج، وأوز، وملوخية، وباذنجان، وليمون، وكانوا يتركون ما معهم من الأمانات عند الثقات من أهلها حتى يرجعوا إليها بعد الزيارة، وبها مسجد قديم يقال له: مسجد العشرة، ويطل عليها من الجهة الشرقية جبل رضوى.

وهي مأوى الزيدية المنتشرين ببلاد العرب، وبيوتها مبنية باللبن ذات طبقة واحدة.

والمسافة من ينبع البحر إلى ينبع النخل (١٢) ساعة.

المحطة الثانية: خيف [البثنة][1]: وبه عين كعين وادي الليمون، وبالطريق خيفان، ثم السويقة مسكن عربان الأحامدة، ثم خندق، ثم مضيق، ثم أشجار [سنط][2] وسلم، ثم مرتفع [حجري][3] تشبه رؤوسه رؤوس ألواح الزجاج. والمسافة من ينبع النخل إلى خيف البثنة (٦) ساعات.

المحطة الثالثة: أم هَشيم: وبالطريق غابتان من الأثل والسنط، ثم مضيق قصير لا يسع إلا قطاراً، ثم عقبة قصيرة كذلك، ثم شجر المرخ، ثم خور زراعي، ثم عقبة صعبة، وثلاث آبار؛ بئر الأفيحرة، [والأشيهب][4]، وخريم المدفع. والمسافة من خيف البثنة إلى أم هشيم (١٣) ساعة.

المحطة الرابعة: بئر العين: ماؤها كثير حلو، وبالطريق بئر المنجور، والمربضة، والطريق في أوله صعب ضيق ثم تتسع. والمسافة من أم هشيم إلى بئر العين (١٨) ساعة.

المحطة الخامسة: [المقرح][5] أو الشجوة: لا ماء فيها، والطريق في أوله ضيق ثم [اتسع][6]، ويرى منه قصر عبلة. والمسافة من بئر العين إلى المقرح (١٤) ساعة.

المحطة السادسة: آبار ناصيف أو الملاليح: وهي حفائر غير مبنية، عمقها

---

(١) في الأصل: الثنية، وكذا وردت في الموضعين التاليين. والتصويب من مرآة الحرمين (١٣٩/٢).
والبثنة: من قرى السُّوَيْق من بلاد ينبع بمنطقة إمارة المدينة المنورة (المعجم الجغرافي ٢٥٥/١).

(٢) في الأصل: السنط. والمثبت من مرآة الحرمين (١٣٩/٢).

(٣) في الأصل: حجرين. والمثبت من مرآة الحرمين، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: والأشهب. والمثبت من مرآة الحرمين، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: المفرح، وكذا وردت في الموضعين التاليين. والمثبت من مرآة الحرمين، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: تتسع. والمثبت من مرآة الحرمين، الموضع السابق.

من قامة إلى قامتين، وماؤها متقبل. والمسافة من المقرح إلى آبار ناصيف (١٢) ساعة.

المحطة السابعة: المندسّة أو آبار الظعيني: والمسافة من آبار ناصيف إليها (٩) ساعات.

المحطة الثامنة: المدينة المنورة: والمسافة من المندسّة إليها (١) ساعة[١].

فائدة:

القبائل التي تسكن حول طريق طريف وما إليه من الجهات هي: قبائل الأحامدة[٢] وقبائل بني سالم[٣].

أما قبائل الأحامدة فتشمل: الصّميدات قبيلة الشيخ سعد، والفَضَلة قبيلة الشيخ فهد، ويتفرع من الفَضَلة: الذّكرة، والصخارنة قبيلة الشيخ إبراهيم بن مطلق، وبنو سالم، يتفرعون إلى فرعين: ميمون، والمراوحة، وميمون تحتوي القبائل الآتية: الرحلة، المحاميد، صبح، السرحة، بني حياد، يحيى التميمي، السعدني، السليمي، الوافي، السعدي، وكل هؤلاء يتبعوا الأحامدة. أما المراوحة فإنها تحتوي قبائل الحوازم أجمع.

(طريق المدينة من الوجه):

ومحطاته كما يأتي:

---

(١) مرآة الحرمين (١٣٨/٢-١٣٩).

(٢) الأحامدة: بطن من ميمون من بني سالم من حرب، ديارهم حبل الفقرة (معجم معالم الحجاز ص:١٣).

(٣) بنو سالم: أحد فرعي حرب بن سعد بن سعد بن خولان، ديارهم وادي الصفراء وما جاوره، وتنقسم إلى فرعين كبيرين هما: ميمون ومروّح (معجم قبائل الحجاز ص:٢٠٨).

أم حرز أو مفرق الدربين[١]:

وهذه المحطة ما فيها آبار ولا مياه ولا أعشاب، وإنما الحجاج تحرز المياه مما قبلها. والمسافة من الوجه إليها (٨) ساعات و(٣٠) دقيقة.

الخَوْثَلة[٢]:

هذه المحطة فيها جبال شاهقة عجيبة الشكل، وفيها مياه عذبة، وبها ثلاث آبار ماؤها حلو، وعمق الواحدة منها ثلاث قامات، ليست مبنية. والمسافة من أم حرز إلى الخوثلة (١٤) ساعة و(٣٠) دقيقة.

مَطَر[٣]:

هذه المحطة ما فيها ماء. والمسافة من الخوثلة إلى المطر (٧) ساعات.

العُقْلة[٤]:

فيها مياه مالحة لا تصلح إلا [لشرب][٥] البهائم، وتحرز الحجاج لها المياه من قبلها، ويتلاقى بهذه المحطة طريقان: أحدهما طريق الحج المعتادة، والثانية أقرب من الأولى بنحو أربع ساعات، لكنها عسرة السلوك وخطرة المناخ، ولا يمكن سير العربات والمدافع بها، وفيها أشجار سنط بكثرة. والمسافة من المطر إلى العقلة (١٣) ساعة.

---

(١) أم حرز: محطة للجمال قريبة من الوجه على الطريق إلى المدينة (معجم معالم الحجاز ٢/٢٥٧).
(٢) الخوثلة: محطة شرق الوجه على الطريق بينها وبين المدينة، مياهها عذبة (معجم معالم الحجاز ٣/١٦٦).
(٣) مطر: محطة على طريق الجمال شرق الوجه بعيدة على الطريق إلى المدينة المنورة (معجم معالم الحجاز ٨/١٨٤).
(٤) انظر: سلسلة هذه بلادنا، الوجه، تأليف د. محمد الرويثي، ومعجم معالم الحجاز (٦/١٢٧).
(٥) في الأصل: للشرب.

الفُقَيّر[١]:

-بضم الفاء وفتح القاف وتشديد الياء-: وفي هذه المحطة ماء بكثرة. والمسافة من العقلة إلى الفُقَيِّر (١٤) ساعة.

النقارات أو آبار الحفائر:

آبارها في ميدان رحب، أرضه سبخة، وعددها اثنا عشر بئراً مبنية أفواهها بالأحجار، ومن تحت محفورة، وعمقها ثلاثة أمتار، وماؤها به بعض الملوحة. والمسافة من الفُقَيِّر إلى النقارات (٦) ساعات وثلاث دقائق.

آبار الحلو:

ماء هذه الآبار مالح ذو نتن زائد لعدم استعماله. والمسافة من النقارات إلى آبار الحلو (١١) ساعة و(١٥) دقيقة.

الشجوة أو قصر عبلة:

في هذه المحطة آبار وقلعة مهجورة، قيل: أنها منذ سنتين نهبتها العرب وشتت محافيظها، وعندها يجتمع ويفترق طريقا الحج الشامي والمصري. والمسافة من آبار الحلو إلى الشجوة (٩) ساعات و(٤٥) دقيقة.

الملاليح:

هذه البقعة سهلة الأرض، بها آبار ماء حلو، وفيه طريق توصل ينبع النخل على مسيرة ثلاثة أيام، وهي قريبة جداً، لكن بها عقبة ضيقة لا يمر منها إلا الجمل الواحد في طول ساعة، ولا يمكن سلوك عربة مدفع ولا تختروان منها، وهي مسلوكة للسعاة، والمسافة من الشجوة إلى الملاليح (١٠) ساعات و(٢٠) دقيقة.

---

(١) الفُقيّر: قرية للمناقرة من البركات من بلي، على حافة وادي الحمض الشمالية بعد التقائه بالجزل على (٣٠) كيلاً تقريباً (معجم معالم الحجاز ٥٨/٧).

[الظعيني][١]:

محل هذه المحطة متّسع، به آبار قليلة. والمسافة من الملاليح إلى الظعيني (٧) ساعات و(١٥) دقيقة.

بئر عثمان:

هو محلّ متسع به بعض محلات مزروعة تروى من آبار عند عدم السيل، وهناك حوض لطيف بجانبه مصلّى [ينسب][٢] لعثمان بن عفان رضي الله عنه، ويرى جبل أُحُد عن ميسرة هذا المصلّى، وهناك مقام حمزة عم النبي ﷺ. والمسافة من الظعيني إلى بئر عثمان (٨) ساعات و(٣٠) دقيقة.

المدينة المنورة:

والمسافة من بئر عثمان إلى المدينة (١) ساعة و(٣٠) دقيقة. كذا في الرحلة الحجازية للبتنوني[٣]، ومرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا[٤].

أما طريق المدينة من الشام فقد مرّ ذكره في الباب السابق.

---

(١) في الأصل: الظعين، وكذا وردت في الموضعين التاليين. والمثبت من مرآة الحرمين (١/٤٨٤).
(٢) في الأصل: تنسب.
(٣) الرحلة الحجازية (ص: ٣٥٤).
(٤) مرآة الحرمين (١/٤٨٤-٤٩٠).

الباب السادس: في ذكر سكان مكة بعد انتشار الإسلام

ذكر العلامة الشيخ جعفر بن أبي بكر بن جعفر لبنى رحمه الله في "شرح الرسالة الجدية لابن زيدون"، بعد ذكر أمر قريش وخزاعة وما وقع بينهم ما نصه:

وقد علم من مجموع ما تقدم أن سكان مكة في ذلك العهد كانوا قريشاً ومن جاورهم من خزاعة، لكن خزاعة لما ذهبت عنهم رئاسة مكة جاوروا أطرافها شاماً ويمناً، ولهم بقايا إلى اليوم معروفون بين القبائل.

ثم لما جاء الإسلام وانتشر الصحابة من المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم في الجهاد في سائر الجهات، ورأوا الأراضي المخصبة والأفياء الباردة، والظلال المتفيأة، وصارت للقوم فيها أملاك، رغب أكثرهم في الاستيطان ثمة، وتبعهم الجم الغفير يذهبون أرسالاً إلى مصر، والمغرب، والشام، والعراق، ليعيشوا مع أبناء جلدتهم في الخصب، والسعة، والرفاهية، والدعة، والظلال، فما مضى بعد ظهور الإسلام نحو قرنين؛ إلا ولم يبق في مكة والمدينة من أهليهما إلا أقلّ القليل، مع من جاورهم من مسلمي الآفاق للتشرف بالجوار.

وكان من عادة ملوك مكة أن ينادي مناديهم بعد أداء مناسك الحج: يا غريب بلادك، وهي عادة اتّخذت من زمن الفاروق رضي الله عنه، فإنه كان يأمر أن ينادي يومئذ: يا أهل الشام شامكم، يا أهل اليمن يمنكم، وذلك لئلا يكثر المجاورون فيستأثرون بما لهم من الثروة بأرزاق أهل مكة فيضيقون. وقد تركت هذه العادة من مدة طويلة، ولم يبق منها إلا آثارها، إلا أن عوام باعة الأرزاق بعد أداء الحج يلهجون بقولهم: يا غريب بلادك، ويزيد بعضهم: شور الأمانة لا تبات الليلة. وقد كثر المجاورون وزاحموا أهل مكة في جميع الوظائف وأسباب المعاش.

أما الصرور[١] والمرتبات من حنطة الجراية وغيرها والخلاوي -أي الحُجَر- في الأربطة والمدارس التي اتخذت في الأصل لطلبة العلم أو لفقراء الأهالي بما هو مخصص لها من مرتبات، فقد كاد أن يستغرقه مجاوروا الأتراك لمناسباهم مع مأموري الحكومة، وصار أهل مكة المتأثّلون[٢] بها فقراء، ولا يكاد الواحد منهم أن يحصل على ما يقوم به أَوَدُهُ[٣].

ثم لِيُعلم أنه ليس مرادي بأهل مكة هنا الأصليين الذين هم من ذرية قريش البطاح أو المهاجرين أو الأنصار الذين تناسلوا وتعاقبوا بمكة والمدينة من يومها إلى اليوم، فإنه ليس بمكة ولا بالمدينة من يقطع أو يظن أنه من ذرية أولئك بالمعنى المنوه به سوى الشيبيين، فإن بقاء مفتاح الكعبة بأيدي هذه العائلة خلفاً عن سلف شاهد على ذلك، حتى من انتمى إلى البيت النبوي من الأشراف والسادة القاطنين بمكة أو المدينة، فإن أصولهم[٤] قد هاجروا إلى الآفاق وبقوا هناك القرون، ثم من قدم من ذريتهم من قدم رغبة في الجوار أو لغاية أخرى، ولا شبهة في علوّ أقدارهم وارتفاع مراتبهم عمن سواهم، ومن سوى الأشراف والسادة لم يبق لهم مجد ولا فخر من حيث النسب، لكن بقدم المحتد، فمن تولد بمكة يفتخر على المجاور، ومن له أبوان يفتخر على من له أب، وهكذا.

---

(١) الصرور: جمع صرة، وهي: الصدقات التي توضع في صرر من خرق.
والصُرَّة: ما يجمع فيه الشيء ويُشدّ (المعجم الوسيط ١/٥١٢).

(٢) المتأثلون: أي الأغنياء. وفي المعجم الوسيط (١/٦): أثل: كثر ماله.

(٣) أي: حاجته.

(٤) الصواب أن أصول بعضهم، إذ بقي بمكة والمدينة وباديتها عدد كبير من أهلها.

والقدماء منهم يسمون من سواهم: آفاقياً، وهي كلمة كادت أن تكون سبّة، وأعظم منها في هذا المعنى قولهم: أَتَوى -بفتح الهمزة والتاء- ولعل أصله أتاوى.

قال الكسائي: الأتاوى -بالفتح-: الرجل الغريب الذي ليس في وطنه، وقد حق علينا الآن أن نأتي على من تيسر لنا تتبعه من بيوت مكة القديمة وتواريخهم بقدر الاستطاعة، وأحق من يبدأ به ساداتنا الأشراف[الحسنيون][1]، فجدّهم الشريف قتادة بن إدريس، وهو من ذرية إدريس الذي هاجر إلى المغرب زمن الهادي العباسي بعد وقعة فخ[2]، الموضع المعروف اليوم عند أهل مكة بالشهداء؛ لاستشهاد جماعة فيه من آل البيت ودفنهم به، والقصة شهيرة.

قدم الشريف قتادة[3] المذكور مكة آخر القرن السادس وتملك مكة حين ضعف أمر أمرائها الهواشم[4]، وانتشرت ذرية الشريف قتادة المذكور بالحجاز،

---

(١) في الأصل: الحسينيون. وهو خطأ، والتصويب من هامش الأصل.

(٢) قال ياقوت في معجمه (٢٣٧/٤): ويوم فخ كان أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج يدعو إلى نفسه في ذي القعدة، وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة بالمدينة وخرج إلى مكة، فلما كان بفخ لقيته جيوش بني العباس وعليهم العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وغيره فالتقوا يوم التروية، يقال إن مباركاً التركي رشقه بسهم فمات وحمل رأسه إلى الهادي، وقتلوا جماعة من عسكره وأهل بيته فبقي قتلاهم ثلاثة أيام، ولم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ.
وفي هذا الموضع دفن عبد الله بن عمر ونفر من الصحابة الكرام.

(٣) في هامش الأصل: قدم الشريف قتادة من ينبع من أعمال الحجاز وانتزع إمرة أو إمارة الحجاز من الأشراف الهواشم في عام ٥٩٨ هجرية. اهـ من تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية للسيد أحمد دحلان صحيفة (١٤٢). وكتبه: محمد نصيف.

(٤) نسبة إلى هاشم بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص:١٢٩).

وماقرب منه من أطراف اليمن وأرض نجد، فلا يوجد اليوم بهاتيك البقاع شريف إلا وهو من ذريته، وإمارة مكة فيهم تنتقل من فرع إلى فرع، وهي اليوم في نصابها الذي هو أولى بها من السادة الصيد الميامين الصناديد ذوي عون بن محسن، فشريف مكة اليوم وأميرها المحبوب سيدنا ومولانا صاحب الدولة والسيادة حضرة السيد الشريف ذي القدر المنيف، والمجد الباذخ، والفخر الشامخ، والقدم الراسخ، من أصبح كل فخار، من جنب فخاره يتلاشى، سيدنا الشريف حسين باشا ابن الشريف علي باشا ابن الشريف محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبدالله ابن حسين بن عبدالله بن الحسن بن أبي نمي.

وأبو نمي هذا كان أمير مكة في القرن العاشر، وهو واضع قوانين الأشراف المأخوذ بها عندهم اليوم بكل من انتهى إليه وقيل له: نموي، ويتصل نسبه إلى الشريف حسن بن عجلان، الذي ينسب إليه ذوو حسن سكان الشواق بأطراف اليمن، ثم إلى أبي نمي آخر، ثم إلى قتادة المذكور، وهو من نسل سيدنا الحسن المثنى ابن الحسن السبط رضي الله عنه، شهدت بذلك تواريخ الإسلام.

ثم إن كثيراً من الناس يظن أن الأشراف خاص بأولاد الحسن، كما أن السادة بأولاد الحسين، وليست هذه قاعدة، فكثيراً ما يقال لأشراف مكة: السيد فلان، ويقال لأشراف المدينة المنورة: أشراف، وهم حسينيون، كانت لهم إمارتها، والصولة والدولة بها، وذهبت منذ أزمان بعيدة، وبقي لهم اسم الأشراف، وهم قاطنون بالمدينة وما حولها، ومقعد ذوي حسين بالمدينة مشهور، ويوجد بين السادة قاطن مكة والمدينة من هم من أدارسة المغرب، وهم حسنيون.

وأكثر السادة قاطن مكة والمدينة هم آل باعلوي الذين انتشر ذكرهم في حضرموت، ثم صاروا يقدمون من حضرموت إلى مكة والمدينة وغيرهما من بلاد الله، وهم من نسل الفقيه المقدم، وهو من ذرية عيسى المهاجر، وينقسمون اليوم إلى: سقاف، وعطاس، وحبشي، وجفري، وما أشبه ذلك، فهؤلاء السادة هم المُسَلَّم(١) لهم لحفظ أنسابهم، وهم المعروفون عند نقيب السادة في مكة والمدينة، ولا يكون نقيب السادة في مكة والمدينة إلا منهم، وهم تضبط مواليدهم أينما كانوا، وتحصر أسمائهم وتحفظ أنسابهم على الطريقة المعروفة عندهم، لاقتسام وارداتهم من أوقاف ونحوها.

ومن عداهم من كل من انتمى إلى النسب الطاهر سواءً كان مصرياً أو شامياً أو رومياً أو عراقياً فإنهم على كثرتهم لم يُسلّم لهم؛ لعدم ضبط أنسابهم على قاعدة مسلّمة عند الجمهور، غير أن بعضهم تقدم معه قرائن يحصل بها بعض الظن على صدق مدعاه، وإن لم يكن بحيث يقيد بدفتر السادة آل باعلوي، وبذلك كأن يكون من بيت قديم في مكة المكرمة، كالسادة الوقادين -أي القائمين بخدمة تنوير المسجد الحرام-، فإن الظن أن سيادتهم صحيحة، وفي حفظي أني سمعت من بعض الأكابر الذين لهم استقصاء في مثل ذلك أنهم

---

(١) في هامش الأصل: سلّم لهم نسبهم لأن كان فيهم في قومهم الحضارمة أغنياء ووجهاء وتجار وعلماء، وتدخلوا مع حكام البلاد واعتنوا بنفسهم، وساعدتهم الحكام في الحجاز وفي استانبول، وأما غيرهم فلم ينالوا هذه الحظوة، مع أن في غير الحجاز لهم نقباء ومحفوظة أنسابهم، ثم حصل تلاعب ببيع الأنساب بمال، وأدخلوا في نسبهم غيرهم، وذلك في بعض الجهات، والحقيقة: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} وكتبه: محمد نصيف.

بقية النويريين الذين كانوا أئمة المقام الحنفي، أو كأن يكون في ذلك البيت من هو من أهل العلم والصلاح ورضي بذلك الانتساب، كبيت الميرغني، فإنهم سواء الموجودين بمكة أو المتفرقين بمصر والسودان من ذرية السيد عبدالله المحجوب المدفون بقرية السلامة من الطائف بمسجده الكائن ثمة، المحاط بدور، كلها كانت لهم، فإن مثله من سلم له الفضل لا يرضى بأن ينتسب كذباً إلى السلسلة الطاهرة ما لم يصح عنده ذلك.

وكبيت دحلان، فإن منهم مولانا وشيخنا، وشيخ مشايخنا، قدوة المحققين، وعمدة المدققين في جميع الفنون، ومن افتخرت بوجوده السنون، السيد أحمد دحلان[١]، المتوفى بالمدينة المنورة رابع صفر عام أربع بعد الثلثمائة والألف المدفون تجاه قبة آل البيت بالبقيع، وكان رحمه الله تعالى ينتسب إلى الشيخ نعمت الله الكيلاني، المدفون بمكة المكرمة في شعب عامر[٢]. وقد ترجمه في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر[٣] المحبي الناقل أكثر تراجم المكيين، والمرحوم مولانا الشيخ حسن بن علي العجيمي، وجرّ نسبه إلى الشيخ

(١) أحمد بن زيني بن أحمد دحلان، فقيه مكي مؤرخ، ولد بمكة سنة ١٢٣١ ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، ثم أقبل على الاشتغال بالعلوم، وقد تولى الإفتاء والتدريس، وتوفي بالمدينة المنورة. انظر: مصادر ترجمته: الأعلام للزركلي (١/١٢٩-١٣٠)، وفهرس الفهارس (١/٢٩٠-٢٩٢)، وهدية العارفين (١/١٩١)، ومعجم المؤلفين لكحالة (١/٢٢٩-٢٣٠)، وفيض الملك المتعالي (١/ ورقة ٣٠-٣١)، وفهرس التيمورية (١/٢٣٨، ٣/٩٨)، وفهرس الأزهرية (٦/٢١٦).

(٢) شعب عامر: شعب بمكة عليه حي من أشهر أحيائها يجاور شعب علي من الشمال، يصب من الخندمة في الغزة (معجم معالم الحجاز ٥/٦١).

(٣) خلاصة الأثر (٤/٤٥٥-٤٥٨).

عبدالقادر الكيلاني، وهو منسوب إلى سيدنا عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط.

وكآل الطبري المشهورين بمكة، فإن كونهم سادات من نسل سيدنا الحسين السبط كاد أن يبلغ درجة القطع بما احتفّ به من القرائن وتداول مؤرخي مكة نسبهم، مع كونهم بيت علم وشرف مشهورين في مشارق الأرض ومغاربها في الفضل، وهم أقدم ذوي البيوت بمكة.

قال ابن فهد: أول من قدم مكة الشيخ رضي الدين أبو بكر محمد بن أبي بكر بن فارس الحسيني الطبري سنة سبعين وخمسمائة، وكان دخول القضاء وإمامة المقام الإبراهيمي بينهم سنة ثلاث وسبعين وستمائة، ولم تزل الإمامة بالمقام مخصوصة بهم، وكان من كمل منهم باشرها ولا يحتاج إلى إذن جديد لوقوع الإذن المطلق لهم، ومازالت المناصب العالية عندهم يتلقونها كابراً عن كابر من القضاء، والفتيا، والتدريس، والإمامة، والخطابة.

وكانت الخطابة من القديم تنتقل في ثلاث بيوت، أقدمهم بيت الطبري، ثم الظهيريون، ثم النويريون، وكانت لهم الألفة مع أشراف مكة، واتصلت بالصهارة، فقد كان الشريف عجلان صاحب مكة تزوج منهم سنة سبعين وسبعمائة زينب بنت الشهاب أحمد بن الجمال محمد الطبري، ولهم حكايات ظريفة وفكاهات لطيفة، ومنهم الأفاضل، لهم مناقب علية دوّنها لهم التاريخ، وكانت مساكنهم بالزقاق الشهير باسمهم إلى اليوم في حارة القرارة قريب من رأس الروم المعروف بالمدعا، عن يسار الداخل إلى الزقاق المذكور مكتب صغير من المآثر القديمة، وقد انقرضوا –والدوام لله– ولم يبق أحد منهم، لكن لهم نسل

من بطون البطون، فقد أخبرني سيدنا ومولانا السيد أحمد دحلان بأنه كان من بطون بيت الطبري ناس يقال لهم: بيت ابن يعقوب، من ذرية الشيخ تاج الدين المالكي، من فضلاء القرن الحادي عشر وأعيانهم، وقد انقرضوا أيضاً، وإن أم أبي مولانا المذكور (أي أم السيد زيني دحلان) كانت منهم، وكذلك أم عبدالله بن أبي بكر لبنى جد بني عمنا بيت اللبنى الساكنين اليوم بباب السلام كانت منهم، ومنهما آلت الدار الكائنة بخط سوق الليل بين الزقاقين المنحدرين من زقاق التكية الجقمقية بالاشتراك إلى بيت دحلان ذرية السيد زيني وبيت اللبنى، واحترزنا بسكان باب السلام عن بيت اللبنى سكان حارة الشامية[1] جماعة هذا الحقير، فإن جد أبي وهو محمد الملقب جمعة، أخو الشيخ عبدالله المذكور أبوهما أبو بكر بن جمال بن محمد نور اللبنى، وأصلهم من الهنود الفتن تجار بجدة، يشهد بذلك حجة المشترى والوقفية للدار التي هي إلى اليوم بيدنا الكائنة بجدة في قصبة الهنود، وشراؤها كان عام ثمانية وأربعين وألف، ووقفيتها كان عام ثمانية وستين وألف، وليس عندي قطع متى تركوا جدة واستوطنوا بمكة، ودخلوا في صنعة الطواف، ولا أدري أيضاً عن سبب الاشتهار باللبنى، غير أن جدنا صاحب دارنا التي بحارة الشامية اسمه أبو بكر بن جمال بن محمد نور اللبنى المطوف، بنى الدار المذكورة في حدود مائة وتسعين وألف، ووقفها عام أربعة بعد المائتين والألف كما هو في حجة شرعية بيدنا، وقد مات وخلّف ابنين: جدّنا محمد جمعة، وجدّهم عبدالله، وبنتين: إحداهما جدة المرحوم صديق غفوري الذي كان ساكناً بالمروة، ومات وخلف ابنه عبدالله وابنه صالح، والأخرى جدة

(١) الشامية: موضع بمكة يشرف على المروة من الشمال على جبل الديلمي (معجم معالم الحجاز ١٢/٥).

المرحوم أمين أفندي السبحي بن عثمان، وأخبرني أبي وعمي أنه كان لهم شركاء من الهنود الفتن المقيمين بجدة في الدار الكائنة بجدة.

ولما كان الناظر عليها الشيخ جمال بن عبدالله لبنى بن أبي بكر المذكـــور طالبهم بما يشهد باستحقاقهم فعجزوا عنه وتركوه، إذ كان جزئياً لا يعبأ به.

ومن البيوت التي اشتهرت بالفضائل ثم انقرضت –والدوام لله–: بيت القطبي، اشتهروا باسم عمهم قطب الدين الشهير، من أهل القرن العاشر، صاحب التاريخ، الذي فصل فيه تجديد عمارة المسجد الحرام وإجراء عين زبيدة إلى مكة بعد أن كانت خاصة بعرفة ومزدلفة، وكان بمكة عين حنين، وهو أيضاً صاحب تاريخ البرق اليماني في فتح العثماني، وابتداء مجاورتهم بمكة أواخر القرن التاسع، كما يشعر بذلك بعض أحوال ذكرها في تاريخه المذكور.

وكان منهم الشيخ عبدالكريم القطبي[(١)] وابنه أكمل الدين[(٢)] وابنه عبدالكريم[(٣)]، وكلهم من أهل القرن الحادي عشر، وفيه طار ذكرهم وانتشر، ولهم تواريخ على غير طرز ذلك التاريخ.

وأول من دخل إمامة المقام الحنفي منهم الشيخ عبد الكريم الأول سنة تسعـــين وتسعمائة، شارك أئمة المقام القدماء، وهم السادة البخاريون ، وبيت الشيخ أبي سلمة، وكان الأئمة فيه لا يزيـــدون على أربعـــة غالباً، وكان هـــذا الشيخ عبدالكريم حافظاً للمقام عن أن يتطرق إليه مشارك، واجتهـــد فتحصل على خطوط عثمانية بذلك ، حتى أن الملا مكي بن فروخ أتى بأمر بها عام ألـــف

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٣/٨-٩).
(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (١/٤٢٢-٤٢٣).
(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٢/٤٧٤).

وثلاثة عشر فمنعه المذكور استناداً على تلك الخطوط، ونعمت هذه الحالة أن روعي فيها الأهلية بالعلم والصلاح، أما بالعكس تقليداً أعمى، كما هو المشاهد في زماننا فبئست، فإنا رأينا من الأئمة والخطباء من لا يحسن القراءة، بل من كان أمياً لا يقرأ المكتوب، ولكنه حفظ الفاتحة وبعض سور من المفصل، وله من العلم [أن][1] أمه ولدته على فراش أبيه العالم الفاضل، الخطيب والإمام بالمسجد الحرام.

وتولى الشيخ عبدالكريم القطبي أيضاً فتوى الحنفي بعد عمه قطب الدين سنة ٩٩٢، وسعى في إحداث معلوم لها من بندر جدة، وحصلت له خلعة ثانية مع الركب المصري كل عام، ثم أحدث لها أيضاً صوفان مع مائة دينار مع الصر الرومي، واستمر مدة طويلة، ولم أدر ما الصوفان، وأظنه الفرو المعبر عنه اليوم بالكُرْك -بضم فسكون- وبقي مفتياً إلى أن توفي سنة ١٠١٤، ووليها بعده ابنه أكمل الدين، ونكب لتداخله في الفتنة بين شريفي مكة إدريس وفهيد ابني الحسن، وتقلدها بعده الشيخ عبدالرحمن المرشدي، ولعل المراد الإفتاء السلطاني، وإلا فإن الشيخ عبدالرحمن كان يفتي من عام (١٠١١) عام وفاة شيخه الشيخ علي بن جار الله بن ظهيرة، وهو كان مفتياً وابن مفتياً.

وكانت مساكن بيت القطبي بحارة الشامية عند الباب الصغير للمسجد الحرام الذي بالركن الغربي اليماني من الزيادة، وكان اسمه: باب الفهود، ثم اشتهر بباب القطبي، وهو إلى اليوم كذلك، لأن مساكنهم كانت عنده، ومنه يأتون المسجد الحرام.

---

(١) في الأصل: أنه.

وآخر رجل منهم: عبدالكريم القطبي كان أسود اللون، أمّه زنجية، أخبرني بذلك من يعرفه. كان يأوي المقاهي بالخريق -أي المحصب-، وقد مات في حدود سنة ألف ومائتين وسبعين عقيماً، فيقال: كان له أخت تسمى: سعادة، كانت تحت رجل يقال له: عبداللطيف فاغيه، من أرباب الجوق[1] والأغاني، يتصل ببعض الوجهاء، فأثبت أن زوجته سعادة المذكورة أخت عبدالكريم المذكور، وكان له ولد منها اسمه: عبدالنبي، فولدت ابناً آخر سمّاه عبدالكريم باسم خاله، واستولى على جميع أوقافهم، وقد ماتت سعادة وخلفت ابنيها عبدالنبي وعبدالكريم، مات عبدالكريم عقيماً، وعبدالنبي بآخر رمق، وله ابن ابن اسمه: حسن بن علي بن عبدالنبي فاغيه، وبيدهم من أوقاف بيت القطبي ما أبقته يد العدوان، فسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ومن البيوت المنقرضة: بيت المرشدي، ويقال: المراشدة، كما كان يقال القطوب لبيت القطبي، والطبور لبيت الطبري، ويقال الآن: المرادَّة -بتشديد الدال- لبيت ميرداد.

وأول من قدم من بيت المرشدي: مرشد الدين، العمري نسباً. قدم من شيراز في أوائل القرن العاشر. ومن أبنائه: الشيخ عيسى، كان حسن الخط، جميع طرازات المسجد الحرام بخطه، ثم ابناه الشيخ عبدالرحمن والشيخ أحمد. أما الشيخ عبدالرحمن فقد سبق ذكره، وأما الشيخ أحمد فكان أيضاً من الفضلاء، وكان يتولى القضاء نيابة بمكة، ولذلك اشتهر بالقاضي أحمد بن عيسى، وكانت داره بسويقة،

---

(١) الجوق: جمع جوقة، وهي الجماعة من القراء أو المنشدين (انظر: معيد النعم ومبيد النقم ص: ١٠٩).

فإني رأيت في تاريخ الشيخ علي الطبري المنقطع في أواسط القرن الثاني عشر إذ يعدد الآبار الموجودة بداخل مكة، قال: ومنها بئر بسويقة تحت دار الشيخ أحمد المرشدي.

وعليه فقد كانت داره موضع الدكاكين الجديدة الواقعة عن يمين الذاهب من سويقة إلى باب الزيادة إلى المسجد الحرام، التي هي الآن في استحقاق بيت عبدالشكور المدني وبيت الشوربجي.

واشتهر من بيت المرشدي بالفضل أيضاً: الشيخ حنيف الدين بن الشيخ عبدالرحمن[1]، والمتولي الفتوى بعده، ثم الشيخ إمام الدين بن الشيخ أحمد[2]، المتولي الفتوى أيضاً بعد حنيف الدين، ثم لم يشتهر منهم أحد، لكن مكانتهم ووظائفهم محفوظة إلى أن انقرضوا أواخر القرن الثاني عشر.

ومما ينسب إليهم: المرشدية، قرية من قرى وادي الظهران ذات عين لا بأس بها، هي بقرب الشميسي[3] من طريق جدة، ويذهب إليها منه.

وبيت ابن ظهيرة -بالتصغير- القرشي المخزومي:

وهو بيت قديم لا أعلم أوله، وكان منهم علماء وأفاضل في المذاهب الأربعة، وكانوا هم وبيت الطبري وبيت النويري القائمين بالخطابة بالمسجد

---

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٢/١٢٦-١٢٨)، والمختصر من نشر النور والزهر (ص: ١٨٤-١٨٦)، وسلافة العصر (ص: ٩٩-١٠٥).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (١/٤٢٤-٤٢٥)، والمختصر من نشر النور والزهر (ص: ١٣٣-١٣٤)

(٣) الشميسي: وهي الحديبية، سميت باسم رجل يدعى: شميس، ثم عرفت بالشميسي، تبعد (٢٢) كيلاً عن مكة في طريق جدة، ليست بعيدة عن أنصاب الحرم هناك. وقد أنشأت أمانة العاصمة حدائق جميلة هناك سميت حدائق الحديبية، وهي للأشراف ذوي عبدالكريم (معجم معالم الحجاز ٥/٩٦-٩٧).

الحرام لا يشاركهم فيها غيرهم إلى حدود عام (١٠٤١)، وفيهم قضاة مفتين.

ومنهم: القاضي أبو السعود ابن ظهيرة[١] الذي طاف بالسلطان قايتباي لما حج سنة ٨٨٤، وكان يلقنه الأدعية، وعلى ذلك فهو خير سلف للمطوفين.

ومنهم: الشيخ علي جار الله بن ظهيرة[٢]، كان مفتي الحنفي أول القرن الحادي عشر، وكان منهم يومئذ كتبة المحكمة الشرعية في ذلك العصر كما يدل عليه ما هو مذكور في ترجمة الطاغية عبدالرحمن بن عتيق من خلاصة الأثر[٣]، وقد انقرضوا.

وآخر من عرفناه منهم على ما أخبرني به بعض من يوثق به في مثل ذلك: الشيخ أحمد الحنبلي، كان إمام مقام الحنبلي إلى أن توفي منذ ثلاثين سنة تقريباً، وكان في صباه من شياطين الإنس، ولما كبر صار من خيار الناس، وخلف ابناً صالحاً في الاسم غير صالح سيرة، تمضى أكثر أيامه محبوساً في جريمة إلى أن مات عقيماً.

وبيت المنوفي:

قدم جدّهم الشيخ محمد بن أحمد المنوفي الشافعي مكة أول القرن الحادي عشر، وكان عالماً فاضلاً، فاشتغل بالتدريس والإفادة والاستفادة بالمسجد الحرام، ثم سافر ودرّس بدمشق، وكانت له قصة مع أهل الشام ذكرها في

---

(١) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:١٦٢-١٦٣).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٣/١٥٠-١٥١)، والمختصر من نشر النور والزهر (ص:٣٦١-٣٦٢).

(٣) خلاصة الأثر (٢/٣٦١-٣٦٢).

خلاصة الأثر[١]، وترجمه ابن معصوم في السلافة[٢] وقال: هو جدي لأمي، وترجم ابنه عبدالجواد المنوفي[٣].

وكان لبيت المنوفي حظوة عند أمير مكة يومئذ الشريف زيد بن محسن بن حسين ابن الحسن، وبها حصلوا على وظيفة الإمامة، وشاركوا الطبريين في المقام الإبراهيمي، ثم في الخطابة، وكانت لها ضجة، حتى أنه خطب مرة، ثم لزم الحال أن الشريف الذي أعطاه الوظيفة أمره بالتخلي عن الصلاة وصلى غيره.

وسمعت من بعض الكبار: أنه كانت عادة أمراء مكة أن لا يجلس معهم في الروشن[٤] يوم الجلوس العام سوى بيت الطبري إلى زمن الشريف زيد، فكان يوم جمعة، وحضر الطبريون فوجدوا المنوفيين قد أخذوا مجلسهم، ولم يفسح لهم، فاصطفوا تجاه الأمير وأنشد كبيرهم هذين البيتين:

كانت بني حسن مجالسكم بها　　زين الرجال يزين عند خطابها
وإذا تقدمت القحوف وأخرت　　شم الأنوف فدورها أولى بها

ورجعوا القهقرى، ولم يرجع أحد منهم إلى مجلس الإمارة أبداً، رحمهم الله تعالى.

وكانت بيد بيت المنوفي وظائف جمّة منها: خدمة رباط العباس الواقع عند الميلين الأخضرين[٥] محل الدولة في السعي بين الصفا والمروة، وقد انقرض

---

(١) خلاصة الأثر (٣/٣٥٩-٣٦١).
(٢) سلافة العصر (ص:١٢٤-١٢٥).
(٣) سلافة العصر (ص:١٢٥-١٣٣).
(٤) الروشن: الرف (لسان العرب، مادة: رشن).
(٥) الميل: هو سارية خضراء بخضرة صباغية وهي التي إلى ركن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم على قارعة المسيل الى المروة وعن يسار الساعي اليها، منها يرمل في السعي -أي يمشي

رجالهم وبقيت امرأة واحدة فقيرة.

وذكر الشيخ عبدالله أبو الخير في كتاب نشر النور والزهر[1]: بيت المنوفي بمكة بيت علم وخطابة، وفضل ورياسة، ولم يبق منهم الآن في زماننا إلا امرأتان، هما ناظرتان على الخلاوي التي برباط العباس، وبيدهما دفاتر الأوقاف السلطانية، وقد فقد منهما في هذا الزمن. انتهى.

وبيت الباطشه:

جدهم السيد صادق ابن أحمد بن مير بادشاه[2] صاحب الحاشية على البيضاوي، من كبار أهل التحقيق. أخذ الفتوى بعد الشيخ حنيف الدين المرشدي المتوفي سنة ١٠٦٧ بالمدينة المنورة، وهو أخذ الفتوى سنة ١٠٤٤هـ بعد أبيه الشيخ عبدالرحمن [المقتول][3] سنة ١٠٣٧، ومنها إلى سنة ١٠٤٤هـ لعله كان يباشرها بدون تقليد سلطاني، وتوفي السيد صادق سنة ١٠٧٩هـ، وولي الفتوى بعده الشيخ إمام الدين ابن الشيخ أحمد ابن عيسى المرشدي إلى عام ١٠٨٥هـ، وبعده الشيخ إبراهيم البيري، وكان هذا من أكابر الفضلاء، له الحاشية الشهيرة على الأشباه والنظائر لابن نجيم، ولا نعلم له نسلاً بمكة المكرمة. كان له ولد نجيب توفي في حياته، وحزن عليه، وهو كان عزل عن الفتوى زمن الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن

=

سريعاً- (انظر: رحلة ابن جبير ص:٨١) واليوم استعيض عنها بطلاء عقدين من عقود المسعى باللون الأخضر مع إضافة أنوار كهربائية خضراء عليها.

(١) انظر: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٠١).

(٢) بادشاه: كلمة فارسية بمعنى الملك الحامي أو الحارس أو صاحب العرش، وأطلق هذا اللقب على سلاطين العثمانيين (معجم الدولة العثمانية ص:٣٧، والقاموس الإسلامي لأحمد عطية ٢٤٧/١).

(٣) في الأصل: المفتول.

بركات بن أبي نمي لما كان بينه وبين الشيخ محمد بن سليمان المغربي الآخذ بزمام الأمور أيام الشريف بركات، وكان الشريف يومئذ بمنزلة الصفر، وتوفي الشيخ إبراهيم البيري عام ألف وتسع وتسعين.

هذا وقد حرّف الناس لفظة بادشاه بباطشه، وصاروا يقولون لذرية الشيخ صادق المذكور ببيت الباطشه والبواطش.

وآخر رجل منهم كان اسمه السيد عبدالله باطشه، من سكان حارة الشامية، ومن أبطالها في الهوشات، وكان [بيتهم][1] بحارة الشامية موضع دار السيد علي نائب الحرم اليوم، خرب واستبدلوه بغيره، وقد مات السيد عبدالله المذكور وخلف بنات بعضهن موجودات.

وبيت عتاقي:

قدم عتاقي أفندي من الروم منتصف القرن الحادي عشر، وتولد له بها ابنه عبدالله أفندي عتاقي زاده، فطلب العلم واشتهر فضله، وتولى فتوى الحنفي بعد الشيخ إبراهيم البيري، ومكث مفتياً إلى أن توفي سنة ١١٠٨، وكان له ابن يسمى: أسعد أفندي عتاقي، وكانت ذريتهم الذكور موجودين بمكة إلى أوائل القرن الثالث عشر، وكان لهم عقار وقف، ودور، وبساتين بمكة والطائف، وثروة عظيمة، منها دور ودكاكين في ساحة قاعة الشفا من حارة الشامية، ومنها دار عظيمة عند مدخل زقاق رضوان بيك بسويقة، وهي كلها اليوم بيد رجل اسمه زيني عيد، لعله من ذريتهم من البطون، ومنها الدار التي بناها المفتي عبدالله أفندي عتاقي المذكور بجنب دار الخيزران بقرب الصفا،

---

(١) في الأصل: بينهم.

ولكنها انتقلت عنهم، وأعرفها بيد الشيخ عباس بن عبدالعزيز ميرداد، واحترقت فباعها أولاده، واشتراها أحد الجاويين وعمّرها، فهي الآن من أوقاف الجاوى، وكنت وأنا صغير أسمع بامرأة هي أم لأحد بيوت مخلص تدعى: عتاقية.

وبيت السنجاري:

أول من عرف منهم بمكة الشيخ تقي الدين السنجاري بن يحيى بن إسماعيل بن عبدالرحمن السنجاري. كان عالماً فاضلاً. ترجمه ابن معصوم في السلافة[١] لكنه حطّ من قدر عقبه فتعقبه علي بن تاج الدين بن تقي الدين المذكور، كما ذكره في خلاصة الأثر[٢]، ولهم عقار ووقف إلى الآن مشهور باسمهم، وهو حوش بأول زقاق المسفلة الموصل إليها من سوق الصغير عن يمين الذاهب فيه، وقبالته عن يسار الذاهب الحوش المعروف بحوش العَمْري، مشتمل حوشهم على بيوت مطلّة طاقاتها على أول الهجلة محل بيع الحشيش والبرسيم، وهو اليوم بيد ذريتهم من البطون، بيت خوقير والجرتلي وغيرهما.

وبيت حميدان:

كانت لهم صولة آخر القرن الحادي عشر وأول الثاني عشر، وأظن أن أصلهم من الغرب، كان منهم الوزير عثمان حميدان، -وكانت وفاته سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف. اهـ إتحاف[٣]- وهو الذي أنشأ البستان الذي عند بركة ماجن، وكان يقال لها: المنشية، وكان لهم عقار عظيم بمكة وجدة

---

(١) سلافة العصر (ص: ٢٣٠-٢٣٤).

(٢) خلاصة الأثر (١/٤٧٥-٤٧٩).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (٢/٣١٠).

والطائف، كله قد تناقلته الأيدي، ومنه الرباط للنساء الذي بعلو حارة الشامية، ولهم عقار بيد أولاد المرحوم الشريف منصور بن يحيى بن سرور، وهم من بطونهم، فإن أم الشريف منصور منهم، وكان لهم ذرية معاتيق منهم: سليمان حميدان وابن أخيه، وقد توفيا.

ومن بطون هؤلاء: بيت الفوال بسوق الصغير، استولوا على العقار الذي كان بيدهم، وهو بسوق الصغير بقرب الدكاكين وقف الشيخ تاج يسكنه جزارة وخضرية.

أما البخاريون الذين كانوا أئمة مقام الحنفي فلا أعلم لهم خلفاً، إلا أن يكون الصاغة أولاد السيد عبدالله بخاري، وكذا بيت أبي سلمة والنويري، إلا أن يكون السادة الوقادون منهم[1]، والله أعلم وهو الباقي بلا زوال.

أما البيوت الموجودون فنأتي على المشهورين منهم، وقد تقدم لنا ذكر السادة والأشراف، وتقدم لنا ذكر عائلتنا بيت اللبنى لمناسبته في بيت الطبري، وأحق من يبتدأ به الآن الشيبيّون صاحبوا مفتاح الكعبة، أي آل شيبة بن عثمان ابن أبي طلحة الحجبي، واسم أبي طلحة: عبدالله بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي. أخذ شيبة المفتاح لما مات ابن عمه عثمان بن طلحة بن أبي طلحة.

قال الحافظ ابن حجر: إن أبا طلحة كان له ولدان: عثمان وطلحة، أتى عثمان بشيبة، وأتى طلحة بعثمان الذي أسلم مع خالد بن الوليد، وكان بيده المفتاح يوم فتح مكة، [أخذه][2] منه النبي ﷺ، ثم ردّه إليه لما نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨] ، وقال ﷺ يومئذ:

---

(١) العبارة مضطربة في الأصل.

(٢) في الأصل: أخذ.

((خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم))[١]. فالحجابة في الأصل لكل بني عبدالدار، واختصت ببني أبي طلحة منهم بهذا الحديث، ثم اختصت ببني شيبة، لأن عثمان بن طلحة مات عقيماً، وهي إلى اليوم في بني شيبة.

قال الشمس الحطاب المكي المالكي: ولا التفات إلى قول بعض المؤرخين أن عقبهم انقطع في خلافة هشام، فإنه غلط. فقد قال مالك[٢] -وهو ولد بعد هشام بنحو عشرين سنة-: لا يشرك مع الحجبة في الخزانة أحد، لأنها ولاية منه ﷺ.

وذكر ابن حزم وابن عبدالبر جماعة منهم في زمانهما، وهما عاشا إلى ما بعد النصف من المائة الخامسة. وكذا ذكر العلامة القلقشندي -وعاش إلى أول المائة التاسعة- جماعة منهم اجتمع بهم بمكة، ولا دلالة لزاعمي ذلك بإخدام سيدنا معاوية رضي الله عنه الكعبة عبيداً، لأن إخدامها غير ولاية فتحها كما هو معلوم، وكثيراً يقع في كلام المؤرخين كالأزرقي والفاكهي ذكر الحجبة ثم الخَدَمة، بما يدل على التغاير، وما ينقل عن تاريخ القطبي فغير موجود في تاريخ قطب الدين، وإن وجد في أحد تواريخ ابن أخيه فهو من مقتضيات المعاصرة لم يسلم لهم، وقد وقع أثناء القرن الثاني عشر.

أما نزع بعض ملوك الأشراف المفتاح من صاحبه وإعطائه لآخر منهم، فلم يصدق عليه أنه نزعها منهم، وكذا في أيامنا نزع الشريف عون الرفيق

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/١٢٠ ح١١٢٣٤)، والأوسط (١/١٥٦-١٥٧ ح٤٨٨) بلفظ: ((لا ينزعها منكم إلا السهو)).
(٢) المدونة الكبرى (٣/٩٢).

المفتاح من الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله ودفعه إلى ابن عمه الشيخ محمد صالح بن أحمد، وقد انحصر نسل شيبة اليوم في ذرية الشيخ محمد بن زين العابدين بن الشيبي الذي كان أول القرن الثالث عشر صغيراً قاصراً، وتربى في حجر الشيخ محمد الشامي من التجار المثرين، لعله كان وصياً عليه، فجميع الشيبيين الموجودين اليوم من نسل الشيخ محمد بن زين العابدين المذكور، فصاحب المفتاح اليوم على أصولهم أكبر سناً الشيخ محمد صالح بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد، ورديفه الشيخ عبدالقادر بن الشيخ علي بن الشيخ محمد المذكور، وله ابنان: الشيخ حسن والشيخ عبدالله، والشيخ محمد صالح له ابن واحد وهو الشيخ محمد، والساكنون اليوم بقرية الهدى الشيخ محمد سعيد والشيخ عبدالغني ابنا الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد، وكان لهما أخ توفي غائباً بتونس اسمه الشيخ زيني، وكان لهما أيضاً أخوهما الكبير الشيخ عبدالرحمن صاحب المفتاح قبل الشيخ محمد صالح، مات وخلف ابنه الشيخ جعفر الشيبي، وكان صاحب المفتاح قبل الشيخ عبدالرحمن؛ الشيخ عمر بن الشيخ جعفر بن الشيخ محمد المذكور، وقبله كان الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد، وقبله أخوه الشيخ أحمد، ومن الجائز أن يوجد لشيبة ذرية آخرون هاجر آباؤهم للآفاق وبقوا هناك فتناسلوا، لكنا لم نسمع بشيء منه، ولا حفظت التواريخ مثله، وهو مما يثابر عليه.

وذكر العلامة الشيخ الملا علي القاري في شرح شرح نخبة الفكر في مصطلح الحديث والأثر حكاية مناسبة اشتباه الأسماء والألقاب[1]: أن رجلاً من أهل اليمن ادّعى أنه شيبي، وأقام شاهدين عند قاضي مكة شهدوا على

(١) شرح شرح نخبة الفكر (ص: ٧٧٦-٧٧٧).

السماع بأنه من ذرية بني شيبة، وأنه أكبر العائلة، وحكم له بذلك، وقارب أن يأخذ المفتاح، ولكنه أدركته منيته فمات وتخلصوا منه.

وفي زماننا جاء رجل من الغرب تونسي وادّعى ذلك، وأبرز حجة محكوم له فيها بأنه شيبي، واستدعى في مشاركة ومزاحمة بني شيبة في مخصصاهم وجميع مصالحهم، وعند التدقيق في الحجة المذكورة في دار الفتوى بالآستانة دار السلطنة لم تصلح لأن تكون مداراً للعمل، وأمر شيخ الإسلام بإبطالها وعدم اعتبارها، وصار التعميم إلى النواب في جميع الممالك العثمانية بعدم استماع هذه الدعوى إلا في محكمة مكة، ومنشأ ذلك أن الشهادة على النسب يجوز أن تكون على التسامع والشهرة، وقد يشتهر الإنسان بأنه من قوم وهو مولى لهم أو خادم، وهو مشاهد في زماننا في عبدالنبي الشيبي[١] وأولاده، وهو عتيق، وفي الآخر كان خادماً عندهم، فليكن الشاهد بناءً على التسامع على بصيرة من أمره، وليتق الله ربه، والله الموفق.

أما الشيخ محمد الشامي الذي سبق أنه ربّى الشيخ محمد الشيبي فمن ذرية رجل من الصاغة اشتهر بطيله، وكان له أيضاً ابنه يحيى شامي الذي كان عطرجياً بباب السلام، وبنته فاطمة شامية، تزوجها المرحوم الشيخ جمال لبنى بن الشيخ عبدالله لبنى المارّ ذكره، ومنها أولاده: محمد، وعبدالله، وعمر، وعلي، ومنها آلت لهم الدور بباب السلام من أوقاف السلطان قلاوون.

---

(١) في هامش الأصل: من أحفاد عبد النبي الشيبي: الشيخ حسين عبد الغني بن محمد سعيد بن عبد النبي، وهو اليوم رئيس المحكمة المستعجلة الشرعية الأولى بمكة بدار الحكومة.

ومن البيوت القديمة: بيت الريس:

ذرية الشيخ علي بن محمد بن داود البيضاوي، قدم مكة من شيراز عام قدوم فيل العراق، وتزوج ببنت الشيخ سالم بن ياقوت الذي كان مؤذناً وقائماً بخدمة بئر زمزم في حدود سنة سبعمائة وثلاثين، فرزق منها ذرية صالحين بقيت خدمة البئر عندهم إلى اليوم، وكان يقال لهم: بيت الزمزمي، فمنهم أفاضل كثيرون، منهم: الشيخ عبدالرؤوف، والشيخ عبدالعزيز، وابنه محمد -من أهل القرن الحادي عشر-، والشيخ محمد صالح -من أهل القرن الثالث عشر-، ثم غلب عليهم لقب بيت الريس؛ لأن رئاسة المؤذنين عندهم، فلا يؤذن المؤذنون في المنارات حتى يسمعون أذان الريس في قبة زمزم، وهم يدَّعون الانتساب إلى آل الزبير بن العوام، حتى الصلحاء منهم والمؤمن مصدق في نسبه.

وبيت نائب الحرم: يقال أنهم من سادات أهل الشام بحسب الأصل، والله أعلم.

ومعنى نائب الحرم: أنه نائب في أمور المسجد عن الأمير مثلاً، فإنه كان يقال للوالي شيخ الحرم، والحرم غلب على المسجد الحرام، والوظيفة تكون لأكبرهم سناً، ومن يليه سناً فهو قائم مقامه، وعندهم أوامر سلطانية بذلك، ووظيفتهم هذه عبارة عن رياسة على جميع موظفي الحرم من كنّاس، وشادّ، وبوّاب، وفرّاش، وإمام، وخطيب، ومؤذّن، لا كما يتوهم أنه نائب شرعي بناء على أن جميع الحكام الشرعيين في الممالك العثمانية نواب عن شيخ الإسلام أو عن أحد قاضي عسكر روم إيلي أو أناطولي، وكل واحد من هذه العائلة ولو مولوداً لا يخلو عن وظيفة بالمسجد الحرام، والذي عرفنا بقدم عائلتهم واشتهارها لهذه الشهرة حكاية رأيتها في تاريخ بعض الطبريين، وكان في أوائل

القرن الثاني عشر، قال: ومما اتفق في زماننا أنه في ليلة ختم التراويح في خصفة الشريفة فلانة تدافع السيد أحمد نائب الحرم مع الشيخ عبدالقادر الطبري في التقدم في المكان في الجلوس، حتى طاحت عمائمهما في الأرض، وبعد أن أتم الحكاية أخذ يبيّن من له حق التقدم في المراسم السلطانية التي تصير بالمسجد الحرام، وأن بيت الشيبي هم أحق بالتقدم على جميع أهل المناصب، إلى آخر ما قال.

ورأينا في زماننا من يكادون أن يتلاطموا أو يتلاكموا في المجالس، وإن كانت غير رسمية، وما ذاك إلا لعطلهم عن الفضل، وظنهم أن بذلك يشرف قدرهم، وتحفظ مكانتهم. اللهم اهدنا إلى سواء الصراط.

وبيت العجيمي: وأول من اشتهر منهم العلامة الرحلة الفهامة، أبو الإخلاص، مولانا الشيخ حسن بن علي العجيمي، وشهرته عند أهل الآفاق من الأفاضل أكبر من شهرته بين أهل مكة، فإنه كان رحمه الله كثير التلقي والاجتماع والإجازة والاستجازة من أهل الآفاق الواردين مكة لأداء الحج من كل فج، فلا تكاد تجد سنداً من سندات العلوم إلا وتتصل سلسلة به رحمه الله.

ولد في شهر ربيع الأول سنة ١٠٥٠ بمكة المكرمة، وتوفي بالطائف في شوال سنة ١١١٣هـ.

ترجم نفسه رحمه الله في تعليقة له سماها: إسبال الستر الجميل على العبد الذليل، نسبها [بعض][١] حفدته لنفسه، واسمها يشعر بأنها له، والفقير كتبتها بخطي، وكتبت بذيلها عدة قرائن تدلّ أنها له لنفسه، وألحقتها بما يناسبها.

---

(١) في الأصل: لبعض.

ومن جملة ذلك اجتماعه بالشيخ عبدالغني النابلسي سنة ١١٠٥، وما أجازه به نظماً هو وبنيه، وقد ذكر لنفسه منها سبع بطون كلهم مكيون، وأنهم كانوا شافعيي المذهب فتحنفوا، وأبوه الشيخ علي كان مؤذناً بالمقام الحنفي، وهم الآن من قدماء الأئمة في المقام الحنفي، وأول من دخله منهم كان بعد الشيخ حسن المذكور، وكانت مساكنهم في شعب علي كما يدل عليه قوله في تلك التعليقة أنه ولد هناك.

أما الآن فمساكنهم بحارة الشامية بالزقاق المسمى قديماً بزقاق الناشف، ويخرج إلى حارة القرارة.

وكان منهم الشيخ عبدالحفيظ العجيمي[١] -أحد علماء القرن الثالث عشر-، وكان ممن يقوم بفتوى الحنفي بعد شيخه الشيخ عبدالملك القلعي، وتولى القضاء نيابة بمكة المكرمة مرات.

ومنهم صاحبنا الفاضل الشيخ درويش[٢] أمين الفتوى حالاً[٣].

ومنهم الشيخ عبدالحفيظ غير الأول، هو وأخته الشيخة أم الحسين ولدا الشيخ حسين العجيمي، وأمهما من ذرية الست نجم النساء من ذرية الشيخ تاج الدين المالكي الشهير بابن يعقوب، وبهذه المناسبة استولى ذريتهما على

---

(١) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٣١-٢٣٢).

(٢) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:١٩٤)، وسير وتراجم (ص:١١٨-١٢٠).

(٣) في هامش الأصل: فإن مفتي الحنفية الشيخ عبدالله ابن المفتي الشيخ عبدالرحمن سراج كان غير مشهور بطلب العلم، فخشي أمير مكة الشريف علي باشا أن يصدر فتوى بغير تحقيق فعين الشيخ دروش أميناً للفتوى من عام ١٣٢٥ إلى عام ١٣٤٣ هجرية. وكتبه: محمد نصيف.

الدارين والقهوة التي عند مدخل زقاق الوزير عن يمين الذاهب إلى سوق الليل بعد أن يمر تحت السقيفة في أول زقاق الصيني.

وبيت الزرعة:

قال في النشر[١]: هو بيت قديم رفيع البنيان، أهل علم وثروة وعلو شأن، أصلهم من الهنود الفَتَّن، وكانوا هم وبيت شمس، وبيت الريس، وبيت الميرغني، وبيت ميرداد -جماعتنا-، وبيت المفتي، من الذين حازوا الكتب الكثيرة المعتبرة القديمة الجميلة، وخصوصاً تآليف أهل مكة؛ كتأليف الشيخ محمد جار الله ابن ظهيرة، وابنه المفتي الشيخ علي، والشيخ عبدالرحمن المرشدي، وابنه، والشيخ القطبي،وبيت علان، وبيت الطبري، وبيت الحطاب، وبيت القلعي، وبيت سنبل، ولكن الآن دثرت ولم يبق منها إلا نزر من جم، وذلك بسبب بخلهم من عدم إعارتها لأهلها لأجل القراءة فيها أو نسخها حتى يصير منها نسخ متعددة. انتهى.

وقال الشيخ جعفر اللبنى رحمه الله: أول من جاءنا التاريخ بخبر بيت الزرعة منهم: الشيخ محمد بن أحمد الزرعة، الذي دخل على الشريف بركات بن محمد ابن إبراهيم بن بركات حين ولي مكة أواخر القرن الحادي عشر، وتمثل بين يديه بآية: قَالَ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٥٤]، فاستبشر يومئذ بذلك واستسر، ثم كان ما كان من قتله، وكان منهم تجار أهل ثروة بالطائف إلى زمن الوهابي[٢]، وكان افتدى رجل منهم يومئذ كثيراً من أهـــل الطائف بماله من الوهابي[٢]، ولهم بالطائف عقار معروف، لكنه انتقل إلى غيرهم.

---

(١) انظر: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٦٣-٦٤).
(٢) يقصد إلى فترة دخول الملك عبدالعزيز آل سعود – طيب الله ثراه– إلى الطائف، وإنما نعته بالوهابي لانتمائه ودفاعه عن دعوة شيخ الإسلام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله–.

ومنهم: الشيخ أبو بكر الزرعة[١]، شاعر شهير في القرن الثالث عشر، وولداه: الشيخ محمد، والشيخ محمد علي، من أئمة المقام الحنفي، وكان الشيخ محمد رئيس الخطباء[٢].

ومنهم: الشيخ تقي الدين الزرعة[٣]. كان إماماً أيضاً، وكان من أماثل المطوفين، ساكناً بحارة القشاشية، وله ذرية اشتهروا ببيت تقي، ولم يبق لهم من عقار أسلافهم سوى دار بمكة بخط المدعا بعد رأس الردم ذاهباً إلى المعلا عن يمينك، عند رأس الزقاق المشهور بزقاق غراب، وتحتها حوطة ذات محراب من المآثر القديمة، وذلك الموضع اليوم مشهور باسم الجودرية وسوق بيشة.

ومن عقاراتهم: داران بحارة الشامية هما اليوم بيد الميرغني، وهم من بطونهم، إحداهما بزقاق رضوان بيك، كان ساكناً بها السيد علي بن محمد بن عبدالله الميرغني، والآخر بخط سويقة فيما بين الزيادة وباب القطبي.

وبيت مرداد:

الذين منهم حضرة أستاذي سيدي ومولاي الشيخ أحمد أبو الخير بن

---

(١) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٦٣-٦٥).

(٢) في هامش الأصل: الشيخ محمد بن أبو بكر الزرعة: كان رئيساً للخطباء في زمن إمارة الشريف عون الرفيق باشا في عام ١٣٢٢ هجرية، وكان في أذنه صمم لا يسمع، ولونه أسمر، وكان يلبس الجبب ذات الألوان الزاهية كالأخضر والأحمر والأصفر، وكانت هذه الألوان يلبسها الشيوخ والشبان، ثم تركها أولاً الشيوخ ثم الشبان، وصارت خاصة بالنساء، ثم تركها النساء العجائز. وكتبه: محمد نصيف.

(٣) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص: ١٥٠-١٥١).

المرحوم الشيخ عبدالله بن صالح ميرداد[١]، وهم عائلة كبيرة أغلبهم أئمة بالمقام الحنفي، ومشيخة الخطباء فيهم لا تتجاوزهم في الغالب، وهي اليوم عند شيخي المذكور، والقائم بها نيابة ابنه الشيخ عبدالله؛ لعدم قدرته على الخروج إلا في الجمع والأعياد.

والذين اشتهروا بالعلم منهم هم شيخنا المذكور وأبوه، وابنه الشيخ عبدالله لا بأس به، وأيضاً المرحوم الشيخ محمد علي بن الشيخ سليمان ميرداد[٢] المتوفى عام ١٢٩٤ قبل أن يبلغ الأربعين، وقد قرأت عليه "مراقي الفلاح" وقطعة من "شرح ملا مسكين على الكنز"، وخلف ولدين أحدهما الشيخ أمين[٣] لا بأس به، والآخر محمد صالح، غائب بالهند مدة طويلة، وكان مواظباً درس الحقير في الفقه وغيره، ويظهر من شهرتهم بميرداد أنهم سليمانيون من الأفغان في الأصل، ولم أر لهم سلفاً قديماً في تواريخ مكة، فلعل ابتداء شهرتهم كان في أول القرن الثالث عشر.

ومثلهم في ذلك: بيت سنبل، لكن هؤلاء اشتهر منهم أفاضل في آخر القرن الثاني عشر، من أجلّهم مولانا المرحوم الشيخ طاهر سنبل[٤]، فإنه من محققي وقته، ونسخته "صحيح البخاري" كانت مرجعاً في بابها، وكان كثيراً ما يرجع إليه في الفتوى، مع أن المفتي الحقيقي يومئذ الشيخ عبدالملك القلعي، وتوفي الشيخ طاهر المذكور بالطائف سنة ١٢١٨، وله ذرية بمكة وبالمدينة. انتهى.

---

(١) انظر ترجمته في: سير وتراجم (ص:٦٢-٦٣).
(٢) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٤٩٠).
(٣) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:١٣٤-١٣٥)، وسير وتراجم(ص:٧٨-٨٠).
(٤) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٢٥-٢٢٦)، وسير وتراجم (ص:١٥٤-١٥٥).

أقول: أخبرني الشيخ أحمد بن محمد سنبل أنه كان للشيخ طاهر خمسة من الذكور: عبدالمحسن، وأسعد، وأحمد، ومحمد، وعبدالوهاب، وواحدة من الإناث.

فأما عبدالمحسن فذريته موجودون بالمدينة.

وأما أسعد فذريته بعضهم بمكة وبعضهم ببلاد جاوة.

وأما أحمد فمات عن ولدين: عبدالشكور، وطاهر. مات عبدالشكور عقيماً، وذرية الطاهر موجودة بمكة.

وأما عبدالوهاب فانقرضت ذريته.

وأما الأنثى فصالحة، ماتت عن أولاد البطون، وهم الآن ما ينوفون عن مائة بمكة.

وبيت المفتي:

وهم عائلة كبيرة، فيهم من هو من أهل الأدب واللطف، واشتهروا بهذا اللقب؛ لأن فتوى الحنفي بقيت في بيتهم ما ينوف عن ثمانين سنة، وأصلهم من الهنود الفتن التجار أهل الثروة، كما تشهد بذلك أوقافهم وعقاراتهم.

وأول من ظهر منهم بين أهل مكة: أبو بكر بن عبدالقادر بن صديق، ظهر في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، وربما [قيل][1] له شيخ الهنود، رأيت ذلك في تاريخ الطبري وغيره، وأنه كان من أهل الخير والبر لأهل مكة،

---

(١) في الأصل: قبل.

يحب خدمتهم وإسداء المعروف [لهم][١]، فكان يداخل الحكام، ويقوم كثيراً بتقسيم ما يرد لأهل البلد من جراية وصدقات بنفسه لا في مقابلة شيء، حتى اشتهر بذلك وصار معروفاً عندهم، ثم تزوج ببنت الشيخ حسن العجيمي المارّ ذكره، وتولّد له منها ابنه الشيخ عبدالقادر أفندي المفتي، فأخذ عن جده المذكور العلوم، وبه تخرّج، فكان من أفراد أهل زمانه علماً وأدباً.

وفي عام سنة ١١٠٦هـ صار من الخطباء في قصة على ما سردها الطبري والسنجاري[٢] وغيرهما: أن رجلاً اسمه صبغة الله كان له وظائف شتى، وكبر ولم يكن له ولد، وهو من عائلة قديمة، وكان يختلف إليه غلام من أولاد الحارات يخدمه، فترل معه إلى المحكمة الشرعية وفرغ[٣] له عن جميع الوظائف التي بيده، وسمع بذلك وجوه مكة فلم يرضوه، واجتمعوا على الرجل وعنفوه، فقال: أنا رجل فقرت وهذا يخدمني، فعرفوا أنه مختلط، فأتوا به المحكمة وأبطلوا ذلك الفراغ وحجروا عليه، ورتبوا له نفقه كل يوم غرشين، وتفرقوا الوظائف، فأخذ الخطابة الشيخ عبدالقادر أفندي المذكور، وخطب أول خطبة[٤] حافلة بليغة أقرّ له بذلك فضلاء عصره، ثم بعد سنتين توفي المفتي عبدالله أفندي عتاقي زاده، فتوجهت إليه الإفتاء عام ألف ومائة وثمانية بهمّة أبيه وإشارة جدّه لأمه الشيخ حسن العجيمي، ومكث مفتياً إلى سنة ١١١٨هـ، فتقلدها الشيخ

---

(١) في الأصل: هم.

(٢) منائح الكرم (٥/٢٠٥).

(٣) فرغ: أي تخلّى له بها (لسان العرب، مادة: فرغ، والمعجم الوسيط ٢/٦٨٤).

(٤) قوله: "خطبة" مكرر في الأصل.

تاج الدين بن عبدالمحسن القلعي بأمر سلطاني جاء بنفسه من دار السلطنة، ولما وصل ينبع وقد أظله شهر رمضان نزل من المركب وركب النجائب إلى مكة حتى أدرك ليلة ختم السلطان، وتصدر به في المجلس السلطاني، ثم بعد سنتين رجعت الفتوى إلى الشيخ عبدالقادر أفندي بأمر سلطاني أيضاً، وبقيت عنده إلى أن توفي سنة ١١٣٨هـ، فتقلدها ابنه يحيى أفندي، وتوفي سنة ١١٤١هـ، ثم تقلدها الشيخ عبدالمحسن بن الشيخ تاج الدين القلعي مدة يسيرة، ثم تقلدها الشيخ علي مفتي بن عبدالقادر، ثم رجعت إلى المذكور إلى أن توفي سنة ١١٨٧، فتقلدها الشيخ عبدالقادر بن يحيى إلى أن توفي سنة ألف ومائة واثنين وتسعين، فتقلدها يومئذ مولانا الشيخ عبدالملك بن الشيخ عبدالمنعم بن الشيخ تاج الدين القلعي -وهو يومئذ كما قيل-:

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

وتبين بعد ذلك أن الفتوى إنما دخلت بيت هؤلاء عام ألف ومائة وثمانية، وخرجت ولم تعد عام ألف ومائة واثنين وتسعين، فهي أربع وثمانون سنين، فيها المدد [التي](1) تولاها الشيخ تاج الدين وابنه الشيخ عبدالمحسن القلعي. انتهى.

وفي خلاصة الكلام(2): وفي شهر صفر سنة سبع وثمانين ومائة وألف توفي المفتي علي بن عبدالقادر الصديقي، وكان تقلد الفتوى بعد أخيه المفتي يحيى المتوفى سنة ٤٠، فكانت مدة مباشرة المفتي علي للفتوى تزيد على الأربعين

---

(١) في الأصل: الذي.
(٢) خلاصة الكلام (ص:٢٠٩).

سنة، وبعد وفاته تقلد الفتوى ابن أخيه المفتي عبدالقادر بن المفتي يحيى بن المفتي عبدالقادر الصديقي، وتوفي سنة إحدى وتسعين، وتقلد الفتوى بعده المفتي عبدالملك بن عبدالمنعم القلعي، ومكث فيها إلى سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين. انتهى.

وفي كتاب نشر النور والزهر[١]: اعلم أن الذي تولى الافتاء بمكة من بيت المفتي أربعة أشخاص: أولهم: المفتي عبدالقادر بن أبي بكر. [ثانيهم: المفتي يحيى بن عبد القادر المذكور. ثالثهم: المفتي علي بن عبد القادر أيضاً. رابعهم: عبد القادر بن يحيى][٢] بن عبدالقادر، وهو آخر المفتين منهم، وبيت المفتي الموجودون الآن من ذريتهم، إلا أن كلهم -أي أولاد [الظهور][٣] منهم- من نسل المفتي علي فقط، كما رأيته بشجرة نسبهم المحفوظة لديهم، وبقي اللقب -أعني [لقب][٤] المفتي- في بيتهم إلى الآن لما أن الفتوى مكثت عندهم قريباً من قرن، ولم يتيسر ذلك لغيرهم. انتهى.

وبيت ابن علاّن:

ونسبتهم إلى الصدّيق احتفت بقرائن كثيرة، وقد نظمها أحد أجدادهم وهو الشيخ أحمد شهاب الدين بن إبراهيم الذي كان من أئمة التصوف بمكة في القرن الحادي عشر، وابن أخيه الشيخ محمد بن علان، كان من أفراد وقته علماً وفضلاً، وهو الذي اختاروه لتدريس البخاري في جوف الكعبة أيام عمارتها الأخيرة بعد أن هدم السيل جوانب منها سنة ألف وأربعين، ونسلهم

(١) انظر: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٧٦).
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من المختصر من نشر النور والزهر، الموضع السابق، بتصرّف يسير.
(٣) في الأصل: الظهو.
(٤) في الأصل: نقط.

باق إلى زماننا، بقي منهم رجل اسمه أحمد بن علان لا غير، من خيار الناس، يقارِب عمره السبعين، يأوي في بيت الوشقلي، لكونه خالهم. وبيت الوشقلي بيت ليس بالقديم جداً، لكنهم أهل ثروة وحماسة، أصلهم روم من بلدة تسمى: أوجاق، معروفة. وأول من عرف منهم السيد علي الأجاقلي، كان من مشاهير التجار أيام دولة المرحوم الشريف غالب بن مساعد، أي أول القرن الثالث عشر، وهو الذي بنى دارهم العجيبة الشكل في مكة المكرمة بحارة الشبيكة عند رأس زقاق بافضل، وخلف ابنين: عبدالله وحسن. فعبدالله خلف عمر الذي توفي شاباً، ولم يعقب، وحسن هو الذي تزوج من بيت ابن علّان فتولد ابنه علي، وقد مات. والموجود اليوم غلام يافع هو ابن علي أو عمر لم يحضرني الآن.

ومن هذا القبيل بيت القنق:

فإنهم لم يتبينوا إلا في أوائل القرن الثالث عشر، وأصل شهرتهم بيت ميناه -بميم مفتوحة ممالة نحو الكسرة، ثم ياء ساكنة، ثم نون بعدها ألف، وقد تزاد بعدها هاء- وكانوا صاغة، كانت لهم الدار بحارة الشامية ذات السقيفة التي تحتها القهوة المجاورة لدارنا من شام. ومعنى قنق بلسان الأفغان: أصم.

وأسباب ظهورهم وما حصلوا عليه من ثروة الشيخ أحمد تركي شيخ المطوفين في زمانه، وكان من أمره على ما أخبرني به المرحوم الشيخ حسين بن إبراهيم قنق أيام صحبتي ابنه الشيخ أحمد أنه كان رجل بخاري من التجار المجاورين بمكة اشترى جارية من بيت القنق تسرَّى بها، فولدت له ابناً سماه أحمد، وأدركته الوفاة، فخاف على ابنه الضياع، إذ لم يكن له قريب يمون به،

وعرف أن الجارية لا تعرف سوى مواليها [الذين][١] اشتراها منهم، فأوصى على ابنه الشيخ محمد قنق أبا الشيخ إبراهيم، فأخذوه وكفلوه وربوه أحسن تربية، وكان لهم غلام اسمه أحمد، فكان غلمان الجيران يميزون أحمد هذا بأحمد تركي، فاشتهر بها إلى أن كبر، وقد فني مال أبيه في ربايته، وكان نجيباً، فاستخدم عند الشيخ سليمان أبي الفرج -مدير دائرة الإمارة يومئذ- فتوصل إلى معرفة قواعد خدمة الأمراء، فكان الشريف يعتمد عليه في كثير من مهماته، وأرسله مرة أو مرتين إلى دار السلطنة فنجح في شغله، وتعرف في ذهابه وإيابه لوالي مصر محمد علي باشا، ودخل صنعة الطواف وصار شيخ المطوفين، وبهذه الواسطة صار يتعرف بكبار رجال الدولة إذا قدموا للحج، إلى أن كان مجيء محمد علي باشا لمحاربة الوهابيين[٢] من مكة، فداخله أتم المداخلة، وكان هو ممن استعان به محمد علي باشا في الأمور التي خولت له القبض على الشريف غالب من غير أن ينتطح عنزان، وبذلك نال الحظوة عند الدولة، وكان الشريف يحيى بن سرور بعد عمه الشريف غالب لا يقطع أمراً بدون مشورته، فكان نافذ الكلمة، وحصل على ثروة عظيمة ووظائف جمة إلى أن توفي سنة ١٢٣٥هـ عقيماً، واستولى بيت القنق على جميع ثروته ووظائفه، لأنهم قد تعرفوا بالحكام به، وكان حافظاً لهم حق التربية، والذي استولى على ذلك هو الشيخ إبراهيم قنق، وقد مات وخلف ثلاثة أولاد: عبدالرحمن، وعلي، وحسن. مات عبدالرحمن [عن][٣] ابنه عمر، ثم مات عمر عقيماً، ثم

---

(١) في الأصل: الذي.

(٢) يعني المنتمين إلى الدعوة السلفية المباركة التي نادى بها الشيخ الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله والتي تدعو للعودة إلى الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح .

(٣) في الأصل: من.

مات علي عن أولاده: حسن، وعبدالرحيم، وإبراهيم، مات إبراهيم محترقاً في دار احترقت ولم يتخلص منها، ومات عبدالرحيم عن أولاده، وهم الآن باقون، ومات حسن عن بنات، ومات الشيخ حسين عن ابنه أحمد، ثم مات أحمد عن بنات وعن ابنه حسين، ثم مات حسين عقيماً، والله الباقي.

بيت بافضل:

من قدماء البيوت، فضلهم شهير، ولهم تآليف في فقه الشافعي، واشتهر بهم الزقاق بحارة الشبيكة المصعد إلى جبل الهندي من جهة رباط الشيخ تاج الدين الهندي النقشبندي؛ لما فيه من عقارهم الوقف الشهير بهم، ولم يبق من هذا البيت سوى صاحبنا الفاضل الشيخ صالح بافضل، وكان له أخ يسمى: عبدالله، مات عن ابن صغير، ثم ابنه صغيراً مات، وأخت ماتت عن ذرية، وأخت موجودة، وله هو ذرية صغار حفظه الله لهم، وهو من أفاضل الشافعيين اليوم بمكة، منقطع بالإفادة والاستفادة والتدريس بالمسجد الحرام. انتهى.

وقال الشيخ عبدالله أبو الخير في ترجمة الشيخ صالح ما نصه(١): صالح بافضل بن محمد بن عبدالله بن يحيى بن عمر ابن صاحب الوقف الشهير بمكة بوقف بافضل حسين الشافعي المكي، العالم العلامة، النجيب اللوذعي، النبيه المفنن، الكامل الألمعي.

ولد بمكة المشرفة سنة سبع وسبعين ومائتين وألف كما أخبرني هو بذلك، وبها نشأ، وقرأ على الشيخ محمد سعيد بابصيل وغيره، وحضر دروس مولانا السيد أحمد دحلان، ثم لازم العلامة السيد بكري شطا، فتفقه عليه، ودرس

---

(١) انظر: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢١٢-٢١٣).

بالمسجد الحرام، وانتفع به كثير من الأنام.

ألّف حاشية على "شرح المنهج" للعلامة ابن حجر الهيثمي تبلغ أربع مجلدات، وله بعض رسائل، وهو من ذرية عفيف الدين بافضل الحضرمي الشحري، مؤلف "المختصر" في الفقه، ومازال مشتغلاً بالتدريس والإفادة إلى أن آن أوان الارتحال وناداه منادى الانتقال، فتوفي بمكة في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وألف، ودفن في المعلاة، وخلّف ابنين وبنتاً واحدة. انتهى ملخصاً.

بيت القلعي:

تقدمت الإشارة إلى الشيخ تاج الدين وابنه عبدالمحسن وابن ابنه الشيخ عبدالملك، وأول من ذكر منهم الشيخ تاج الدين المذكور، وكان إماماً في مقام الحنفي، وتأخر يوماً عن صلاة الصبح –والوظيفة عنده– فصلى بالناس رجل من المجاورين، ثم ذكر قصة بتمامها، وقد ذكرناها في باب المتفرقات.

وآخر الأفاضل من بيت القلعي هو مولانا الشيخ عبدالملك، انتهت إليه رياسة العلم في الحرم المكي، وكان آية لا تدرك علماً ومحلاً وأدباً وفضلاً. مات سنة ١٢٢٨ ولم يعقب. كان له ولد اسمه عمر، مات في حياته، وحزن عليه، والموجودون اليوم من ذرية عمه الشيخ عبدالمحسن أو أخيه الشيخ أسعد، ولما توفي قام بالفتيا بعده أحد تلامذته الشيخ عمر بن عبدالكريم بن عبدالرسول العطار، وكان رجلاً عظيماً في العلم، شهيراً في الصلاح وحب آل البيت. مات سنة ١٢٤٨هـ، وخلف ابنيه محمد وعبدالكريم، مات عن بنته الشيخة عائشة، ومحمد مات عن ابنيه عمر وأبو بكر. تزوج أبو بكر بعائشة، ثم مات عقيماً، وعمر مات وله أولاد صغار عند أخوالهم بيت

البصيوني الذين بحارة الشامية، والدار التي بحارة الباب بقرب مواجهة مسجد خالد بن الوليد هي وقف المرحوم الشيخ عبدالكريم على ابنته عائشة، ثم على معاتيقه وذريتهم، وكان له عتيق اسمه: بلال عبدالرسول ابن عبدالرحمن الخياط بقرب باب العمرة هو القائم اليوم بمصالح هذه الدار، وكان الشيخ عبدالحفيظ العجيمي يباشر الفتوى مع الشيخ عمر عبدالرسول، إلى أن أفضت إلى السيد عبدالله الميرغني حفيد السيد عبدالله المحجوب المدفون بالطائف، وذلك سنة ١٢٤٨. كان آية في فقه الحنفي، حافظاً لمسائله، وكانت معرفته بما عدا الفقه من العلوم قليلة، حتى أن طلبته كانوا يتعجبون من أجوبته، وكان رئيس العلماء يومئذ مولانا الشيخ عبدالله سراج، كان عالماً، متفنناً، فصيحاً في الدرس، وكان نافذ الكلمة عند شريف مكة يومئذ مولانا الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون وواليها عثمان باشا الكردي، لكنه لم يتولى الفتوى مع كثرة تطلبه لها، بل بقيت عند السيد عبدالله الميرغني إلى أن مات بعد الشيخ عبدالله سراج، فتولاها السيد محمد الكتبي المصري السيواسي، جد السادة الكتبيين المعروفين في مكة ومن الأفاضل المتضلعين في الفنون. أخذ العلم بمصر عن شيخه السيد أحمد الطحطاوي صاحب الحاشية على "الدر المختار"، ثم قدم مكة مجاوراً زمن إمارة سيدنا المرحوم الشريف محمد المذكور لمناسبة كانت بينهما في مصر قبل أن يتولى الإمارة، ولما عزل عن مكة سنة ١٢٦٧هـ وتولاها الشريف عبدالمطلب بن غالب عزله وأعاد الميرغني، لكون المراغنة محاسيب على ذوي زيد، فلما أعيد الشريف محمد بن عون إلى مكة سنة ١٢٧٢هـ لم يعزل الميرغني، بل أبقاه فيها إلى أن مات، فأرجعها إلى الكتبي.

وقال في النشر[١]: عزل السيد عبدالله المحجوب الميرغني عن الإفتاء والي الحجاز حسيب باشا[٢] حين أراد المذكور انتزاع الأوقاف السلطانية من أيدي الناس الذين استولوا عليها بالفراغات الشرعية، فلم يمكنوه من ذلك، وقال له المترجم: لا يسوغ [ذلك][٣] بحال، فعزله وقلّد السيد محمد الكتبي المذكور منصب الإفتاء ظناً منه [أنه يوافقه][٤] على مراده، فلم يحصل له ذلك، فصدر الأمر بإرجاعه فيها. انتهى.

ثم لما مات الكتبي في حدود سنة ١٢٨٠هـ، وجّه أمير مكة سيدنا المرحوم الشريف عبدالله باشا بن المرحوم الشريف محمد بن عون الفتوى إلى الشيخ جمال، وهو رجل من الهنود الفتن، من بيت منهم يقال له: شيخ عمر، فلذا يقال للشيخ جمال هذا: [الشيخ][٥] جمال شيخ عمر، وكان فقيهاً ماهراً، تفقّه على مشايخ، أجلّهم الشيخ عبدالله سراج، وكان هو رئيس العلماء[٦] بعد شيخه المذكور، وبقي مفتياً إلى أن توفي سنة ١٢٨٤هـ، وتقلد الفتوى بعده الشيخ عبدالرحمن ابن المرحوم الشيخ عبدالله سراج، ولم يكن تأهل يومئذ لذلك، لكن الملوك لهم أنظار عالية في ترقية أولاد

---

(١) انظر: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٣٢٢).

(٢) حسيب باشا: من ولاة الدولة العثمانية. بدأت ولايته في الحجاز سنة ١٢٦٤هـ، وعزل عنها سنة ١٢٦٦هـ (خلاصة الكلام ص:٣١٥).

(٣) في الأصل: لك. والمثبت من المختصر من نشر النور والزهر (ص:٣٢٢).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من المختصر من نشر النور والزهر، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: شيخ.

(٦) قال في النشر: أقام الشريف محمد بن عون الشيخ عبدالله رئيساً على علماء مكة، مع أن هذه الوظيفة لم تكن قبل بمكة، وإنما اختص هو بها، ثم صار التداول عليها من بعده، وقد قلده مرة قضاء جدة قبل أن يصير شيخاً على العلماء، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف. اهـ. (انظر: المختصر من نشر النور والزهر ص:٢٩٨). (غازي).

المحسوبين عليهم المنتمين إلى سدهم، ولكنه رحمه الله كان صاحب فطنة ونجابة، وهمة عالية، وكان ملازماً دروس شيخه الشيخ جمال شيخ عمر المذكور إلى أن توفي، وكان يتفرس فيه الخير، وزار المدينة قبل موته بسنة فجعله وكيلاً عنه، فتعجب الناس من ذلك إذ كان غيره أجدر منه، وهو السيد محمد الكتبي ابن المفتي السابق، وكان أيضاً الشيخ عبدالرحمن جمال بن عثمان جمال، فأكبّ رحمه الله على مطالعات كتب الفقه ومارس الفتوى، فما مضت من توليته مدة قليلة حتى صار فرداً، وبرع بروعاً فائقاً، وظهر ظهوراً عجيباً، فكأنما عناه من قال:

إن الهـــلال إذا رأيـــت نمـــوّه   أيقنت أن سيصير بدراً كاملا

فأقرّ له قرناؤه، بل وأعداؤه، وكان عظيم الهمة مع عفة النفس وعدم التنازل إلى سفاسف الأمور. مكث هو المفتي الحقيقي بمكة المكرمة صاحب البراءة السلطانية إلى أن توفي، وإن تخلى عنها أحياناً وقام بها غيره بغير أمر سلطاني، فمن ذلك: لما صار سيدنا الشريف عبدالمطلب بن غالب أمير مكة سنة[1] ١٢٩٧هـ، فإنه عزله وولى السيد أحمد بن عبدالله الميرغني، وفي أقرب وقت ضعف أمر الشريف عبدالمطلب، وتخلى السيد أحمد عنها، فرجع لها الشيخ عبدالرحمن، ثم لما كان له مع الوالي عثمان باشا من الاتحاد ما غيّر عليه خاطر سيدنا الشريف عون، وعزل عثمان باشا، فكدره الشريف، وعزله يوم قدومه من المدينة، وولى بدله الشيخ صالح كمال بن الشيخ صديق كمال، وبقي الشيخ صالح يفتي إلى أن كان على أخيه الشيخ علي كمال من الشريف عون من تحقير وإهانة ما حمله على الاستقالة من الفتوى، فولي بدله الشيخ

(١) قوله: "سنة" مكرر في الأصل.

عباس[(١)] بن جعفر بن صديق، ثم رضي الشريف عون على الشيخ عبدالرحمن وأرجع الفتوى إليه، إلى أن كان ما كان من رجوع عثمان باشا إلى ولاية مكة سنة ١٣٠٩هـ، فكان مثل ما كان، وعزل عثمان باشا ثانياً، وبقي الشيخ عبدالرحمن مدة، ثم عزله وولى الشيخ عبدالله بن الشيخ عباس المذكور، ثم صدر الأمر على الشيخ عبدالرحمن بمبارحة مكة، فسافر إلى مصر، وتوفي سنة ١٣١٤هـ في رابع شهر رمضان، وحزن أهل مكة عليه، وبقي الشيخ عبدالله بن عباس بن صديق مفتياً، ولم يكن من أهل العلم ولا عرف بالطلب على أحد إلا بملازمة أبيه، وكان ممن يتعاطى المعاونة في الدعاوى والدفوع وما أشبه ذلك، إلى أن جاء سنة ١٣٢٥هـ، وكان سيدنا الشريف عون توفي سنة ١٣٢٣هـ، وولي الإمارة بعده سيدنا الشريف علي باشا بن الشريف عبدالله باشا، وجاء أوامر من السلطنة بإرسال وفد إلى صنعاء اليمن -وهم: الشيخ محمد سعيد بابصيل، والشيخ صالح كمال، والشيخ محمد خياط، والشيخ عبدالله المفتي، وأحد تجار مكة الشيخ عبدالقادر قطب- لنصيحة الإمام عن مخالفة الدولة، فأرسل الشريف جماعة منهم الشيخ

---

(١) قال في النشر: الشيخ عباس بن جعفر بن عباس بن محمد بن صديق الحنفي المكي: ولد بمكة المشرفة وبها نشأ، واشتغل بالعلم، [فجدّ]١ واجتهد ودأب. قرأ على والده وعلى الشيخ خليل طيبه، ولازم العلامة السيد أحمد دحلان ملازمة تامة، وتفقه على الشيخ صديق كمال، وحضر درس السيد محمد حسين الكتبي في الفقه، وتوفي بمكة المشرفة سنة ١٣٢٠، ودفن بالمعلاة. وأعقب أبناء خمسة وهم: المفتي الشيخ عبدالله، وجعفر، ومحمد علي، وصالح، ومصطفى، ولم يكن أحد مشى على جادة والده إلا الشيخ عبدالله المذكور، وكان محمد علي المذكور قد كان يطلب العلم أولاً، ويحضر درس أبيه، ثم تركه بالكلية. انتهى مختصراً. اهـ (انظر: المختصر من نشر النور والزهر ص:٢٢٨-٢٢٩). (غازي).

١- قوله: "فجد" زيادة من المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٢٨).

عبدالله المفتي المذكور، فتوفى هناك في شهر رمضان سنة ١٣٢٥هـ، وبلغنا نعيه بالطائف ليلة العيد.

وقال الشيخ عبدالله أبو الخير في النشر[١]: قرأ الشيخ عبدالله بن عباس بن جعفر على والده، وحضر دروسه في الفقه والحديث والتفسير، وقرأ على غيره أيضاً، ولكن طلبه على والده أكثر، وولاه أمير مكة سيدنا الشريف عون منصب الإفتاء الحنفي في العام الحادي عشر بعد الثلثمائة والألف، ولكن شرط عليه سيدنا الشريف المذكور أن يكون المرجع في ذلك والده وسيدي الوالد الشيخ أحمد أبو الخير، وكان بضاعته في العلوم مزجاة، وبملازمته للشيخين المذكورين والممارسة صار له تمكن جيد في الفقه، وكان ذكياً، فهيماً، وكان رحمه الله يحب سيدي الوالد كثيراً ويمتثل إلى كلامه، ويأتي إليه في الدار لأجل مراجعة الأسئلة التي تعرض عليه، ويستفيد منه مع عدم الاستنكاف، ويشركني معه في المذاكرة، ويرسل لي أحياناً بعض أسئلة لكي أكتب عليها.

ولما سافر سنة خمس وعشرين وثلثمائة وألف إلى الطائف أقامني وكيلاً عنه، ووضع ختمه عندي، فكنت أكتب على الأسئلة التي تقدم لي وأختمها بختمه حسب إذنه لي بذلك، وتوفي المترجم بصنعاء في شهر رمضان سنة ١٣٢٥هـ، وخلف ابنين: مهدي، وبكر، لم يكن أحد منهما طالب علم. انتهى.

قال الشيخ جعفر: وبعد وفاة الشيخ عبدالله بن عباس وجّه سيدنا الشريف علي الفتوى إلى الشيخ عبدالله بن المرحوم الشيخ عبدالرحمن سراج،

---

(١) انظر: المختصر من نشر النور والزهر (ص: ٣٠٤-٣٠٥).

ألبسه خلعتها صبيحة عيد الفطر بعد صلاة العيد، والشيخ عبدالله هذا سافر مع أبيه وأقام بمصر مدة، ورجع مكة مرة وحج، ثم عاد.

يقول: كان يطلب العلم هناك، وذهب إلى الهند وغاب به مدة طويلة، ثم استقر بدار السلطنة عند سيدنا أمير مكة حالاً سيدنا الشريف الحسين باشا إذ كان هناك[١]، وكان عوده إلى مكة في شعبان سنة **١٣٢٥هـ**. قيل: كان عوده بإشارة من أمير مكة يومئذ الشريف علي باشا[٢]، وهو اليوم المفتي، ولم نعرف له طلباً عند أحد، والله يعينه. هذا فقد استقصينا جميع من ولي مكة إفتاءً من حدود تملك الدولة العثمانية أرض الحجاز تبعاً لفتح مصر إلى اليوم. انتهى كلام الشيخ جعفر.

أقول: وقد ترك الشيخ ذكر الشيخ محمد مكي أبي عبدالله الملقب بعبدالعظيم ابن منلا فروخ وولده الشيخ عبدالله فروخ، فإنهما كانا مفتيين أيضاً بمكة.

قال في النشر في ترجمة الشيخ محمد مكي: كان يكتب على الفتوى حسبة وهو ابن عشرين سنة، ثم في آخر عمره ترك الفتوى.

وقال في ترجمة ولده عبدالله فروخ[٣]: وتقلد منصب إفتاء مكة بعد والده، ولم يزل قائماً بوظيفة المنصب المذكور على أحسن قيام وأكمله، إلى أن دعاه الملك العلام، في نيف وتسعين وألف، ومات بمكة المشرفة، وتولى إفتاء مكة بعده العلامة عبدالله عتاقي. انتهى.

---

(١) في هامش الأصل: كان الشريف حسين باشا مقيماً في استانبول، وكان عنده الشيخ عبدالله سراج يلعب الشطرنج مع أنجال الشريف. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) في هامش الأصل: جاء بنفسه وصادفه الحظ بوفاة الشيخ عبدالله بن صديق في صنعاء، فولي مفتياً للأحناف بمكة. وكتبه: محمد نصيف.

(٣) انظر: المختصر من نشر النور والزهر (ص: ٣١٤).

وذكر الطبري في الإتحاف في ترجمة الشيخ عبدالله عتاقي زاده[١]: أن ولادته كانت سنة ألف وخمسة وأربعين، وكان متمذهباً بمذهب الشافعي، ثم انتقل إلى مذهب الحنفي بعد موت والده، ولم يزل إلى أن ولي منصب الإفتاء في دولة الشريف بركات عن الشيخ عبدالله بن محمد مكي فروخ زاده، بعناية الشيخ محمد ابن سليمان، وانتهت إليه رئاسة الحنفية، [وتحول تحولاً][٢] زائداً. انتهى.

فالظاهر أن توليتهما للإفتاء كان بعد عزل الشيخ إبراهيم البيري، فإنه ولي قضاء مكة سنين، ثم عزل عنها، كما ذكره المحبي في الخلاصة[٣]، أو يكون تولية الشيخ محمد مكي قبل تولية حنيف الدين بن عبدالرحمن المرشدي، لأن وفاة الشيخ عبدالرحمن كانت سنة ١٠٣٧، وتولية الإفتاء لولده حنيف الدين سنة ١٠٤٤، كما في الخلاصة[٤]، فلعل الشيخ محمد مكي تولى الإفتاء بعد وفاة الشيخ عبدالرحمن ثم تركه، وتولى حنيف الدين بعده، وتولى الإفتاء الشيخ عبدالله فروخ بعد عزل الشيخ إبراهيم البيري، والله أعلم.

وجملة ما ذكروا من المفاتي تسع وعشرون بهذا التفصيل:

(١) قطب الدين المكي، (٢) ولد أخيه عبدالكريم، (٣) أكمل الدين بن عبدالكريم، (٤) عبدالرحمن المرشدي، (٥) حنيف الدين بن عبدالرحمن المرشدي، (٦) السيد صادق بن أحمد بن محمد مير بادشاه، (٧) إمام الدين

---

(١) إتحاف فضلاء الزمن (٢٠٣/٢).
(٢) في الأصل: وتمول تمولاً. والمثبت من إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.
(٣) خلاصة الأثر (٢٠/١).
(٤) خلاصة الأثر (١٢٦/٢).

بن أحمد بن عيسى المرشدي، (٨) إبراهيم البيري، (٩) محمد مكي الملقب بعبدالعظيم بن ملا فروخ، (١٠) عبدالله بن محمد مكي بن منلا فروخ، (١١) عبدالله عتاقي زاده، (١٢) عبدالقادر بن أبي بكر بن عبدالقادر بن صديق المفتي، (١٣) تاج الدين بن عبدالمحسن القلعي، (١٤) يحيى بن عبدالقادر المفتي، (١٥) عبدالمحسن بن تاج الدين القلعي، (١٦) علي بن عبد القادر بن يحيى المفتي، (١٧) عبدالملك بن عبد المنعم بن تاج الدين القلعي، (١٨) عمر ابن عبدالكريم ابن عبدالرسول، (١٩) عبدالحفيظ العجيمي، (٢٠) عبدالله الميرغني، (٢١) السيد محمد حسين الكتبي، (٢٢) [الشيخ][1] جمال، (٢٣) عبدالرحمن سراج، (٢٤) أحمد بن عبدالله الميرغني، (٢٥) صالح كمال، (٢٦) عباس بن جعفر، (٢٧) عبدالله بن عباس بن جعفر، (٢٨) عبدالله بن عبدالرحمن سراج.

قال العلامة اللبنى: وبيت السني أئمة في مقام الحنفي، منسوبون إلى جدهم محيي السُّنَّة[2] قريب عهد، وجدهم الأقرب الشيخ عبدالله السني نائب جدة في حدود سنة ١٢٨٠هـ.

وبيت إلياس:

وهم زمزميون -أي سقاة [الحجاج][3]- وهم بيت قديم في مكة من نحو مائتي سنة، تشهد لذلك بعض حجج بيوتهم المعروفة في حارة

(١) قوله: "الشيخ" زيادة على الأصل. وقد سبق قبل عدة صفحات.
(٢) في هامش الأصل: من الأتراك.
(٣) في الأصل: لحجاج.

الشامية، والظن أنهم أفغان بحسب الأصل.

ومن البيوت: بيت جمال الحريريين: منهم الشيخ عبدالرحمن بن عثمان جمال[١]، خال مولانا الشيخ أحمد أبو الخير ميرداد، وكان متحيزاً للفتوى كما تقدمت الإشارة إليه.

ومنها: بيت كمال:

ومنهم الشيخ صالح بن صديق[٢]، وبالطائف بيت كمال غير هؤلاء، منهم الشيخ بكر كمال، وابنه الشيخ عبدالله نائب الطائف اليوم، وهم أصهار مولانا المرحوم الشيخ عبدالرحمن سراج.

وبالجملة فإن أغلب العائلات القديمة بمكة من الهنود الفَتَّن أو غيرهم كبيت جلال، وبيت خوجه، وبيت عبدالحق، وبيت كاكه، وبيت الطيب، وبيت ملائكة، وبيت شمس الدين، وبيت قطب، وبيت حبيب الله، وممن لم يتأثل بعد: بيت بدر الدين، وبيت كنساره، وبيت قطب خان، كل هؤلاء اليوم تجار معتبرون موصوفون بحسن السيرة وصفاء السريرة، مشتغلون بما أهمهم، متجافون عما لا يعنيهم. انتهى ما ذكره الشيخ جعفر رحمه الله.

أقول: ومن مشاهير بيوت المجاورين بمكة: بيت البصري: المنسوب إلى مسند الحجاز العلامة الفاضل، والمحدث الكامل، مولانا الشيخ عبدالله البصري، -وقد مرّ ترجمته في الفصل السابع من الباب السادس[٣]- وكانت

---

(١) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٤٠-٢٤١).

(٢) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢١٩)، وسير وتراجم (ص:٢٦٤-٢٦٦) وذكر اسمه: محمد صالح كمال.

(٣) (٢/٢٣٠).

وفاته سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، وخلف ولده الشيخ سالم بن عبدالله البصري، وكان إماماً محدثاً، جليلاً، معظماً في الحرمين. جمع من الكتب العظيمة إلى كتب والده ما لا يحصى، وكانت كُتبه في غاية من الحسن والضبط والمقابلة والخط الحسن ما لا يوجد عند غيره، وكُتب الحديث التي عنده مرجع الكل، وعمدة الآخذين في الحديث، جمع مسندات والده وسماه: "الإمداد بمعرفة علو الإسناد"، واسم تاريخه أعني سنة عشرين ومائة بعد الألف. وكان يحب العلماء ويكرمهم. ذكره الشيخ عابد السندي.

وكانت وفاته سنة..[١]. ومن نسله موجود الآن: صدقة بن سالم البصري الذي كان شيخ الحمّارة سابقاً.

ومنها: بيت فَتّه -بفتح الفاء والتاء المشددة آخرها هاء ساكنة-: والمشهور منهم العالم الفاضل الشيخ إبراهيم بن محمد سعيد بن مبارك[٢].

قال شيخنا الشيخ أحمد أبو الخير الهندي ثم المكي في معجم شيوخه في ترجمة الشيخ المذكور: ولد بمكة سنة ١٢٠٤هـ وبها نشأ. حضر درس مشايخ الوقت، كالعلامة محمد صالح الريس، والشيخ عمر عبدالرسول، والشيخ عبدالله سراج، ودرّس بالمسجد الحرام إلى أن كبر سِنّه فلزم بيته. تولى القضاء بمكة المشرفة سنة ١٢٨٣هـ برأي أمير مكة سيدنا الشريف عبدالله حين مات قاضيها. مات المترجم سنة ألف ومائتين ونيف وتسعين.

والفتّه لقب لعشيرته القاطنين بالطائف. أخبر المترجم بأنْ أهلهم من الفتّن،

---

(١) كذا في الأصل، ولم تكتب السنة.

(٢) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٥١-٥٢)، وسير وتراجم (ص:٦٤) وفيه ولادته عام (١٢١٤هـ).

وأن لهم منذ انتقلوا من فتّن إلى الحجاز نحواً من ثلثمائة سنة. انتهى[١].

قال في النشر: وخلف المترجم ابنه محمد سعيد، وانتقلت إليه نظارة أوقاف السيد جعفر ميرك، فقام بشؤونها كما قد كان والده قائماً بها قبل، ثم إنه مات عن ابنه محمد فنقلت إليه، وقام بها كذلك، ثم انتقلت إلى مفتي مكة الشيخ عبدالله سراج.

أقول: ثم بعد ما انتزعت نظارة الأوقاف من الشيخ محمد سافر إلى بلاد جاوة، وجلس هناك وأصدر جريدة الوفاق في سنة ١٣٤٣، وهي جريدة عربية إسلامية، اهتم بأخبار العالم العربي عامة والحجاز خاصة[٢].

ومنها: بيت الدَّهَّان:

وهو بيت قديم بمكة، وأصلهم من فتّن. كان جدّ هذه العائلة الذي قدم من الهند يتعاطى صنعة دهن السقوف وغيرها، فعرف بالدَّهَّان.

ذكر الشيخ أحمد أبو الخير العطار في معجمه: والذي اشتهر منهم بالفضل والكمال العلامة الفاضل مولانا الشيخ أحمد بن أسعد بن أحمد بن تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم الدَّهَّان[٣]. ولد سنة ١٢٢٢، وأخذ العلم عن مشايخ أجلاء، منهم: الشيخ أحمد الدمياطي، وأبو الفوز السيد أحمد المرزوقي مفتي المالكية بمكة المشرفة، والشيخ إبراهيم الكسكلي تلميذ العلامة عمر بن عبدالرسول المكي

---

(١) انظر: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٥٢).

(٢) في هامش الأصل: وقد تتبع أعمال الملك الشريف الحسين غاية التتبع بكلام جارح، لأنه نزع منه أوقاف السيد جعفر ميرك وعزله من نظارتها بغير حق، وجعل الناظر عليها الشريف عبدالله سراج مفتي الحنفية بمكة. وكتبه: محمد نصيف.

(٣) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٨٩).

وغيرهم. وتوفي بمكة سنة ١٢٩٤هـ، وخلف ولدين عالمين فاضلين: الشيخ أسعد الدهان قاضي مكة المكرمة، والشيخ عبدالرحمن الدهان مدرس المدرسة الصولتية.

توفي الشيخ عبدالرحمن سنة ١٣٣٧، وخلف ابنين، وتوفي الشيخ أسعد سنة ١٣٤١، وخلف ثلاث بنين.

ومنها: بيت دستنية.

قال في النشر[١]: صنعتهم التجارة، وهم من نسل الشيخ عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد سعيد الشهير بجَسْتَنية -بفتح الجيم وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة، والآن قد أبدلوا الجيم دالاً- الفتّني الأصل، ثم المكي، المدرس بالمسجد الحرام. ولد بمكة، واشتغل بالعلوم فأنجب[٢]، وألّف الكتب، فمن جملة [تآليفه][٣] تاريخه الشهير في ذكر حوادث مكة وأمرائها، وهو المعروف بتاريخ جستنية. توفي سنة بضع عشرة ومائتين وألف.

ومنها: بيت الكتبي.

قدم جدّهم السيد محمد حسين كتبي الحنفي -تلميذ السيد أحمد الطحطاوي-[٤] مكة، وجاور بها في سنة خمس وخمسين ومائتين وألف، وصار يدرس بالمسجد الحرام، وعيّنه حسيب باشا مفتياً بعد عزل السيد عبدالله ميرغني، فمكث فيها نحو سنة، وجاء الأمر من الآستانة بعزله منها وإرجاعها إلى السيد عبدالله المذكور، فلبث فيها إلى أن مات سنة ١٢٧٢[٥]، ثم قلدها

---

(١) انظر: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٣٩-٢٤٠).

(٢) في المختصر: فنجب.

(٣) قوله: "تآليفه" زيادة من المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٣٩).

(٤) في هامش الأصل أضاف نصيف قوله: جاء إلى.

(٥) في المختصر من نشر النور والزهر: (١٢٧٣).

لمولانا المترجم، وجلس فيها إلى أن توفي سنة ١٢٨١هـ، ودفن بالمعلا، وخلف ولده السيد [محمد كتبي][1] الخطيب الإمام، المدرس بالمسجد الحرام، وكانت ولادته بمصر، واشتغل بالعلم على والده والمشايخ العظام، فأجازوه بالتدريس وبما لهم من المرويات، ولما عزم والده على حج بيت الله الحرام والمجاورة بمكة المشرفة قدم معه، وبعد وفاته جلس للتدريس، فدرّس وأفاد، وكان أحد جلساء أمير مكة الشريف عبدالله بن محمد بن عون. توفي في الطائف في رجب سنة ١٢٩٥هـ، وأعقب أولاداً ذكوراً وإناثاً، الذكور منهم سبعة، وهم: السيد أحمد، والسيد مكي، والسيد حسن، والسيد طاهر، والسيد نوري، والسيد عبدالهادي، والسيد محمد أمين، الموجود منهم في قيد الحياة الاثنان الأخيران. كذا في النشر[2].

ومنها: بيت حسين المالكي.

بيت علم وفضل، والشيخ حسين هذا هو ابن إبراهيم بن حسين بن عامر المالكي[3]، المغربي الأصل، من قبيلة يقال لها: العصور من أعمال طرابلس الغرب.

ولد سنة ١٢٢٢هـ، وطلب العلوم بالجامع الأزهر إلى أن صار فقيهاً ماهراً متبحراً في العلوم العقلية والنقلية.

تولى الإفتاء بمكة سنة ١٢٦٢هـ. وله مؤلفات عديدة، وله إمامة وخطابة بالمسجد الحرام.

---

(١) بياض في الأصل قدر كلمتين، والمثبت من المختصر من نشر النور والزهر (ص:٤٧٦).

(٢) انظر: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٤٧٥-٤٧٧).

(٣) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:١٨٠-١٨١)، وسير وتراجم (ص:١١١-١١٢).

توفي بمكة المشرفة سنة ١٢٩٢هـ. ذكره أبو الفيض[١].

وخلف أولاداً علماء فضلاء، منهم: العلامة الفاضل المدرس بالمسجد الحرام الشيخ عابد مفتي المالكية، وتوفي سنة..[٢]، وتولى الإفتاء بعده ولده الشيخ حسين ابن عابد.

ومنهم العالم الفاضل صاحب المؤلفات المفيدة، والماهر في الفنون العديدة، المدرّس بالمسجد الحرام، والإمام بالمقام: الشيخ علي المالكي.

ومنها: بيت شطا.

قدم جدهم السيد محمد شطا زين الدين بن محمود بن علي الشافعي مكة المشرفة من بلده دمياط، وتوطّن بها، وأولد أولاده العلماء الأفاضل فيها، وهم: السيد عثمان، والسيد عمر، والسيد بكري، وكان عالماً فاضلاً، تصدر للإقراء والتدريس بالمسجد الحرام، وتوفي بمكة المشرفة سنة ١٢٦٦هـ، ودفن بالمعلاة وقد قارب الثمانين.

وشطا نسبة إلى الولي الصالح الشيخ شطا المدفون خارج ثغر دمياط، وكان السيد محمد نسب إليه لملازمته لتربته، ونسبه متصل إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب، مثبت ذلك في دفتر الأشراف بثغر دمياط، وهو موجود الآن عند نقيب السادة مصطفى الجمال. ذكره العلامة الشيخ عبدالحميد قدس.

فأما السيد عثمان بن محمد شطا فتوفي بمكة المكرمة سنة خمس وتسعين ومائتين وألف، وخلف أولاداً ثلاثة أفاضل طلبة العلم: الشيخ سعيد، والشيخ محمد، والشيخ علي.

---

(١) فيض الملك المتعالي (١/ ورقة ١١٧).
(٢) كذا في الأصل، ولم تذكر سنة وفاته.

وأما السيد بكري بن السيد محمد فتوفي في سنة ألف وثلثمائة وعشرة، وخلف أولاداً ثلاثة: السيد أحمد، والسيد محمد، والسيد صالح. توفي السيد أحمد سنة [١٣٣٢هـ][1] وله ذرية موجودون بمكة.

وأما الشيخ عمر بن محمد شطا فتوفي سنة ١٣٣١هـ، وكان له ولد توفي في حياته، وخلف ولداً وهو موجود في قيد حياته.

ومنها: بيت زين العابدين[2].

وهو الأديب الشاعر، الناثر، الكاتب، اللبيب.

ولد بمكة ونشأ بها، وقرأ على الشيخ عبدالله سراج، والشيخ جمال مفتي مكة.

توفي بمكة سنة ١٢٨٧هـ، وأعقب ثلاثة: عبدالله، وحبيب، وعلي، شهرتهم الآن ببيت زين العابدين. وأما شهرتهم الأصلية فبيت عبدالشكور، باسم جدّهم الأعلى، فإن زين العابدين هو: ابن علي بن عبدالله بن محمد بن عبدالشكور، وأصلهم من الهنود، وأول من قدم من الهند هو جدهم عبدالشكور.

فأما والده الشيخ علي بن عبدالله فهو كان عالماً شاعراً أديباً، ولد بمكة وتلقى العلم على علمائها، منهم والده الشيخ عمر عبدالرسول، والسيد ياسين الميرغني وغيرهم. توفي بمكة في نيف وستين ومائتين وألف.

---

(١) لم تذكر السنة في الأصل، والمثبت من سير وتراجم (ص:٦٨). وانظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٩٢)، وسير وتراجم (ص:٦٦-٦٨).

(٢) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٠٠).

وأما الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالشكور فهو العالم الفاضل الشاعر، ولد بمكة ونشأ بها، وشرع في طلب العلوم، فأخذ عن المشايخ الأجلاء، منهم العلامة عبدالملك القلعي.

وله من التآليف: تاريخ مكة. توفي بمكة سنة ١٢٥٧، وهذا البيت كان مشهوراً سابقاً ببيت عبدالشكور، والآن نسخت هذه الشهرة واشتهر بها ناس آخرون، وهم أرحام الشيخ عبدالرحمن سراج مفتي مكة.

ومنها: بيت المشاط.

المشهور منهم في العلم والفضل: الشيخ عبدالقادر المشاط بن علي المشاط المكي المالكي[١]، المدرّس والإمام في المسجد الحرام. أبوه كان من التجار المعتبرين، وهو -أي الشيخ عبدالقادر- كان ملازماً للدروس بالمسجد الحرام، ومع ذلك كان يشار إليه بشيخ التجار بمكة، فكان [قائماً][٢] بالمصالحة بينهم وتسوية أمرهم، ثم انتخب من جملة رؤساء المجلس بديوان الحكومة، فهو كان من جملة الأعضاء للنظر في مصالح المسلمين.

توفي بمكة سنة ١٣٠٢هـ، وأعقب ابناً واحداً اسمه: علي، انتقلت [إليه][٣] وظيفة إمامة والده، ولم يكن طالب علم.

بيت عرب:

والمشهور من هذا البيت: الشيخ حسن بن إبراهيم عرب[٤]، السندي الأصل، المكي المحتد.

ولد بمكة المشرفة ونشأ بها، وشرع في طلب العلم، فتفقّه على العلامة

---

(١) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٧٤-٢٧٥).
(٢) قوله: "قائماً" زيادة من المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٧٥).
(٣) قوله: "إليه" زيادة من المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٧٤).
(٤) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:١٧٣-١٧٤).

السيد محمد الكتبي وغيره، وقرأ على العلامة السيد أحمد دحلان.

توفي بمكة سنة ١٣١٦هـ، وأعقب أبناء ثلاثة: محمد، وإبراهيم، ومدني.

أما الأول فهو باق بقيد الحياة، انتقلت له ملازمة أبيه. وأما الثاني فتوفي عن بنت ماتت عقبه. وأما الثالث فمات ببلاد جاوة، وخلف ابنين حافظين للقرآن العظيم موجودين بمكة.

ومنها: بيت السيد كوجك.

منسوب إلى السيد عبدالله بن السيد امكنا البخاري المشهور بكوجك[1]، العالم الفاضل الجليل.

قدم مكة المكرمة وجاور بها، واجتمع بالعالم الفاضل الشيخ محمد الملقب [بارقضا][2] الصفوي الجوفاموي[3]، وطلب منه أن يجيزه بما تضمنه الثبت المسمى بمدارج الإسناد، وأخذ بالمدينة المنورة على الشيخ [عابد][4] السندي، والسيد محمد صالح البخاري. وتوفي بمكة سنة ١٢٩٧هـ، ودفن بالمعلاة، وأعقب من الذرية ابنه السيد محمد، ثم هو مات، ويوجد لـه ابن واحد اسمه: حسن، إمام بمقام الحنفي ومطوّف. ذكر هذا كله الشيخ عبدالله في نشر النور[5].

ومنها: بيت الشيخ جان.

منسوب إلى الشيخ محمد جان النقشبندي الهندي[6]، وهو قدم مكة

---

(١) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٣١٦-٣١٧).
(٢) في الأصل: بارتضا. والمثبت من المختصر من نشر النور والزهر (ص:٣١٧).
(٣) في المختصر: البخاري.
(٤) في الأصل: عايد. والتصويب من المختصر من نشر النور والزهر (ص:٣١٦).
(٥) انظر: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٣١٦-٣١٧).
(٦) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:١٥٣) باسم: جان السليماني.

سنة ١٢٣٢هـ، وجاور بها إلى أن توفي سنة ١٢٦٧هـ، وخلف ولده الشيخ محمد سعيد جان.

وفي أوائل شعبان سنة ١٣٠١هـ سافر مع ابنه الشيخ صديق جان إلى الآستانة فتوفي هناك في سابع رمضان من السنة [المذكورة](١)، ورجع ابنه الشيخ صديق من الآستانة إلى مكة، وأقام فيها إلى أن توفي سنة..(٢)، وخلف ولده الشيخ عمر جان، وهو موجود. ذكره أبو الفيض(٣).

ومنها: بيت الكردي.

وهو بيتان: بيت ينسب إلى الشيخ صالح الكردي، كان ذا ثروة ووجاهة وفطنة تامة، مصاحباً لأمراء مكة وكبارها. توفي بمكة سنة ١٣٢٨هـ، وخلف ولده الشيخ ماجد الكردي صاحب العز والفخامة والفضل والشهامة، مؤسس المطبعة الماجدية الكائنة بالقرارة.

والبيت الثاني: ينسب إلى الشيخ عبدالله الكردي إمام المقام الشافعي ومطوّف الأكراد، وتوفي بمكة، وله ذرية موجودون بها.

ومنها: بيت ابن حميد.

وهو منسوب إلى العالم الفاضل الشيخ محمد بن عبدالله بن علي بن عثمان ابن حميد الشرقي(٤) الحنبلي(٥)، مفتي الحنابلة بمكة المكرمة، ومؤلف كتاب طبقات الحنابلة المسمى بـ: "السحب الوابلة في طبقات الحنابلة".

---

(١) في الأصل: المذكور.

(٢) كذا في الأصل، ولم تذكر سنة وفاته.

(٣) فيض الملك المتعالي (٣/ورقة ٧٢).

(٤) في هامش الأصل: من بلدة عنيزة من القصيم من بلاد نجد.

(٥) انظر ترجمته في: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٤٢٣-٤٢٥)، والأعلام (٦/٢٤٣).

قال في النشر(١): كانت الفتوى على مذهب الحنابلة متعطلة سنين بعد موت مفتيها الشيخ محمد بن يحيى بن [ظهيرة](٢) في سنة ١٢٧١، إلى أن وليها المترجم، كما أفاده بعض الأفاضل.

وقد أرّخ ذلك الفاضل الأديب السيد محمد شكري أفندي المكي بقوله:

تاج المفاخر قد تكلل	والدهر بالبشرى تهلل
لما ولي الفتوى بمذ	هب الورع المفضل
العالم العلم الشهير	محمد الشرقي المبجل
الألمعي الفطن الأديب	اللوذعي حلاّل كل معضل
من ساد مذهب أحمد	من بعد ما قد كان يهمل
مذ وافت الفتوى له	كالبدر بعرج السعد حل
أرخه طاب لقد زهى	بمحمد فتوى ابن حنبل

سنة ١٢٨٢هـ

وكانت وفاته سنة ١٢٩٥، وخلف ابناً صالحاً نجيباً اسمه: علي، تولى الإفتاء بعده، وجلس عدة أشهر، ثم عزل عنها، وتوفي سنة..(٣)، ووليها الشيخ خلف بن إبراهيم الحنبلي(٤)، ومكث فيها إلى أن توفي بمكة سنة..(٥)، ثم وليها الشيخ أحمد ابن عبدالله فقيه المكي، وكان شافعي المذهب كوالده، فأمر سيدنا الشريف عون الشيخ أحمد المذكور بتقليد مذهب الإمام أحمد، فقلّده، ثم ولاّه

---

(١) انظر: المختصر من نشر النور والزهر (ص:٤٢٤).

(٢) في الأصل: ظهير. والتصويب من المختصر من نشر النور والزهر، الموضع السابق.

(٣) كذا في الأصل، ولم تذكر سنة وفاته.

(٤) في هامش الأصل: النجدي.

(٥) كذا في الأصل، ولم تذكر سنة وفاته.

إفتاءه، ومكث فيها إلى سنة ابتداء الحرية سنة ١٣٢٦، ثم عزله منها سيدنا الشريف حسين، وولى الشيخ بكر خوقير[١] إفتاء المذهب المذكور، ثم بعد نحو يومين عزله، وولى الشيخ عبدالله بن علي ابن المترجم مفتياً، وإلى الآن هو المفتي[٢]. انتهى.

أقول: ثم استعفى الشيخ عبدالله عن الافتاء، فأقام سيدنا الشريف حسين مقامه في الإفتاء الشيخ عمر باجنيد الشافعي، ومكث فيها إلى انقلاب الدولة الهاشمية، وتوفي الشيخ عبدالله بن حميد المذكور سنة[١٣٤٦هـ][٣] في الطائف، وخلف ولدين، أحدهما مسافر في الهند، والآخر موجود بمكة يطلب العلم.

وفي مكة بيوت كثيرة مشهورة من أجناس مختلفة غير ما ذكرت، وفيها كثير ممن اشتهر بالوجاهة والثروة، فمنها: بيت خوقير، والدهلوية، والبوقرية، وميرة، وفدا، وباز، وشلهوب، ونور، وباحارث، وباجنيد، وباناجه، وباناعمة، وباحكيم، وبازرعة، وباعيسى، وباعشن، والقطان، والزقزوق، والرشيدي، وأبو الفرج، والقزاز، وبيت هاشم، والجبري، والخشيفاتي، والدرابزنلي، والقرملي، وكشك، والفاشقلي، والأنديجان، والبتاوي، والمنكابو، والزيني، وأرشد، والفنتايانة، والفلمبان، وقدس، ودوم، وسنبسي، وغير ذلك.

---

(١) في هامش الأصل: من علماء مكة ومن أعيانها، وآل خوقير عائلة شهيرة بمكة، وكان أبوه الشيخ محمد عارف إماما بالمسجد الحرام، وكان حنفي المذهب، ثم إن الشيخ [أبا]١ بكر صار حنبلياً.

١- في الأصل: أبي.

(٢) أي في زمن المؤلف وإلى أول عهد الحكومة السعودية سنة ١٣٤٣هـ.

(٣) لم تذكر السنة في الأصل، والمثبت من سير وتراجم (ص:٢٢٧) ضمن ترجمته فيه.

الباب السابع: في ذكر نبذة من أخبار جدة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في وصف جدة، وما ورد في فضلها

قال الشيخ عبدالقادر بن أحمد بن محمد بن فرج الشافعي الخطيب بجدة في كتابه السلاح والعدة في تاريخ جدة[١]: نقل العلامة المحدث جار الله ابن فهد[٢] عن الحافظ [مجد الدين][٣] ابن الأثير في النهاية[٤]: الجُدّ -بالضم-: ساحل البحر، والجُدَّة أيضاً، وبه سميت المدينة التي عند مكة: جدة. انتهى.

وذكر العلامة الشيخ أحمد الحضراوي في كتاب الجواهر المعدة في فضائل جدة[٥]: قال الميرغني رحمه الله في عدة الإنابة: جدة -بضم الجيم المعجمة وتشديد الدال وسكون الهاء، وقيل بالكسرة-: وهي أسْكلَة مكة بينهما مرحلتان، ويقال لها جَديدة أيضاً -بكسر الدال المهملة وفتح ما قبلها بعدها ياء ساكنة ودال مهملة [مفتوحة][٦] وهاء ساكنة-. انتهى.

وقال الشيخ محمد لبيب البتنوني في رحلته[٧]: قال البكري في

---

(١) السلاح والعدة (ص:٢٧).

(٢) حسن القرى (ص:٢٨).

(٣) في الأصل: عز الدين. والتصويب من السلاح والعدة(ص:٢٧). انظر ترجمته في: هدية العارفين(٢/٢)، ووفيات الأعيان (١٤١/٤).

(٤) النهاية في غريب الأثر (٢٤٥/١).

(٥) الجواهر المعدة (ص:١٣).

(٦) في الأصل: مفتوح. والتصويب من الجواهر المعدة، الموضع السابق.

(٧) الرحلة الحجازية (ص: ٧٠، ٧٣).

معجمه[١]: جدة -بضم أوله- ساحل مكة، [سميت][٢] بذلك لأنها حاضرة البحر، والجدة من البحر والنهر ما يلي البر، وأصل الجدة: الطريق الممتد.

وأهل البلاد يسموها الآن جدة -بكسر الجيم-، ويسميها المصريون: جَدة -بفتحها- وهي واقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر على (٣٩) درجة وعشر دقائق من الطول الشرقي، وعلى (٢١) درجة و(٢٨) دقيقة من العرض الشمالي، وقد كانت قرية صغيرة في بادئ [أمرها][٣] يسكنها وما حولها قضاعة قبل الإسلام، فلما كانت سنة ست وعشرين للهجرة في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه اشتكى الناس له الشدة التي يعانونها في ميناء [الشُّعَيْبَة][٤] -بضم الشين المعجمة. اهـ جامع اللطيف[٥]- لكثرة ما فيها من الشعاب التي كانت تعوق سير السفن بها، وقالوا له: إن في شمالها خيراً منها، فذهب عثمان إليه في جمع من قومه ليعاينه بنفسه، فوجده حقيقة أحسن من الأولى، فأمر بجعله ثغراً لمكة، وسمّوه: جدة، والشُّعَيْبَة الآن قرية صغيرة على مسافة عشرين كيلو متراً من جنوب جدة. وساحل جدة كله شعاب صخرية يتخللها شعب مرجانية حمراء أو سوداء. انتهى.

وفي الجامع اللطيف[٦]: وأول من جعل جدة ساحلاً لمكة: عثمان بن عفّان رضي الله عنه، في سنة ست وعشرين من الهجرة، وكانت الشُّعَيْبَة ساحل مكة قبل ذلك.

---

(١) معجم ما استعجم (٣٧١/١).

(٢) في الأصل: سمي. والمثبت من الرحلة الحجازية (ص:٧٠).

(٣) في الأصل: أمر. والمثبت من الرحلة الحجازية (ص:٧٣).

(٤) في الأصل: الشعبية، وكذا وردت في الموضعين التاليين. انظر: معجم البلدان (٣٥٠/٣).

(٥) الجامع اللطيف (ص:٨١).

(٦) الجامع اللطيف (ص:٨١-٨٢).

وقال ابن جبير في رحلته[١]: جدة: قرية على ساحل البحر، وبها آثار قديمة تدل على أنها كانت مدينة قديمة، وبخارج هذه البلدة مصانع قديمة تدل على قدم اختطاطها، ويذكر أنها كانت من مدن الفرس، وبها جِباب[٢] منقورة في الحجر الصّلد، تتصل بعضها ببعض، تفوت الإحصاء كثرة، هي داخل البلد وخارجه، حتى أنهم يزعمون أن التي خارج البلدة ثلثمائة وستون جباً، ومثل ذلك داخل البلد، وعاينا نحن جملة كثيرة لا يأخذها الإحصاء. انتهى.

وفي كتاب السلاح والعدة[٣]: قال الشيخ جار الله ابن فهد رحمه الله[٤]: إن بجدة أثر رسوم قديمة تدل على قدم [اختطاطها][٥]، وأنها كانت مدينة كبيرة، وأنها كانت في زمن الفرس، وهم الذين بنوا سورها الأول، وأنهم لما بنوه وأتقنوا بناءه، جعلوا عرض الحائط عشرة أشبار، وجعلوا فيه أربعة أبواب: أحدها باب الدّومة في جهة الشام، وباب [المدبغة][٦] في جهة اليمن، وكان عليه حجر أخضر فيه طَلْسَم إذا سُرِقَ من البلاد شيء وُجد اسم السارق مكتوباً في الحجر، وباب مكة في جهة القبلة، وباب الفُرضة مما يلي البحر.

---

(١) رحلة ابن جبير (ص:٦٨).
(٢) في هامش الأصل: الجباب هي: الصهاريج. إذا نزلت الأمطار فتملأ الصهاريج من الأمطار ليشرب منها الناس. وكتبه: محمد نصيف.
(٣) السلاح والعدة (ص:٣٣-٣٥).
(٤) حسن القرى (ص:٢٨-٣٠).
(٥) في الأصل: احتياطها. والمثبت من السلاح والعدة (ص:٣٣)، وحسن القرى (ص:٢٨).
(٦) في الأصل: المربعة. والمثبت من السلاح والعدة، الموضع السابق، وحسن القرى (ص:٢٩).

وحفروا [حول][١] البلد خندقاً عظيماً في الوسع والعمق، وكان يدور ماء البحر حول البلد، وهي يومئذ جزيرة في وسط لجة البحر، فلما حَصَّن الفرس البلد غاية التحصين وخافوا من ضيقة الماء، [عمّروا][٢] ثمانية وثمانين[٣] صهريجاً داخل البلد ومثلها خارجها، وقيل: ثلثمائة داخلها وثلثمائة خارجها.

ثم إن الفرس خرجوا منها واندرست، وبقيت [خاوية][٤] على عروشها، وكان سبب خروجهم -فيما ذكره القاضي صلاح الدين ابن ظهيرة الشافعي قاضي جدة حينئذ في تاريخه لجدة- أن والي مكة الشريف داود بن هاشم -وقيل: شكر بن هاشم- [الحسني][٥] وكان يُجبَى إليه خراج جدة في كل عام [حِمْلٌ][٦] من قُضْبان الحديد والنحاس، ففي بعض السنين غلط الخزندار وبعث الخراج حِمْلاً من قضبان الذهب، فسكت الشريف إلى العام القابل، وبعثوا إليه حِمْلاً من الحديد على حكم العادة، فلم يقبله الشريف وردّه، وقال: ما آخذ منكم إلا ذهباً مثل العام، فتفقدوا خزائنهم فوجدوا خزندارهم غلط، وبعثوا إليه ذهباً، وتعبوا لذلك، فجمع كبيرهم أعيان دولته وأكابرهم، وأشار عليهم بالخروج منها لكونهم يعجزوا عن ذلك في كل سنة، ويعجزوا عن

---

(١) في الأصل: حوالي. والمثبت من السلاح والعدة (ص:٣٤)، وحسن القرى (ص:٢٩).

(٢) في الأصل: عمدوا. والتصويب من السلاح والعدة، الموضع السابق.

(٣) في السلاح والعدة وحسن القرى: وستين.

(٤) في الأصل: خالية. والمثبت من حسن القرى (ص:٣٠)، والجواهر المعدة (ص:١٦).

(٥) في الأصل: الحسيني. والمثبت من السلاح والعدة (ص:٣٤)، وحسن القرى (ص:٣٠).

(٦) قوله: "حمل" زيادة من السلاح والعدة، الموضع السابق.

محاربته، وجعل لهم مثلاً: وهو أنه أحضر لهم ثلاثة طيور، [أحدها][1] صحيحاً سالماً، والثاني منتوف الجناح، والثالث مذبوح، وقال لهم: إن خرجتم الآن فأنتم مثل هذا الطير الحي السليم، لا يُقْدَرُ عليكم، وأرسله في الجو، وإن قعدتم إلى العام القابل تكونوا مثل هذا المنتوف الجناح، من إن طردته أمسكته، وإن قعدتم إلى العام الثالث فأنتم مثل هذا المذبوح، وألقاه بين أيديهم، فاستصوبوا رأيه، وأخذوا ما يمكنهم حمله، وسافروا في سفنهم بحراً، وتفرقوا في البلدان يمناً وشاماً وسواكن ودَهْلك، فلما خلت من سكانها استوطنوها الأعراب من كل مكان من جميع الجهات. انتهى[2].

وفي الرحلة اليمانية[3]: بندر جدة الواقعة على البحر الأحمر هي أسكلة عظيمة، وبها جمرك وثكنات للعساكر، ومحجر صحي، وهي أعظم أسكلة في ولاية الحجاز، وهي مدينة عظيمة شاهقة المباني، آهلة بالسكان، يبلغ عدد سكانها [خمسون][4] ألفاً، وبها أعاظم تجار الولاية، ومخازنهم بها.

وميناء جدة من أعظم الموانئ الموجودة على البحر الأحمر، ويمتاز بحر جدة بوجود شجر اليسر بقاعه، واللؤلؤ، ويوجد به أعظم أصناف السمك[5].

---

(١) في الأصل: أحدهم. والمثبت من السلاح والعدة (ص:٣٥).

(٢) انظر: الجواهر المعدة (ص:١٥-١٦).
وقال البتنوني تعليقاً على هذه الرواية أنه يستشف منها أنها ذات طابع اسطوري، الرحلة الحجازية: ٥.
ومن المعروف اهتمام القبائل الحجازية قديماً بجدة فقد ذكر محمد بن السائب الكلبي ان عمرو بن لحي الخزاعي قام في زمن الجاهلية بحفر مكان وجد به أصناماً، كما كان لبني كنانة صنم على ساحل جدة، وقد اهتم الخليفة الراشد عثمان بن عفان بجدة فجعلها ميناء وثغراً لمكة بدلاً من الشعيبة. كل ذلك يدل على عدم حجة الرواية الاسطورية التي ذكرها المؤلف، انظر جدة في مطلع القرن العاشر الهجري: ٢٥، جدة القديمة، التاريخ والمعاصر: ٣٣.

(٣) الرحلة اليمانية (ص:١٤٥).

(٤) في الأصل: خمسين. والتصويب من الرحلة اليمانية، الموضع السابق.

(٥) يبتدئ البحر الأحمر من خليج السويس وخليج العقبة شمالاً، وينتهي عند باب المندب جنوباً، ويبلغ طوله قريباً من (١٥٥٠) كيلومتراً. وعرضه وسطاً (٣٠٠) كيلومتراً، وعمقه قريباً من (٦٥٠٠) قدماً، غير أن شواطئه ضحلة نسبياً. وأنواع السمك فيه تقارب (٥٠٠) نوعاً (هامش الرحلة اليمانية ص:١٤٥).

وبجدة أيضاً سفراء الدول، والمسافة ما بين جدة ومكة ثمانون كيلو متراً، وأعظم الآثار بجدة قبر أم البشر السيدة حواء رضي الله عنها(١). انتهى.

وفي الرحلة الحجازية(٢): وتحتوي جدة على نحو (٣٥٠٠) منزلاً مبنية بالحجر الجبلي(٣) الذي يأتون به من الجبال القريبة أو الحجر المائي الذي يقطعونه من شعاب البحر، وهو خفيف جداً، إلا أن خطره جسيم وضرره عظيم، لأنه قابل للالتهاب بسرعة، لما يحتويه من المادة [الفسفورية](٤) التي توجد فيه بكثرة.

ولمحمد علي باشا في هذه المدينة مبانٍ كثيرة، منها دار الولاية، ودار البلدية، وثكنات العسكر وغيرها.

وماء الشرب فيها من الصهاريج القديمة التي تملأ من ماء المطر والعيون الموجودة خارج المدينة، وكلما قربت تلك العيون من البحر كانت مياهها ملحة غير صالحة للشرب، وفيها مواسير كان وضعها عثمان باشا نوري سنة ١٣٠٢

---

(١) في هامش الأصل: إن نسبة هذا القبر بقبر حواء حديث عهد بهذه التسمية بقصد جمع المال للحجاج الذين يزورونها.

(٢) الرحلة الحجازية (ص:٧٤-٨١).

(٣) في هامش الأصل: بناء بيوت جدة من الحجر الرملي، يحفرون الأرض فيجدون بها أحجاراً رملية، وأيضاً يبنون بالصخار التي يجدونها في البحر، وإن الأحجار [الرملية]١ لا يضرها الحريق بخلاف الأحجار البحرية فإنها في الحريق تتشقق، ولا يوجد بيتاً مبنياً بأحجار الجبال أصلاً، فإن جبال جدة تبعد عن البلدة نحو ساعتين، وهي غير صالحة للبناء وإن وجد ما يصلح للبناء فإن في نقلها صعوبة، وتنظف أحلى من أحجار المناقب الرملية.... وكتبه: محمد نصيف.

١- في الأصل: رملية.

(٤) في الأصل: القصفورية. والتصويب من الرحلة الحجازية (ص:٧٥).

وسير الماء فيها من عين الرغامة التي تبعد عن المدينة شرقاً بنحو عشرة كيلو مترات، وهي الآن منهدمة، وقد اهتمت بلدية المدينة بإصلاحها، ولكن يظهر أن الحكومة لا يمكنها [عمارتها][١] إلا بمعونة الأهالي، وهم لا يساعدون على ذلك؛ لأن لهم مصلحة في بيع مياه صهاريجهم على الحجاج بأثمان باهظة.

وفي هذه المدينة كنداسة[٢] لبعض الفرنجة لتكرير مياه البحر وبيعها للناس.

وجدة مركز تجاري كبير، ويمكنك أن تقول أنها الثغر العمومي للحجاز، فمنها صادراته [وإليها][٣] وارداته، وتجارتها تكاد تنحصر في أصداف اللؤلؤ، والمرجان، واليسر، والسبح، والأقمشة الحريرية، والعطر، والعطارة، والبقالة الجافة، والقِرب، والجلود، والسجاجيد[٤]، وجميع ما يهم الحاج.

وتعداد أهل هذه المدينة لم يحصل بصفة رسمية، وهم يبلغون خمسين ألفاً على أضبط تقدير، منهم عشرة آلاف من الأجانب المسلمين بين فرس، وحضارم، وهنود، وبخاريين. أما الفرنجة فيبلغ عددهم مائة أو يزيدون قليلاً، وأغلبهم من الأروام[٥].

ويوجد خارج هذه المدينة من جهة الجنوب مدفن للنصارى محاط بسور

---

(١) في الأصل: معونتها. والمثبت من الرحلة الحجازية (ص:٧٥).

(٢) في الرحلة الحجازية (ص:٧٥): كندانسة.

وفي هامش الأصل: الكنداسة للحكومة العثمانية، ثم الحكومة السعودية. وكتبه: محمد نصيف.

(٣) في الأصل: واينها. والتصويب من الرحلة الحجازية (ص:٧٦).

(٤) في هامش الأصل: والأرز، والحنطة، والشعير، وجميع الآلات والمنسوجات تصل إليها من الهند ومصر.

(٥) في هامش الأصل: في زمن حكم الحكومة السعودية لم يبقى من الأروام اليونان غير شخصين بقالين لا بدالين، والباقين كلهم من الأميركان والإنكليز. وكتبه: محمد نصيف.

عال، وعليه خفير من الأعراب، لا يدع أحداً يدخل فيه من غير ذويه.

أما مدافن المسلمين فإنها في الجهة الشرقية على مسافة نحو كيلو متر من بابها الشرقي الذي يسمونه: باب مكة، وعليها سور يفتح باب للغرب، فإذا دخلت من هذا الباب وجدت أمامك رأس قبر طويل ضارب إلى الشمال بمسافة مائة وخمسين متراً على ارتفاع متر، وفي عرض نحو ثلاثة أمتار، وهو ما يسمّونه: قبر أمنا حواء، وهو أشبه شيء بقناة مسدودة من طرفها الجنوبي بثلاث حوائط من مربع ينقصه الحائط الشمالي الذي هو من جهة القبر، وطول كل حائط أربعة أمتار في ارتفاع مثلها، وفي كل منها شباك تخرج منه فروع عوسجة كبيرة تكاد تسد فراغ هذا المربع الذي هو مكان الرأس عندهم، وفي نهاية هذا المستطيل من جهة الشمال حائط يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار، في وسطه من أعلاه شرفة تحتها شباك يطل على القبر من جهة القدمين، وفي نحو ثلثي طوله من جهة الرأس قبة يفتح بابها إلى الغرب، وفيها شباكان يشرفان على جهتي القبر، وفي وسطها مقصورة من الخشب عليها ستر من الجوخ، فيها باب مقابل لباب القبة، يقولون: "هذا مكان السرة الشريفة"، فيه حجر من الصوان يبلغ طوله نحو متر[1] محفور من وسطه.

ولما قصد الشريف عون الرفيق هدم قبتها فيما هدم من القباب بمكة قام في وجهه قناصل الدول[2] وحالوا بينه وبينها بدعوى أنها ليست أم المسلمين وحدهم. انتهى.

---

(١) في الرحلة الحجازية: متر ونصف.

(٢) في هامش الأصل: قنصل روسيا المستر زمرمان عثمان طلب عدم هدم القبر، فقبل الشريف عون طلبه على ما يقال، والحقيقة أنه لم يهدم الشريف عون الرفيق القبور المشهورة خوفاً من السلطان عبد الحميد، كقبر آمنة أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا قبر خديجة أم المؤمنين بمكة، ولا قبر ابن عباس بالطائف رضي الله عنهم، والحقيقة أن قبر آمنة في طريق الفرع بموضع يسمى قديماً: الأبواء، واليوم هو قريب من الحديبية قريب من رابغ.

أقول: قد هدمت هذه القبة في سنة..[١].

وفي كتاب دليل الحج[٢]: وبميناء جدة يرى مدّ البحر وجزره يومياً، فترتفع المياه وتنخفض بقدر قدم ونصف إنكليزي، وعمقها من (١٣) إلى (١٧) باعاً. انتهى.

عمران جدة بعد النهضة

من ابتداء النهضة[٣] إلى شهر صفر سنة ١٣٣٧ أصلحت في جدة ثكنتها العسكرية، وعمّر باب النافعة، وأنشئت دائرة رئيس هيئة المراقبة، ودائرة البريد والبرق، ودائرة رئيس المرفأ، وعمّر تحت الدائرتين الأخيرتين باب الصبة، ومخفر الشرطة، وعمّر في دائرة الجمرك ثلاثة مخازن كبيرة عند الميناء تستوعب مائة ألف كيس، وأنشئ مخزن الذخائر الحربية وأصلحت المخازن القديمة وأحدث تعديل في شارع الأسكلة، وعمّر باب مكة بمداخله الثلاثة، وأحدث باب المغاربة من جديد، وأصلحت الأسوار، وزينت كل الدوائر الرسمية [بالآرمة الهاشمية][٤] العربية الجديدة، وآخر ما قامت به الحكومة من معالم العمران في

---

(١) كذا في الأصل، ولم تذكر السنة.

وفي هامش الأصل: في زمن الحكومة السعودية.

(٢) دليل الحج (ص:٢٠٢).

(٣) في هامش الأصل: الثورة الهاشمية ضد الأتراك وإخراجهم من الحجاز بعد حرب وقعت بينهم وبين الشريف حسين، وسلم أسرى الأتراك للحكومة الإنكليزية. وكتبه: محمد نصيف.

(٤) في الأصل: بالأمرة. والتصويب والزيادة من هامش الأصل بخط نصيف.

وفي هامش الأصل: الأرمة هي الشعار، العمامة وفوقها جبل وفوقه مسجد، هـذا شعار الدولة الهاشمية، أما شعار الدولة السعودية فهي نخلة وسيفان.

جدة افتتاحها الشارع الجديد الذي سمي: شارع قابل، وهو يبتدئ من باب الصبة، وينتهي بمسجد المعمار، وينفذ منه إلى باب مكة، أي أن هذا الشارع يبتدئ بدائرة الجمرك والبحر وينتهي بباب مكة، وسيفتح من هذا الشارع منفذ إلى سوق الحراج، فيتصل الشارعان بشكل متعارض، وقد أنشئت فوق دكاكين الشارع الجديد غرف جميلة تكون مكاتب لأصحاب تلك الدكاكين. انتهى. ذكره في جريدة القبلة.

ذكر ما ورد في فضل جدة

قال الفاسي في شفاء الغرام[١]: قال الفاكهي[٢]: حدثنا عبدالله بن منصور، عن سليم بن مسلم، عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: « مكة رباط، وجدة جهاد »[٣].

حدثنا إبراهيم بن [أبي][٤] يوسف، حدثنا يحيى بن سليم، عن ابن جريج، قال: سمعت عطاء يقول: « إنما جدة خزانة مكة، وإنما يؤتى به إلى مكة ولا يُخْرَجُ به منها »[٥].

---

(١) شفاء الغرام (١/١٦٥-١٦٦).

(٢) الفاكهي (٣/٥٢-٥٣، ٥٥).

(٣) أخرجه الفاكهي (٣/٥٢ ح١٧٨٠)، وإسناده ضعيف.

(٤) قوله: "أبي" زيادة من شفاء الغرام (١/١٦٥)، والفاكهي (٣/٥٣).

(٥) أخرجه الفاكهي (٣/٥٣ ح١٧٨١)، وفي إسناده رجل غير معروف.

وفي هامش الأصل: علماء الحديث أعرف، وقد قال أهل العلم بالحديث أن ما ورد في فضل البلدان موضوع قطعاً. وكتبه: محمد نصيف.

قلت: ليس على اطلاقه فقد ورد في فضل مكة والمدينة أحاديث صحيحة. المحقق.

حدثنا ابن [أبي][(١)] يوسف قال: حدثنا يحيى بن سليم، عن ابن جريج قال: « مكة رباط وجدة جهاد.

قال ابن جريج: إني لأرجو أن يكون فضلُ مُرابِط جدة على سائر المرابط، كفضل مكة على سائر البلدان »[(٢)].

حدثنا إبراهيم بن أبي يوسف قال: حدثنا يحيى بن سليم، قال: سمعت عبيد الله بن سعيد بن قنديل، قال: جاء فرقد السبخي بجدة فقال: « إني رجل أقرأ هذه الكتب، وإني لأجد فيما أنزل الله من كتبه: جدة –أو جُديدة– يكون بها قتلى وشهداء، لا شهيد يومئذ على ظهر الأرض أفضل منهم »[(٣)].

وقال بعض أهل مكة: إن الحبشة جاءت جدة في سنة ثلاث وثمانين في مصدرها، فوقعوا بأهل جدة، فخرج الناس من مكة إلى جدة وأميرهم عبدالله ابن محمد بن إبراهيم، فخرج الناس غُزاةً في البحر.

قال الفاسي[(٤)]: عبدالله بن محمد بن إبراهيم هذا ولي مكة للرشيد بن المهدي العباسي، وعلى هذا فسنة ثلاث وثمانون المشار إليها في هذا الخبر سنة ثلاث وثمانين ومائة. انتهى[(٥)].

---

(١) قوله: "أبي" زيادة من شفاء الغرام (١٦٥/١)، والفاكهي (٥٣/٣).

(٢) أخرجه الفاكهي (٥٣/٣ ح١٧٨٢)، في إسناده ضعيف .

(٣) أخرجه الفاكهي (٥٥/٣ ح١٧٨٦)، في إسناده شيخ المؤلف وهو غير معروف.

(٤) شفاء الغرام (١٦٦/١–١٦٧). وانظر: إتحاف الورى (٢٣٢/٢).

(٥) انظر: الجامع اللطيف (ص:٨١).

الفصل الثاني: في حوادث جدة ووقائعها

قال ابن ظهيرة في الجامع اللطيف[١] نقلاً من تاريخ ابن المجاور[٢]: أن في زمن دولة الأمير عيسى بن فُليتة كان يؤخذ من المغاربة [جزية][٣] في جدة، والسبب في ذلك: أن كلباً دخل إلى جدة من كلابه فأخذ رغيفاً، فقتله المغاربة، فأراد الأمير قتلهم، فلما تحققوا الهلاك جعلوا له الجزية، كل إنسان عليه سبعة يوسفيّة، ويوسفيّ للقواد، فتقرّر ذلك إلى زمن الأمير مكثر، فأنفذ صلاح الدين أبو المظفّر يوسف بن أيوب ستة آلاف أردب حب في مقابلة ما يأخذه من المغاربة جزية، والله أعلم. انتهى.

ذكر عمارة سور جدة

قال الشيخ عبدالقادر الخطيب في تاريخ جدة[٤]: وسبب عمارة السور الموجود بواقيه الآن: أنه لما حصل بمكة وجدة المحروسة خطف[٥] ونهب وسفك وفتك من بعض عربانها البغاة وبدوانها الطغاة، وهم بنو إبراهيم من أهل ينبع وزبيد، ومن تبعهم من أهل الفساد والزيغ والعناد، [خرجوا][٦] من الطاعة وخالفوا من أوامره ونواهيه، ونهبوا مكة وجدة، ومعهم طائفة من عصاة الشراكسة [يسمون][٧]: العادلية[٨]، ولم يكن حينئذ على جدة سور، وأخرجوا

(١) لم أقف عليه في المطبوع من الجامع اللطيف.
(٢) تاريخ المستبصر لابن المجاور (ص:٤٨-٤٩).
(٣) قوله: "جزية" زيادة من تاريخ المستبصر (ص:٤٨).
(٤) السلاح والعدة (ص:٣٧-٤١). وانظر: الجواهر المعدة (ص:٣٥-٣٦).
(٥) في الأصل خلف، وقد صححت على الهامش بخط الشيخ محمد نصيف.
(٦) في الأصل: وخرجوا. والتصويب من السلاح (ص:٣٧).
(٧) في الأصل: يسموا. والتصويب من السلاح، الموضع السابق.
(٨) نسبة إلى السلطان المملوكي بمصر الذي كان يعرف بالملك العادل سيف الدين طومان باي (هامش السلاح والعدة ص:٣٧).

الخواجه محمد يوسف القاري من بيته، وحملوه على فرسه ووصلوا به إلى زبيد طائفة مالك بن رومي، ولم يفكوه إلا بِجُعْلٍ من المال[١].

وبلغ ذلك السلطان الغوري، فبعث الأمير [قيت الرحبي][٢] في طائفة من العسكر نحو ألف فارس غير الرماة والمشاة، وذلك في سنة ٩٠٨ لقتال العربان المذكورين، وهم يومئذ بينبع[٣] متحصنون بها وأميرهم السيد هزاع بن محمد بركات.

ولما بلغ المذكورين وصول الأمير قيت الرحبي بعسكره خرجوا من ينبع هاربين، وانقلبوا على أعقابهم ناكصين، ثم كاتبوا الأمير قيت بالعهود والمواثيق، وأنهم يرجعون عن الفساد، ويسمعوا ويطيعوا من غير مخالفة ولا عناد، فتوجه العسكر إلى مكة المشرفة وقضوا مناسكهم، وكتبوا للسلطان الغوري صورة العهد والمواثيق، وأقاموا بمكة إلى أن جاءهم الجواب [بأن يحلّفوهم الأيمان المغلظة][٤]، فحلّفوهم –وكان ذلك في وادي مَرّ– على أنهم يستمروا على الطاعة، وتوجه العسكر إلى الديار المصرية، ثم إن البغاة المذكورين نكثوا العهود والمواثيق، ولم يوفوا بالعهود، ولم يستمروا إلا على الطغيان، ونهبوا مكة المشرفة وجدة، وأظهروا فيها الفساد، وكان بمكة يومئذ شرذمة من عسكر الغوري، فساروا إليهم وقتلوهم في ينبع قتلاً فظيعاً، وهتكوهم هتكاً بليغاً، وغنموا منهم

---

(١) أورده الحضراوي في الجواهر المعدة (ص: ٣٤–٣٥).

(٢) في الأصل: غيث المرحبي، وكذا ورد اسمه في المواضع التالية، والصواب ما أثبتناه. وانظر ترجمته في: الضوء اللامع (٦/٢٢٦).

(٣) في الأصل: بينبعهم. وقد صححت بين الأسطر بخط الشيخ محمد نصيف إلى: بينبع.

(٤) في الأصل: بأنهم يحلفون بالأيمان المغلظة. والمثبت من السلاح (ص:٣٨).

الغنائم، وأدخلوا حينئذ السيد بركات وأخوه السيد قايتبائي إلى مكة لحراستها وحمايتها، ووجدوا طائفة من البغاة المذكورين جاؤوا إلى جدة مكسورين وأرادوا نهبها، وبها حينئذ الخواجه محمد يوسف القاري، فاستعد لقتالهم بمن في جدة من التجار وغيرهم، وحين بلغ البغاة وصول السيدين الشريفين المشار إليهما آنفاً خرجوا هاربين وانقلبوا خاسرين(١).

وبلغ السلطان الغوري ذلك، فجهز الأمير حسين(٢) ومن معه من العسكر، والأمير علي [المسلاتي](٣) ومعه عسكر، والجميع في أغربة(٤)، وجاؤوا إلى ينبع وفرقوا شمل العدو، وقتلوا من بها منهم، وحرقوا البلاد بالنار، ووصلوا إلى جدة، وشرع الأمير حسين في عمارة السور، فتمت عمارتها في تسعة من الشهور، بأبراجه، ودار النيابة، ومصلى العيد، وذلك في سنة تسعمائة وإحدى عشر.

وكان طول أساس السور المذكور في الأرض اثنا عشر ذراعاً، وطول المحيط بالبلد من جهة القبلة واليمن والشام ثلاثة آلاف ذراع(٥) من غير الأبراج، وهي ستة أبراج، دور كل برج منها ستة عشر ذراعاً بجدرانه، وعرض جدار السور أربعة أذرع.

وأما الأبراج فطول الشامي واليماني من على وجه الأرض خمسة عشر

---

(١) انظر: الإعلام (ص:٢٤٥).
(٢) هو الأمير حسين الكردي نائب جدة من قبل السلطان الغوري. مات سنة ٩٢٢هـ.
(٣) في الأصل: السلاتي. والمثبت من السلاح والعدة (ص:٣٩).
(٤) الغُراب: نوع من المراكب الحربية شديدة البأس (السفن الحربية للنخيلي).
(٥) "ثلاثة آلاف ذراع من غير الأبراج" هكذا مذكور في كتاب السلاح والعدة. وفي كتاب "تبسم الزهور في ثغر جدة المعمور" للشيخ نجم الدين بن علي بن يعقوب المدني ثم المكي: ثلاثة آلاف ذراع ومائة وسبعة عشر ذراعاً بذراع العمل من غير الأبراج. انتهى. (غازي).

ذراعاً، والبرجان القبليان [الملاصقان][1] لباب البلد المسمى أحدهما: باب الفتوح، وهو الأيمن، والآخر: باب النصر، وهو الأيسر[2]، وجميع ما ذكرناه من الأذرعة فبذراع العمل، وهو ذراع ونصف بذراع الحدّاد[3].

وجملة ما أصرف على السور المذكور وتوابعه من الأبراج، ودار النيابة المعروفة بفرضة السلطان، وجامعها الموجود بها الآن، ومُصلى العيد، وحفر الخندق حول البلد مائة ألف دينار غُوري، وكان صرف الدينار حينئذ ثلاثين محلقاً كبيراً[4] في المعاملة. انتهى.

وفي الإعلام[5]: ومن آثار الأشرف الغوري: بناء سور جدة، فإنها كانت غير مسوّرة، وكانت العربان في أيام الفتنة تهجم على جدة وتنهبها، وأَسَرَتْ عربان زُبَيْد في أيام الفتن الخواجه محمد القاري، وكان من أعيان التجار من أهل الاعتبار، فهجموا [على][6] بيته وأنزلوه من السطح وأركبوه معهم على ظهر فرس ارتدفه واحد من أهل زُبَيْد ، وأخذوه إلى أماكنهم وهو قرب عقبة السويق[7] من درب المدينة الشريفة، ومكث عندهم

---

(١) في الأصل: المتلاصقان. والتصويب من السلاح والعدة (ص: ٤٠).

(٢) وفي كتاب تبسم الزهور: وأما البرجان البحريان فقد نزل لهما الغواصون في البحر اثنا عشر ذراعاً بالعمل، وطولهما أيضاً كذلك. انتهى. (غازي).

(٣) في السلاح: النجار.
وذراع النجار تبلغ ٧٧,٥ سم. فتكون ذراع العمل التي قدّر بها المؤلف أبعاد سور جدة هي: ٧٧,٥ سم ١,٥ = ١١٦,٢٥ سنتيمتر (المكاييل والأوزان الإسلامية ص: ٩١).

(٤) المحلق الكبير: من العملات المنتشرة باليمن آنئذ (الفضل المزيد لابن الديبع).

(٥) الإعلام (ص: ٢٤٤-٢٤٨). وانظر: الجواهر المعدة (ص: ٣٤-٣٦).

(٦) في الأصل: إلى. والتصويب من الإعلام (ص: ٢٤٥).

(٧) السويق: كانت من بلاد ينبع النخل، وأصبحت أعمر مكان فيه، بها منشآت حكومية وسوق عامرة، وتعتبر قاعدة ينبع النخل (على طريق الهجرة ص: ١٩٩) وهي منازل بني إبراهيم أخي النفس الزكية (وفاء الوفا ٢/٣٢٦).

[أياماً](١) إلى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم، فردوه إلى مكة بعد أن استوفوا هذا القدر منه. ونُهبت جدة مراراً في الفتن التي وقعت بأرض الحجاز بعد وفاة المرحوم الشريف محمد بن بركات بين أولاده -وجرت أحوال يطول شرحها-، فأرسل السلطان الغوري أحد أمراءه المقدّمين -وهو الأمير حسين الكردي- وجهز معه عسكراً من الترك والمغاربة واللَّوَنْد(٢) نحو خمسين [غراباً](٣)؛ لدفع ضرر البرتغال في بحر الهند، وكان [مبدأ](٤) ظهورهم، وأمره بدفع الفتن الواقعة إذ ذاك في جدة، وجَعَلَها له إقطاعاً، فلما وصل الأمير حسين الكردي إلى جدة بنى عليها سوراً في سنة سبع عشرة وتسعمائة، وهو الباقي إلى الآن. وكان ظلوماً، غشوماً، يسفك الدماء، ولا يرحم من في الأرض [ليرحمه](٥) من في السماء، فإذا خيم أوطاقه(٦) في سفر أو حضر رتب حوله أعوانه وجنوده ترتيباً خاصاً لإرهاب من حضر، ونصب أعواداً للصلب والشنق والشنكلة، وأقام جلادين للقتل [والتسويط](٧) والضرب والبهدلة، فأيُّ مسكين وقع في يده قتله بأدنى سبب، أو عذّبه بالمقارع أو صلب؛ إظهاراً للناموس [الفرعوني](٨) المهيب، وإخافة للخلق بالسياسة والترهيب، وكانت له أسمطة ممدودة في سائر الأيام، وكان أكولاً بذولاً للطعام، سمحاً في المؤاكلة

---

(١) قوله: "أياماً" زيادة من الإعلام (ص:٢٤٥).

(٢) كلمة فارسية تطلق على جنود البنادقة، الذين يحملون أسلحة خفيفة، أما عند العثمانيين فتطلق على طائفة من جنود البحرية القرصان، كانوا يستدعون عند قيام الحرب. معجم الدولة العثمانية: ١٢١، تأليف د/حسين المصري.

(٣) في الأصل: ضراباً. والمثبت من الإعلام، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: مبادئ. والمثبت من الإعلام، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: ليرحم. والمثبت من الإعلام، الموضع السابق.

(٦) الوطاق: لفظ تركي أصله "أوتاق" ومعناه: الخيمة الكبيرة الخاصة بالحكام والعظماء، كانت تقام غالباً في وقت الحرب، ومن هنا تسميتها بـــ"معكسر" (هامش لطف السمر ١/٢١٠).

(٧) في الأصل والإعلام: والتوسيط. والمثبت من الجواهر المعدة (ص:٣٥).

(٨) في الأصل: الفوعوني. والمثبت من الإعلام (ص:٢٤٥).

والإطعام، يستوفي الخروف وحده مع أرغفة عدّة، ونفائس له معدّة، وكان كردياً دخيلاً في وظائف الجراكسة، لا يملأ عينهم، ولا يعتبرونه فيما بينهم، فأراد السلطان الغوري إبعاده عنهم حماية [له][1] منهم، وكان معتنياً به، فأعطاه بندر جدة، فلما أتى جدة سوّرها وبنى أبراجها وأحكمها، وهدم كثيراً من بيوت الناس [مما][2] يقارب موضع السور لوضع الأساس، واستخدم عامة الناس في حمل الحجر والطين، حتى التجار المعتبرين وسائر المتسببين، وضيّق على البنّائين؛ بحيث يحكى أن أحدهم تأخر قليلاً عن المجيء، فلما جاء أمر أن يُبْنَى عليه، فبُني عليه، واستمرّ قبره جوف البناء إلى يوم الجزاء، إلى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العتيد، وبنى السور جميعه في دون عام من شدته وغشمه، وإقدامه وظلمه، واستمر حاكماً بجدة إلى أن تقوّى بالمال وتأثّل، فتوجه إلى الهند في حدود سنة إحدى وعشرين وتسعمائة، ثم عاد الأمير حسين إلى مكة بعد انقراض دولة الجراكسة من مصر وتملكه السلطان سليم خان ابن بايزيد خان، وكان السلطان سليم خان لما دخل مصر أرسل خلع التأييد لصاحب مكة الشريف بركات، وأرسل الشريف بركات ابنه السيد محمد أبا نمي مباركاً مهنئاً[3] للسلطان في الملك ومتشرفاً بلقائه سنة تسعمائة وثلاث وعشرين، فقابله بالإجلال والإكرام وعمره إذ ذاك اثنا عشر سنة، وبعث معه أمر بقتل حسين الكردي، فأرسل حكماً إلى السيد عرار بن [عجل إلى][4] السيد الشريف بركات بقتل الأمير حسين المذكور، فأُخذ مقيداً إلى جدة، ورُبِطَ في رجله حجر

(١) قوله: "له" زيادة من الإعلام (ص:٢٤٦).

(٢) في الأصل: فيما. والمثبت من الإعلام، الموضع السابق.

(٣) قوله: "مهنئاً" زيادة من على الهامش بخط نصيف.

(٤) في الأصل: عجلان بن. والمثبت من الإعلام (ص:٢٤٨).

كبير وأغرق في بحر جدة في موضع يقال له: أم السمك[١]، فأكلته الأسماك بعد أن كان يُعَدُّ [من][٢] الأملاك. انتهى.

وفي الرحلة الحجازية[٣]: ويحيط بجدة سور له خمسة أضلع، فالغربي منها على البحر وطوله (٥٧٦) متراً، والبحري (٦٧٥) متراً، والشرقي (٥٠٤) متراً، والشرقي الجنوبي (٣١٥) متراً، والجنوبي (٨١٠) متراً، وفي كل ضلع من [أضلاع][٤] هذا السور باب، والباب الشرقي يسمى: باب مكة، وعلى جداره من الخارج رنك منقوش في الحجر، وإلى جانبه اسم السلطان الغوري ملك مصر، وهو الذي بنى هذا السور سنة ٩١٥ لمنع الإفرنج الذين كانوا ابتدؤوا في استعمار الشرق من طلوعهم إلى جدة، وقد أفاد فائدة تذكر في منع البرتغاليين من الدخول إليها سنة ٩٤٨، وأَصْلَتْهُم قلعتها ناراً حامية، فرّوا منها إلى مراكبهم تاركين ما كان [معهم][٥] من الذخائر، كما نالت أيضاً من الوهابيين[٦] حين حصارهم [لجدة][٧] سنة ١٢١٨. انتهى.

---

(١) في هامش الأصل بخط نصيف: لعله أم المسك.

(٢) في الأصل: في. والمثبت من الإعلام (ص:٢٤٨).

(٣) الرحلة الحجازية (ص:٧٤).

(٤) في الأصل: الأضلاع.

(٥) في الأصل: منهم. والمثبت من الرحلة الحجازية (ص:٧٤).

(٦) يقصد بذلك الجيش السعودي، وليست الوهابية مذهباً حتى ينسبوا إليه إنما هي دعوة للعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله نادى بها المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

(٧) في الأصل: بجدة. والتصويب من الرحلة الحجازية، الموضع السابق.

ذكر نزول الإفرنج بأبي الدوائر على قصد دخولهم جدة وخروج الشريف أبي نمي إليهم:

قال العلامة السنجاري رحمه الله في منائح الكرم[(١)] نقلاً من الإتحاف [للطبري][(٢)] المدني[(٣)]: أن في أواخر سنة تسعمائة وثمانية وأربعين دخلت طائفة عظيمة من الإفرنج[(٤)]، وخربت غالب البنادر[(٥)]، فلما قصدوا جدة المعمورة نزلوا المرسى المعروف بأبي الدوائر[(٦)] في خمسة وثمانين [برشمة][(٧)] مشحونة بالرجال والسلاح، فقاتلهم الشريف أبو نمي بنفسه، وترك الحج، وأشخص معه ابنه، ونزل إلى جدة في جيش عظيم بعد أن أمر بالنداء في نواحي مكة: من صحبنا فله أجر الجهاد وعلينا السلاح والنفقة، فبلغ أهل الجهاد مبلغاً عظيماً، ونفقة مولانا الشريف شاملة للجميع، وعيون الكفار تدور عليهم كل حين، فتشاهدهم يزيدون عدداً وعدداً وعيشاً رغداً، وخدام مولانا المشار إليه يتوجهون إلى أطراف البلاد، ويحضرون بأنواع الطعام بأغلى ثمن، حتى فرغت الحبوب وكادت تعدم، فدخروها للخيل، وأقبلوا على نحر الإبل، فكان مولانا الشريف يأمر بأن ينحر

---

(١) منائح الكرم (٣/٣٠٠-٣٠٣).
(٢) في الأصل: للسمرقندي. وهو خطأ.
(٣) إتحاف فضلاء الزمن (٤٧٨/١).
(٤) الإفرنج: هم البرتغاليون. وقد أطلقها العرب على سكان أوروبا، وهو طائفة من الجرمان ظهر خطرهم على العالم الإسلامي بعد تمكنهم مع الأسبان من طرد المسلمين من الأندلس، واستقرت في الامبراطورية الرومانية الغربية في جنوب غرب أوروبا (انظر: تاريخ الإسلام في الهند ص:٣٣٢-٣٣٩، وأوروبا في العصور الوسطى ١٨/١).
(٥) أي موانئ البحر الأحمر.
(٦) أبو الدوائر: هو ميناء قريب من ميناء جدة خلال تلك الفترة (انظر: تاريخ مكة للسباعي ص:٣٤٧، ومعجم معالم الحجاز ٢٣٤/٣).
(٧) في الأصل: برشة. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (٤٧٨/١).
والبرشمة: نوع من أنواع السفن التي تحمل الجنود.

لكل مائة نفس بدنة ناقة أو بعير. واستمر ذلك مدة، فقال له بعض الناس: إن هذا الفعل يستأصل ما عندك من الإبل، فأجابه: بأني نويت أن أنحر ما أملكه ويملكه أولادي وأحفادي، فإذا نفذت الإبل نحرت الخيل، ثم كل حيوان يجوز أكله.

فلما قرب زمن الحج برز أمره إلى ابنه الشريف أحمد بن أبي نمي أن يقابل الأمراء، ويلبس الخلع الواردة، ويحج بالناس على عادة أجداده.

فلما وصل أمراء الحج توجهوا للقاء مولانا الشريف أبي نمي بجدة لإلباسه الخلع، فلاقاهم، وهو شاكي السلاح لابساً درعه في هيئة المقاتل. ولما أن قرب الأمراء أمر بطلق المدافع، فأطلقت لمقابلتهم نحو ثلثمائة مدفع، فألبسوه الخلع الواردة صحبتهم، وانصرفوا راجعين.

ولما رأى الكفار صبره وحصاره لهم انقلبوا خاسئين.

ولما بلغ حضرة مولانا السلطان سليمان خان ذلك، زاد في إكرام المشار إليه، وسمح له بنصف معلوم جدة[١]، إلى غير ذلك من الإنعامات التي لا تحصى. انتهى[٢].

ذكر فتنة جدة الواقعة في سنة ١٢٧٤هـ[٣]

وملخّص هذه الفتنة إجمالاً: أن صالح جوهر أحد التجار بجدة كان له مركب منشور فيه بنديرة[٤] الإنكليز، والبنديرة: هي البيرق، فأراد أن

---

(١) نصف معلوم جدة: من الجباية والمكوس على الداخلين من منطقة جدة.

(٢) انظر هذه الأحداث في: خلاصة الكلام (ص:٥٣).

(٣) انظر هذه الفتنة في: تاريخ الدولة العلية (ص:٥٢٥-٥٢٦).

(٤) في هامش الأصل: البنديرة: هي الراية والعلم. وكتبه: محمد نصيف.

يغيرها، ويجعل فيها من بنديرات الدولة العلية[١]، فسمع بذلك قنصل الإنكليز، فمنعه من ذلك، فلم يمتنع، وأخذ رخصة من نامق باشا[٢]، فأذن له بوضع بنديرة الدولة العلية، وكتب له منشوراً بذلك، فوضعها ونشرها، وأزال بنديرة الإنكليز، فطلع قنصل الإنكليز البحر ودخل المركب المذكور وأنزل بنديرة الدولة التي نشرت ونشر بنديرة الإنكليز، وشاع أنه لما أنزل بنديرة الدولة وطئها برجله وتكلم بكلام غير لائق، فغضب بذلك المسلمون الذين في جدة، فهاجوا هيجة عظيمة، وقصدوا دار القنصل وقتلوه، وثار من ذلك فتنة عظيمة قتلوا فيها غيره من القناصل الموجودين ومن كان بجدة من النصارى ونهبوا أموالهم، وأرادوا أن يقتلوا فرج يسر، أحد التجار المشهورين بجدة، لكونه كان محامياً عن قنصل الإنكليز ومعدوداً من رعيتهم، فاختفى، فأراد عوامّ الناس أن ينهبوا داره، فمنعهم من ذلك عبدالله نصيف[٣] وكيل مولانا الشريف محمد بن عون بجدة. وكان نامق باشا بمكة، والشريف علي باشا القائم مقام الإمارة كان قد توجه إلى المدينة المنورة لمقابلة الحج، فلما جاء خبر هذه الفتنة لنامق باشا اهتم لذلك، ثم توجه إلى جدة وسكّن الفتنة، وقبض على بعض الناس الذين نسب لهم القتل والنهب ووضعهم في السجن، وأرسل إلى الدولة العلية يخبرهم بما وقع في هذه الفتنة، وطلع إلى مكة لأداء الحج، فلما كان الثالث من أيام التشريق والناس بمنى جاء الخبر من جدة بأنه جاءهم مركب حربي للإنكليز، وصار يرمي بالمدافع المحشوة بالقلل على جـــدة، فخرج كثير من الناس من جدة هاربين

---

(١) في هامش الأصل: العثمانية، وهي هلال ونجمة.

(٢) في هامش الأصل: والي الحجاز من طرف الدولة العثمانية.

(٣) في هامش الأصل: سيأتي ذكر عبدالله نصيف بين أسماء أعيان وتجار جدة في عصره في عام ١٢٧٤ وبعد عصره إلى عام ١٣٦٠. وكتبه بقلم محمد نصيف.

بنسائهم وأولادهم وأموالهم ركباناً ومشاة، فانزعج الناس من ذلك انزعاجاً شديداً. فلما فرغ الناس من أداء مناسك الحج ونزلوا من منى عقد نامق باشا في مكة مجلساً في ديوان الحكومة، أحضر فيه كثيراً من العلماء والتجار وأعيان الناس، وأحضر كثيراً من تجار جدة الذين قدموا مكة لأداء الحج، وكانوا حضروا وقوع الفتنة حين وقعت بجدة، وأخبرهم بمجيء المركب الحربي الذي جاء من الإنكليز وبضربه القلل على جدة، وبخروج كثير من الناس منها. وقال لهم: القصد المشاورة معكم فيما يحصل به تسكين هذا الأمر، فقال كثير من الحاضرين: إن الإسلام والحمد لله قوي، وأهله كثيرون، وذكروا له عدد قبائل الحجاز مثل هذيل وثقيف وحرب وغامد وزهران وعسير، وأنكم لو تعطون الناس رخصة ينفرون نفيراً عاماً، فيجتمع من ذلك الألوف، بل اللكوك[١]، فيدفعون تعدي الإنكليز ولا يرضون أن يقع عليهم هذا الذل.

فقال لهم نامق باشا: هذا العدد الذي ذكرتموه من قبائل العرب صحيح، بل يوجد مثله أضعافاً مضاعفة، لكن إذا اجتمعت هذه القبائل غاية ما يقدرون عليه أنهم يصلون إلى مكة وجدة، وبعد ذلك يدفعون هذا المركب عن جدة، فيحصل من الإنكليز وغيرهم من النصارى تسلط على بقية مدائن الإسلام، [ويجتمعون على محاربة الدولة العلية، وليس عند هؤلاء القبائل التي اجتمعت قدرة على الدفع عن بقية مدائن الإسلام][٢] لأنه ليس عندهم مراكب يعبرون فيها، ولا ذخائر، ولا جبخانات[٣]، ولا مدافع، ولا شيء مما يحتاجون إليه،

---

(١) جمع لكه أي مئات الألوف، بالفارسية والأردية.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص:٣٢٢).

(٣) أي مخزن حفظ الأسلحة، معجم الدولة العثمانية، ٤٠.

وأيضاً مرادنا دفع هذا الضرر الآن، ولا يجتمع هؤلاء القبائل إلا بعد مدة طويلة، فلا بد من التدبير الآن في دفع هذا الضرر بالسرعة.

فقال بعض التجار الحاضرين: يأذن لنا أفندينا في تغريق هذا المركب الذي جاء يرمي بالمدافع المشحونة بالقلل على جدة، فإن كثيراً من أهل البحر الموجودين تحت أيدينا لهم معرفة وصناعة بتغريق المراكب، يأتونها من تحت الماء ويغرقونها ببرّامات يجعلونها في المراكب. فقال لهم: ليس هذا صواباً، فإنكم إذا أغرقتم مركباً يأتيكم بعده عشرة مراكب، فإذا أغرقتم العشرة يأتيكم مائة، وهكذا، فيتسلسل الأمر ولا يزول الضرر، وأيضاً ربما يتركون جدة ويتوجهون إلى إضرار بقية مدائن الإسلام، وإنما الأحسن في تدبير هذا الأمر أن نتداركه باللطف وحسن السياسة، بأن نتوجه إلى جدة أنا وكثير من أعيانكم ونجتمع بقبطان هذا المركب، ونعقد معه أمراً يندفع به الضرر، فاستحسنوا رأيه، فتوجهوا إلى جدة، [وأخذ][1] معه رئيس العلماء الشيخ جمال [شيخ عمر][2]، ومعه من العلماء: الشيخ صديق كمال، والشيخ إبراهيم الفتا، والشيخ محمد جاد الله، وشيخ السادة السيد محمد بن إسحاق بن عقيل، وتجار جدة الذين كانوا جاؤوا للحج، فلما وصلوا إلى جدة صار اجتماعهم بالقبطان المذكور، وعقدوا مجلساً صار القرار فيه على أنه يصير تحقيق هذه القضية، ويحصل الانتقام ممن وقع منه التعدي في هذه الفتنة، ويكون ذلك بعد رفع الأمر إلى الدولة العلية وانتظار الجواب منها بما يأمرون به، ورضي الجميع بذلك، وكتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم.

---

(١) في الأصل: وأخذوا. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:٣٢٢).
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

فلما كان أواخر شهر محرم من سنة خمس وسبعين وصل إلى جدة مأمورون من طرف الدولة ومعهم أناس من كبار الإنكليز والفرنسيس، وكان نامق باشا بجدة، فعقدوا مجلساً معه، واتفقوا على أنهم يحضرون [الناس](١) المتهمين في إحداث هذه الفتنة، ويقررونهم، ويستنطقونهم كل واحد وحده، حتى يقفوا على حقيقة الأمر، ويعرفوا الذين قتلوا [والذين نهبوا](٢) والذين هيجوا، فلما تم قرارهم على ذلك صاروا يعقدون مجالس لا يحضر فيها نامق باشا، وإنما يحضر هؤلاء المرخصون الذين جاؤوا مرسلين من الدولة ومن الإنكليز والفرنسيس، وصاروا يقبضون على كل من صارت عليه تهمة ويحبسونه في موضع لوحده، ثم يحضرون كل واحد منهم وحده ويسألونه ويستنطقونه بغاية التلطف والتعظيم والتبجيل، ويحتالون عليهم بكل حيلة، ويكتبون كل ما يقول، فكان ملخص تلك الاستنطاقات: أن أهل جدة الذين هاجوا في الفتنة وحصل منهم القتل والنهب قالوا: إنما كان ذلك منا بأمر من التجار وقاضي جدة الشيخ عبدالقادر شيخ والأعيان، وسموا أناساً منهم.

وقال الحضارم: أمرنا بذلك شيخ السادة السيد عبدالله باهارون، وكبير الحضارم الشيخ سعيد العامودي.

وقال شيخ السادة وسعيد العامودي وقاضي جدة وبقية التجار والأعيان: إنما كان ذلك منا بأمر من عبدالله المحتسب.

---

(١) قوله: "الناس" زيادة من خلاصة الكلام (ص:٣٢٢).
(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

وقال عبدالله المحتسب: إنما كان ذلك مني بأمر إبراهيم آغا القائم مقام نامق باشا. هذا ملخص استنطاقاتهم، فإنها تتضمن الاعتراف بما وقع، والاعتراف بأنهم تسببوا [في ذلك][1]، إلا أنهم أسندوا ذلك لسعيد العامودي، وعبدالله المحتسب، والقائم مقام نامق باشا، وكان نامق باشا وهو بجدة يرسل إليهم سراً ويقول لهم: الحذر أن تقرّوا بشيء من ذلك، فإنه يصير عليكم ضرر كثير، فلم يمتثلوا ذلك، بل أقروا بذلك، وسببه: أن المرخصين الذين حضروا من الدولة والإنكليز والفرنسيس كانوا يتلطفون بهم ويعظمونهم ويحتالون عليهم بكل حيلة، ويقولون لهم: أخبرونا بالواقع ولا يحصل لكم ضرر، ويسألون كل واحد وحده، فإذا نطق بشيء مخالف للواقع يقولون له: إن فلاناً وفلاناً أخبرا بما هو كذا وكذا، وذلك يخالف ما تقول، ولا يزالون به حتى يطابق كلامه كلام غيره.

فلما انتهت الأسانيد كلها إلى إبراهيم آغا القائم مقام نامق باشا أحضروه وسألوه، فأنكر جميع ما نسبوه له وكذّبهم، ولم يقرّ بشيء، فاحتالوا عليه بكل حيلة فلم يقرّ بشيء، فحبسوه في موضع وحده، ثم حكموا عليه بالنفي مؤبداً، ثم بحثوا أيضاً عن الأشخاص الذين حصل منهم القتل والنهب، فعرفوهم وحبسوهم، ثم تشاور هؤلاء المرخصون المرسلون من الدولة العلية ومن الإنكليز والفرنسيس فيما بينهم، واتفقوا على أنه يقتل عبدالله المحتسب وسعيد العامودي، ونحو اثنا عشر نفساً من عوام الناس الذين وقع منهم القتل، وأنه ينفى من جدة شيخ السادة، وقاضي جدة، وبعض التجار، بعضهم مؤبداً

---

(١) في الأصل: لذلك. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:٣٢٢).

وبعضهم إلى مدة مؤقتة، ويحبس كثير من الذين وقع منهم النهب بعد أن أحضروا كثيراً مما أخذوه، وأن ما بقي من الأموال المنهوبة يأخذون قيمته من الدولة العلية.
فلما تم قرار مجلسهم على ذلك كتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم، وأعطوها لنامق باشا، وطلبوا منه تنفيذ ذلك على ما جاؤوه به من الأمر [من الدولة](١)، فإنهم جاؤوه بأوامر فيها الأمر لـــه بتنفيذ ما يتّفقون عليه، فنفّذه، فأخرجوا عبدالله المحتسب وسعيد العامودي من الحبس فقتلوهما في سوق جدة على رؤوس الأشهاد، وقتلوا الاثنا عشر الذين من عوامّ الناس خارج جدة.

وكان ذلك اليوم يوماً مهولاً في جدة، اشتدّ فيه الكرب على جميع المسلمين، ثم نفوا من حكموا عليه بالنفي، فمنهم من قضى السنين التي وقتوها له [ورجع](٢) إلى جدة، ومنهم من مات ولم يرجع إليها.

فمن الذين رجعوا: الشيخ عبدالقادر شيخ قاضي جدة، والشيخ عمر بادرب، والشيخ سعيد بغلف.

ومن الذين لم يرجعوا وتوفوا وهم منفيون: السيد عبدالله باهارون، والشيخ عبدالغفار(٣)، والشيخ يوسف باناجه، [رحمهم](٤) الله تعالى، وقبضوا من الدولة قيمة بقية الأموال المنهوبة، وكان شيئاً كثيراً. هذا ملخص تلك الفتنة باختصار، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإن هذه القضية كانت من أعظم المصائب على الإسلام. كذا في خلاصة الكلام للسيد أحمد دحلان(٥).

---

(١) في الأصل: بالدولة. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:٣٢٣).
(٢) في الأصل: ورجعوا. والمثبت من خلاصة الكلام، الموضع السابق.
(٣) في هامش الأصل: با غفار.
(٤) في الأصل: رحمه. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:٣٢٣).
(٥) خلاصة الكلام (ص:٣٢١-٣٢٣). وانظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص:٥٢٥)، وتاريخ الإشراف على تاريخ الأشراف (ص:٥٧٧-٥٨٠).

وفي سنة ١٣١١هـ ساق الإنكليز مراكبهم مرة أخرى إلى جدة عندما قتل الأعراب وكيل القنصل الإنكليزي، وجرحوا وكيلي القنصل الفرنساوي والروسي. وكانوا تجاوزوا الحد المضروب لهم خارج البلد، وكلهم مسلمون[١] من الأهالي الذين لم يحسنوا سيرتهم مع إخوانهم من مواطنيهم، ارتكاناً على الحماية الأجنبية، فحضر الشريف عون من مكة لهذا الأمر الذي انتهى بالصلح، وسفر المراكب من غير ضرب. ذكره في الرحلة الحجازية[٢].

وفي سنة ألف ومائتين وست عشرة جدّد أمير مكة سيدنا الشريف غالب ما تهدم من سور جدة وأتقنه إتقاناً زائداً ومكّن أبراجه، وبنى من جهة البحر كشكاً له مشرفاً على المرسى وغيرها. انتهى. ذكره في الجواهر المعدة[٣].

وفيه أيضاً[٤]: وفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف كان أول وصول قنصل الإنكليز بجدة وتوطنه بها، ونصب بها بنديرة لهم -أي بيرقاً- وهي أول بنديرة نصبت بجدة، ولم يعهد توطنهم بها قبل ذلك، ولله الأمر من قبل ومن بعد. انتهى.

وقال العلامة الطبري رحمه الله تعالى في إتحاف فضلاء الزمن في ذكر

---

(١) في هامش الأصل: قوله: "كلهم مسلمون وأنهم مرتكنين على الحماية الأجنبية" خطأ من المؤلف، فإن وكيل قنصل الإنكليز الدكتور... عبد الرزاق الهندي الأصل... الإنكليز، وهو المسلم فقط، أما غيره من القناصل فهم من النصارى، وقد دفعت الدولة العثمانية دياتهم ثمانين ألف جنيه ذهباً. كتبه: محمد نصيف.

(٢) الرحلة الحجازية (ص:٧٤).

(٣) لم أقف عليه في المطبوع من الجواهر المعدة.

(٤) الجواهر المعدة (ص:٤٣).

حوادث سنة ألف ومائة وخمس وثلاثين[١]: بلغنا أن علي باشا اقتضى رأيه على أن يدخل العين إلى جدة، وسرح معلمين ليحفروا عن العين، وأرسل إلى الشيخ سالم البصري يطلبه برابخ[٢] بثمنها ليمشي بها العين، فأرسل إليهم فوق مائتين بربخ من الكبار، وهذه العين في السبيل بقرب جدة، وكان أدخلها إلى جدة في حدود سنة تسعين وألف معمار يقال له: أحمد كرد، وعمّر حماماً بجدة، وداراً وحوشاً كبيراً وصل إليه العين المذكورة، جرّها ببرابخ حتى أدخلها، لأنها كانت ضعيفة جداً، وكان يحصل عندها صياح وخصام، فسدّها سليمان باشا، ولما جاء هذا الباشا علي استقرأ [هذه][٣] العين فوجد أصلها فوق السبيل، فسرح لها كما ذكرنا عمالاً. انتهى.

وفي كتاب دليل الحج لصادق باشا[٤]: أن عثمان نوري باشا في سنة ١٣٠٢ وضع مجاري تحت الأرض لإيصال ماء عين الرغامة[٥] إلى جدة، فأوصلت الماء إلى حوض كبير كمخزن بخارج البلد، ومنه توزعت بواسطة مواسير متفرقة إلى داخل البلد لسبعة حيضان بحنفيات كافية لشرب أهالي البلد وزيادة، حتى استغنى عن شرب ماء الصهاريج، رغماً عن تشكي أصحاب الصهاريج للآستانة بتعطيلها لمنفعتهم، واعتنى بتنظيف الشوارع، وصارت الصحة للغاية، وسميت هذه العين بالحميدية؛ لظهورها في عصر مولانا السلطان عبدالحميد خان. انتهى.

---

(١) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٣١).

(٢) تقدم التعريف بها في الجزء الرابع ص: ٥.

(٣) في الأصل: هذا. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.

(٤) دليل الحج (ص:٣٠٤).

(٥) في هامش الأصل: المسماة عين أو آبار الوزيرية. وكتبه: محمد نصيف.

وقال ابن فهد[١]: وفي سنة أربعين وثمانمائة في ثالث شوال وقع حريق بجدة، فأتلف شيئاً كثيراً، وهلك نحو المائة نفس، وفي ذلك أنشأ نور الدين علي بن محمد ابن عبدالمغيث المناوي الدلاّل قوله:

لما طَغُوا [الساكنون بجدة][٢] وصيروا لعبهم[٣] تجارة
بهم أحاط الجحيم [فصارت][٤] وَقودُها الناسُ والحجارة

وقوله:

لما طغى أهل جدة[٥] يا أولى الأبصار وقد أباحوا المعاصي في الورى إجهارا
نزل فيهم[٦] نَجْم ربّاني بلا إنكار بذنبهم حُرّقوا ما صار لهم آثارا

وقال الطبري في الإتحاف[٧]: وفي رابع عشر ربيع الأول سنة ألف ومائة وثلاثة وثلاثين قبل الزوال بقليل، شبّت نار بأرض جدة من نحو باب مكة، فأخذت حارة الباب [بنصف][٨] سوق الباب، بحارة المظلوم، بسوق جامع الشافعي، بحارة الشام، إلى القلعة، ومن القلعة نزلت على سوق الساحل بدكاكينه، بدار السعادة، إلى زاوية ابن علوان، وكل هذا الحريق كان بالإرادة مقرون في أربع ساعات أو دون، ثم طفأت النار.

ويوم الثلاثاء ثارت بعد الشروق وانبعثت انبعاثاً من تحت قبة السيد أبي بكر العلوي إلى بيت القائد مبارك بن سليم، ومنه إلى حارة [اليمن ، ما عدا حارة

(١) إتحاف الورى (٤/١٠١-١٠٢).
(٢) في الأصل: ساكنين جدة. والمثبت من إتحاف الورى (٤/١٠٢).
(٣) في إتحاف الورى: بغيهم.
(٤) في الأصل: صارت. والمثبت من إتحاف الورى (٤/١٠٢).
(٥) في إتحاف الورى: لما طغوا ساكني جدة.
(٦) في إتحاف الورى: بهم.
(٧) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢١٦).
(٨) في الأصل: بصوف. والمثبت من إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.

بيشه، وهي حارة معروفة بسكن الخواطئ، وحارة الداجوة إلى حارة][1] النوبة، وكتبت لهم السلامة، وكان أيضاً هذا الحريق دون أربع ساعات أقل من السابق، ومات به من الرجال والنساء والبنين ما [ينوف][2] على الثمانين، هذا مما عرف شأنه، ومن لم يعلم شأنه لم يعرف تبيانه، ثم أطفأ الله ذلك الحريق بفضله، وعاملهم بما هو من أهله. انتهى.

الفصل الثالث: في ذكر مساجد جدة وزواياها وأسواقها وأحوشتها وغير ذلك

قال العلامة الحضراوي رحمه الله في الجواهر المعدة[3]: وأما مساجد جدة فأشهرها: مسجد الشافعي[4].

ذكر ابن جبير في رحلته[5]: أنه رأى بجدة [مسجدين][6] ينسبان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه [أحدهما][7] يقال له: مسجد الآبنوس، وهو معروف، والآخر غير معروف. انتهى.

ولعله الآن يقال له: مسجد الشافعي.

ومنها: مسجد عكاش[8].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢١٦).
(٢) في الأصل: يفوق. والمثبت من إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.
(٣) الجواهر المعدة (ص:٥٤).
(٤) انظر: تاريخ مدينة جدة (ص:٣٣٦)، وجدة عروس البحر الأحمر (ص:١٠٣).
(٥) رحلة ابن جبير (ص:٦٨).
(٦) في الأصل: مسجدان. والتصويب من الجواهر المعدة (ص:٥٤).
(٧) قوله: "أحدهما" زيادة من الجواهر المعدة، الموضع السابق.
(٨) انظر: السلاح والعدة (ص:٤٩-٥٠) واسمه فيه: جامع الدامغاني أو الشيرواني. وانظر: تاريخ مدينة جدة (ص:٣٣٨-٣٣٩)، وجدة عروس البحر الأحمر (ص:١٠٣-١٠٤).

وهو من مساجد جدة القديمة.

وذكر الحضراوي أيضاً في موضع آخر من الجواهر[1]: وفي سنة ثمانين ومائتين وألف عمّر المسجد الذي على البحر المعروف بمسجد العكاش، لأنه من المساجد القديمة، وأُتقن وأُحكم، وكذا الميضأة التي بجانبه، وكذلك جدد ما اندرس من [المسجد الذي بالقلعة][2]، يعرف بمسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومنها: مسجد الحنفي[3].

وهو قريب من قصبة الهنود، وهو مسجد عظيم الفضل، من المساجد القديمة أيضاً، تقام فيه الجمعة والجماعة.

ومنها: مسجد سيدنا عثمان بن عفان[4] رضي الله عنه جهة القلعة، وكذا مسجد الباشا[5]، ومسجد المغربي[6] جهة باب مكة، ومسجد المعمار[7]، وهو

---

(١) الجواهر المعدة (ص:٤٥).
(٢) في الأصل: مسجد الحلقة. والمثبت من الجواهر المعدة، الموضع السابق.
(٣) انظر: تاريخ مدينة جدة (ص:٣٣٩)، وجدة عروس البحر الأحمر (ص:١٠٤).
(٤) أطلق ابن جبير على هذا المسجد "مسجد الآبنوس" لوجود ساريتين من خشب الآبنوس به، كما يسميه سكان جدة "زاوية ابن عفان" (انظر: تاريخ مدينة جدة ص:٣٤٠، وجدة عروس البحر الأحمر ص:١٠٤).
(٥) مسجد الباشا: يقع في محلة الشام، بناه والي جدة (بكر باشا) الذي ولي جدة عام ١١٣٧هـ، وقد هدم سنة ١٣٩٨هـ وأقيم مكانه مسجد جديد بإشراف وزارة الحج والأوقاف (انظر: تاريخ مدينة جدة ص:٣٣٩، وجدة عروس البحر الأحمر ص:١٠٤).
(٦) لعله الذي يقال له: وقف المغيربي فتيح (انظر: تاريخ مدينة جدة ص:٣٤٢).
(٧) مسجد المعمار: يقع بمحلة المظلوم في شارع قابل، وقد عمّره مصطفى معمار باشا فسمي باسمه، وكان والياً على جدة عام ١٢٨٤هـ (انظر: تاريخ مدينة جدة ص:٣٣٩، وجدة عروس البحر الأحمر ص:١٠٤).

مسجد لطيف تقام فيه الجمعة أيضاً، ومسجد الحضارم[١]، وهو جهة سوق النَّدى، وغير ذلك.

وأما زواياها[٢]: فمنها: زاوية السادة الشاذلية، بحارة اليمن، بناها العارف بالله تعالى شيخنا السيد محمد بن محمد الفاسي الشاذلي المغربي، قد تم بناؤها في سنة تسع وسبعين ومائتين وألف، وهي وراء القشلة من جهة البحر[٣].

ومنها: زاوية السنوسي، وهي زاوية نفيسة تعمرت بذكر الله تعالى، وبناؤها متقن غريب.

ومنها: زاوية الأسنوي، بحارة اليمن أيضاً، وكذا زاوية السيد الميرغني رحمه الله تعالى.

وأما أسواقها: فأولها وأعلاها: سوق النَّدى[٤]. وهو سوق مستطيل في غاية اللطافة، وبه بعض أَحْوِشَة التجار وغيرهم، وأنواع الأقمشة والأطعمة.

وكذا سوق الجامع[٥]. وسمي باسم الجامع المعروف بمسجد الشافعي، وهذا السوق تقابله وأنت داخل من باب مكة على جهة اليمين يسيراً مستطيل أيضاً.

ومنها: سوق البُنْط[٦]. وهو سوق ظريف مجمع الصيارف، وفيه يباع

---

(١) مسجد الحضارم: لعله الذي يقال له: مسجد العلوانية (زاوية الحضارم). (انظر: تاريخ مدينة جدة ص:٣٤١).

(٢) لاتوجد حالياً هذه الزوايا، قد اندثرت، ولم يبق منها شيء، والزوايا أمر بدعي محدث لم يكن في الصدر الأول من سلف هذه الأمة وإنما كانت لهم مساجد هي أماكن الذكر.

(٣) الجواهر المعدة (ص:٥٥-٥٦).

(٤) انظر: تاريخ مدينة جدة (ص:٤٦٣)، وجدة عروس البحر الأحمر (ص:٨٦).

(٥) انظر: تاريخ مدينة جدة، وجدة عروس البحر الأحمر، الموضعان السابقان.

(٦) انظر: جدة عروس البحر الأحمر (ص:٨٦).

السمك الطري، والتمر الصفري اللطيف[١]، وأنواع سُبَحِ اليُسْر والنُّقْلِ وغير ذلك، وبحذائه خان صغير بسقيفة، يوصل [السوق][٢] الحَرَاج.

ومنها سوق بَرَّه -أي خارج البلد- وهو خارج باب مكة، وهو سوق محتو على أبنية ودكاكين.

ومنها: سوق الخاسكية[٣].

وأما أحوشتها المحتوية على قصور عوالي ومرافق ومرابع[٤] ومجالس وغير ذلك فهي لا تحصر، وتكاد مع عظمها [تشبه بمصر][٥]، فمن أكبرها وأعظمها: الحوش المعروف بحوش[٦] الشريف[٧]. وهو قريب من البُنْط، بناه مولانا الشريف عبدالله ابن المرحوم الشريف محمد بن عبدالمعين، وهو معدّ للحجاج والتجار، مشتمل على محلات نفيسة وقصور عوالي أنيسة.

ومنها: حوش مثقال[٨]. وهو لأحد خواص الشريف غالب.

ومنها: حوش الدولة[٩].

ومنها: حوش أبو اليُسر، وحوش الصالحة[١٠]، وحوش

---

(١) في الجواهر المعدة: المليف.

(٢) في الأصل: سوق. والمثبت من الجواهر المعدة (ص:٥٢).

(٣) سوق الخاسكية: تقع إلى جانب السوق الكبير، وكلتاهما متمماً للآخر لعدم وجود واصل بين السوقين، والفرق في التسمية فرق في التنقل بين مكان ومكان (انظر: تاريخ مدينة جدة ص:٤٦٣، وجدة عروس البحر الأحمر ص:٩٢).

(٤) في الجواهر المعدة: ومراجع.

(٥) في الأصل: تحصر. والمثبت والزيادة من الجواهر المعدة (ص:٥٣).

(٦) في هامش الأصل: حوش الشريف بناه الشريف محمد بن عبدالمعين ابن عون أمير مكة سابقاً، وهو والد الشريف عبدالله أمير مكة سابقاً، فقسم عليه بين الورثة. وكتبه: محمد نصيف.

(٧) انظر: تاريخ مدينة جدة (ص:٤٦٧).

(٨) انظر: تاريخ مدينة جدة، الموضع السابق.

(٩) انظر: تاريخ مدينة جدة، الموضع السابق.

(١٠) في هامش الأصل بخط نصيف: الصالحية. وفي تاريخ مدينة جدة: الصالح.

عُكاش[١]، وحوش النخلة. وجملة أحوشتها تنوف على مائة حوش مـــشتملة على قصور وبيوت مرونقة[٢].

[وأكشاك][٣] على البحر من أنفسها: كشك حوش الشرايبي.

وأما الخانات فمنها: الخان الكبير الشهير بقصبة الهنود، وهو محل[٤] تجار الأقمشة[٥].

ومنها: خان الدلالين. قريب من سوق البُنْط، وخان العطارين، وغير ذلك[٦].

وأما الحوانيت ونحوها فتنوف عن أربعة آلاف دكان.

وأما القهاوي فهي نحو المائة[٧]. انتهى ما في الجواهر المعدة[٨].

فائدة:

من جدة إلى مكة مرحلتان يقطعهما الراكب على الجمل في ظرف إحدى وعشرين ساعة[٩]، [وفي][١٠] طريقها قهاوي متعددة يستريح فيها المسافر إذا

---

(١) في الأصل: عكاشة، وقد صححت على الهامش بخط نصيف إلى: عكاش. وانظر: تاريخ مدينة جدة (ص:٤٦٨).

(٢) انظر: تاريخ مدينة جدة (ص:٤٦٧-٤٦٨).

(٣) في الأصل: والكشاك. والمثبت من الجواهر المعدة (ص:٥٤).

(٤) في الأصل: معمل. وقد صححت على الهامش بخط نصيف إلى: محل. وانظر: تاريخ مدينة جدة (ص:٤٤٦).

(٥) انظر: تاريخ مدينة جدة (ص:٤٤٦).

(٦) انظر: تاريخ مدينة جدة، الموضع السابق.

(٧) انظر: تاريخ مدينة جدة (ص:٤٤٦-٤٤٧).

(٨) الجواهر المعدة (ص: ٥٠-٥٤).

(٩) وقد شقت طرق حديثة ذي مسارات متعددة في العهد السعودي الزاهر، اختصرت المسافة والزمن فيصل الراكب من مكة إلى جدة في أقل من ساعة.

(١٠) في الأصل: وفيها.

شاء. ذكرها الشيخ محمد أمين ناظر أوقاف الحرم المكي في رسالته التي ذكر فيها بعض أخبار مكة، وذكر فيها أيضاً المسافة بالساعات بين كل قهوتين، وهذا عبارته:

من جدة إلى رأس القائم ساعة (١)، ومن رأس القائم إلى الرغامة (-١) ومن الرغامة إلى قهوة الجرادة[1] (-٢) ساعة، ومن الجرادة[2] إلى قهوة العبد[3] (٢)، ومن قهوة العبد إلى بحرة[4] (٢)، [وهذا الموضع هو][5] محط القافلة، ومن بحرة إلى حدَّة[6] (٢)، ومن حدَّة إلى الشميسي[7] (٢)، ومن

(١) قال في مرآة الحرمين (٢٦/١): قهوة الجرادة متسعة مبنية بالحجر ومسقوفة، وعلى نحو (١٠٠) متر منها يوجد بئران، ماؤها فيه شيء من الملوحة. اهـ. (غازي).

(٢) في هامش الأصل: جرادة أم السلم والفرعة.

(٣) ويسمى قلعة سالم، وعلى مقربة منها بئر تسمى: بئر البجادية. اهـ (مرآة الحرمين ١/ ٢٦). (غازي).

(٤) بها أكواخ حقيرة، وحظائر للإبل، وقهاوي، ومسجد صغير بمأذنة، وجملة قهاو، ويتفرع من بحرة طريق آخر إلى مكة يسير نحو الجنرب الشرقي، وهو أسهل من الطريق المعروف؛ لقلة التعاريج، وعلى بعد ميل منها قلعة، وهي أكبر القلاع وأمتنها، وعلى بعد ساعتين منها بئر يسمى: بئر أم القرون، مبنية بالحجارة، وعمقها (١٠) أمتار، لها أربعة أعمدة تدور عليها أقطاب البكر التي ترفع بها الدلاء، وماء هذه البئر عذب فرات. اهـ مرآة (٢٧/١). (غازي).

(٥) في الأصل: وهذه الموضع هي.

(٦) بالحاء المهملة: هي بلدة صغيرة على اليسار، بها حصن، ومسجد [ذو مأذنة] ١، وعين ماء حلوة، وبئران على يسار الطريق، وبها نحو (٦٠٠) نخلة. اهـ. (غازي).

١- في الأصل: ومأذنة. والتصويب من مرآة الحرمين (٢٧/١).

(٧) بها قلعة شامخة البناء، وبقرب القلعة قهوة وبعض أكواخ، وعلى بعد ثلاثين ساعة منها علمان، ومنهما يبتدئ الحرم، وهما عمودان مبنيان بالحجر ومجصصان، مربعا الشكل، سمك كل منهما =

الشميسي إلى بوغاز[1] (٣) ساعة، ومن بوغاز إلى أم الدود(٢) ساعة، ومن أم الدود إلى مكة (٣)، الجملة: واحد وعشرون ساعة. انتهى.

=

متر، وارتفاعه أربعة أمتار، وبين العلمين مسافة (٥٠) متراً، وبجوار العلم الشمالي بئر مبنية بالحجر، سمك حائطها [١,١٠]١ متراً، وقطرها أربعة أمتار، وعمقها نحو (١٥) متراً، وبجوارها مشرب (سبيل) مبني بالحجر بناء متيناً، ومكتوب عليه أبيات باللغة التركية بخط جميل، وتاريخ بنائه سنة ١٢٦٣، وبجانبه شجرة من السدر. اهـ مرآة (١/٢٧-٢٨). (غازي).

١- بياض في الأصل قدر كلمة. والمثبت من مرآة الحرمين (١/٢٨).

(١) وعلى بعد عشر دقائق من البوغاز قلعة المقتلة، وتحتها بئر مطوية بالحجر، وعمقها حوالي (٢٠) متراً، وعليها دعامتان لوضع محور البكرة عليهما، ولها ثلاث درجات يقف عليها من يُخْرِجُ الماء منها، وماؤها عذب غزير. اهـ مرآة الحرمين (١/٢٨). (غازي).

الباب الثامن: في ذكر بعض أخبار الطائف

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: في ذكر طرق الطائف من مكة

قال الفاضل خير الدين الزركلي في تاريخه[١]: بين الطائف ومكة عدة طرق، لا يسلك منها اليوم غير طريقين، إحداها: كرا، وهو طريقنا الذي اجتزناها في رحلتنا. وثانيها: اليمانية أو طريق السيل، وجميع الطرق القديمة مازالت معروفة إلى اليوم، ويمكن سلوكها، إلا أن أكثر الناس هجروها ما عدا هذين، وقد رأيت في عقود اللطائف إسهاباً على المسالك بين المدينتين يفيد المطالع والباحث، أختصره فيما يلي:

الأول: كرا. وهو جبل في غاية الكبر والصعوبة، صعوداً وهبوطاً[٢]، وإن كان الثاني أخفَّ.

والثاني: يعرج. وهو طريق جبلي أسهل من كرا، وأقرب ما بعده من المسالك الآتي ذكرها، على أن فيه حرجة بعد هبوط عسرة، يتعب فيه الراكب والماشي.

والثالث: الثنية. طريق جبلي فيه عقبات [أكثرها][٣] سهل بالنسبة لغيره، ولذلك يؤثره أهل الحجاز على غيره؛ لما تجده جمالهم فيه من الراحة.

والرابع: غرزة.

والخامس: خروب. وهما دون الثنية.

---

(١) ما رأيت وما سمعت (ص: ١٢٠-١٢١).

(٢) وقد شقت في العهد السعودي الميمون طريق من كرا تربط الطائف بمكة المكرمة وجدة، وهي طريق جيدة ذات مسارين.

(٣) في الأصل: أكثر. والمثبت من ما رأيت وما سمعت (ص: ١٢٠).

والسادس: عفار. قلّ من يسلكه، يأتي على الوَهْط، ثم ينزل على رأس وادي نعمان.

والسابع: اليمانية. أسهل الطرق(١) على ما فيه من هبوط وصعود متكرر في جبل يقال له: المنحوت، وتسلك هذه الطريق لأغلب الناس في ثلاث مراحل كبيرة، مرحلة من مكة إلى الزيمة(٢)، ومرحلة منها إلى(٣) السيل، ومرحلة منه إلى الطائف، وكثيرون يجتازونها [في](٤) مرحلتين. انتهى.

وقال الفاضل الأديب الشيخ محب الدين الخطيب: أصعب طرق الطائف من مكة جبل كرا -الذي قال فيه الفاضل(٥) خير الدين [الزركلي](٦): أن جبل كرا يُذْهِبُ الكَرى-؛ لأن ارتفاعه يبلغ نحو ألف متر، وهذه الطريق تنشطر في ثلث مسافتها للصاعد شطرين، إحداهما يسمى بطريق المرسن، وهي الجنوبية، والأخرى طريق كرا، وهي الطريق المعروفة بطريق الجمال، وملتقى اتصالهما في ذروة الجبل المعروف بالهدى. وطريق كرا من أبدع الطرق مناظر، وأعذبها عيوناً جارية، ففيها عين الأقران، وفوقها عين المَغْسَل(٧)، وفوقها عين العتمة، وفي أعلاهن بالقرب من ذروة جبل الهدى عين أخرى فيها بركة ماء صغيرة. انتهى.

وقال الشيخ جعفر لبنى رحمه الله: إن الذاهب من مكة إلى الطائف له

---

(١) وقد جرى توسعة هذه الطريق في العهد السعودي فأصبح طريقاً ذي مسارات متعددة.

(٢) في هامش الأصل: الزيمة هي من وادي نخلة اليمانية.

(٣) قوله: "إلى" مكرر في الأصل.

(٤) قوله: "في" زيادة من ما رأيت وما سمعت (ص: ١٢١).

(٥) في الأصل: القاضي. وقد صححت على الهامش بخط نصيف إلى: الفاضل.

(٦) في الأصل: ابن ظهيرة. وهو خطأ. وانظر: ما رأيت وما سمعت (ص:٧٣).

(٧) عين المعسل: ماء عذب فرات على منحدر جبل كرا مما يلي نعمان، يتوقف عنده المسافرون ويتزودون منه، وقد جف اليوم (معجم معالم الحجاز ١٩٧/٨).

طريقان، أحدهما: طريق البريد، أعني البغّالين والحمّارين ونحوهم، وهو يمرّ مشرقاً إلى عرفة، ثم إلى وادي نعمان، ثم إلى جبل كرا فيصعدونه، وبأعلاه قرية الهدا، جيدة الهواء، زاهية التربة، باهية المنظر قد يقيلون بها، ثم ينزلون إلى وادي قرن المنازل الذي هو ميقات أهل نجد، ويقال له عندهم: وادي المحرم؛ لإحرام الناس منه، وبه مسجد لطيف، ومنه إلى الطائف.

والآخر: طريق أهل الأثقال السائرين بعوائلهم، ويسمى: طريق اليمانية، وهو في الواقع شامي مكة، لكن سمي باليمانية لأن أول محطة فيه الموضع المسمى: نخلة اليمانية، وهي القرية المسماة الآن: بالزيمة[1].

أما نخلة الشامية: فهو قرية المضيق، الذي هو وادي الليمون، التي بها عين البردان[2]، ولكون الزيمة تعطلت عنها مدة من الزمن اتخذ الناس محطة بدلها قرية سَوْلَة[3] -بفتح السين منحواً بها نحو الضمة-، فالقافلة السائرة من مكة قاصدة الطائف من هذا الطريق بعمدان تتجاوز أعلام حدود الحرم إن أرادت الزيمة لا تمرّ على البرود، وهو اسم بئر أو موضع به البئر، يبعد نحو بريد عن مكة يمر عليه الحاج العراقي، بل تمرّ آخذة عنه يميناً، إلى أن تصل إلى ريع ما هو بالمرتفع جداً، فإذا جازته تصل الزيمة بعد ساعتين تقريباً، وإن أرادت سولة مرت

---

(١) الزَّيْمَة -الزيماء-: قرية قريبة من سولة بوادي نخلة اليمانية، تشتهر بكثرة بساتينها، على بعد ٤٥ كيلاً على طريق الطائف مكة القديم (انظر: معجم البلدان ٣/١٦٥، ومعجم معالم الحجاز ٤/١٥٠، ومعالم مكة ص: ١٢٤).

(٢) عين البردان: عين بأعلى نخلة الشامية من أرض تهامة، وبها عينان: البردان وتنضب. وعين البردان تعرف اليوم بعين المضيق (معجم معالم الحجاز ١/٢٠١).

(٣) سولة: قلعة على رابية بوادي نخلة، تحتها عين جارية ونخل، وهي لبني مسعود، بطن من هذيل (معجم البلدان ٩/٢٨٥). وقال البلادي في معالم مكة التاريخية (ص: ١٣٩): سولة: عين جارية بنخلة اليمانية أسفل من الزَّيْمة، عند مصب وادي سَبُوحة في نخلة اليمانية، وهي والزيمة قريتان بنخلة اليمانية.

بالبرود، وإن شاءت استقت من مائه وأخذت ما يكفيها للشرب يوم مقيلها في سولة، لأن مائها ما هو بالجيد، وبعد مرورها بالبرود بنحو ثلاث ساعات تعارضها ثلاث أرياع[١] تمرّها بأحمالها وركابها، إلا أن أحدها عال ربما نزل بعض الركاب فيه عن راحلته، ومن آخر الأرياع إلى سولة لا يبلغ ساعة، وهذه المرحلة إلى سولة أو إلى زيمة لا تزيد على اثنتا عشر ساعة، ومن أراد المضيق لا يمر الأرياع المذكورة، بل يأخذ عنها ذات الشمال ماراً في واد يسمى: وادي حرضة، ثم ينعطف يميناً حتى يأتي المضيق، ومرحلتها تزيد قليلاً، فإذا قالت القافلة فيها رحلت منها، وبعد نحو ساعة من سيرها منها تمرّ على الزيمة، ثم تظل سائرة في وادٍ عظيم يسمى: وادي اليمانية بتلك المناسبة، فإذا قطعته سيراً أتيت إلى موضع يسمى: البهيتاء[٢]، وتكون قد فارقت تهامة، فتسير صعوداً نحو ثلاث ساعات، فيجد الإنسان حينئذ لطيف الهواء، ويتخلص من أذى الحر، فتصل الموضع المسمى بالسيل، وهو المحطة الثانية، والسائر إليها من المضيق لا يمرّ على الزيمة ولا وادي اليمانية ولا على البهيتاء، بل يسير في وادٍ آخر متشاملاً حتى يعطف على السيل، وبين الطريقين الموضع الذي يقال أنه موضع سوق عكاظ، وهذه المحطة تستغرق عشر ساعات أو تزيد قليلاً فيما لو كان المسير إليها من المضيق، وليس بالسيل قرية سوى أنه يمر منه سيل وادي قرن وما ينضم إليه من

---

(١) في هامش الأصل: أرياع أو رعاع: ما يترله الناس.

(٢) البهيتاء -البُهَيْتة-: وتعرف أيضاً بالبَوْباة: وهي أرض مرتفعة من صدر نخلة اليمانية، أرضها بيضاء لينة كالبطحاء تبهت السائر فيها، ولذا سميت (البهيتة)، واسعة تتخللها بعض الأعلام، مثل: دمة، وكتف، وبعض الهضاب الصغار. والطريق منها يظهر على السيل الكبير (قرن المنازل)، وهي واقعة في ديار الثُبتة من بني سعد من عتيبة (معجم معالم الحجاز ١/٢٥٨).

الشعاب وتبقى به غدراناً في الغالب تكون نظيفة حديثة، ثم يمرّ منه السيل إلى وادي العقيق الذي يحرم منه الحاج العراقي، ويمرّون بعده على ذات عرق وعلى المضيق المذكور، ولا تقيل القافلة في السيل، بل ترحل منه قبل انتصاف النهار، [لتقطع][1] الريعان نهاراً، فإنها بعد سيرها منه بساعة تأتي ريعاً يسمى: ريع الزَّلاَّلَة[2]، ليس بالهين، وبعده بساعة تأتي ريعاً آخر يسمى: ريع الحِنْطة[3]، وهو ريع هين نسبة، وبعد ساعة تأتي ريع المَنْحُوت[4]، وتسير نحو ساعة، ثم تأتي ريع النبيعات، وليس جبلاً بل مضيقاً عسراً بين جبال تظل الإبل سائرة فيها بأحمالها نحو ساعة حتى تقطعه، فتخرج منه في شبه زقاق ضيق إلى وادٍ فسيح يسمى: السيل الصغير، وعند ذلك تكون قد قطعت خمس المرحلة هذه.

وغالباً تقف القافلة هناك لصلاة المغرب والعَشاء -بفتح العين-، ثم تسير مارة أثناء سيرها على مجاري السيول المتصلة بالسيل الصغير إلى أن تأتي ريعاً صغيراً يسمى: الأديرع، ثم تمرّ سائراً في سهول تسمى: خرم القُمَيْع[5]، إلى أن تأتي أول قرى الطائف أم الحمض، ثم القُدَيْراء[6] -بالتصغير-، ثم

---

(١) في الأصل: لنقطع.

(٢) ريع الزلالة: هو الريع الذي تخرج فيه من السيل الكبير إلى الطائف، وهو أول المناقب مما يلي مكة، أهله الثبتة من برقا من عتيبة (معجم معالم الحجاز ٤/١٣٧).

(٣) ريع الحنطة: بين وادي رَكَك والسيل الكبير (معجم معالم الحجاز ٤/١١٥).

(٤) ريع المنحوت: ريع بين السيل الكبير والسيل الصغير، بين واديي طلح وركك يأخذه الطريق، وهو على بعد ٤٢ كيلاً شمال الطائف (معجم معالم الحجاز ٨/٢٨٢).

(٥) القميع: جبيل صغير شمال الحوية في رأس وادي ريّحة، غرب بلدة السيل الصغير مع ميل إلى الجنوب (معجم معالم الحجاز ٧/١٦٠-١٦١).

(٦) القديراء -القديرة-: قرية صغيرة على يسار الطريق الخارج من الطائف إلى الرياض شمال الطائف على ١٠ أكيال، تشرف على بروث ذات مناظر جميلة يتنزه فيها المصطافون (معجم معالم الحجاز ٧/١٠٠).

لُقَيْم[١]، ثم المليساء[٢]، ثم شبرا والعقيق[٣]، ثم الطائف، وهذه المرحلة من السيل إلى الطائف لا تزيد على ست عشرة ساعة بسير الإبل. فمجموع المسافة بين مكة والطائف من طريق اليمانية ثمانٍ وثلاثون ساعة بسير الإبل، ولو سير بالحمير والبغال لا تبلغ عشرين ساعة، ولكنهم لم يتعودوه لعدم وجود المقاهي بهذه الطريق التي يسمونها: غُرَز -بضم ففتح، جمع [غرزة][٤]، أي موضع يترل فيه للراحة قليلاً-، بخلاف طريق جبل كرا، فإنه به غُرَزاً عديدة، ومسافته بالحمير والبغال نحو خمس عشرة ساعة، فإن من مكة إلى الكُرّ -بوزن بُرّ- قاع جبل كرا من جهة تهامة نحو ثمان ساعات، والغُرَز فيه: منى، فعرفة، فشداد -كمداد-، فالكر، ويصعد منه إلى الهدا في نحو ثلاث أو أربع ساعات، ثم من الهدا إلى الطائف مثلها.

أما لو أريد المسير في هذا الطريق بالجمال وقد يحتاج إليه، فمن مكة إلى الكُرّ مرحلة واحدة تستغرق نحو خمس عشرة ساعة، ثم يترل الركاب عن الجمال ويصعدون الجبل مشياً أو تحضر لهم حمير أو بغال أو أسرَّة، تحملهم فيها أشخاص بالتناوب، يصعدون من الطريق المعتاد لأهل البغال، والجمال تصعد بأحمالها من طريق آخر تسلكه الجمال، لكن لا بالحمل الثقيل، ولا يركب فيه

---

(١) لقيم: إذا تجاوز عقيق الطائف بلدة الطائف سمي لقيماً، فأعلاه لقيم الأعلى، وأسفله لقيم الأسفل (معجم معالم الحجاز ٧/٢٦٣).

(٢) في الأصل: ليساء. وقد صححت على الهامش بخط نصيف إلى: المليساء.

(٣) العقيق: وادٍ يأخذ من جبل الغمير الذي يظلل الطائف وقت الأصيل، ثم يمر بطرف الطائف من الغرب والشمال، وعليه أحياء من الطائف، ثم يعدل شمالاً، وفيه قرى منها: المليساء، ولقيم، وأم الحمضة (معجم معالم الحجاز ٦/١٣٠).

(٤) في الأصل: عرزة.

قطعاً، في نحو خمس ساعات، وتقيل في الهدا، وتهبط بحمولها إلى قاع الجبل من جهة الطائف في نحو ساعة، فيركبون ويسيرون نحو سبع أو ثمان ساعات، فيرون الطائف، وبذلك يتبين أن ارتفاع كرا من جهة تهامة أكثر منه بكثير من جهة نجد، ولذا يعدون قرية الهدا مرتفعة [عن][1] سطح البحر بنحو ألفي متر، ومن مكة بنحو مائتي متر، والطائف نحو ألف وسبعمائة. والله أعلم.

فائدة:

ذكر الفاضل صادق باشا في كتاب دليل الحج[2]: أن مكة مرتفعة عن بحر جدة بمقدار (٩٣٠) قدم، (٢٧٩) متر.

عرفة (١٠٥٠) قدم، (٣١٥) متر.

عين زبيدة (١١١٤)، قدم (٣٣٤) متر.

الوادي أول الجبل (١٧٦٠)، قدم (٥٢٨) متر.

الكر (٢٧٤٠) قدم، (٨٢٢) متر.

الهدا (٥٨٦٠) قدم، (١٧٥٨) متر.

الطائف (٥١٥٠) قدم، (١٥٤٥) متر.

وكل عشرة أقدام تساوي ثلاثة أمتار. انتهى.

الفصل الثاني: فيما ورد في فضل الطائف

أورد الحافظ السيوطي رحمه الله في الجامع الصغير من رواية الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن جعفر، عن النبي ﷺ: « أول من أشفع له من

(١) في الأصل: من.
(٢) دليل الحج (ص: ٣٥٢).

أمتي أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل الطائف»[١].

وروى الأزرقي في تاريخه[٢] عن محمد بن المنكدر، عن النبي ﷺ قال: « لما وضع الله الحرم نقل إليه الطائف من الشام ».

وعن الزهري أنه قال: « إن الله عز وجل نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف، لدعوة إبراهيم خليل الله قوله:﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة:١٢٦]»[٣].

وعن سعيد بن[السائب][٤]بن يسار قال: سمعت بعض ولد نافع بن جبير بن مطعم وغيره يذكرون أنهم سمعوا: « لما دعا إبراهيم لمكة أن يرزق أهله من الثمرات، نقل الله عز وجل أرض الطائف من الشام فوضعها هنالك، رزقاً للحرم »[٥]. انتهى.

وفي كتاب تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج الطائف للإمام جار الله ابن فهد[٦]: روى الإمام العمدة أبو الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي في تاريخ مكة[٧]: أن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لما قال:﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم:٣٧] ، بعث الله عز وجل لدعوة إبراهيم جبريل عليه السلام من ليلته،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/٢٣٠) من حديث عبد الملك بن عباد بن جعفر. قال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير: ١٣٨/٢: ضعيف.
(٢) الأزرقي (٧٧/١)، وإسناده ضعيف جداً.
(٣) أخرجه الأزرقي (٧٧/١)، وابن أبي حاتم (١/٢٣٠)، وإسناده ضعيف جداً وهو مرسل.
(٤) في الأصل: المسيب. والمثبت من الأزرقي (٧٧/١). وانظر: التقريب (ص:٢٣٦).
(٥) أخرجه الأزرقي (٧٧/١)، وإسناده ضعيف جداً.
(٦) تحفة اللطائف (ورقة ٣-٥).
(٧) لم أقف عليه في المطبوع من الأزرقي.

وقلع الطائف من الشام من تخوم الثرى بعيونها وأثمارها [ومزارعها][1]، وأمره أن يغرس الطائف، وكان [لها][2] اسم غير الطائف، فطاف بها بالبيت سبعاً ووضعها مكانها اليوم، فسميت الطائف، لأنها طيف بها البيت سبعاً)).

وورد في الأحاديث أن النبي ﷺ [حرّم][3] للطائف حرماً وألحقها بمكة والمدينة في الحرمة والشرف، وكفى بهذا شرفاً للطائف.

وروى صاحب المصابيح[4]: أن رسول الله ﷺ قال: ((وَجّ حرم الله عز وجل)).

وروى غيره أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله عز وجل أمرني أن أقدس وَجّاً فقدّسوها، ألا لا يختلى خلاها، ولا يعتضد شجرها، ولا ينفّر صيدها))[5].

قال الإمام الرافعي في الشرح الكبير: ورد النهي عن صيد وَجّ الطائف، وهو وادٍ بصحراء الطائف، وليس المراد نفس البلاد.

قال الشافعي رحمه الله: أكره صيده.

---

(١) في الأصل: ومزروعها. والمثبت من تحفة اللطائف (ورقة ٤).

(٢) في الأصل: له. والتصويب من تحفة اللطائف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: حرمه حرمه. والتصويب من تحفة اللطائف (ورقة ٥).

(٤) لم نقف على هذا الحديث في المصابيح، ولكن هناك حديث آخر أورده البغوي (١٣٦/١) ونصه: وروي عن الزبير، عن رسول الله ﷺ : ((أن صيد وج وعضاهه حرام محرم))، ووج ذكروا أنها ناحية من الطائف (هامش إهداء اللطائف ص:٤٦).

(٥) ذكره ابن فهد في تحفة اللطائف (ورقة ٥)، وسيأتي حكمه.

وقال شيخ الإسلام أبو زكريا النووي رحمه الله في الروضة: وَجّ وادٍ بصحراء الطائف، وصيده حرام على المذهب، وقيل: في تحريمه وكراهته خلاف. فعلى التحريم قيل: حكمه في الضمان كحرم المدينة، والصحيح الذي قطع به صاحب التلخيص، والأكثرون: أنه لا ضمان فيه قطعاً.

وروى شيخ شيوخنا الحافظ قاضي القضاة تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي رحمه الله في الباب السادس من كتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام[1] بسنده إلى الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من لِيَّة[2] -قال الحُمَيْدي: مكانٌ بالطائف- حتى إذا كنّا عند السدرة، وقف رسول الله ﷺ عند طرف القرن الأسود حذوها، فاستقبل نَخِباً -قال الحُمَيْدي: مكان بالطائف- ثم وقف حتى أقبل الناس، ثم قال: « إن صيد وَجّ الطائف وعضاهه [حرم محرم لله][3] عز وجل »، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً.

ثم قال بعده: روينا هذا الحديث هكذا في [الأول من مشيخة الفسوي][4] عن الحُمَيْدي، وهو في سنن أبي داود[5] ومسند أحمد بن حنبل[6]، وإسناده ضعيف على ما قاله النووي، وقال: قال البخاري: لا يصح.

---

(١) شفاء الغرام (١/١٦٨).

(٢) في هامش الأصل: لِيَّة: تبعد عن الطائف جنوباً بشرق نحو ساعتين لراكب الدواب، وبالسيارة أربعين دقيقة أو أقل. وكتبه: محمد نصيف.

(٣) في الأصل: حرام بحرم الله. والمثبت من شفاء الغرام (١/١٦٨).

(٤) في الأصل: الأصل من نسخة النسائي. والمثبت من شفاء الغرام (١/١٦٨).

(٥) سنن أبي داود (٢/٢١٥).

(٦) مسند أحمد (١/١٦٥).

وفي كتاب طيف الطائف: قال المحب الطبري[١]: ونَخِب -بفتح النون وكسر الخاء المعجمة-: وادٍ بالطائف، وقيل: بأرض هذيل.

قال النووي في شرح المهذب[٢] في شرح قوله: "أنه واد بالطائف": كذا قال غيره [من أصحابنا][٣] الفقهاء. أما أهل اللغة فيقولون: هو بلد الطائف. انتهى.

قلت: ويشهد له عبارة غير واحد، منهم الفاسي في شفاء الغرام.

ووَجّ -بفتح الواو وتشديد الجيم- قيل: هو أرض الطائف نفسه، سمّي بوَجّ بن عبدالحق، من العمالقة.

قلت: قال السهيلي: حوَّط له مواليه هذه القرية فسمّيت باسمه، فضبطوا له واد بها ما بين بناء الصخور، وشيّدوا له بها القصور، وغرسوها أشجاراً، وفجّروها أنهاراً، وكان رجلاً نجدياً.

وقال صاحب المطالع: الطائف هو وادي وَجّ.

وذكر الحافظ السخاوي في بلدانياته: وَجّ: موضع بناحية الطائف، وقيل: اسم لحصونها.

وفي المواهب اللدنية[٤]: واسم الأرض وَجّ، والأقرب أنه بعضه وجزء منه، كما يدل له كثير من كلامهم. انتهى.

قال: وأخبرني طائفة من أهل وَجّ الطائف، أن عرض وَجّ من أسفل الجبل المسمى: بالمدهون، إلى نحو الجبل المسمى: بأم السكارى، وهذا وإن لم يجزم به،

---

(١) القرى لقاصد أم القرى (ص:٦٦٦).
(٢) المجموع (٣٩٤/٧).
(٣) في الأصل: وأصحابنا. والتصويب من المجموع، الموضع السابق.
(٤) المواهب اللدنية (٢١٤/١) ط، الشرفية ١٣٢٦هـ.

فيحتاطُ بترك الصيد فيه ونحوه، كما منعه الشرع ونُهي عنه.

وأما طول وَجّ فلا يكاد يعرف انتهاؤه، نعم مشهور عند أهل وَجّ أن حَدّ الحرم الممتنع فيه الصيد ونحوه من الجبل المحترق إلى الجبلين الأصيحرين اللذين هما خلف قبة الحبر ابن عباس رضي الله عنهما إلى جهة [لُقَيْم][١]، وكلام الحال إنما يستأنس به فقط لا أن يثبت حكماً شرعياً، والاحتياط لا يخفى. انتهى.

وفي إهداء اللطائف من أخبار الطائف[٢]: ولما قدم على النبي ﷺ وفد ثقيف كتب لهم [كتاباً][٣] هذا نصه: « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المؤمنين، إن عضاة وَجّ وصيده لا يعضد، ومن وجد من يفعل من ذلك شيئاً فإنه يجلد [وتنزع][٤] ثيابه، فإن تعدى ذلك فإنه يوخذ فيبلغ محمداً ﷺ ، وإن هذا أمر النبي محمد ﷺ ، [وكتب][٥] خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبدالله، فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ » رواه ابن هشام في سيرته[٦] وغيره. انتهى.

وذكر الفاسي في شفاء الغرام[٧] نقلاً من كتاب بهجة المُهَج في بعض فضائل

---

(١) في الأصل: تقيم. وهو خطأ سبق تصويبه.

(٢) إهداء اللطائف (ص:٤٧).

(٣) في الأصل: كتاب. والتصويب من إهداء اللطائف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: ويترع. والتصويب من سيرة ابن هشام (٢٢٩/٥)، وإهداء اللطائف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: وكتبه. والتصويب من سيرة ابن هشام وإهداء اللطائف، الموضعان السابقان.

(٦) سيرة ابن هشام (٢٢٨/٥-٢٢٩).

(٧) شفاء الغرام (١٧٠/١).

الطائف ووج[1] للميورقي[2]: قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١]، [قالوا][3]: هما مكة والطائف، فقرن الله جل جلاله الطائف ببيته، وفي ذلك غاية الفخر [الذي][4] تعجز العبارة عن كنهه وقدره وماهيته. انتهى[5].

الفصل الثالث: في وصف الطائف

وذكر قراه، وآباره، وعيونه، وجباله، وحصونه

وفيه مقالتان:

المقالة الأولى: في وصف الطائف

قال في إهداء اللطائف[6]: قال في القاموس[7]: الطائف بلاد ثقيف، أول قُراها: لُقَيْم[8] وآخرها: الوَهْط[9]، وهو من أرض الحجاز.

قال الفاكهي في تاريخ مكة[10]: وهو من مخاليف مكة. انتهى.

---

(١) في هامش الأصل: وفي عصرنا يقول الناس: سال سيل وجه، [ويقصدون]١ الوادي الذي يسيل من المثناة إلى خنف مسجد ابن عباس، وهو بين بلدة الطائف وحوايا. وكتبه: محمد نصيف.

١- في الأصل: ويقصدن.

(٢) بهجة المهج (ص:٢١-٢٢).

(٣) في الأصل: قال. والتصويب من بهجة المهج (ص:٢٢).

(٤) في الأصل: التي. والتصويب من بهجة المهج، الموضع السابق، وشفاء الغرام (١/١٧٠).

(٥) انظر: تحفة اللطائف (ورقة ١٠).

(٦) إهداء اللطائف (ص:٣٨).

(٧) القاموس المحيط (ص:١٠٧٧).

(٨) في الأصل: تقيم. وقد صححت على الهامش بخط نصيف إلى: لقيم.

(٩) الوهط: قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وج كانت لعمرو بن العاص (معجم معالم الحجاز ٩/١٥٠-١٥١).

(١٠) الفاكهي (٣/١٩١).

وكان في القديم للعمالقة، ثم نزلها ثمود، ثم سكنها ثقيف، وهي إلى الآن دارهم، سميت به؛ لأنها طافت على الماء في الطوفان، أو لأن جبريل عليه السلام طاف بها على البيت، أو لأنها كانت بالشام فنقلها الله تعالى إلى الحجاز لدعوة إبراهيم عليه السلام، أو لأن رجلاً من الصَّدِف[1] أصاب دماً بحضرموت، ففر إلى وَجٍّ وحالف مسعود بن مُعتِّب بن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف -وكان له مال عظيم-، فقال: هل لكم في أن أبني طوفاً عليكم -أي حائطاً. اهـ منجد- يكون ردءاً من العرب؟ فقالوا: نعم، فبناه، وهو الحائط المطيف به. انتهى.

وفي طيف الطائف: قال في القاموس[2]: الحجاز: مكة، والمدينة، والطائف، واليمامة ومخاليفُها، [لأنها][3] حَجَزَت بين نجد وتهامة.

والطائف: بلد بالحجاز من أعمال مكة المشرفة على يومين منه، قيل: بينهما ستون ميلاً، نُسب إليها كثير من العلماء، وهي مدينة صغيرة منحصرة، مياهها عذبة، وهواؤها معتدل صحيح، وضياعها متصلة، باردة الماء، كثيرة الفواكه.

وقال الشيخ مظفر الدين الأمشاطي الحلبي: ومن الحجاز: الطائف، وهي

---

(١) قال ابن حزم في الجمهرة (ص:٤٦١): والصدف هم بني حضرموت، وهو الصدف بن أسلم بن زيد بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت.
ويذكر ياقوت في معجم البلدان (٩/٤): أن اسم الرجل الصدفي: الدمون بن عبد الملك، ويضيف نقلاً عن هشام: وبعض ولد الدمون بالكوفة ولهم بها خطة مع ثقيف، وكان قبيصة من الدمون هذا على شرطة المغيرة بن شعبة إذ كان على الكوفة (هامش إهداء اللطائف ص:٣٨).

(٢) القاموس المحيط (ص:٦٥٣).

(٣) في الأصل: كأنها. والتصويب من القاموس المحيط، الموضع السابق.

مدينة صغيرة، وهي على ظهر جبل قريب[1] من مكة، فيها فواكه ومياه جارية، ويجمد فيها الماء. انتهى.

وفي المنتقى في أخبار أم القرى[2]: وأما الطائف فهي من مخاليف مكة، وهي بلد طيب الهواء، بارد الماء، كان له خَطَرٌ[3] عند الخلفاء فيما مضى، وكان الخليفة يوليها رجلاً من عنده، ولا يجعل ولايتها إلى صاحب مكة. انتهى.

وقال الزركلي[4]: الطائف: هو اسم عام لجميع ما يدخل في حدوده من قرى ومزارع وأودية، وقد كانت هذه البلدة قرية أنشئت حديثاً بعد سنة ألف للهجرة على أثر خراب قرية السلامة القريبة منها، ثم اتسع بنيانها، وكانت تدعى: قرية الهضبة، ولما كبرت تنوسي هذا الاسم، وأطلق الناس عليها اسم: الطائف، كما يطلق اسم الشام على دمشق، والشام هي سورية كلها. انتهى.

وفي إهداء اللطائف[5]: قرية الهضبة: وهي الآن كثيرة البيوت جداً، وابتداء عمارتها بعد الألف، إلا أن ازدياد [وكثرة][6] البيوت بها منذ خربت السلامة في حدود الأربعين[7].

---

(١) في هامش الأصل: قريب: بل تبعد عن مكة للماشي وراكب الجمال ثلاثة أيام، وبالسيارات "الأتومبيل" خمس ساعات. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) المنتقى في أخبار أم القرى (ص:٧٦). وانظر: الفاكهي (١٩١/٣)، ونشر اللطائف في قطر الطائف (ص:٢٤).

(٣) أي: مكانة واهتماماً.

(٤) ما رأيت وما سمعت (ص:١١٦).

(٥) إهداء اللطائف (ص:٨٧).

(٦) في الأصل: كثرة. والمثبت من إهداء اللطائف، الموضع السابق.

(٧) أي في حدود الأربعين بعد الألف.

وفي الرحلة الحجازية للشيخ محمد بن سليم الشهابي المخزومي المدني: الطائف: بلدة صغيرة، مزيّنها ومحلّيها ضريح سيدنا عبدالله بن عباس[١]، [وبقرب][٢] منه قريب السور بساتين متصلة، وبعد نصف ساعة عين المَثْنَا[٣]، فيها بساتين أنشأها المرحوم الشريف غالب، فيها من جميع أشجار الفواكه، ومقابلها شاماً بستان يسمى: البهجة، إيجاد[٤] المرحوم الشريف عبدالمطلب، وهو مرتب بالغرس من الأشجار والفواكه والأثمار والزهورات[٥]، وفي أوسطه منتزه[٦] وحوض بشذروان، ومحفوف بالرياحين، وبين البهجة والمثنا لهما قصر مشيد بأربع جهات، شاماً يطل على الطائف، وغرباً يطل على الوادي المتصل بجبل بني مخزوم يسمى: حنين، وهناك مدفون الشهيد سيدنا عكرمة. وأجود فواكه المثنا: الخوخ.

وشرقي الطائف على باب البلد قصر من أجمل ما يرى، وينتزه به، لسيدنا الشريف عون، ودار بحذائه من أجمل الدور للشريف عبدالإله باشا، ومتصلاً بالسور شرقاً إلى ما شاء الله بستان بعين جارية، وآبار إيجاد[٧] الشريف عبدالله ابن محمد بن عون، ومنه البستان المسمى بشبرة، وهو المنتزه، مغروس بالأشجار

(١) في هامش الأصل: هواء الطائف البارد وفواكهها اللذيذة وبساتينها النضرة وماؤها العذب هي التي زينتها وحلّتها، ورضي الله عن صاحب الضريح وعن جميع الصحابة ونحن معهم آمين. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) في الأصل: ويقرب.

(٣) عين المثناة: عين يضرب بها المثل في تدفق المياه والغزارة، أجريت لسقي الطائف (معجم معالم الحجاز ٨/٢٢).

(٤) صححت بخط الشيخ محمد نصيف بين الأسطر إلى: أحدثه.

(٥) صححت بخط الشيخ محمد نصيف بين الأسطر إلى: والأزهار.

(٦) في هامش الأصل: محل مشرف على البحر يجلس الناس فيه لرؤيته.

(٧) صححت بخط نصيف بين الأسطر إلى: أحدثها.

والأثمار والأزهار والرياحين، ويحف البستان على الدائر نخل.

وأجود فواكه شبرا: التين، والتوت، ومن يمن جنوب[١] بساتين تسمى: لِيَّة، وأجود ما فيها الرمّان، في غاية الكبر والحلاوة، وفيه جنس من الرمان ليس في داخل حبها بزر، وهناك شجرة عظيمة من القديم محفور بطنها بخلقة الرحمن، تنصب في بطنها السفرة، ويجلس على دائرها اثنى عشر نفر مع الاتساع، فسبحان الخلّاق العظيم.

ومن شامي الطائف على طريق الجبل وادي قرن، وهو بساتين فواكه، وأجود ما فيه العنب. انتهى.

فائدة: في ذكر سور الطائف وحاراته وسكانه

أما أسواره؛ فقال العلامة الزركلي[٢]: أحيط الطائف بسور يضم داخل البلدة من جميع أطرافها، وليس هذا بالحائط الذي يقال إن الطائف [سمّي][٣] لإطافته به منذ عرفت هذه الديار في العصور الغابرة، بل إن ذلك قد اندرس، وأقيم هذا بعد عام الألف حول أكبر قرية في ديار الطائف، وما برح الأمراء والأشراف وغيرهم يتعهدونه بالإصلاح والترميم والبناء حتى بقي إلى الآن حافظاً مكانه.

---

(١) في هامش الأصل: وجنوب بشرق بساتين وادي لية.

(٢) ما رأيت وما سمعت (ص:١١٣-١١٥).

(٣) في الأصل: مسمى. والتصويب من ما رأيت وما سمعت (ص:١١٣).

ولسور الطائف ثلاثة أبواب تغلق كل يوم بعد الغروب[1]، ويجوز أن تفتح إلى الساعة الثالثة من الليل لفريق مخصوص من الناس، أو لمن كان معروفاً لدى الشرطة حفظة الأبواب.

وأما بعد الثالثة فقلّ أن تفتح لأحد. والأبواب الثلاثة هي:

باب الحزم: وهو الشرقي الموصل إلى شبرا.

والثاني: باب الريع: وهو الغربي الموصل إلى السلامة[2] والمثناة.

والثالث: باب ابن عباس: وهو بجانب مسجد ابن عباس، يقع على الجهة الجنوبية إلى القرب من الطائف.

وهذه الأبواب يرجع عهدها إلى زمن بناء السور على الغالب، وقد جددت عمارته قبل قدوم محمد علي باشا المصري إلى الحجاز، وكان قدومه سنة ١٢٢٨هـ، وبقيت الأبواب تعرف بأسمائها إلى اليوم.

وأما حارات الطائف، فثلاث:

الأولى: حارة فوق: وهي وراء باب الريع للداخل على البلدة.

والثانية: حارة أسفل: وهي مسكن الأمراء والأشراف، وتقع خلف باب الحزم.

والثالثة: حارة السليمانية: وهي على مقربة من باب ابن عباس، يراها الداخل من هذا الباب على يمينه.

وأوسع هذه الحارات وأكثرها سكاناً: حارة أسفل، ثم حارة فوق، ثم حارة

---

(١) في هامش الأصل: بعد الغروب هذا في زمن رحلة الأستاذ الزركلي في مدة حكم الملك الشريف الحسين خوفاً من هجوم أهل نجد على الطائف، أما سابقاً فبعد العشاء، وأما الآن فطول الليل والأبواب مفتوحة والحمد لله. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) في هامش الأصل: وقروة.

السليمانية. وقد تخرب في أيام الثورة الأخيرة على الترك كثير من بيوت حارة أسفل.

وكانت منازل الطائف قبل الحرب تناهز ألفاً وخمسمائة منزل. وفي أوائل الحرب اشتدت أزمة العيش فيه فبرحه بعض سكانه، ثم كانت الثورة فتهدم جانب عظيم من القصور والأبنية، وتداعى جانب غير يسير مازال إلى اليوم يراه الناظر شاخصاً في الفضاء، وقد جرّد من الأثاث والبلور، وتباعد عنه الناس مخافة سقوطه، فلا أصحاب هذه المنازل يعنون بها فيعمروها، ولا هي تسقط فيستفاد من أرضها. وقد أخبرني رئيس بلدية الطائف أن الدور العامرة الآن المسكونة قد لا تزيد عن ألف دار.

وأما سكان بلدة الطائف عدا القرى المحيطة بها والقبائل الضاربة قريباً منها أو بعيداً عنها، فهي الآن لا تقل عن خمسة آلاف، وربما كان عدد الراحلين عنها قبل الثورة يقارب عدد الباقين اليوم. انتهى ما ذكره الزركلي.

المقالة الثانية: في ذكر قرى الطائف، وآباره، وعيونه، وجباله، وحصونه

قال العلامة الشيخ حسن العجيمي رحمه الله في إهداء اللطائف[1]: اعلم أن الطائف بلدة واسعة تشتمل على قرى وحصون وعيون وآبار [ومزارع][2] ومساجد.

أما القرى، فمنها: لُقَيْم[3]: -وهي على وزن زُبير- قرية كبيرة مشتملة

(١) إهداء اللطائف (ص:٨٥).

(٢) قوله: "ومزارع" زيادة من إهداء اللطائف (ص:٨٥).

(٣) لقيم: إذا تجاوز عقيق الطائف بلدة الطائف سمي لقيماً، فأعلاه لقيم الأعلى، وأسفله لقيم الأسفل (معجم معالم الحجاز ٧/٢٦٣).

على بساتين ومزارع وآبار، وهي أول قرى الطائف من الجهة الشامية، وهي مسكن جماعة من ثقيف يقال لهم: الحمدة، وقد قتل صناديدهم مولانا الشريف زيد بن محسن صاحب مكة في حدود الأربعين بعد الألف، لخروجهم عن طاعته؛ بحيث إنهم حاصروه في حصنهم بها. ومن الاتفاقيات أنهم جمعوا البارود في موضع واحد، وصار كل منهم يأخذ كفايته، فبينما هم كذلك إذ طارت شرارة فاحترق الحصن وجماعة فيه، وهرب الباقون، فمنهم من قتل، ومنهم من انقاد للطاعة ذليلاً.

وأفاد الميورقي(١): أن الشريف قتادة جدّ أشراف مكة قَتل مشايخ ثقيف بدار [بني](٢) يسار من قرية لقيم، وكان منهم حُمران الثقفي العوفي، فنهبت القرية، وكان من جملة ما نهب: كتاب رسول الله ﷺ لثقيف، وكان عند حمران الثقفي؛ لكونه شيخ [قبيلته](٣).

قال: أخبرني بذلك ولده تميم بن حمران، وكانت هذه القتلة في ثالث عشر جمادى سنة ثلاث عشرة وستمائة. وممن قتل فيها قاضي الطائف [عيسى](٤). انتهى.

ونقل النجم ابن فهد في تذكرته عن خط الميورقي: أن في قرية لقيم قبر بعض الصحابة المبشرين بالجنة. والله أعلم.

---

(١) بهجة المهج (ص:٢٥).
(٢) في الأصل: ابن. والمثبت من بهجة المهج، الموضع السابق.
(٣) في الأصل: قبيلة. والتصويب من بهجة المهج، الموضع السابق.
(٤) كذا لدى الميورقي (ص:٢٥) الذي ينقل عنه المؤلف. وفي الأصل: يحيى بن عيسى. وهو خطأ. ويذكر الفاسي في العقد الثمين (٤٦/٧) وهو ينقل عن الميورقي: قال قاضي الطائف يحيى بن عيسى: قُتِلَ أبي (عيسى) رحمه الله في هذه النوبة بقرية لقيم، لثلاث عشرة من جمادى سنة ثلاثة عشرة وستمائة.

وقال الزركلي[(١)]: لقيم: وادٍ طويل خصيب، يجتاز في أقل من ساعتين، أوله مزارع [الشدايين][(٢)] بعد المليساء، وآخره قرية الصفاة، وهو كثير القرى والمزارع.

ومنها: المليساء[(٣)]: ذكرها في القاموس[(٤)]، [وفيها بيوت وحولها بساتين وآبار، وهي][(٥)] الآن قرية[(٦)].

وقال الزركلي[(٧)]: إنها قرية كبيرة من قرى الطائف، قبل وادي لُقَيم[(٨)] للذاهب إليه، يسكنها جانب كبير من عشيرة الحمدة، فيها نحو ستين مترلاً، ورجالها نيف ومائة، وهي مشهورة في قرى الطائف بجودة سفرجلها، وفيها كروم عنب ومزارع حنطة وشعير.

ومنها: أم خُبْز[(٩)] -بضم الخاء وسكون الموحدة بعدها زاي-: ذكرها في

---

(١) ما رأيت وما سمعت (ص: ١٤٠).

(٢) في الأصل: الشدابين. والتصويب من ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق.

(٣) المليساء: حصن بالطائف (القاموس المحيط ص: ٧٤٢)، وهي الآن قرية، وفيها بيوت وحولها بساتين وآبار (إهداء اللطائف من أخبار الطائف ص: ٨٦).

(٤) القاموس المحيط (ص: ٧٤٢).

(٥) في الأصل: وفيه بيوت وحوله بساتين وآبار، وهو. ذكرها بصيغة المذكر. والمثبت من إهداء اللطائف (ص: ٨٦).

(٦) إهداء اللطائف (ص: ٨٦).

(٧) ما رأيت وما سمعت (ص: ١٤٢).

(٨) إذا تجاوز عقيق الطائف بلدة الطائف سمي لُقيماً، فأعلاه لقيم الأعلى، وأسفله لقيم الأسفل، ومن قرى لقيم: المليساء، وأم حمضة، والقديرة، وغيرها، وهو واد زراعي تكثر فيه الأعناب والرمان والخضار، وجل ملكه للأشراف العبادلة (معجم معالم الحجاز ٢٦٣/٧).

(٩) أم خبز: حي من الطائف، بين العقيق ووادي وج، شمال شبرة، سميت اليوم الفيصلية (معجم معالم الحجاز ١٠٣/٣).

القاموس[١]. وتسمى الآن قرية الخدّام؛ لسكن خدام ضريح سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بها، وهي في جبل تحتها مزارع وبساتين وآبار.

وبالقرب منها موضع يسمى: قَمْلَة[٢]، كانت فيه عين فانقطعت، وبه الآن بستان.

وموضع يسمى: الجال[٣] -بالجيم-، وفيه [بساتين][٤] ومزارع.

وموضع يسمى: الجُفَيْجِف[٥]، بسفح جبل عليه آثار حصن، وهو من أملاك بعض ذرية الشيخ عمر العرابي.

وقال الزركلي[٦]: أم خُبْز: مزارع بعد شبره فيها بساتين قليلة.

ومنها: العقيق[٧]. قال في القاموس[٨]: هو موضع بالطائف، ويطلق أيضاً على مواضع أخر بالمدينة وغيرها، وفيه بساتين ومنازل للحمدة، وعلى جبله الذي بينه

---

(١) القاموس المحيط (ص:٦٥٦).

(٢) قملة: قرية على ضفة وادي وج الشرقية مجاورة لقرية الجال، جنوب جبرة (معجم معالم الحجاز ١٦٠/٧).

(٣) الجال: في الأصل طرف وج من الشرق إذا تجاوز الشهداء، ذلك أن جال الوادي ضفته، ويطلق الاسم اليوم على ناحية كبيرة شملها العمران هناك (معجم معالم الحجاز ١٠٨/٢).

(٤) في الأصل: بستان. والمثبت من إهداء اللطائف (ص:٨٦).

(٥) الجفيجف: قرية على رأس جبل صغير بطرف وادي وج من الشرق، عندما يتجاوز الطائف، تشرف على جبرة من الجنوب (معجم معالم الحجاز ١٥٥/٢).

(٦) ما رأيت وما سمعت (ص: ١٣٠).

(٧) العقيق (عقيق الطائف): واد يأخذ من جبل الغمير الذي يظلل الطائف وقت الأصيل، ثم يمر بطرف الطائف من الغرب والشمال، وعليه أحياء من الطائف، ثم يعدل شمالاً، وفيه قرى منها: المليساء، ولقيم، وأم الحمضة، فإذا وصل إلى الحوية سمّي شَرِب، وملاّكه الأشراف وخاصة العبادلة، وفيه أخلاط من عتيبة والحمدة من ثقيف ملاّكه الأصليين (معجم معالم الحجاز ١٣٠/٦-١٣١).

(٨) القاموس المحيط (ص:١١٧٥).

وبين قرية الهَضْبَة[١] حصن يقال له: حصن الدعوسي، رجل من [ثقيف][٢].

وقال الزركلي[٣]: العقيق: قرية أقرب إلى الصغر، موازية لشبرة على غربها.

وفي بعض كتب التاريخ: أنها قرية المقداد بن الأسود الصحابي. وبها ثلاث آبار: بئر المقداد، وبئر الزبير، وبئر عكرمة، وقد قلّت مياه هذه الآبار الآن، وجفّ بعضها.

ومنها: قرية السَّلاَمة[٤]: وهي كثيرة البيوت والبساتين، وبها عين، ولا أعلم متى كان ابتداء عمارتها، [إلا أنها][٥] كانت معمورة في أوائل القرن التاسع، وبها كان يترل أعيان مكة وفضلاؤها، بل غالب أهلها، ثم خربت في حدود الثمانين، وتحول أهلها عنها، ولم يبق بها منهم إلا القليل، وانهدمت بيوتها في مدة يسيرة، وصارت عِبْرة، ولا حول [ولا قوة][٦] إلا بالله.

---

(١) الهضبة: قرية ذكرها العجيمي في زمنه -القرن العاشر- وقال: إن نزلها كثر بعد خراب قرية السلامة. قال البلادي: هي أكمة صخرية أصبحت اليوم وسط الطائف، بنيت عليها قلعة في عهد الأتراك ثم هدمت، ويسمى مكانها باب الريع، لأنه ريع يفرز الهضبة، وكان به باب لسور الطائف، وهو اليوم سوق عامرة (معجم معالم الحجاز ١٧٨/٩-١٧٩).

(٢) في الأصل: ثقيفة. والتصويب من إهداء اللطائف (ص:٨٧).

(٣) ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٩).

(٤) السلامة: من قرى الطائف، كثيرة البيوت والبساتين، وبها عين، وكان يترلها أعيان مكة وفضلاؤها بل غالب أهلها، وضربت في سنة ١٠٨٠هـ، وانهدمت بيوتها في مدة يسيرة، ولم يبق منها إلا القليل، وأصبحت عبرة لمن يعتبر (إهداء اللطائف من أخبار الطائف ص:٨٧). وفي معجم معالم الحجاز (٢١٨/٤): أنها حي من أحياء الطائف، بها مسجد ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في الأصل: لأنها. والمثبت من إهداء اللطائف (ص:٨٧).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من إهداء اللطائف، الموضع السابق.

ومنها: قرية الآبار[١]: وهي خلف قرية السلامة من الجهة الشمالية، وسميت بذلك: لكثرة حفر الآبار بها في زمن القائدة درة، جارية [الشريف][٢] حسن بن أبي نمي، وبلغني أن ابتداء عمارتها في حدود الألف، وأن أول بيت بني بها البيت الذي كان يسكنه مولانا السيد عمر عبدالرحيم البصري رحمه الله، وفي هذه القرية بساتين وبيوت قليلة.

وقال الزركلي[٣]: وهذه القرية غير معروفة الآن بهذا الاسم، بل يسمونها (قروة)، وهي مشتملة على دور متعددة بلغت حدّ الكثرة، وفيها خمسة عشر بستاناً.

ومنها: وَجّ[٤]. قال في القاموس[٥]: أنه وادٍ. قال الميورقي[٦] -بعد أن نقل قول مفتي الحرمين أبي عبدالله بن أبي الصيف اليمني في كتاب "زيارة الطائف": ثم يدخل قرية وج-: عبَّر مفتي الحرمين عن المعهود في زمانه، لأن قرية وج محدثة في المائة السادسة[٧]. انتهى.

لكنه نقل عن السهيلي الأخبار المتقدمة في سبب تسميته وج، وهي

(١) الآبار: قرية كانت تطلق على محلة (قروة) قديماً. أما ماؤها الآن الذي كان عذباً فقد صار مالحاً، وذلك لإحاطة البيوت بها والقصور والدور (هامش ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٨).

(٢) في الأصل: للشريف. والمثبت من إهداء اللطائف (ص:٨٨).

(٣) ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٠، ١٣٩).

(٤) وجّ: وادٍ من أودية الطائف، قيل إنه أحدث في وادي وج قرية في المائة السادسة من الهجرة، وقيل: إنها قرية قديمة دمرت، ثم عمّرت في المائة السادسة (إهداء اللطائف ص:٨٨).

(٥) القاموس المحيط (ص:٢٦٦).

(٦) بهجة المهج (ص:٢٤).

(٧) انظر: إهداء اللطائف (ص:٨٨).

كالمصرحة بِقدم هذه القرية على المائة السادسة، ولعلها دمرت بعد عمارتها الأولى ثم جددت، والله أعلم.

وقال الزركلي[١]: وَجّ: واد عظيم في ديار الطائف إلى غربها، يمتد بين جبلي المحترق والأصيحرين طولاً، وبين جبلي المدهون وأم السكارى عرضاً. وهو أشهر أودية الطائف ومواضعها، حتى أن بعض المؤرخين أطلقوا [لفظ][٢] وَجّ على الطائف كلها عمرانها وقراها وأوديتها، وفيهم من يرى أن وادي وَجّ عرف قبل الطائف، وأن قرى الطائف ومدينته بنيت فيه.

أما المعروف اليوم عند أهل الطائف، فهو أن وَجّاً هو ذلك الوادي الذي أشرنا إلى حدوده، وهو خارج عن الطائف، وهو كثير القرى والمزارع والآبار والسكان والبساتين، كانت بساتينه في أواخر القرن العاشر نيفاً وستين بستاناً، وقد أهمل بعضها أخيراً لقلّة الأمطار، غير أن ذلك لم يؤثر في عمران هذا الوادي وخصبه، وهو على يسار الذاهب من الطائف إلى مكة، وعلى يمين القادم من مكة، يبتدئ بعد الطائف بمسافة غير بعيدة[٣].

ومنها: المَثْناة[٤]: مشهور، وفيه بساتين كثيرة وأبنية متعددة.

---

(١) ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٥).

(٢) في الأصل: لغط. والتصويب من ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق.

(٣) قال الزركلي: كتب عنه حضرة الوالد كتابة ضافية في مجلة العرب، السنة التاسعة، سنة ١٣٩٥هـ، صفحة (١٥٣/٥١٤) وذكر بساتينه وعيونه (هامش ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق).

(٤) المثناة: من وادي وج جنوب الطائف، مشهورة بجودة الرمان، وكانت للمثناة عين جارية يضرب بها المثل في تدفق المياه والغزارة، فأجريت لسقي الطائف، وهي للأشراف ذوي غالب، وكانت تعتبر من قرى الطائف. أما اليوم فهي حي من أحياء الطائف (معجم معالم الحجاز ٢٢/٨، والمعجم الجغرافي ١٢٥٧/٣).

وقال الزركلي[١]: المثناة: موضع في وَجّ على غرب الطائف، فيه قرى وبساتين ومزارع، وفيه عين الخَبَزة[٢]. قيل لنا: أن هذه العين تسقي المثناة كلها، وهي جارية في قناة متسربة مما يجتمع من رشح الجبال المجاورة للمثناة غرباً وجنوباً.

ومنها: قُرَيْن[٣]: كزُبَيْر. قال في القاموس[٤]: قُرين: قرية بالطائف. وهي الآن خربة، وبالقرب منها بستان يسمى: البحرة؛ لكبره.

ومنها: الخَبَزة[٥]. قال في القاموس[٦]: كعَنَبَة: قرية بالطائف.

وقضية كلام المرجاني في تاريخه: أنها من وَجّ، فإنه لما ذكر الخَبَزَة قال: وهذا الوادي جميعه محرّم كحرم مكة، لا ينفَّر صيده ولا يعضد شجره. انتهى.

ولم يبق منها الآن إلا بستان ومسجد فقط.

قال أبو الفيض: وهذا المسجد يصلّون أهل المثناة فيه الجمعة. انتهى.

ومنها: الوَهْط[٧] -بفتح الواو وسكون الهاء-: بستان لعمرو بن العاص

---

(١) ما رأيت وما سمعت (ص: ١٤١، ١٣٣).

(٢) عين الخبزة: عين كبيرة بالمثناة، أجري ماؤها لسقي الطائف. وعلى العين قرية قديمة بهذا الاسم فيها مسجد عداس (معجم معالم الحجاز ١٠٣/٣).

(٣) قرين: قرية لبني دُهَيس من بني مالك في سراة بجيلة، قرب الجواء (معجم معالم الحجاز ١٢٦/٧).

(٤) القاموس المحيط (ص: ١٥٨٠).

(٥) الخبزة: عين كبيرة بالمثناة، أجري ماؤها لسقي الطائف. وعلى العين قرية قديمة بهذا الاسم فيها مسجد عداس (معجم معالم الحجاز ١٠٣/٣).

(٦) القاموس المحيط (ص:٦٥٦).

(٧) الوهط: قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وج كانت لعمرو بن العاص (معجم معالم الحجاز ١٥٠/٩-١٥١).

رضي الله عنه على ثلاثة أميال من وَجّ، كان يُعَرِّشُ على ألفِ ألفِ خَشَبة، شرى كل خَشَبة درهم. كذا في القاموس[١].

[وبهذه][٢] القرية مزارع وعين كبيرة، إلا أنها الآن ضعيفة، وبستانها المذكور لم يبق على معشار ما كان عليه.

وقال الزركلي[٣]: الوَهْط: بستان كان لعمرو بن العاص، وهو الآن قرية على ثلاث أميال من وَجّ، يراها المؤرخون آخر حدود الطائف من غربه، فيها عين ماء كانت تعرف بعين الأزرق، وتعرف اليوم بعين الوَهْط.

وقال الفاكهي في الكلام على الوَهْط في عصره[٤]: هي قرية قريش وأم قرى الطائف.

وفي أمثال الميداني[٥] نبذة أوردها في كلامه على دهاء عمرو بن العاص قال: ويحكى من دهاء عمرو: أن معاوية قال له يوماً: هَبْ لي الوَهْط يا عمرو واسألني ما شئت، فقال: هو لك، ثم قال لمعاوية: وقد بقيت مسألتي، فقال: أنت بكل ما سَألْتَ مُسْعَف، فقال: تردّ لي الوَهْط، فعجب معاوية من دهائه، وقال: لك هو.

ومنها: نَخِب[٦] -بفتح النون وكسر الخاء-. وفي القاموس[٧]: هو ككَتِف: وادٍ بالطائف.

---

(١) القاموس المحيط (ص:٨٩٥).
(٢) في الأصل: ولهذه. والمثبت من إهداء اللطائف (ص:٨٩).
(٣) ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٦).
(٤) لم أقف عليه في المطبوع من الفاكهي، ولعله في الجزء المفقود.
(٥) مجمع الأمثال (١٢٦/٣).
(٦) نَخِب: واد بأرض هذيل. وقيل: واد من الطائف على ساعة، مر به النبي ﷺ من طريق يقال لها: الضَّيِّقة، ثم خرج منها على نخب حتى نزل سدرة يقال لها: الصادرة (معجم معالم الحجاز ٣٥/٩).
(٧) القاموس المحيط: (ص:١٧٥).

ونقل ابن فهد[١] عن المحب الطبري[٢]: أنه وادٍ بالطائف من أرض هذيل، ويقال: إنه وادي النمل المذكور في القرآن.

وقال المرجاني: وادي النمل هو وادي السديرة بأرض الطائف. قاله كعب. وقيل: هو بالشام.

وقال المرجاني: إنه عتبة في جبل، وهو الآن قرية يسكنها جماعة من عتيبة يقال لهم: وقدان، وفيه مزارع وآبار.

وقال الزركلي[٣]: نَخِب: وادٍ بين الطائف ولِيَّة، فيه بيوت كثيرة ونحو عشرة بساتين، يسكنه الآن عرب وقدان، وهم قبيلة من عتيبة.

ومنها: لِيَّة[٤] -بكسر اللام بعدها مثناة تحتية مخففة أو مشددة- وهي كما في القاموس[٥]: وادٍ لثقيف، أو جبل بالطائف أعلاه لثقيف وأسفله [لنصر][٦] بن معاوية. انتهى.

وقال المرجاني: إنها من أرض الطائف.

ونقل ابن فهد[٧] عن الحُمَيْدي في الحديث المارّ عن الزبير بن العوام قال:

---

(١) حسن القرى في أودية أم القرى (ص:٣٨).

(٢) القرى لقاصد أم القرى (ص:٦٦٦).

(٣) ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٣).

(٤) لية: واد من نواحي الطائف، مرّ به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حنين يريد الطائف، وأمر وهو به أن يهدم حصن مالك بن عوف قائد غطفان. وهو واد فحل من أودية الحجاز الشرقية، يمر جنوب الطائف على ١٥ كيلاً، وهو مشهور بزراعة الرمان، ورمانه من أجود أنواع الرمان (معجم البلدان ٥/٣٠، ومعجم معالم الحجاز ٧/٢٧٢-٢٧٣، وإهداء اللطائف ص:٩٠).

(٥) القاموس المحيط (ص:١٧١٧).

(٦) في الأصل: لنضر. والتصويب من القاموس المحيط، الموضع السابق، وإهداء اللطائف (ص:٩٠).

(٧) حسن القرى في أودية أم القرى (ص:٣٧).

أقبلنا مع رسول الله ﷺ من لِيَّة. قال الحميدي: مكان بالطائف، فاندفع بهذا توهّم بعضهم أنها ليست من الطائف. انتهى.

وقال الزركلي[١]: لِيَّة: [وادٍ أكبر][٢] من وادي لقيم[٣]، كثير المواضع، وفير الري، في أول طريق السيل إلى جهة الشرق الجنوبي.

قال ياقوت[٤]: ولِيَّة -بتشديدها-: من نواحي الطائف، مرّ به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حنين يريد الطائف، وأمر وهو به أن يهدم حصن مالك بن عوف قائد غطفان.

قال غيلان بن [سلمة بن معتب بن مالك][٥]:

جَلَبْنا الخَيْلَ مِنْ أَكْنَافِ وَجٍّ ولِيَّةَ نَحْوَكُمْ بالدَّارِعينا

وقال الفاكهي[٦]: لِيَّة: على ثمانية أميال من الطائف إلى الجنوب، وهي وادٍ كبير خصب. انتهى.

ومنها: جَباجِب[٧]: قرية من جهة قرن. انتهى ما في إهداء اللطائف[٨].

وذكر العلامة خير الدين الزركلي[٩] كثيراً من قرى الطائف وأوديته وبساتينه غير ما ذكر، فمما ذكره:

---

(١) ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٠).
(٢) في الأصل: وادي كبير. والمثبت من ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق.
(٣) في هامش الأصل: هو جنوب الطائف. وأما وادي لقيم فهو شمال الطائف، فليحرر. وكتبه: محمد نصيف.
(٤) معجم البلدان (٥/٣٠).
(٥) في الأصل: سهم...؟ والمثبت من ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٠).
(٦) لم أقف عليه في المطبوع من الفاكهي، ولعله في الجزء المفقود.
(٧) جباجب: قرية صغيرة بين الطائف وقرن، بها زراعة (معجم معالم الحجاز ٢/١١٣).
(٨) إهداء اللطائف (ص:٨٥-٩٠).
(٩) ما رأيت وما سمعت (ص:١٣١- ١٤٦).

أم صَدْعَين[١]: قال: وهي قرية في لقيم قبل المريسية بيسير تكاد تلاصقها، فيها بضعة بيوت، ومزرعتان، وبئران.

ومنها: أم الفضلين: مزارع ذات نخيل، وفيها بستان وبئر ماء، في وادي لقيم، تبعد عن الطائف مسيرة ساعة، وهي للشريف شرف.

ومنها: أم هيثم: مزارع في وادي لقيم، بعد قرية الغَنَامين[٢] وقبل مزارع الوسطى. وهي أراضي عشيرة البخاتين[٣].

بَحْرة الرُّغاء[٤]: موضع في لِيَّة. قالوا: هو من ديار بني نصر، ولعله المحل المعروف الآن باسم: البحرة، في وادي لية.

قال الحضراوي: وببحرة الرغاء من لِيَّة مسجد يقال أنه موضع صلّى فيه النبي ﷺ، ما زال أثره شاخصاً.

قرية البخاتين[٥]: البخاتين قبيلة، وقريتهم كبيرة تعرف بهم، تبلغ بيوتها العشرين، وفيها بستان عنب، وبستان رمان، وأراضٍ تزرع حبوباً، وثلاث آبار، وهي من لقيم بعد مزارع البسيلية وقبل الغنامين.

البسيلية: مزارع حبوب فيها بئران، إحداهما للأشراف من ذوي زيد،

---

(١) أم صدعين: قرية للعصمة في وادي لقيم الأسفل شمال الطائف على (١١) كيلاً (معجم معالم الحجاز ٥/١٣٦).

(٢) الغنامين: قرية في وادي لقيم الأعلى بين سويقة والمرقب (معجم معالم الحجاز ٦/٢٦٧).

(٣) البخاتين: بطن يسكن قرية باسمهم في وادي لقيم شمالي الطائف (معجم قبائل الحجاز ص:٣٧).

(٤) بحرة الرّغاء (الرغاة): موضع في لية من ديار بني نصر، ابتنى بها النبي ﷺ مسجداً فصلى فيه، وأقاد ببحرة الرغاء بدم، وهو أول دم أُقيد به في الإسلام، رجل من بني ليث قتل رجلاً من هذيل فقتله به (معجم معالم الحجاز ١/١٨٢-١٨٣).

(٥) البخاتين: قرية في وادي لقيم الأعلى بين سويقة والمرقب (معجم معالم الحجاز ١/١٨٧).

والثانية لأفراد من قبيلة [العُصَمة][١]، وهي في وادي لقيم بعد الخضراء وقبل قرية البخاتين.

الجال[٢]: قرية [ناضرة][٣] على بعد نصف ساعة من الطائف إلى الشرق، فيها بركة ماء كبيرة على مرتفع جميل، يمرّ بها جدول صغير يسقي أرضها، يأتيها من قرية حوايا المجاورة [لجبل][٤] شهار، ويقابل الجال إلى شمالها [قريتا][٥]: قملة والقطبية، وخلف الجال إلى الجنوب جبل وراءه وادي النمل. وفي الجال بساتين وبضعة بيوت، وفيها فواكه كثيرة.

جَبْرَة[٦]: مزارع في وادي الجفيجف شرقي الطائف، فيها بئر يخرج ماؤها من عمق مترين ونصف، وفيها بساتين.

الجفيجف[٧]: وادٍ في شرقي الطائف على مسيرة أقل من نصف ساعة بعد

---

(١) في الأصل: الأعصمة. وكذا وردت في الموضعين التاليين، والمثبت من ما رأيت وما سمعت (ص: ١٣١). وانظر: معجم قبائل الحجاز (ص: ٣٣٠-٣٣١).

(٢) الجال: في الأصل طرف وج من الشرق إذا تجاوز الشهداء، ذلك أن جال الوادي ضفته، ويطلق الاسم اليوم على ناحية كبيرة شملها العمران هناك (معجم معالم الحجاز ١٠٨/٢).

(٣) في الأصل: ناصرة. والتصويب من ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٢).

(٤) في الأصل: بجبل. والتصويب من ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: قريتان. والتصويب من ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق.

(٦) جبرة: قصر ومزرعة على وادي وج، بين الطائف والعرج، ذات مكان يجتمع فيه المصطافون بعد العصر فيكتظ المكان بالعائلات والرواد، فأقيمت فيه مقاه يجري الماء بجانبها فيحيل جنبات الوادي إلى أماكن خضرة نضرة، كانت جبرة قبل العهد السِعودي للأشراف (معجم معالم الحجاز ١١٦/٢).

(٧) الجفيجف: قرية على رأس جبل صغير بطرف وادي وج من الشرق، عندما يتجاوز الطائف، تشرف على جبرة من الجنوب (معجم معالم الحجاز ١٥٥/٢).

قرية الريان وقملة، فيه آبار وعين ماء تسمى: الخَرَّار[١]، وفيه مزارع جبرة، وهو مستطيل بين جبلين يتقاربان ويتباعدان، كثير الري، رطب الأرض، وقد يسمون أقصاه: وادي الخرار، باسم عين الماء التي هي فيه.

الحزمان: قرية فيها بساتين وآبار، في وادي لقيم، قبل المليساء وبعد أم خُبْز.

الحماضية: مزارع للشريف شرف بعد المليساء، تبعد عن الطائف شرقاً أقل من ساعة، فيها دار وبئر، وقد وضع للبئر محرّك بخاري لإخراج الماء بواسطته، [تم][٢] وضعه ونحن في الطائف (أي سنة ١٣٣٩)، وبجوار الحماضية إلى يمين الذاهب من الطائف قرية الحمدة.

حوايا: قرية غرب الطائف غير بعيدة عنه كثيراً، فيها بيوت وبستان [كبير][٣] وأربع آبار، وكان بها أيام الفاكهي سبع آبار.

الخادمِيّة[٤]: مزارع في وادي لُقَيم[٥] قبل أم البِكَار[٦]، فيها بستان عنب ورمان وتين، وأراضٍ تزرع حبوباً.

الخَرَّار: أشرنا إليه في الجفيجف، وهو وادٍ بعده، يفصل بينهما جبل في

(١) الخرار: ماء في أسفل وج إذا تجاوز الطائف بسفح جبل دمة من الشرق (معجم معالم الحجاز ١١١/٣).
(٢) في الأصل: ثم. والتصويب من ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٢).
(٣) قوله: "كبير" زيادة من ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق.
(٤) الخادمية: قرية بوادي لية (معجم معالم الحجاز ٩٥/٣).
(٥) إذا تجاوز عقيق الطائف بلدة الطائف سمي لُقيماً، فأعلاه لقيم الأعلى، وأسفله لقيم الأسفل، ومن قرى لقيم: المليساء، وأم حمضة، والقديرة، وغيرها، وهو واد زراعي تكثر فيه الأعناب والرمان والخضار، وجل ملكه للأشراف العبادلة (معجم معالم الحجاز ٢٦٣/٧).
(٦) أم البكار: قرية لبني سعد جنوب الطائف، على قرابة ٢٧ كيلاً، تتبع عباسّة إدارياً، ولها طريق مزفتة (معجم معالم الحجاز ٧٧/١٠).

أقصى الجفيجف يعطف فيه السالك إلى يساره، وهو وادٍ خصيب كثير العيون والينابيع، أرضه ملأى بالماء الراكد من سيول جباله، حفرنا بأيدينا نحو شبر واحد في عدة مواضع منه فكنا لا نلبث أن نرى الماء يكاد يملأ الحفرة، كثير المستنقعات، يجتمع من ينابيعه جدول صغير من الماء يتسرب بين الصخور فيسمع له خرير، ولذلك سمي الخرار. وهذا الوادي يمتد إلى العرج. والخرار يبعد عن الطائف مسيرة ساعة، وقد أكّد لنا أحد العارفين أن ماءه لا ينقطع طول السنة، وأنه في الشتاء إذا جاءهم الغيث يجري كالنهر الكبير، وقد يملأ ما بين جبليه المتقاربين.

الخضارى: مزارع في أوائل وادي لقيم للشريف هاشم بن عون، قبل قرية العبابيد.

الخضرا: -بالقَصْر، تمييزاً لها عن الخضراء الآتي ذكرها- وهي مزارع للشريف علي بن زيد بن فواز، فيها بئر عليها محرك (مصعد للماء) بقوة خمس حصن، وهي في وادي لقيم على مقربة من قرية المريسية، وقد يلحقونها بالمريسية.

الخضراء: قرية فيها ستة بيوت ومزارع كثيرة، تسقى من ثلاث آبار فيها، وهي للشريف علي باشا بن الشريف عبدالله باشا.

رحاب: قرية على مسيرة أربع ساعات من الطائف إلى الجنوب، عامرة، فيها بيوت ومزارع يملكها الشريفان هاشم بن عون وناصر بن هزاع من ذوي ناصر.

أم رغيف -على صيغة التصغير-: مزارع حبوب على سطح جبل رغيف، وفيها بستان جيد العنب والرمان والخضر، ولها ثلاث آبار، وأرضها تزرع حبوباً، وبعضهم يلحق أم رغيف بأم الحمض.

الريان: قرية خضراء كأنها الحديقة الغناء، بعد شبرة إلى شرق الطائف في طريقنا إلى وادي الجفيجف منحرفة إلى اليمين[1]، كثيرة الأشجار، فيها رمان وعنب وفواكه متعددة الأنواع، كان فيها أربعة بيوت [فخرب][2] ثلاثة وبقي واحد عامراً.

سُوَيد[3]: من قرى وادي لية، كبيرة، فيها بساتين.

شبرة[4]: على يمين الذاهب من الطائف إلى الشرق، مزارع خضر تسقيها جداول صغيرة من الماء، تمتد مسيرة ربع ساعة، وتنتهي بقصر هو أفخم بناء في الطائف، وربما كان أعظم قصر في الديار الحجازية بحسن بنائه، وجودة مناخه، وسعة مساحته، وتنظيم غرفه، وهو منقسم إلى قسمين أحدهما منحرف عن الآخر، وقد يبلغ عدد ما فيهما من الغرف والأبهاء مائة وخمسين أو يزيد. تحوط جهاته الداخلية حديقة غناء هي أجمل حدائق الطائف وغيره من بلاد الحجاز على الإطلاق بانتظام أشجارها وأزهارها، وحسن هندستها، وجمال بركها، وإنما سميت هذه المزارع وفيها القصر والحديقة باسم شبرة: تشبيهاً لها بشبرة مصر. وعلى جانبي الطريق الموصلة إليها من الطائف أشجار كبيرة من الطرفاء، وقد

---

(١) في ما رأيت وما سمعت: اليمن.

(٢) في الأصل: فخرت. والمثبت من ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٥).

(٣) سويد: قرية في وادي لية تحت جبل الخَرَب من الشمال، سكانها الأشراف الفعور، والزراقية (معجم معالم الحجاز ٤/٢٥٤).

(٤) شبرة: حي بالطائف من الشمال على ضفة وادي العقيق الشرقية (معجم معالم الحجاز ٥/١٦).

زال بعض هذه الأشجار قبل النهضة وفي أوائلها. وقصر شبرة منزل الأمراء في الطائف، وأكثر ما ينزلون في الجانب الأيسر منه، كما فعل الأمير علي ولي عهد الحجاز ونحن في الطائف، فإنه اختار هذا الجانب على الثاني مع أن ذلك أعظم وأضخم[١].

شهَار: قرية معروفة في الطائف، قيل: أن النبي ﷺ لما هاجم الطائف بعد فراغه من غزوة حنين جاء عن طريق لِيَّة حتى قرب من حصن الطائف، فوقف هناك وأمر بشهر الأسلحة، فسمي ذلك الموضع شهاراً؛ لشهر الأسلحة فيه.

الصفاة: قرية كبيرة عامرة بعد المريسية، فيها نحو ثلاثين داراً وأربع آبار وأربع مزارع، منها مزرعة للشريف فهد بن شاكر، والثلاث للعُصَمة، وهذه القرية هي منتهى حدود لقيم في اصطلاحهم، وبعدها بيسير قرية أم الحمض السابق وصفها.

العبابيد: قرية في وادي لقيم، فيها مزارع وبضعة بيوت وبئر ماء، وهي قبل قرية الفقهاء وبعد الخضارى، تبعد عن الطائف إلى الشرق مسيرة ساعة ونصف.

العَرْج[٢]: قرية كبيرة من قرى الطائف إلى شرقه، تلي وادي الخرار بعد مسافة.

---

(١) في هامش الأصل: الجانب الثاني بناه الشريف عبدالله باشا أمير مكة سابقاً، وللشريف الأمير علي ولي عهد الحجاز حينذاك حصة فيه آلت إليه إرثاً من أمه الشريفة عابدية بنت الشريف عبدالله باشا. وأما الجانب الأعظم والقصر الخارج فهو ملك لخال الشريف علي باشا أمير مكة سابقاً المقيم بمصر. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) العرج: قرية جامعة في وادٍ من نواحي الطائف، ينسب إليها العرجي الشاعر، وهي أول تهامة في بلاد هذيل (معجم معالم الحجاز ٦/٥٩).

كانت من أنضر قرى هذه الديار وأجملها، حتى أنهم كانوا يدعونها: مصر [الصغيرة][١]، ثم قلّت مياهها فجفّ بعض مزارعها وزال رونقها.

وفي كتاب أشراف مكة وأمرائها[٢]: أنها كانت عام ١٢١٦هـ من أعمر القرى ومن أكثرها ماء ومروجاً، وذكر أن حادثة[٣] نشبت فيها في ذلك العام فاحترقت دورها ونهبت مواشيها، ولكنها بعد ذلك استعادت شبابها، ثم تضاءلت منذ بضع سنين، وإلى هذه القرية (أو الوادي كما سماها بعض المؤرخين) ينسب الشاعر المعروف [بالعَرْجي][٤].

وفي معجم البلدان لياقوت[٥]: العَرْج: أول تهامة في بلاد هذيل، وهي غير العرج الذي بين مكة والمدينة، وغير العرج الذي في اليمن بين المحالب والمَهْجَم[٦].

قرية الغنامين[٧]: قرية كبيرة كثيرة المزارع والفواكه، تقع في أواخر وادي لقيم إلى شرق الطائف، بعد قرية البخاتين وقبل [مزارع][٨] أم هيثم، فيها نحو عشرين بيتاً وخمسة بساتين وست آبار، وبها أراضٍ -ويسمونها الركبان- تزرع حبوباً، وبها خوخ، وسفرجل، ورمان، وعنب، وتين.

---

(١) في الأصل: الصغير. والمثبت من ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٨).

(٢) أشراف مكة وأمرائها (ص:٢٠٩).

(٣) وهي غزو عثمان المضايفي لها وإحراق دورها ونهب مواشيها.

(٤) في الأصل: العرجي. والمثبت من ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٩).

(٥) معجم البلدان (٤/٩٩).

(٦) المهجم: بلدة خاربة في وادي سردد شرقي الزيدية فيما بينها وبيد جبل ملحان، لم يبق من آثارها غير المنارة القائمة في بقعة المهجم التي كانت من البلدان المشهورة في تهامة، وفيها كان قتل الداعي الملك علي بن محمد الصليحي وأخيه عبد الله، بيد بني نجاح سنة ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م (الموسوعة اليمنية ٢/٩٢٦).

(٧) الغنامين: قرية في وادي لقيم الأعلى بين سويقة والمرقب (معجم معالم الحجاز ٦/٢٦٧).

(٨) في الأصل: مزرع. والتصويب من ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٩).

الفعر: مزارع للشريف شرف في أم الفضلين عند قرية الخليطي في لقيم.

الفقهاء: قرية في لقيم وراء قرية العبابيد، فيها نحو عشرة بيوت، وبها مزارع وأشجار وبئر ماء تسمى: الخضيرة. وهذه القرية قبل قرية الخضراء.

القديرة[١]: قرية كبيرة تبتعد عن أم الحمض إلى الشرق مسيرة ربع ساعة، وبعدها عن الطائف مسافة ساعتين ونصف، وهي خلف لقيم، فيها نحو خمسين بيتاً وسبع آبار، ومزارع حبوب.

قَمْلَة[٢]: قرية صغيرة عامرة، قبل وادي الجفيجف في الطريق إليه، محاذية للحزمان شرق الطائف، فيها بساتين ودور وزروع مختلفة.

المريسية: قرية كبيرة ذات آبار خمس، وبساتين فيها[٣] عنب، ورمان، وتين، وتفاح، ونخل، وليمون، وبها نحو عشرين داراً، وأربعة منازل [كبيرة للأمراء والأشراف، وهي في وادي لقيم على مسيرة ساعة ونصف من الطائف إلى الشرق][٤] مجاورة لمزارع الخضرا -بالقَصْر- التي قلنا أن على بئرها محركاً وضع حديثاً. وهذه البئر معروفة باسم: بئر المريسية، وهي بعد قرية أم صدعين.

مَلَح[٥]: قرية في وادي لية معروفة، فيها بيوت ومزارع.

---

(١) القديرة (القديراء): قرية صغيرة على يسار الطريق الخارج من الطائف إلى الرياض شمال الطائف على (١٠) أكيال، تشرف على بروث ذات مناظر جميلة يتنزه فيها المصطافون (معجم معالم الحجاز ١٠٠/٧).

(٢) قملة: قرية على ضفة وادي وج الشرقية مجاورة لقرية الجال، جنوب جبرة (معجم معالم الحجاز ١٦٠/٧).

(٣) في ما رأيت وما سمعت: وبستانين فيهما.

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٢).

(٥) ملح: قرية واقعة في وادي لية، لعوف من ثقيف، غير بعيدة من قرية القُتم (معجم معالم الحجاز ٢٥٣/٨).

النصيلة: مزارع في وادي الجفيجف، ذات بساتين وأشجار، ولا فواكه فيها، بل أشجارها من نوع النبق، وزروعها أنواع الحبوب، وهي بعد مزارع جبرة [وقبل دحلة][1].

النوامي: مزارع في أوائل وادي لقيم من جهة الطائف للشريف شاكر، فيها أراضٍ كبيرة، بعضها مزروع، وفيها بئر الفضيلة، وهذه المزارع بعد أم الفضلين وقبل الخضارى.

الوسطى: مزارع في أواسط لقيم لقبيلة العُصَمة، فيها بئر واحدة، وهي بعد مزارع أم هيثم وقبل الخادمية.

الوُهَيْط[2]: قرية خلف الوَهْط، فيها ثلاثة بيوت، وبها عين وبستان. انتهى.

[الآبار]:

وأما الآبار؛ قال العجيمي[3]: هي كثيرة، ومن أقدمها: البئر التي خلف شرقي المسجد العباسي، فإن المرجاني ذكرها وقال: يترل إلى الماء بدرج قريب الأربعين درجة، نزلتها في سنة أربع وخمسين وسبعمائة. وهذه البئر موجودة إلى الآن.

أقول: هذه البئر الآن ليست بموجودة، وإنما هناك بئر وبركة تملأ من البئر دواماً، عمّرهما أحمد باشا الحجازي في سنة ١٢٣٧.

قال أبو الفيض: ولعل هذه البئر في مكان البئر المذكورة عند المؤرخين أنها

(١) ما بين المعكوفين زيادة من ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٣).

(٢) الوهيط: أرض زراعية في أعلى وادي وج جنوب الطائف على (١١) كيلاً، سكانها آل عبيان من قريش، يطل عليها من الغرب جبل دويور، وهي ليست بعيدة عن الوهط، كانت لها عين ثم انقطعت (معجم معالم الحجاز ٩/١٥١-١٥٢).

(٣) إهداء اللطائف (ص:٩١).

ينزل إليها بدرج قريب الأربعين.

قال: وإني سألت أهل الخبرة والمعمّرين عن هذا البئر فلم يعرفوها.

بئر عكرمة. قال العجيمي[(١)]: وسمعت بعضهم يقول: إن في العقيق بئر يقال إنها بئر عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما، وهي في بستان [ابن][(٢)] حمران الثقفي. انتهى.

بئر حوايا: قال الزركلي[(٣)]: هي إحدى آبار قرية حوايا جنوبي البستان، ماؤها عذب أخف ماء بالطائف.

الزبيرية: بئر ينسبونها إلى الزبير بن العوام في قرية العقيق[(٤)].

بئر عجلان: من أشهر آبار الطائف، وماؤها من أعذب مياهه، وهي في قرية الآبار[(٥)].

نجمة [المملوكة][(٦)]: بئر مشهورة بكثرة مائها، وهي لفريق من الأشراف على مقربة من قرية العكرمية.

[العيون]:

وأما العيون؛ فمنها:

عين الوَهْط: وكانت تعرف بعين الأزرق، وتعرف اليوم بعين الوَهْط[(٧)].

ومنها: عين الخبزة التي في المثناة[(٨)].

---

(١) إهداء اللطائف (ص:٩١).
(٢) في الأصل: أبي. والمثبت من إهداء اللطائف، الموضع السابق.
(٣) ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٣).
(٤) المرجع السابق (ص:١٣٥).
(٥) المرجع السابق (ص:١٣٨).
(٦) في الأصل: الملوك. والمثبت من ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٣).
(٧) ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٣).
(٨) المرجع السابق (ص:١٣٣).

ومنها: عين في قرية السلامة.

ومنها: عين شبرة.

قال الزركلي[١]: رأيت في هامش على تاريخ العجيمي لأحد أفاضل الطائف المعاصرين: أن من أشهر عيون الطائف عين شبرة[٢] يروى منها أهل الطائف.

[الجبال]:

وأما الجبال: فمنها:

جبل المحترق[٣]: وهو جبل أسود في أعلا المثناة. ويقابله وادٍ فيه جبل يقال له: صعب[٤].

الأصيحرين: جبل مقابل لشرقي قبة سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وهو المعروف الآن باسم: البازمين[٥].

جبل أبي زبيدة: في طريق الذاهب من الطائف إلى وَجّ، يقابل الأصيحرين[٦].

المدهون: جبلان في الطائف كلاهما يدعى المدهون، أحدهما: عن يمين الذاهب من الطائف مغرباً يلي أرض المثناة بطريق وَجّ، والثاني: عن يسار

(١) ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٦).

(٢) في هامش الأصل: عين شبرا هي ملك الشريف عبدالله باشا أمير مكة سابقاً، وتسمى: عين السلامة، اشتراها الشريف المشار إليه، وجعل قسم منها لشرب أهل الطائف، والباقي لسقي بساتين شبره، وكلها خربة. وكتبه: محمد نصيف.

(٣) جبل المحترق: جبل أسمر في صدر المثناة جنوب الطائف، بينها وبين الوهط (معجم معالم الحجاز ٣٨/٨).

(٤) إهداء اللطائف (ص:٩٤)، وما رأيت وما سمعت (ص:١٤١).

(٥) إهداء اللطائف (ص:٩٤)، وما رأيت وما سمعت (ص:١٣٠).

(٦) إهداء اللطائف وما رأيت وما سمعت، الموضعان السابقان.

[الذاهب][1] من الطائف مشرقاً يقابل أول أرض شبرة، وكأنهما كانا متصلين فخرقتهما السيول، لأن الفاصل بينهما غير عظيم البعد[2].

ابن منديل: هضبة كبيرة على جنوب الطائف وراء قلعة، ثكنته لا تبعد عنها كثيراً[3].

أبو نُقْطة[4]: جبل في وادي لقيم، بينه وبين جبل السويقة درب يقال له: شعاب الماء[5].

أم الأدم: هضبة [ماثلة][6] أمام أم السكارى إلى جهة الغرب منها، وهي في غرب الطائف[7].

أم السكارى[8]: هضبة كالجبل على الجانب الغربي من المثناة، تبعد عن الطائف مسيرة نصف ساعة أو أقل[9].

قال الزركلي[10]: رأيت عليه كتابات كثيرة، وعلى إحدى صخور هذا الجبل رأيت كتابة تقرب حروفها من اللاتينية، فنقلتها ولم أهتد إلى من يترجمها لي.

---

(١) في الأصل: الذهب. والتصويب من ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٢).
(٢) ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٢).
(٣) ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٠).
(٤) أبو نقطة: جبل أسمر فيه بدحة بيضاء يجاور سويقة الطائف من الشمال بضفة وادي لقيم من الغرب على (١٣) كيلاً عن الطائف شمالاً (معجم معالم الحجاز ٨١/٩).
(٥) ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٠).
(٦) في الأصل: مايلة. والمثبت من ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق.
(٧) ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٠).
(٨) أم السكارى: هي الهضبة المنقادة في الأرض المطلة على حي قَرْوى من الجنوب، في الطائف (معجم معالم الحجاز ٢١٢/٤).
(٩) ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٠).
(١٠) ما رأيت وما سمعت (ص:٩٧).

الرُّدُفْ: يبعد عن الطائف مسيرة ساعة إلى جهة الغرب الجنوبي منه، ويعلّلون هذه التسمية بترادف حجارته وصخوره بعضاً فوق بعض، والكثيرون يسمونه: (السداد) باسم القرية التي هو فيها، وسميت بذلك لأنه كان فيها ثلاثة سدود لمنع السيول، خرب منها اثنان وبقي الثالث متداعياً(١).

قال(٢): وقد رأيت فيه خطوط متعددة أكثرها غير مقروء، يلوح لي أنها من كتابة القرن الثاني أو بعده بقليل، وفيها ما هو قبل ذلك.

ويظهر أن عبدالله بن علي بن [أبي](٣) محجن الثقفي كان كثير الولوع بالنقش في هذا الجبل، فقد رأيت له فيه أثرين غريبين، أحدهما هذا نصه:

(عبدالله بن علي بن أبي محجن يسأل الله بوجهه الكريم الجنة).

ونص الثاني:

(عبدالله بن علي بن أبي محجن يسأل الله القتل في سبيله على بركته).

ومما قرأته في صخور هذا الجبل:

(عبدالرحمن بن سعيد بن عبدالرحمن يشهد أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً).

وهذه الخطوط الثلاثة يظهر أنها من أواخر القرن الأول للهجرة أو أوائل الثاني.

---

(١) ما رأيت وما سمعت (ص:٩٧).

(٢) ما رأيت وما سمعت (ص:٩٨).

(٣) في الأصل: ابن. والمثبت من ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق.

وفي المجلة السلفية[1]: ومن الكتابات الكوفية المنقوشة على صخور الرُّدُفْ:

إسماعيل بن سفيان بن إبراهيم

يسأل الله الشهادة برحمته

وفي هضبة القديرة قرب الطائف أيضاً كتابة كوفية منقوشة على صخر، هذا نصها:

اللهم اغفر لسعيد بن [موسى][2]

اللهم اغفر زلتي

وفي صخرة كبيرة من هضبة بانِيَة كتابة كوفية، هذا نصها:

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين

آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً. وكتب

عبدالله بن يامين

وتحتها: محمد بن مهدي، وإلى جانبه الأيسر: أبا يزيد بن منصور.

وعلى هذه الصخرة صور بقر وحيوانات كثيرة، ولكنها غير متقنة الصنع.

وعلى صخرة أخرى من هذه الهضبة:

اللهم كن بعمر بن عبدا

الملك رؤوفاً رحيماً

رحمة الله وبركاته على

---

(١) في هامش الأصل: المجلة السلفية للسيد محب الدين الخطيب والسيد عبد الفتاح قتلان. صدر منها بمصر القاهرة مجلدان صغيران. (نصيف).

(٢) في الأصل: محـــ. ولعل الصواب ما أثبتناه، كما سيأتي بعد قليل.

عمرو بن عبدالملك بن مو
هب رحمة تدخله بها
الجنة وتزحزحه بها عن النار
وإلى جانبها:
تولى الإسلام وأهله
بنت سعيد بن موسى على
لإسلام حيانا ببطله(١)
وعلى صخرة أخرى:
اللهم صلّى على محمد النبي أمين رب العالمين
وكتب محمد بن أعلى وهو يسأل
الله الجنة ويعوذ به من النار
وعلى صخرة أخرى:
عبدالله بن علي بن أبي محجن
يشهد ألاَّ إله إلاّ الله
وسعيد بن موسى على مثله
يشهد
[وإسماعيل](٢) بن سفيان على مثله يشهد
وعلى صخرة أخرى:
يا... رحيم اغفر

(١) كذا في الأصل.
(٢) في الأصل: واسو. ولعل الصواب ما أثبتناه، كما سبق قبل قليل.

لابن سفيان ذنبه

العظيم آمين

وفي هضبة أم السكارى:

وكتب سنة [ثمان][1] وثمانين ومئة

سبحانك اللهم إن عبد

الأعلى بن زياد

الحصرم يشهدك

و.. و.. وملائكتك

وجميع رسلك بأنه لا إله إلا أنت

وأن محمداً عبدك ورسولك

وعلى صخرة أخرى من هذه الهضبة:

عبدالله بن أبي محجن يشهد

ألاّ إله إلاّ الله، وأحمد بن

عمر بن جابر بن عاص

يشهد على ذلك

وعلى صخرة أخرى منها:

بالله أرجو النجاة

وكتبه ابن عثمان بن أوس

انتهى.

أم الشيع: هضاب متصلة في شمال الطائف، كانت عليها وقائع بين العرب

(١) في الأصل: ثما.

والترك في زمن النهضة[١].

أم المعين: هضبة تلي أم الأدم، وكلاهما خلف قرية قروة من الجنوب[٢].

بَرَد[٣]: جبل في بلاد قريش يبعد عن الطائف ستة فراسخ، يقال: أن جميع عيون المياه التي في الطائف منشؤها منه[٤].

قال الزركلي[٥]: كذا رأيت في تعليق لأحد المعاصرين على كتاب العجيمي، ولم أر هذا الجبل.

رُغاف[٦]: جبل وراء أم الحمض وبعد لقيم، يبعد عن الطائف مسيرة ساعتين إلى الشرق[٧].

رغيف –بصيغة التصغير–: جبل صغير كالهضبة ملاصق لرغاف[٨].

---

(١) ما رأيت وما سمعت (ص: ١٣١).

وفي هامش الأصل: النهضة: هي نهوض الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز بالثورة على الحكومة العثمانية التركية. سميت الثورة النهضة، سماها بذلك الشريف الحسين. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) ما رأيت وما سمعت (ص: ١٣١).

(٣) برد: جبل يضرب إلى الحمرة، يعتبر الحد الفاصل بين هذيل جنوباً وقريش ثقيف شمالاً، تراه من الطائف جنوباً غربياً على (٢٠) كيلاً (معجم معالم الحجاز ١/٢٠٢).

(٤) ما رأيت وما سمعت (ص: ١٣١).

(٥) المرجع السابق.

(٦) رغاف: جبل أسمر حائز بطرف عقيق الطائف من الشمال الغربي إذا تجاوز وادي لقيم شمال الطائف على (١٣) كيلاً، تحته من الجنوب قرية أم الحمضة، تراه على يسارك إذا وصلت إلى القديرة (معجم معالم الحجاز ٤/٥٨).

(٧) ما رأيت وما سمعت (ص: ١٣٤).

(٨) المرجع السابق.

ربع التَّمَّار[١]: هضبة صغيرة بين المليساء ووادي الحُسَيْرِج على مقربة من الحماضية[٢].

السويقة[٣]: جبل صغير على جنوب قرية الخضراء، بينه وبين جبل أبو نقطة درب يقال له: شعاب الماء[٤].

شَرَقْرَق[٥]: أحد جبلين متحاذيين قبالة قصر شبرة. والجبل الثاني يدعى: عكابة. ولما اضطرمت نار الحرب بين العرب والترك أيام النهضة تحصن الأتراك في عكابة، وأخذ العرب يرموهم من شَرَقْرَق ومن شبرة حتى أزالوهم عن مواقعهم[٦].

وأما الحصون؛ فمنها:

حصن النغرة[٧]: طائفة من ثقيف.

وفي المرجاني ما يدل على أنه الحصن [الذي][٨] نزل ﷺ وأصحابه بقربه في غزوة الطائف، فإنه قال فيه: أنه باق إلى الآن بالبناء الجاهلي. وفيه مقدار أربعين بيتاً، وفيه بئر وتنين عظيم يمنعهم البناء فيه إلا أن يذبحوا عنده[٩]، وهو

---

(١) ربع التمار: ربع يأتي الطائف من الشمال، يأخذه الطريق إلى نجد وعشيرة والسيل (معجم معالم الحجاز ٢/٤٠).
(٢) ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٥).
(٣) السويقة: هضبة ذات رأس صخري بارز ممتد في السماء تراها شمال الطائف على (١١) كيلاً بطرف وادي لقيم من الغرب (معجم معالم الحجاز ٤/٢٦٠).
(٤) ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٦).
(٥) شرقرق: جبل بطرف عقيق الطائف من الشمال الغربي، أصبح حياً من أحياء الطائف، نزله بعض المتوطنين من البادية (معجم معالم الحجاز ٥/٤١).
(٦) ما رأيت وما سمعت (ص:١٣٧).
(٧) في إهداء اللطائف: النفرة.
(٨) في الأصل: للذي. والتصويب من ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٣)، وإهداء اللطائف (ص:٩٢).
(٩) هذا من خرافات الجاهلية، والذبح لغير الله كفر، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وسيأتي خبر التنبيه.

بالقرب من مسجد الحَجّاج بن يوسف الثقفي، وكان قد بنى هذا المسجد بتربة حمراء يؤتى بها من اليمن، ولم يبق إلا آثاره، ومنارته خراب. انتهى[(١)].

قال العجيمي[(٢)]: وهذا الحصن موجود على ما ذكره، وصلت إليه، ورأيت آثار المنارة ومسجد الحجاج. وأما التنين فقد فُقِدَ منذ سنين، وحوله بيوت وبساتين، والشائع عند أهل القرية أن بيت سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فيها، وهذا الحصن في لِيَّة.

ومنها: الحصن السلطاني: الموجود الآن في نفس الطائف.

قال الزركلي[(٣)]: وقد زرنا قلعتها، وهي غير قديمة، بنيت منذ نيف ومائة عام، طول المعمور منها نحو خمسين متراً، وعرضه نحو خمسة وعشرين متراً. وكانت ذات طبقتين، فلما نشبت الحرب بين العرب والترك اضطر الأتراك لرفع مدافعهم إلى أعلاها، وأقاموا وراء كل جدار منها جداراً ملاصقاً [له][(٤)] يقيهم قنابل مقاتليهم من الجبال المحيطة بالطائف، بحيث تكون [الجدران][(٥)] بضخامتها كالحصون. وبعد أن أتموا بناء الجدران وأصعدوا المدافع، رأوا أن الثقل اشتد على البناء الأسفل وخافوا انهياره، فعمدوا إلى السقف الأعلى فخربوه تخفيفاً، وأزالوا نحو مترين من ارتفاع جدران الطبقة الثانية، فأصبحت القلعة الآن ذات طبقة واحدة، أي الطبقة السفلى. وأما الثانية فبقي نحو نصفها ولا سقف لها.

---

(١) ما رأيت وما سمعت (ص:١٤٣-١٤٤)، وإهداء اللطائف (ص:٩٢).

(٢) إهداء اللطائف (ص:٩٢).

(٣) ما رأيت وما سمعت (ص:١١٥).

(٤) في الأصل: لهم. والتصويب من ما رأيت وما سمعت (ص:١١٥).

(٥) في الأصل: الجداران. والتصويب من ما رأيت وما سمعت، الموضع السابق.

قال: وزرنا الثكنة العسكرية أيضاً، وهي واسعة جداً، طولها نيف وثلثمائة متر، وعرضها نحو [مائتين][١] وخمسين متراً، وليس فيها أبنية مرتفعة اكتفاءً بمبانيها السفلية، وهي مأوى الجند النظامي. انتهى ما في تاريخ الزركلي.

الفصل الرابع: في دخول النبي ﷺ الطائف

قال الإمام أبو محمد عبدالملك بن هشام رحمه الله في سيرته[٢]: قال ابن إسحاق: ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس [النصرة][٣] من ثقيف [والمنعة][٤] بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحده.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، [ومسعود بن عمرو بن عمير][٥]، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف -وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح-، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله، وكلّمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام

(١) في الأصل: ألفين. والمثبت من ما رأيت وما سمعت (ص:١١٥).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/٢٦٦-٢٦٩).
(٣) قوله: "النصرة" زيادة من سيرة ابن هشام (٢/٢٦٦).
(٤) في الأصل: المنعة. والمثبت من سيرة ابن هشام، الموضع السابق.
(٥) ما بين المعكوفين زيادة من سيرة ابن هشام (٢/٢٦٧).

والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلّمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلّمك، فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقال لهم –فيما ذكر لي–: [إذا][1] فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه.

قال ابن هشام: وقوله: "ويذئرهم" يعني: يحرش بينهم.

فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجئوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من [كان][2] يتبعه، فعمد إلى ظلّ حُبْلَة[3] من عنب، فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ –فيما ذكر لي– المرأة التي من بني جمح، فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك؟

فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال –فيما ذكر لي–: « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهّمني، أم إلى عدوّ ملّكته أمري، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ

(١) في الأصل: إذ. والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/٢٦٧).
(٢) قوله: "كان" زيادة من سيرة ابن هشام، الموضع السابق.
(٣) الحُبْلَة: الكَرْمُ (القاموس المحيط ص:١٢٦٨).

بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تُنْزِلَ عليّ غضبك، أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك »[١].

قال: فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي، تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له: عدّاس، فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عدّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله فيه يده قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عدّاس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال رسول الله ﷺ : ومن أهل أي البلاد أنت يا عدّاس وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نِينَوى[٢]، فقال له رسول الله ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونس بن مَتّى، فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن مَتّى؟ فقال رسول الله ﷺ : [ذاك][٣] أخي، كان نبيّاً وأنا نبيّ، فأكبّ عدّاس على رسول الله ﷺ يُقَبِّلُ رأسه ويديه وقدميه.

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك.

فلما جاءهما عدّاس قالا له: ويلك يا عدّاس، مالك تُقَبِّلُ رأس هذا الرجل ويديه وقدميه. قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي. قالا له: ويحك يا عدّاس، لا يصرفنّك عن دينك، فإن دينك خيرٌ من دينه.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥/٦).

(٢) نينوى: هي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى، منها كربلاء التي قتل بها الحسين رضي الله عنه (معجم البلدان ٣٣٩/٥).

(٣) في الأصل: ذلك. والمثبت من سيرة ابن هشام (٢٦٩/٢).

قال: ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة[(١)] قام من جوف الليل يصلّي، فمرّ به النفر من الجنّ الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى -وهم فيما ذكر لي سبعة نفر [من جن][(٢)] أهل نصيبين[(٣)]- فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقصّ الله خبرهم عليه ﷺ . قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف:٢٩] - إلى قوله تعالى-: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف:٣١]. وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة.

ثم دخل ﷺ مرة ثانية الطائف لما غزاه، وذلك أن ثقيفاً عاهدت هوازن يوم خيبر على حرب رسول الله ﷺ ، فلما تم ﷺ من أمر هوازن توجه إلى ثقيف.

قال ابن هشام في سيرته[(٤)]: قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله ﷺ على نخلة اليمانية[(٥)]، ثم على قَرْن[(٦)]، ثم على المُلَيح[(٧)]، ثم على بَحْرة

---

(١) في هامش الأصل: بنخلة: وادي نخلة معروف، وقد تقدم. وكتبه: محمد نصيف.

(٢) في الأصل: من أهل الجن. والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/٢٦٩).

(٣) نصيبين: تقع إلى الجنوب الغربي من بيره جك التي تقع بالقرب من الحدود السورية (هامش تاريخ الدولة العلية ص:٤٥٣).

(٤) سيرة ابن هشام (٥/١٥٤-١٥٧).

(٥) في هامش الأصل: نخلة اليمانية: سولة.... وكتبه: محمد نصيف.

(٦) قرن: يطلق على جزء من وادي الغدير بين المحرمين، محرم طريق كرا ومحرم السيل الكبير (معجم المعالم الجغرافية ص: ٢٥٤).

(٧) المليح: أحد وديان الطائف (معجم البدان ٥/١٩٦) وهو وادٍ يصب في وادي قرن إذا تجاوز السيل الكبير، يصب فيه من ضفته اليمنى من الشرق، ما زال معروفاً يسكنه قوم من خزاعة، وأعلاه يسمى السيل الصغير، شمال الطائف على ٣٠ كيلاً (انظر: معجم المعالم الجغرافية ص: ٢٥٤).

الرُّغاء(١) من لِيّة، فابتنى بها مسجداً فصلّى فيه.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب أنه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء حين [نزلها](٢) بدم، وهو أول دم أقيد به في الإسلام، رجل من بني ليث قتل رجلاً من هذيل، فقتله به، وأمر رسول الله ﷺ –وهو بلِيَّة– بحصن مالك بن عوف فهُدِم، ثم سلك في طريق يقال له: الضَّيِّقَة، فلما توجه فيها رسول الله ﷺ سأل عن اسمها، فقال: ما اسم هذا الطريق؟ فقيل له: الضَّيِّقة، فقال: بل هي اليُسرى، ثم خرج منه على نَخِب(٣) حتى نزل تحت سدرة يقال [لها](٤): الصادرة، قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ : إما أن تخرج وإما أن نخرب عليك حائطك، فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه.

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف، فضرب به عسكره، فقتل [به](٥) ناس من أصحابه بالنبل، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف، فكانت النبل تناهم، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم، فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند

---

(١) بحرة الرغاء: موضع في لِيّة من ديار بني نصر (معجم ما استعجم ٢٢٩/١) وهي معروفة اليوم بطرف لِيّة من الجنوب، على ١٥ كيلاً جنوب الطائف (انظر: معجم المعالم الجغرافية ص: ٢٥٤).

(٢) في الأصل: نزولها. والتصويب من سيرة ابن هشام (١٥٤/٥).

(٣) نَخِب: وادٍ بأرض هذيل. وقيل: وادٍ من الطائف على ساعة، مر به النبي ﷺ من طريق يقال لها: الضَّيِّقة، ثم خرج منها على نخب حتى نزل سدرة يقال لها: الصادرة (معجم معالم الحجاز ٣٥/٩).

(٤) في الأصل: له. والتصويب من سيرة ابن هشام (١٥٤/٥).

(٥) قوله: "به" زيادة من سيرة ابن هشام، الموضع السابق.

مسجده الذي بالطائف اليوم، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة.

قال ابن هشام: ويقال سبع عشرة ليلة.

قال ابن إسحاق: ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أم سلمة ابنة أبي أمية، فضرب لهما قبّتين، ثم صلّى بين القبّتين، ثم أقام، فلما أسلمت ثقيف بنى على مُصلّى رسول الله ﷺ عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجداً، وكانت في ذلك المسجد سارية فيما يزعمون لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سمع [لها][1] نقيض، فحاصرهم رسول الله ﷺ وقاتلهم قتالاً شديداً، وتراموا بالنبل.

قال ابن هشام: ورماهم رسول الله ﷺ بالمَنْجَنيق[2].

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف، دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ [تحت][3] دَبّابة[4]، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار، فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل، فقتلوا منهم رجالاً، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف، فوقع الناس فيها يقطعون.

---

(١) قوله: "لها" زيادة من سيرة ابن هشام (١٥٥/٥).

(٢) المنجنيق: هو آلة من خشب لها دفّتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذَنَبُه خفيف، وفيه تجعل كِفّة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبُه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه، فما أصاب شيئاً إلا أهلكه (صبح الأعشى ١٥٢/٢).

(٣) في الأصل: تحته. والمثبت من سيرة ابن هشام (١٥٥/٥).

(٤) الدَّبّابة: آلة تتخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجال، ويقرّبونها من الحصن المُحاصر لينقبوه، وتقيهم ما يُرْمَوْن به من فوقهم (لسان العرب، مادة: دبب).

قال ابن إسحاق: ثم إن خويلة ابنة حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية -وهي امرأة عثمان بن مظعون- قالت: يا رسول الله، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُلي بادية بنت غيلان بن سلمة أو حُلي الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيف.

فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها: وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة؟ فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: ما حديث [حدثتنيه][(١)] خويلة، زعمت أنك قلته؟ قال: قد قلته. قال: أو ما أذن لك فيهم يا رسول الله؟ قال: لا، قال: أفلا أؤذن بالرحيل، قال: بلى، قال: فأذّن عمر بالرحيل.

وقال في طيف الطائف: وفي سيرة الحافظ ابن سيد الناس اليعمري[(٢)]: لما لم يؤذن لرسول الله ﷺ في فتح الطائف استشار نوفل بن معاوية الديلي فقال: ما ترى؟ فقال: [ثعلب][(٣)] في جحر، إن أقمت أخذته، وإن تركته لا يضرك، فأمر ﷺ عمر بن الخطاب فأذّن بالناس [بالرحيل][(٤)]، فضجّ الناس من ذلك، وقالوا: نرحل ولم يفتح علينا الطائف! فقال رسول الله ﷺ: فاغدوا على القتال، فغدوا، فأصابت المسلمين جراحات، [فقـــال][(٥)] رسول الله ﷺ: إنا قافلون إن شاء الله،

---

(١) في الأصل: حدثنيه. والتصويب من سيرة ابن هشام (١٥٧/٥).
(٢) عيون الأثر (٢٥٩/٢-٢٦٠).
(٣) في الأصل: نغلب. والمثبت من عيون الأثر (٢٦٠/٢).
(٤) في الأصل: الرحيل. والمثبت من عيون الأثر، الموضع السابق.
(٥) في الأصل: وقال. والمثبت من عيون الأثر، الموضع السابق.

فسرّوا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك، وقال لهم رسول الله ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، [فلما ارتحلوا واستقلوا قال: قولوا][١]: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»، ولما ظعن ﷺ عنهم قيل له: ادعُ على ثقيف؟ فقال: «اللهم اهْدِ ثقيف وائت بهم [مسلمين][٢]». انتهى.

الفصل الخامس: في ذكر الآثار المباركة والمساجد المعمورة في الطائف

[ذكر][٣] في تحفة اللطائف[٤] السدرة التي انفرجت له ﷺ نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين، وذلك لما اعترضته في طريقه وهو سائر وَسْنان[٥] ليلاً في غزوة الطائف، على ما ذكره ابن فورك فيما حكاه عنه القاضي عياض في الشفا[٦]، وبعض هذه السدرة باقي إلى الآن، والناس يتبركون به[٧].

وقال في طيف الطائف بعد ذكر العبارة المذكورة: قال الملا علي القاري الهروي في كتاب الاستيناس بفضائل ابن عباس: ولعل هذه الشجرة كانت معروفة في زمنهما. وأما الآن فلم يسمع بها، ولم يعرف أثر منها، كما لا يعرف أثر الشجرة التي وقعت تحتها بيعة الرضوان، ولعل الحكمة في إخفائهما: أن لا تفتتن العامة بزيارتهما.

---

(١) في الأصل: لما استقبل المسير قال ﷺ. والمثبت من عيون الأثر، الموضع السابق.
(٢) قوله: "مسلمين" زيادة من عيون الأثر (٢/٢٦٠).
(٣) بياض في الأصل قدر كلمة. ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٤) تحفة اللطائف (ورقة ٦٤).
(٥) وَسْنان: أي نعسان (لسان العرب، مادة: وسن).
(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/١٨٧).
(٧) انظر: حسن القرى (ص:٤١)، لايعرف موضع هذه السورة حالياً، والتبرك بالشيء يحتاج إلى دليل شرعي ولا دليل ثمة.

قال المحب ابن فهد: وبعض هذه السدرة باق إلى الآن، والناس يتبركون به.

قلت: رأيت في عام سبعة وعشرين وألف سدرة أصلها منفرج بقدر إنسان عند مسجد في رأس عين المثناة، يزعم بعض الناس أنها تلك السدرة، والله أعلم.

لكن ذكر المحب ابن فهد أن بالقرب من العقيق السدرة المنفرجة للنبي ﷺ لم يبق منها سوى ساق واحد. انتهى.

وبه يعلم أن الموجودة الآن إما حادثة أو ناشئة عن تلك، والله محيي الموتى.

وفي كتاب الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ للسيد علي السمهودي[١]: قال المطري: رأيت بالطائف شجرات من شجر السِّدْر يذكر أنهن من عهد رسول الله ﷺ ، ينقل ذلك خلفُ [أهل الطائف][٢] عن سلفهم، فمنهن [واحدة دور جذرها خمسة وأربعين][٣] شبراً، وأخرى يزيد على الأربعين، وأخرى ثمانية وثلاثين[٤]، وأخرى يذكر أن النبي ﷺ مَرَّ بها وهو على راحلته فانفرق [جذرها][٥] نصفين، وأن ناقته دَخَلَتْ من بينهما وهو ناعس.

قال: رأيتها [قائمة][٦] كذلك سنة [ست][٧] وتسعين وستمائة، وأكلت

---

(١) وفاء الوفا (٣/١٠٣٥-١٠٣٦).

(٢) في الأصل: أهل المدينة. والتصويب من وفاء الوفا (٣/١٠٣٥).

(٣) في الأصل: واحد دور جذرها خمسة وأربعون. والتصويب من وفاء الوفا، الموضع السابق.

(٤) في وفاء الوفا، الموضع السابق: سبعة وثلاثون.

(٥) في الأصل: جذرها. والتصويب من وفاء الوفا، الموضع السابق.

(٦) زيادة من وفاء الوفا، الموضع السابق.

(٧) في الأصل: تسح. والتصويب من وفاء الوفا، الموضع السابق.

من ثمرها، وحملت منه للبركة، ثم في سنة تسع وعشرين وسبعمائة رأيتها وقعت ويبست، [وجذرُها](١) مُلْقًى لا يغيره أحد منهم لحرمته [بينهم](٢). انتهى.

[وكأنه](٣) بقي منها بقية، فإن التقي الفاسي(٤) ذكرها وقال: إنها انفرجتْ للنبي ﷺ نصفين لما [اعترضته](٥) وهو سائر وَسْنان ليلاً في غزوة الطائف، وبقيت على ساقين على ما ذكره ابن فُورَك(٦) فيما حكاه عنه عياض في الشفا(٧)، وبعضُ هذه السِّدْرة باقٍ إلى الآن، والناسُ يتبركون به. انتهى ما في طيف الطائف.

ومنها: مسجد ينسب إلى النبي ﷺ في مؤخّر المسجد الذي فيه قبر عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، [لأن](٨) في جداره القبلي من خارجه حجر مكتوب عليه:أمَأمَرَتْ السيدة أم جعفر زبيدة بنت أبي جعفر، أمُّ وُلاة عهد المسلمين –أطال الله بقاءها– بعمارة مسجد رسول الله ﷺ بالطائف، وفيه: أن ذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة(٩). كذا في تحفة اللطائف(١٠).

وقال الحضراوي في اللطائف في تاريخ الطائف: المسجد المنسوب للنبي ﷺ

---

(١) في الأصل: وجدرها. والتصويب من وفاء الوفا (١٠٣٥/٣).

(٢) زيادة من وفاء الوفا، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: وكان. والتصويب من وفاء الوفا (١٠٣٦/٣).

(٤) شفاء الغرام (١/ ١٧٠-١٧١).

(٥) في الأصل: اعترضه. والتصويب من شفاء الغرام (١٧١/١)، ووفاء الوفا (١٠٣٦/٣).

(٦) انظر في ابن فورك: وفيات الأعيان (٢٧٢/٤).

(٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١٨٧/١).

(٨) في الأصل: الآن. والمثبت من شفاء الغرام (١٧١/١).

(٩) انظر: حسن القرى (ص:٤١).

(١٠) تحفة اللطائف (ورقة ٦٤-٦٥). وانظر: وفاء الوفا (١٠٣٥/٣).

هو الآن –أي بعد سنة ١٣٠٠– تحويطة صغيرة طولها يزيد عن ذراع، ملاصقة للجدار القبلي من القبة الأخيرة الواقعة في آخر المسجد العباسي، على يمين الداخل من بابه الشرقي. انتهى.

وقال الشيخ عبدالحفيظ القارئ في تاريخه: ومن المشاهد النبوية والآثار المصطفوية بالمثناة: مأثر جلس فيه ﷺ وأكل فيه العنب، وحوّط عليه عدّاس، وفيه قبر عدّاس المقدّم ذكره، وموضع آخر بجبل أبي زبيدة في أعلاها عند مشرعة العين، وهو في مسجد بالمثناة، وأثر الموقف ظاهر في ركن المسجد، يذكر أنه جلس فيه رسول الله ﷺ .

ومنها: بئر بالمثناة. ذكر المؤرخون أنه شرب منها ﷺ ، وتسمى: بئر التفلة.

ومنها: موقف بقرب شهّار[1]، ذُكر أنه ﷺ صلّى فيه.

ومنها: بئر شهار المشهورة. ذكر الفاكهي أنه شرب منها رسول الله ﷺ ، وبركته فيها ظاهرة.

ومنها: موقف في أول نَخِب وقف فيه ﷺ حين استقبل نَخِباً في مجيئه للطائف للغزو عليه.

ومنها: موقف بلِيَّة عند الزوران، صلى فيه رسول الله ﷺ .

ومنها: مسجد الربيع[2] المشرف على السلامة، وهو أحد المساجد التي صلى فيها رسول الله ﷺ ، وحوّط عليها عدّاس، وهو الآن يعرف بمسجد السنوسي،

---

(١) شُهَار: حي جميل من أحياء الطائف الجنوبية، وكان وادياً فيه مزارع فامتد إليه العمران فسمي حي شهار (معجم معالم الحجاز ٥/١١٠).

(٢) يطلق عليه مسجد الطرابلسي (انظر: مساجد الطائف داخل السور ص:٣٦).

وهو السيد محمد السنوسي[١]، وهو من تلامذة السيد أحمد بن إدريس، وهذه المآثر المشهورة الآن، وقد اندرس أكثر المآثر التي ذكرها المؤرخون[٢]. انتهى.

وأما المساجد التي بالطائف، فأولها: المسجد العباسي الذي فيه قبة سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وهو أكبر المساجد، وله ثلاثة أبواب: في شاميه، وباب في يمانيه يسمى: باب الشرواني.

وفي تحفة اللطائف[٣]: المسجد الذي فيه قبر سيدنا عبدالله بن عباس أظن أن المستضئ العباسي عمّره مع ضريحه، واسمه في المنبر الذي بهذا المسجد، واسم ملك اليمن المظفر صاحب اليمن مكتوب في القبة التي فيها ضريح ابن عباس بسبب عمارته لها.

وقد رأيت بخط جدي الإمام الحافظ نجم الدين أبي القاسم عمر بن الحافظ الرحلة تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي المكي، وقال أنه شاهد بخط العلامة قاضي الحنفية رضي الدين أبي حامد محمد بن أحمد بن الضياء القرشي العمري المكي، أنه وجد مكتوباً على القبر في المسجد الشريف -يعني مسجد ابن عباس- ما صورته: أنه عمل بأمر المستضئ بالله العباسي سنة اثنين وتسعين

---

(١) السيد محمد بن علي السنوسي المغربي المكي، العلامة المحدث الشهير، أخذ عن علماء مكة وغيرهم من الواردين إلى البلد الحرام، وكلهم أجازوه، وتصدى للإقراء والتدريس بالمسجد الحرام، وله مؤلفات عديدة منها: البدور الشارقة في إثبات ساداتنا المغاربة والمشارقة، وتوفي بمكة سنة ١٢٧٦هـ (مختصر نشر النور والزهر ص:٤٤٣).

(٢) انظر: مساجد الطائف داخل السور (ص:٣٥).

(٣) تحفة اللطائف (ورقة ٦٥). وانظر: مساجد الطائف داخل السور (ص:١٤).

وخمسمائة، وأنه وجد على باب القبة التي فيها الضريح العباسي أنه عمل باسم الملك المظفر -يعني: يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن- سنة خمس وسبعين وستمائة[١]. انتهى.

وفي إهداء اللطائف[٢]: وهذا المسجد مشتمل على أربعة أروقة في الجهة القبلية، ومنبر خشب فيه عشر درجات وعليه قبة صغيرة من خشب أيضاً، ليس بينها وبين سقف المسجد إلا نحو شبرين، وأمامه باب عن يمينه محراب من رخام قطعة واحدة، وهو نات عن جدار المسجد، وعليه وحوله بناء مبلط بنورة، وللمسجد ثلاثة أبواب: في يمينه ويساره ومؤخره، وفي مؤخره منارة من جهة الركن. وأول ما بني هذا المسجد في أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضئ العباسي. كذا في تاريخ المرجاني والتقي الفاسي[٣].

ثم جددت عمارة بعض أروقته وجدرانه بعد [السبعمائة][٤]، لكنها عمارة ضعيفة، كما في تحفة المحب، ثم جدّد عمارته أو عمارة بعضه والقبة، وعمارة المنارة أيضاً الملك المظفر يوسف بن رسول [صاحب][٥] اليمن، كما [تدل][٦] عليه الكتابة الموجودة على باب القبة: أمر بتجديد ما [تعب][٧] من هذا المسجد من المنارة وغيرها الملك المظفر في سنة خمس وسبعين وستمائة.

قال المرجاني: وعلى قبره ملبس ساج على بنيان طوله من الأرض ثلاثة

---

(١) انظر: إهداء اللطائف (ص:٧٤).
(٢) إهداء اللطائف (ص:٧٣-٧٥).
(٣) شفاء الغرام (١/١٧١).
(٤) في الأصل: التسعمائة. والمثبت من إهداء اللطائف (ص:٧٣).
(٥) قوله: "صاحب" زيادة من إهداء اللطائف (ص:٧٤).
(٦) في الأصل: يدل. والتصويب من إهداء اللطائف، الموضع السابق.
(٧) بياض في الأصل قدر كلمة. والمثبت من إهداء اللطائف، الموضع السابق.

أشبار، وعرضه بطول القبر عشرة أشبار، وعرض القبر ستة أشبار، قيل: أمر بعمله المقتفي لأمر الله في سنة سبع وأربعين وخمسمائة كما هو مكتوب في الخشب.

قال: [وهذه][١] القبة في الركن الأيمن القبلي من المسجد. انتهى.

ووجدت بخط صاحبنا الشيخ عبدالمحسن بن سالم القلعي رحمه الله تعالى قال: وجدت[٢] بخط الشيخ محمد الخادم المشهور بعمامة: أن في عام سبعة وأربعين بعد الألف أمر أمير الحاج المصري رضوان بتبييض قبة عبدالله بن عباس، وبناء المنارة الموجودة الآن على باب المسجد، وبذل في ذلك مالاً، وكان الفراغ من عمارتها في شهر ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة. انتهى.

وأخبرني بعض الثقات أن هذه المنارة التي أحدثت إنما عمّرت بحجارة المنارة القديمة التي ذكرها المرجاني، والله أعلم.

قال: وقد رأيت رسومها وشاهدت التعمير بحجارتها.

ثم جدد عمارة المسجد وجدرانه والأروقة الأربعة عمارة متقنة[٣] على الرسم الأصلي في سنة إحدى وسبعين بعد الألف، وكان الآمر بها والمنفق عليها مولانا الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي، والقائم على العمارة القائد أحمد بن ريحان حاكم الطائف، وأنفق عليها مالاً، وقد حدثت في وسطه عمارة رواقين بإشارة قاضي مكة سنة..[٤]، وفصل بينها وبين القبور التي في مؤخر المسجد بجدار.

---

(١) في الأصل: وهذا.
(٢) في إهداء اللطائف: وجد.
(٣) في إهداء اللطائف: منتظمة.
(٤) كذا في الأصل وإهداء اللطائف، ولم تذكر السنة.

وأحدث به الشريف صاحب مكة محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني قبور جماعة، منهم: [أم][١] ولده هزاع، وقاصده إلى الديار المصرية الشريف عنقاء وبير. كذا في تحفة ابن فهد[٢].

ثم زادت القبور وكثرت حتى امتلأ نصف صحن المسجد بها، ولولا نهي الشريف زيد بن محسن عن الدفن فيه لتواصل وصار جميعه مقبرة.

وكانت صلاة الجمعة تقام في مسجد الجمعة في السلامة، حتى اتفق في أيام هذا الشريف أن كثر القادمون على الطائف، فأمر بإقامة الصلاة في المسجد العباسي، وذلك في ٣ جمادى الأولى سنة ١٠٥٤، ثم قال: وكانوا لا يقيمون الجمعة فيه لاعتباره مقبرة لا مسجداً[٣]. انتهى ما في إهداء اللطائف.

وقال الزركلي[٤]: جاء في كتاب أشراف مكة وأمرائها[٥]: أن والي الشام محمد باشا العظم عهد إلى الشيخ محمد [العنبتلي][٦] سنة ١١٩٣ بأن يزيد في مسجد الحبر، فزاد فيه اثنين وثلاثين ذراعاً طولاً، ومثلها عرضاً، وكان ذلك في أيام إمارة الشريف سرور بن الشريف مساعد بن الشريف سعيد، فلما اطلع على هذه الزيادة جدّد في المسجد عقدين في العام نفسه.

وفي ٢٨ رجب سنة ١١٩٣هـ توجّه الشريف سرور بأهله إلى الطائف من مكة، ونزل في قرية السلامة.

---

(١) في الأصل: روم. والمثبت من إهداء اللطائف (ص:٧٥)، وتحفة اللطائف (ورقة ٦٧).
(٢) تحفة اللطائف (ورقة ٦٧).
(٣) ما رأيت وما سمعت (ص:٩٢-٩٣).
(٤) المرجع السابق (ص:٩٣).
(٥) أشراف مكة وأمرائها (ص:٩١).
(٦) في الأصل: العنبلي. وفي ما رأيت وما سمعت: العنتبلي. والمثبت من أشراف مكة وأمرائها، الموضع السابق.

وفي نصف شعبان أخرج له الهلال القديم الذي كان على قبة الحبر منذ بنيت هذه القبة على يد المستنجد بالله يوسف العباسي سنة ٥٥٥، وكان الهلال صفراً مموهاً بالذهب، فوضع الشريف سرور بدلاً منه هلالاً أبدع في صنعته، زنته ٦٠٠ أوقية من الفضة النقية، ثم سوّده الندا، فأمر بتمويهه بالذّهب، وبعد زمن غير طويل أخرجه ووضع آخر أكبر منه [يقارب][١] وزنه قنطاراً وموَّهه بالنضار. انتهى.

قال أبو الفيض: وأما القبة الموجودة في عصرنا هذا [فهي][٢] من عمارة والي جدة من طرف الدولة المصرية حسن باشا، مع الزيادة التي في خارج القبة، مع المخزن الداخل المجعول لحوائج المسجد، وذلك بعدما دخل الوهابي[٣] بالطائف وهدم القبة، فعمّرها المذكور في العام الثالث والثلاثين بعد المائتين والألف، وقد وجدت لوحة بخط الفاضل الكاتب الماهر البليغ محمد بهائي زادة كاتب ديوان الشريف محمد بن عبدالمعين فيها بيتين تاريخاً للبناء المذكور، وهي هذه:

لبيت شعر يزيد الروح ألفاشا   بغاية الضبط قد جاءت مؤرخة
بالود جواداً أفندينا حسن باشا   قبر ابن عباس الأوَّاه جدّده

وفي سنة ١٢٦٦ وقع التعمير في المسجد العباسي وقبة الحبر بأمر والي جدة عثمان باشا. ذكره الحضراوي.

أقول: وقد [هدمت][٤] القبة المذكورة في شهر صفر سنة ١٣٤٣هـ.

(١) في الأصل: تقارب. والتصويب من ما رأيت وما سمعت (ص:٩٣).
(٢) في الأصل: فهو.
(٣) يقصد الجيش السعودي، وبناء القبب على المقابر أمر محدث .
(٤) في الأصل: هدم.

قال أبو الفيض: وأما مسجد الطائف الموجود في زماننا هذا فأروقته في قبلته خمسة، منها ثلاثة أروقة ببناء قديمة مقابلاً للضريح، قد عمّره أحمد باشا الحجازي في سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف، وطول هذه الأروقة من الشام إلى اليمن إحدى عشر رواقاً، وعمّر بجانب الضريح إلى قفص النساء عرضاً اثنان، وطولاً ثلاثة أروقة، وذلك جهة الشام، وهناك بابان متصلان وعندهما المغارة التي عمّرها المذكور، وبجانبها مخازن مجعولة بمصالح المسجد، أحدها بقبة فيها ساعات موقوفة على المسجد من بعض سلاطين آل عثمان، وبجانبها بركة مربعة يتوضؤون منها الناس، عمّرها الوالي المذكور، وعمّر في مقابله الثلاثة الأروقة من جهة اليمن أيضاً مثله، وهناك باب فتحه في سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف والي ولاية الحجاز وشيخ الحرم المحترم أحمد باشا رشدي الشرواني، وعمّر أيضاً مع ذلك في مؤخر المسجد رواقين مثل الرسم الأصلي، وطول المؤخر من جهة الشام إلى اليمن أربعة عشر رواقاً، ولا باب هناك في عصرنا هذا إلا باب المنارة، وهناك باب مسدود يرى من خارج المسجد من جهة الشرق. هذا ما ذكر هو تفصيل بناء الوزير أحمد باشا الحجازي.

ومنها رواقان في مقدم المسجد في القبلة، فقد عمّره بعض تجار الهند حين أتى زائراً في سنة خمس وتسعين ومائتين وألف، وطولهما من جهة الشام إلى اليمن أربعة عشر رواقاً، والمحراب في السادس منها من جهة اليمن، وعليه قبة عالية، والمنبر في الرواق السابع منها أيضاً، فيصير المحراب في الرواق التاسع من جهة الشام، والمنبر في الثامن منه، وفي مقابل المحراب من الشرق في الرواق الرابع مكبريته من خشب، يطلع إليها بتسع درجات، وعليها باب وفيه غلق،

وفي أسفلها درابزان من خشب على قدر ذلك، يجلسون هناك الأمراء في المواجب السلطانية الشاهانية وغيرها.

وأما المنبر فهو من خشب ليس [بينه][(١)] وبين سقف المسجد شيء متصل.

وفي الزيادة المذكورة الهندية في الرواق باب واحد من جهة الشام قد فتحه المذكور في السنة المذكورة بأمر أمير مكة الشريف الحسين بن الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون، فيصير عرض المسجد الآن كله من القبلة إلى مؤخره عشرة أروقة، اثنان في مؤخّر المسجد، وخمسة في مقدّمه، والباقي على قدر صحن المسجد، وطول المسجد كله من الشام إلى اليمن في مقدمه أربعة عشر رواقاً، وفي مؤخره مثله، وفي وسطه إحدى عشر رواقاً، وطول صحن المسجد على قدره، وفي الصحن محراب صغير ما ثبت فيه شيء، وليس فيه تاريخ بنائه، ولعله مع بناء المسجد في سنة ١٢٣٧ في زمن أحمد باشا الحجازي، وفي الجانب القبلي من المسجد وجهة يمينه طاقات في كل رواق واحد، لأجل الهواء والنور، وفي صحن المسجد صهريج يمتلئ من ماء المطر من سطح المسجد، وبالمسجد أيضاً قفص للنساء يصلّين فيه، صنعه بعض أهل الخير سنة..[(٢)] انتهى.

والثاني: مسجد الهادي[(٣)]، وهو منسوب إلى السيد الفاضل والولي الصالح

---

(١) في الأصل: بينها.

(٢) كذا في الأصل، ولم تذكر السنة.

(٣) يقع في برحة القزاز بمنطقة السوق المركزي لمدينة الطائف، وقد جُدّد ووُسّع (انظر: مساجد الطائف داخل السور ص:٢٧).

السيد محمد الهادي[١]، وتقام به الجمعة في بعض الأعوام حين يقع الزحام[٢].

قال العجيمي[٣]: وكان إنشاء هذا المسجد في حدود الخمسين بعد الألف، وبطرف المسجد ضريح السيد المذكور.

والثالث: مسجد العرابي[٤]، منسوب إلى أحد أولاد الشيخ عمر العرابي قدّس سرّه.

والرابع: مسجد ابن عقيل[٥]، وهو منسوب للعالم الفاضل السيد عمر بن السيد عقيل بن عمر العلوي[٦].

والخامس: مسجد صغير يسمى: مسجد الغريب[٧]، مدفون فيه[٨] العالم الفاضل الشيخ علي الخراس، أحد أشياخ الشيخ حسن العجيمي.

---

(١) السيد هادي بن محمد بن حسين الحسيني الرديني البدري اليمني (ترجمته في: خبايا الزوايا ص: ٢٤٩-٢٥٢).

(٢) انظر: خبايا الزوايا (ص: ٢٥١).

(٣) إهداء اللطائف (ص: ٨٢).

(٤) يقع بحي أسفل، وقد أزيل ضمن تطوير المدينة سنة ١٤٠١هـ مع حي السليمانية (هامش مساجد الطائف داخل السور رقم: ٩، ص: ١٣).

(٥) يقع المسجد في محلة أسفل (أسفل قرية الهضبة) شرق مكتب البريد المركزي السابق، وقد أزيل عندما أزيلت محلة أسفل بكاملها لتحسين وتطوير مدينة الطائف عام ١٤٠١هـ (مساجد الطائف داخل السور ص: ٤٩).

(٦) عمر ابن السيد عقيل الشافعي المكي، المدرس بالمسجد الحرام، ولد بمكة وأخذ العلوم عن والده وغيره، كان من أجل الجلساء عند أمير مكة الشريف عبدالمطلب، توفي بمكة سنة ١٢٩١هـ، ودفن بالمعلاة (مختصر نشر النور والزهر ص: ٣٨٠).

(٧) يقع بجوار دار أياز، ويعرف بمسجد شمس، بحي فوق، ولقد أزيل ضمن تطوير المدينة سنة ١٤١٠هـ مع حي السليمانية (هامش مساجد الطائف داخل السور رقم: ٩، ص: ١٣).

(٨) لايجوز دفن أحد داخل المسجد لأن المساجد إنما جعلت للعبادة ولم تجعل للدفن.

والسادس: مسجد الهنود[١]، وهو مسجد صغير نُسب للهنود؛ لاجتماعهم به غالباً.

والسابع: مسجد [الريع][٢]، ويسمى مسجد السنوسي، وقد تقدم ذكره[٣].

والثامن: مسجد الوزير[٤]، وهو منسوب للوزير ريحان، وزير أمير مكة المشرفة الشريف سرور، عمّره سنة ١١٨٩. انتهى.

الفصل السادس: في ذكر من دفنوا في الطائف من الصحابة والفضلاء والأمراء

قال الشيخ عبدالحفيظ رحمه الله في تاريخه[٥]: دفن الشهداء الذين استشهدوا يوم الطائف قرب المسجد -أي المسجد العباسي- وهم سبعة من قريش: سعد ابن سعيد بن العاص، وعرفطة، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، وعبدالله بن عامر

---

(١) مسجد صغير يقع بالسوق بمحلة فوق قرية علو الهضبة، بين مسجد الهادي من الشمال ومسجد سيدنا عبدالله بن عباس من الجنوب، مشرف على ميدان الحراج القديم سابقاً، غرب بيوت القاضي (مساجد الطائف داخل السور ص:٣٧).

(٢) في الأصل: الراية. والصواب ما أثبتناه؛ لأن مسجد الريع هو مسجد السنوسي. وأما مسجد الراية فقد قال ابن فهد في تحفة اللطائف: وبالقرب من الجبانة شجرة سدر تسمى الحدباء، يقال أن قريش كانوا يعقدون الرأي عندها، وإلى جانبها مسجد الراية، وهو موضع يقال أنه موضع راية النبي ﷺ وكان عليه قبة فخربت (تحفة اللطائف ص:٦٧، وإهداء اللطائف ص:٧٨).

(٣) (ص: ٤٨٥).

(٤) يقع مسجد الوزير في وسط القرية، بين محلتي فوق وأسفل، بجوار بيوت النحاس، في غرب موقع إدارة الدفاع المدني على بضع أمتار، وقد أزيل مع ما أزيل لمصلحة الشارع العام (مساجد الطائف داخل السور ص:٤٠).

(٥) انظر: تحفة اللطائف (ورقة: ٦٦)، وإهداء اللطائف (ص:٧١).

ابن ربيعة، والسائب وعبدالله ابنا [الحارث بن][1] ربيعة، [وجليحة][2] بن عبدالله.

وأربعة من الأنصار: ثابت بن الجذع، والحارث بن سهيل بن أبي صعصعة، والمنذر بن عبدالله، ورقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد.

وواحد من ثقيف: وهو عروة بن مسعود الثقفي، وهو في شرقي المسجد العباسي[3].

قال العجيمي[4]: وقد بنيت عليهم حوطة في نيف وستين بعد الألف.

وفي غربيه من جهة الشمال قبر الحبر ترجمان القرآن، مفسّر الصحابة وعالمهم بدقائق كتاب الله، عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وقد مات رضي الله عنه بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير، وعمره إحدى وسبعون سنة، وصلّى عليه محمد بن الحنفية[5].

وفي هذه القبة أيضاً: قبر أبي القاسم محمد بن علي بن [أبي][6] طالب رضي الله عنه المعروف بابن الحنفية أمه، وهي خولة بنت جعفر، من ذرية [حنيفة بن لجيم][7]، في الركن الشمالي من قبة الحبر على يمين الداخل من باب القبة[8].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من إهداء اللطائف (ص: ٧١).

(٢) في الأصل: وجليخة. والتصويب من إهداء اللطائف، الموضع السابق. وانظر ترجمته في: الإصابة (٤٩٦/١).

(٣) إهداء اللطائف (ص: ٧١).

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق (ص: ٦١، ٦٥).

(٦) قوله: "أبي" زيادة من إهداء اللطائف (ص:٦٧).

(٧) في الأصل: حنفية بن غيم. والمثبت من إهداء اللطائف، الموضع السابق.

(٨) إهداء اللطائف (ص:٦٧، ٦٩).

وفي عقود اللطائف في محاسن الطائف للشيخ عبدالقادر بن أحمد الفاكهي: قيل: هو -أي ابن الحنفية- مدفون بالبقيع، ورجّح كلاً من القولين طائفة، وعلى الأول جماعة، منهم: الحافظ المنذري على ما نقله تلميذه الميورقي، وعلى الثاني أكثر المؤرخين والحفّاظ؛ كابن الأثير، والله أعلم. انتهى.

وإلى جانبه قبر قاضي الطائف ابن المرحل الشافعي، وكان من أفاضل الشافعية المترجم في طبقاتهم.

وفي الركن الشمالي القبلي قبر سقط رسول الله ﷺ، وهو عبدالله ذي اللقبين: الطاهر والطيب[1]. ذكره الخرستاني.

وقبر زبيدة وأخيها عبدالمنعم بن عبدالسميع، واختلف في زبيدة هل هي زوجة هارون الرشيد العباسية، وبه جزم الفاكهي في التاريخ، وبعضهم نفى ذلك، والله أعلم.

وهذه القبور الستة التي ذكرها المؤرخون في التواريخ، وزاد في وقته قبور دفن في إحداها الشريف رضا بك، سنة ١٢٦٥ ابن أمير مكة الشريف عبدالمطلب بن غالب، وفي الثاني الشريف حسن بك، سنة ١٢٨٤ ابن أمير مكة الشريف يحيى بن سرور، وفي الثالث قبر الشريفة مصباح، سنة ١٢٨١ ابنة أمير مكة الشريف محمد بن عون، وفي الرابع حضرة الوزير المفخم والي ولاية الحجاز وجيهي باشا، سنة ١٢٨٤، وفي الخامس والدة معمر باشا، سنة ١٢٨٥، وفي السادس الشريف شرف بك ابن أمير مكة الشريف عبدالله بن محمد بن عون، ودفن في قبر وجيهي باشا الشريف عبدالله بك بن محسن بن

---

(١) إهداء اللطائف (ص:٦٩)، ولم يذكر لذلك دليلاً.

علي بن غالب، سنة ١٣٠٥هـ، ودفن في قبر الشريف حسن بك المذكور الشريف محسن بن علي بن غالب المذكور، ودفن في قبر والدة معمر باشا الوزير المفخم والمشير المعظم والي ولاية الحجاز العالم الفاضل محمد رشدي باشا الشرواني، سنة ١٢٩٢هـ، ودفن على قبر الشريفة مصباح أخوها أمير مكة المشرفة الشريف عبدالله بن الشريف محمد بن عون، سنة ١٢٩٤هـ، ثم دفن عليه ابنه الشريف محمد بك سنة ١٣٠٩هـ، ثم دفن فيه أمير مكة المشرفة الشريف عون الرفيق بن الشريف محمد بن عون في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣هـ.

وفي يماني المسجد في الجبانة قبر زيد بن ثابت الصحابي، كاتب وحي رسول الله ﷺ. توفي سنة خمس وأربعين، أو إحدى -أو اثنين، أو خمس- وخمسين. انتهى.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وعلمه أتم،،،

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب

قال مؤلفه عفا الله عنه: قد حصل الفراغ من تسويد هذا الكتاب في خامس عشر رجب سنة ألف وثلاثمائة وتسع وأربعين من هجرة سيد المرسلين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

صار نسخ هذا المجلد عن نسخة بخط المؤلف بخط الشيخ حسن يوسف المعلم بمدرسة عين العزيزية باسم مكتبة محمد نصيف بجدة الحجاز في رجب وشعبان ورمضان من شهور أم السنين بعد الثلاثمائة وألف هجرية سنة ١٣٦٠هـ.

انتهى بعون الله تعالى الجزء السادس

وبه ينتهي الكتاب

ويتلوه الفهارس العامة للكتاب

المحتويات

ردمك ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٧٩-٠-٦ (مجموعة)
٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٧٩-٦-٨ (ج٦)